المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا التاريخية

الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية

في عصر السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري

٨٩٤هـ - ٩٢٣هـ
١٤٨٨م - ١٥١٧م

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث

إعداد
محمد ربيع هادي عمير المدخلي

إشراف الأستاذ الدكتور
عبد الله بن حامد الحميد

١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م



الرموز

ق ٢ = القسم الثاني

جـ = جزء

ص = صفحة

ط = الطبعة

المُقَدِّمَةُ

المقدمة

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد ألا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحى ويميت وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين .

أما بعد :

فان علم التاريخ من أجل العلوم النافعة التى حض الاسلام على معرفته والعناية به ، وقد كانت لدى ميول الى التخصص فيه ، فالتحقت في مرحلة البكالوريوس بقسم التاريخ الاسلامى التابع لكلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، ثم منّ الله عليّ بعد انهائي هذه المرحلة بالالتحاق بالدراسات العليا التاريخية ودرست فى السنة المنهجية على أساتذة أفاضل لم يبخلوا علينا بعلمهم وتجاربهم وأوصلوا الينا أساليب البحث العلمى وكيفية الاستفادة منه ، فكانت فائدتنا منهم جمة ، فجزاهم الله عنا خير الجزاء .

وفى أثناء دراستى للسنة المنهجية تزاملت مع اخوة أفاضل ، وبحكم الاختلاف فى الميول والرغبات ، وجدت أن لدى غالب زملائى رغبة التخصص فى جزء معين من تاريخ شبه الجزيرة العربية ، وكانت تخصصاتهم نحو مناطق معينة منها سواء شرقية أو وسطى أو غربية ، ولم يتبق الا الجزء الجنوبى من شبه الجزيرة العربية لم أجد من يميل الى التخصص فيه ، ولذلك آثرت أن أختار موضوعا فى هذا الجزء المهم من جزيرة العرب ، وبحكم التخصص بدأت علاقتى بأستاذى الكريم سعادة الدكتور عبد الله بن حامد الحميد منذ السنة المنهجية فكنت أستشيره فى أى المواضيع التى تصلح كموضوع للرسالة ، فأشار علىّ بموضوع هو : ـ آل شرف الدين فى اليمن ـ وبدأت أقرأ فى هذا الموضوع قبل تخرجى من السنة المنهجية ، وفى أثناء مطالعاتى كنت أجد أمامى شخصية يمنية حكمت اليمن فترة طويلة ، وكانت آخر الحكام السنة الأقوياء فى هذه المنطقة ، فقادنى فضولى الى تتبع كل ما له علاقة بهذه الشخصية ، وهكذا بدأت قراءتى تتجه اتجاها آخر عن الموضوع السابق ، فلما تكونت لدى فكرة لا بأس بها تقدمت لأستاذى بعد انهائى السنة المنهجية برغبتى فى تسجيل موضوعى الحالى وهو (الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية فى عصر السلطان عامر بن عبد الوهاب من سنة ٨٩٤ هـ الى سنة ٩٢٣ هـ) وقد أشار

حفظه الله الى ما قد كتبه الدكتور محمد عبد العال أحمد فى رسالته بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية فى عهدهما والتى تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الاسكندرية وطبعت فيما بعد ، وبيّن أنه قد كتب فى هذا الموضوع قبلى ، ولكن كان الاختلاف فى العنوانين دليل واضح على اختلاف الموضوعين من عدة نواحى أهمها التاريخ الحضارى ثم ان الدكتور محمد عبد العال أحمد لم يستعرض كثيرا من ثورات القبائل ضده ، فكان هذا أيضا مما انفردت به هذه الرسالة ، عن تلك واكمال لها فى بعض جوانبها .

- وأود أن أشير الى أن لكتاب الدكتور محمد عبد العال ، بنو رسول وبنو طاهر - الفضل الكبير بعد الله سبحانه وتعالى فى تعرفى على كثير من مصادر ومراجع البحث الذى اخترته - وبعد بيان الاختلاف فى أسلوب البحثين استحسن سعادة المشرف هذا الموضوع وهكذا تم التقدم بموضوعى لتسجيله كرسالة ماجستير فى قسم التاريخ ووفق عليه ولله الحمد .

أما سبب اختيارى لهذا الموضوع فهو :

أولا : أن العالم الاسلامى فى بداية القرن العاشر الهجرى كان يمر بمرحلة خطيرة بسبب تمكن الصليبية الحديثة من التسلل الى جنوب العالم الاسلامى ، والوصول الى مصادر التجارة الاسلامية ،

وتعبث البرتغاليين بالسفن الاسلامية سواء الناقلة للمواد التجارية أو المقلة لحجاج بيت الله فتتعرض لهم بالسلب والنهب والقتل على أبشع صورة يمكن أن تتصور ورغم هذه الظروف التى كانت توجب اتحاد الدولة الاسلامية للوقوف فى وجه هذا الزحف الجديد ، نجد فى النهاية أنها تتصارع فيما بينها ، رغم المشاكل التى تعانى منها داخليا وخارجيا ، ومن هذه الدول الدولة الطاهرية التى دخلت فى صراع مع المماليك الذين كان من واجبهم أن يتقدموا بقواتهم لنزال أعدائهم وأعداء ملتهم البرتغاليين لا أن توجه معداتها الحديثة آنذاك الى صدور أبناء ملتهم.

وبالتالى أحببت أن أصل من خلال هذا الموضوع الى أسباب هذا الصراع قدر الامكان وفى حدود ما توفر لدىّ من معلومات.

ثانيا : اعطاء فكرة واضحة عن الأوضاع السياسية والحضارية عن هذا الجزء من شبه الجزيرة العربية فى الربع الأول من القرن العاشر الهجرى ، لنستطيع من خلالها أن نتبين ان كانت على مستوى الأحداث أم أنها غير مؤهلة لذلك من خلال هذه الفكرة .

ثالثا : محاولة كشف الأخطاء التى تقع فيها الأمة الاسلامية من خلال الأحداث التاريخية التى حدثت فى بعض أجزاءها وشكلت

خطرا على الأمة كلها ، ولا شك بعد ارادة الله سبحانه وتعالى أن الصراع المملوكي اليمني ثم الصراع اليمني العثماني ألغى كثيرا من الجهود التي كان يجب أن تصرفها هذه الأطراف في مواجهة أعداء الاسلام الذين يتربصون بهم الدوائر مما مكن للصليبيين أن يجوسوا خلال الديار فترة طويلة من الزمن وفي اعتقادي أن هذه المرحلة التي نعيشها الآن هي امتداد طبيعي لتلك الفترة ، وسنظل فيها ما لم نتدارك أنفسنا ، ونرجع الى الله سبحانه وتعالى رجعة صادقة ونعمل على تحكيم كتابه وسنة نبيه فينا تحكيما كاملا ، وعند ذلك نستطيع بحول الله وقوته أن نكون قوما آخرين لنا شأننا الذي تخشاه الأمم الأخرى وتحسب لنا ألف حساب .

وكما توقع أستاذي المشرف منذ البداية الصعوبات التي سوف أواجهها ، وأولها تناثر المعلومات وصعوبة جمعها من أماكنها المختلفة ، وذلك أنني قمت برحلتين علميتين الى اليمن لجمع المصادر والمخطوطات اللازمة لبحثي ، ففي الزيارة الأولى توقفت بي الرحلة في مدينة الحديدة حيث نصحني بعض الأخوة بالعودة وعدم الذهاب الى صنعاء لأن مكتبة الجامع الكبير فيها مغلقة بسبب انشغال القائمين عليها بالفهرسة الجديدة فيها ، وترميم المخطوطات التالفه ، وأنه من

الصعوبة بمكان الحصول على ما أريد وتصويره ، أما في الرحلة الثانية فقد كانت برفقة الوالد حفظه الله ، وكانت شاملة لمعظم المدن اليمنية ، وكان في تصوري أن أتعرف على أصحاب المكتبات الخاصة في اليمن ، وأحصل على بعض المخطوطات التي تفيدني في هذه المكتبات ، ولكنني صدمت بالواقع ، فالوعود كثيرة والعمل قليل ، بل نستطيع أن نقول أنها معدومة ، ولم أخرج من تجوالي لمدة شهر في كل من الحديدة وزبيد وتعز واب وصنعاء والتي ذهبت الى مكتبة جامعها الكبير فاذا بي أجد أن الجانب الغربي من المكتبة مقفل ولا يمكن الاطلاع على ما فيها ، مع أن غالب مصادري موجود في هذه المكتبة بسبب العذر السابق ، وبالتالي عدت خالي الوفاض من المخطوطات التي كنت أتوقع أن أجدها هناك ، ولم أعد من اليمن الا بمخطوطة واحدة وهي : (العقيق اليماني في تاريخ المخلاف السليماني للضمدي) .

ثم سافرت الى القاهرة حيث ان معظم المخطوطات اليمنية صورت بواسطة معهد المخطوطات العربية ، وهنا فوجئت بتنظيم جديد صدر للعاملين في المعهد ، وهو عدم تصوير أكثر من ثلاثة مخطوطات للفرد الواحد ، وعلى كل فقد جمعت ما أستطيع جمعه من مصادر ومراجع وبالرغم من هذه العقبات التي لقيتها لم أيأس اذ تقدمت الى كلية

الشريعة بطلب رحلة علمية الى كل من مصر وبريطانيا فوافقت العمادة مشكورة على هذه الرحلة ، وعدت مرة أخرى الى القاهرة وصورت منها ما أحتاجه ، ثم تابعت رحلتي الى لندن حيث صورت أيضا ما أحتاجه من المكتبة التابعة للمتحف البريطاني ، وهكذا كانت المعلومات اللازمة لهذا البحث متوزعة في أماكن شتى رحلت في سبيل جمعها الى جدة والمدينة والطائف والرياض والكويت متنقلا في مكتباتها حتى جمعت ما أستطيع جمعه من معلومات تكون كافية للبحث ان شاء الله .

هذا وقد قسم البحث الى بابين : الباب الأول للنواحي السياسية والثاني للنواحي الحضارية . فالباب الأول يشتمل على : -

١ - تمهيد : أ - واستعرضت فيه نسب بني طاهر ، وناقشت قضية انتمائهم الى بني أمية ، معتمدا أولا على من سبقني في طرح هذه القضية ، ثم عدت الى الكتب الأدبية التي عاصرت السلطان عامر بن عبد الوهاب ثم النقوش المعمارية التي بنيت في عهده ، وانتهيت الى أنهم ربما يعودون الى أصول يمنية وليسوا قرشيين أمويين .

ب - ثم استعرضت بعد ذلك بداية ظهورهم السياسي وأنه كان زمن الشيخ طاهر بن معوضة بن تاج الدين ، وبعد ذلك انتقلت الى جهود الأخوين علي بن طاهر ، وعامر بن طاهر في قيام الدولة الطاهرية ، وبينت من خلال هذا الاستعراض مدى الضعف والانقسام الذي كانت

عليه دولة بني رسول ، واستغلال بني طاهر لهذا الضعف في سبيل انشاء دولتهم على حسابها ، وكانت مرحلة استيلاء الأخوين على عدن سنة ٨٥٨ هـ ثم زبيد هي بداية تكوين الدولة الطاهرية ثم بعد ذلك انتقلت الى رحلة توسيع النفوذ الطاهرى الى مقتل الظافر عامر بن طاهر، وتفرد المجاهد بالحكم الى وفاته .

جـ - وتحدثت فيه عن سلطنة المنصور عبد الوهاب بن داود ، وبداية الانقسام فى البيت الطاهرى بخروج الشيخ يوسف بن عامر كاحتجاج على تولية الملك المنصور دون أبناء الظافر الأول ، ثم انتصاره عليهم، وأجملت موقف الملك المنصور من القبائل الخارجة عليه .

٢ - الفصل الأول : ويشتمل على عدة مواضيع :

أ - وتحدثت فيه عن مولد السلطان عامر بن عبد الوهاب ، ثم تكلمت عن حياته بصفة عامة سواء قبل أن يخلف أباه أم بعده من خلال أعماله فى هاتين المرحلتين .

ب - ثم انتقلت الى موقف بني طاهر وخاصة أبناء الظافر الأول عامر بن طاهر من حكم السلطان عامر بن عبد الوهاب ، وحروبه المتعددة ضدهم بدءاً من سنة ٨٩٤ هـ الى القبض على الشيخ عبد الله بن عامر بن طاهر سنة ٩٠٥ هـ والذى كان يمثل آخر خطر من داخل الأسرة الحاكمة لليمن .

جـ - بعد ذلك انتقلت الى ثورات قبائل يافع ، وربطتها بهذا الفصل لعلاقة هذه القبائل بالدور الكبير فى حروب الأسرة الطاهرية ومناصرتها للمخالفين للسلطان عامر بن عبد الوهاب ، وحاولت أن أفسر سبب انضمام يافع لأبناء الظافر الأول ، ومن هذه الأسباب أن ثورتهم كانت سياسية للحصول على امتيازات خاصة لهم فى عدن وغيرها ، من جانب السلطة الطاهرية فيما لو نجح أبناء الظافر الأول فى الوصول الى الحكم.

د - ثم انتقلت الى ذكر قبائل دثينه وهى احدى القبائل التى تقطن فيما بين عدن وتعز ، وقد كانت تقطع الطريق التجارى فيما بين هاتين المدينتين ، وموقف السلطان عامر بن عبد الوهاب منها ومن أعمالها وكيف استطاع الملك الظافر الثانى أن يوقف نشاطهم هذا الى أواخر سنة ٩٢٠ هـ وأسباب تمردهم بعد هذا التاريخ الى مقتل السلطان عامر .

هـ - ثم انتقلت الى مقتل ابن مخارش حاكم الجوف فى مخيم السلطان عامر بن عبد الوهاب برداع وفرار القاتلين له من بنى عبد الى بيحان التى يسيطر عليها أحد يهود تلك المنطقة ، والذى تزعم حركة تمرد ضد الدولة الطاهرية ، وكيفية قضاء السلطان عامر على هذا المتمرد وأعوانه ، والقبض فى النهاية على قاتلى ابن مخارش.

و - وبعد ذلك تكلمت عن فتنة شيخ دار الضرب بزبيد سنة ٨٩٤ هـ وذكرت أنها امتداد لفتنة أخوال السلطان عامر بن عبد الوهاب، وكيف انتهت بمقتل أحمد بن محمد المقرطسي شيخ دار الضرب قائد التآمر على أمير زبيد الأمير محمد بن عيسى البعداني .

الفصل الثاني : ويشمل ثورات قبائل تهامه محاولا قدر الامكان الوصول الى أسباب هذه الثورات على ضوء الأحداث التى حدثت منهم تجاه الدولة الطاهرية ، ثم بينت ثورات هذه القبائل مرتبة حسب مواقعها الجغرافية قربا أو بعدا عن منطقة زبيد ،فبدأت أولا بثورات المعازبة ثم الزيديين ، وانتهيت بتمرد أهل أصاب ضد الدولة الطاهرية وردة الفعل من جانب الدولة لاستعادة هذه المناطق وخضوعها من جديد .

الفصل الثالث :

ويشمل هذا الفصل موقف السلطان عامر بن عبد الوهاب من الزيدية قبل فتح صنعاء سنة ٩١٠ هـ وتحدثت عن الجبهة الزيدية وتنافسها فيما بينها وأنها كانت من أحد العوامل التى دفعت بالسلطان الى محاولة فتح صنعاء عقب انتصاراته المحدودة ضد الامام محمد بن على الوشلى ، ثم بعد ذلك عن المحاولة الأولى لفتح صنعاء سنة ٩٠٧ هـ ،

وبينت فيه تكتل الأئمة الزيدية والأمراء الزيديون رغم اختلافاتهم في سبيل المحافظة على هذه المدينة من أن تقع تحت سلطة القيادة السنيه في اليمن ورغم هذا التكتل فقد تمكن الطاهريون من فتح صنعاء سنة ٩١٠ هـ بل والامتداد في الحدود على حساب الزيديين الى أن تصل الدولة الطاهرية الى حدود صعدة في أقصى الشمال ، وكأقصى حد لها ولم يتبق من مناطق نفوذهم الا حجة التى أعلن الامام شرف الدين يحى امامته فيها سنة ٩١٢ هـ ، وظل ينتظر الظروف المواتية لخوض معاركه مع الدولة الطاهرية ، وقد سنحت له هذه الفرصة بمجىء المماليك الى جزيرة كمران وبداية الاختلاف في وجهات النظر بينهم وبين السلطان عامر ومن ثم تحول الى نزاع مسلح كانت فيه نهاية الدولة الطاهرية بل ونهاية آخر قيادة سنية يمنية قوية استطاعت أن تصل الى أقصى اتساع لها في المناطق الشمالية وبالتالى أيضا بداية للائمة الزيدية لأن يحكموا اليمن الى التاريخ المعاصر.

الفصل الرابع :

وقد خصص هذا الفصل لاستعراض العلاقات الخارجية للدولة الطاهرية ، وفيه بيان عن العلاقات اليمنية مع الحجاز ثم مع أمراء جازان بعدها ثم الجانب المهم من هذا الفصل وهو العلاقات الطاهرية المملوكية

فى عصر السلطان عامر بن عبد الوهاب ، وبدايتها ، وبما أن سبب غزو المماليك لليمن بحجة عدم مساعدتهم لقائد الحملة المملوكية حسين الكردى ،فقد استعرضت أيضا تاريخ وصول البرتغاليين الى الهند ثم ازدياد نشاطهم فى المحيط الهندى ، ومحاولة الترصد للسفن الاسلامية الداخلة والخارجة من البحر الأحمر ، الى أن كانت المحاولة الأولى للاستيلاء على عدن من جانبهم سنة ٩١٩ هـ ، وأثر هذا الغزو فى اصرار المماليك على فتح اليمن وبالتالى فتح عدن أهم نقطة كانت أنظارهم موجهة اليها ، ثم تحدثت عن دور القبائل اليمنية فى اسقاط الدولة الطاهرية بمساندة المماليك وأمراء جازان ، والانتهاء بمقتل السلطان عامر بن عبد الوهاب على أبواب صنعاء سنة ٩٢٣ هـ ،وأثر ذلك على تاريخ اليمن .

الباب الثانى

وفيه أربعة فصول :

١ ـ الفصل الأول : عن الحركة العمرانية وجهود السلطان عامر بن عبد الوهاب العمرانية من بناء المساجد والمدارس والقصور والسدود ونحوها وجهود غيره من رجال دولته .

٢ - الفصل الثانى : التنظيم الادارى ، وتحدثت فيه عن الترتيب الادارى فى الدولة الطاهرية فى عصر السلطان عامر بن عبد الوهاب متحدثا فى ذلك عن أهم المناصب فيها ، وبدأتها عن السلطان الذى تتجمع فى يده كل السلطات ثم الوزارة ثم أمراء المناطق ودورهم ووظائفهم فى الأماكن التى يتولون امرتها ، ثم انتقلت الى الكتاب والمستوفين وهم عمال الديوان السلطانى ومناطق عملهم وأعمالهم فيها ، كما تحدثت عن الجند ورتبهم وتنظيماتهم وأنواع أسلحتهم ،ثم بعد ذلك انتقلت الى الوظائف الدينية وبينت مناصب القضاء فى الدولة الطاهرية وأعمالهم وحدود اختصاصاتهم ، ثم انتقلت الى الوظائف الأخرى كالحسبة، ودور المحتسبين فى هذه الدولة ثم انتقلت الى الوقف ، ودور الدولة فى السيطرة على هذا المرفق الهام فى الدولة .

ثم انتقلت الى ذكر الوظائف الأخرى من امامة وخطابة ومؤذنين وكيفية تعيينهم .

الفصل الثالث :

وفيه بيان عن الحركة العلمية ، ودور الدولة الطاهرية ممثلة فى السلطان فى انماء الحركة العلمية وتشجيعه للعلماء وجلب الكتب النادر وجودها فى اليمن بأغلى الأثمان وتقرب العلماء اليه بمؤلفاتهم للحصول على مكافأته المشجعة والمغرية ، ثم بينت جهود العلماء اليمنيين فى العلوم الاسلامية

ومؤلفاتهم فيها أو شروحهم على مؤلفات من سبقهم من العلماء ، بدأ من القرآن وعلومه ونهاية بذكر المؤلفين التاريخيين ومؤلفاتهم واستعراضها ، ثم جهودهم في العلوم الأخرى .

الفصل الرابع :

وهو عن الحياة الاقتصادية ، وتحدثت فيه عن جهود السلطان عامر بن عبد الوهاب من أجل تنمية الموارد ومن أهمها الموارد التجارية الخارجية ، وخاصة ثغر عدن وأعماله بها من أجل هذا الهدف ، ثم انتقلت الى ذكر بقية الموارد الاقتصادية التي كانت تعتمد عليها الدولة الطاهرية ، ثم انتقلت الى العملة الطاهرية وأنواعها وبينت مدى استقرارها ودور رجال دور الضرب في تزييفها ومقاومة الدولة الطاهرية لهذا الغش في العملة .

ثم ختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت اليها من خلاله .

وفي الختام لا يسعني الا أن أتقدم بجزيل الشكر لمن أخذ بيدي طوال فترة اعدادي لهذه الرسالة خطوة بخطوة حتى أتممتها ، وكان لي كالأب الرحيم ، والذي لم يبخل عليّ بوقته وجهده ومشورته ، وهو سعادة الدكتور عبدالله بن حامد الحميد المشرف على اعداد هذه الرسالة ومهما فعلت فلن أوفيه حقه ، فجزاه الله عني خير الجزاء والله عنده حسن الثواب.

كما أتقدم بالشكر والعرفان الى كل من قدم لي المساعدة في البحث وأخص بالذكر المكتبات العامة وعلى رأسها مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي وعلى رأسهم سعادة الدكتور عبد الرحمن العثيمين الذي قدم لي كل عون في تصوير المصادر التي احتجتها من المركز ، وكذلك كل العاملين فيه ، وكل من قدم لي أي مساعدة سواء من قريب أو بعيد ،

كما أتقدم بالشكر الى جامعة أم القرى ممثلة في عمادة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية التي أتاحت لي مواصلة دراستي العليا فيها وقدمت لي كل عون ممكن لانجاز هذا البحث .

والله الموفق والهادي الى سواء السبيل . {

الباب الأول

التمهيـــــد :

أ - بنو طاهر نسبهم وبداية ظهورهم السياسى

ب - جهود الأخوين على بن طاهر وعامر بن طاهر فى قيام الدولة الطاهريـــة .

جـ - سلطنة المنصور عبد الوهاب بن داود

. . . .

نسب بنى طاهر :

قامت الدولة الطاهرية على أنقاض الدولة الرسولية فى اليمن ، ومن ثم بدأ الاهتمام بأسرة بنى طاهر ، وتتبع أخبارها من جانب المؤرخين اليمنيين ، وكذلك حرص المؤرخون على بحث ومتابعة نسب هذه الأسرة التى سيطرت على اليمن كخلفاء للدولة الرسولية .

وبنظرة فاحصة الى تاريخ أسرة بنى طاهر قبل أن تصبح صاحبة سيادة على اليمن فاننا نجد أنها كانت معروفه بأسرة بنى طاهر ، وانما ظهرت اشارة النسب من مؤرخ الدولة الطاهرية - ابن الديبع - اذ نسبهم الى بنى أمية وبالذات الى عمر بن عبد العزيز (١) .
وعن ابن الديبع نقله المؤرخ المعاصر له وهو أبو مخرمة (٢) .
وبالتالى تناقله المؤرخون اللاحقون (٣) ، ومن الغريب أنه لم يتشكك أحد

---

(١) ابن الديبع : عبد الرحمن بن على : بغية المستفيد فى تاريخ مدينة زبيد ، ص ١٢١ ، صنعاء ١٩٧٩ ، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، القسم الثانى ، ص ١٣٠ ، القاهرة ١٩٧٧ .

(٢) أبو مخرمة : أبو محمد الطيب بن عبد الله ، قلادة النحر فى وفيات أعيان الدهر ج ٣ ، ورقه ٥٥٩ أ ، مخطوط بمكتبة بنى جامع بتركيا رقم ٨٨٣ .

(٣) ابن المطهر : عيسى بن لطف الله ، روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح ، ورقه ٤ أ ، مخطوط المكتبة العثمانية بحلب رقم ٨٠٨ .
=

من هؤلاء المؤرخين في صحة هذه النسبة من عدمها ، وانما شك في صحة هذه النسبة بعض المؤرخين المحدثين على أساس عدة اعتبارات لهـا أهميتها ومن أهمهم الدكتور : محمد عبد العال أحمد ، حيث طرح عدة افتراضات من أهمها :

أولا : أن موضوع النسب بصفة عامة من أهم ما ركز على إثباته بعض حكام اليمن بهدف اضفاء الشرعية على حكمهم ، وممن اهتم بذلك المعز اسماعيل بن طغتكين ... ، وتبعه في ذلك بنو رسول وهو أمر لم يثبت صحته .

ثانيا : ان المصادر التي أوردت النسب الطاهري لم تلق الضوء على كيفية وصولهم الى اليمن وتاريخ هذا الحدث أو ذكر شيء من أخبارهم قبل القرن التاسع الهجري[٤] ولم يبعد عنه في هذا الرأى الدكتور أحمد شلبي[٥].

= الشلي : جمال الدين محمد بن أبي بكر الحسيني ، السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر ، ورقه ١٠٦أ، دار الكتب رقم ١٥٨٦
الكبسي : بدر الدين محمد بن اسماعيل بن محمد ، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنيه ورقه ٥٥ أ ، مخطوط مكتبة كورسئي بايطاليا رقم ٣٦٢،
بافقيه : الطيب محمد بن عمر ، تاريخ الشحر ، ورقه ٦٦ ب ، مخطوط المكتبة الشعبية بالمكلا رقم ٢٣٠ ،
يحي بن الحسين : القاسم بن محمد ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، القسم الثاني ، ص ٥٨٦ القاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م ، =

غير أن محقق كتاب قرة العيون يرى أن فكرة الانتساب الى بني أمية كانت من السلطان عامر بن عبد الوهاب ، وألقى رغبته هذه عند المؤرخ ابن الديبع ، ، فتلقاها بحسن نية ، وبروح الاحسان والحب ، وكان هدف السلطان عامر من ذلك هو ضرب منافسيه العلويين فى قمم جبال شمال اليمن.(٦)

ومما يؤيد صحة هذا التشكك أن كثيرا من الكتب الأدبية ، والتى كان أصحابها أحياء زمن السلطان عامر وهو أطول حكام بنى طاهر فى الحكم عمرا ، عندما تعرضوا لمدحه وخاصة فى الشعر منها ، أننا رأينا أن هذه الأسرة لم تمدح سوى أنها أسرة بنى طاهر ولم يتطرق الشعراء وعلى رأسهم أبو بكر بن عبد الله العيدروس ، لأنه أكثر من مدح السلطان عامر ولم يصفه أبدا بأنه قرشى أموى.(٧)

= دحلان : أحمد زينى ، تاريخ الدول الاسلامية بالجداول المرضية ، ص ١٨٣ ، بدون.

(٤) محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية فى عهدهما ص ٢٤٥ - ٢٤٦ ، الاسكندرية ١٩٨٠م.

(٥) شلبى : أحمد ، موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ، ج٧ ص ٣٥٧ ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٨٢م.

(٦) قرة العيون فى أخبار اليمن الميمون ، ق ٢ ، ص ١٤٤ حاشية رقم "١"

(٧) العيدروس : أبو بكر بن عبد الله ، ديوان محجة السالك وحجة الناسك ، ص ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٨٨ ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م.

وكذلك ديوان الجراح بن شاجر اذا استعرضنا القصائد المتبادلة بين الملك الظافر الثاني وبين حاكم جازان المهدى أحمد بن دريب لم يتجاوز في مدحه الى غير ذكر أنه سليل بني طاهر (٨)، وغير ذلك من الكتب التي أهديت للسلطان عامر بن عبد الوهاب (٩).

فلو كان نسبهم صحيحا الى بني أمية مشهورا في اليمن وفي فترة حكمهم لمدحوا به لأن أفضل ما يمدح به السلطان هو عراقة أصله وأعماله المجيدة التي يقوم بها لشعبه ووطنه ، كما أننا لو رجعنا الى النقوش المعمارية ، والتي تخص السلطان عامر بن عبد الوهاب لوجدنا أن نسبته تأتي هكذا " .... السلطان عامر بن عبد الوهاب بن داود " ودون توسع في سرد سلسلة النسب التي كانت تطلق على السلطان عامر في تلك الفترة (١٠).

وعليه فان مسألة انتساب بني طاهر الى بني أمية غير صحيحة فيما لدينا من قرائن ، ويبدو أن أسرتهم هي أسرة يمنية كما ذهب اليه بعض المؤرخين (١١).

---

(٨) العقيلي : محمد بن أحمد ، الشاعر الجراح بن شاجر الذروى شاعر المخلاف السليماني في القرن العاشر ، ص ٩٨-١٠٢ ، ص ١٠٣-١٠٥ ، الطبعة الأولى ، الرياض ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥ .

(٩) الناشرى : حمزة بن عبد الله ، انتهاز الفرص في الصيد والقنص ، ورقه ٢ ب ، مخطوط المكتبة الظاهرية رقم ٨٤٩١ .

(١٠) الأكوع : اسماعيل بن علي ، المدارس الاسلامية في اليمن ، ص ٢٥١ ، دمشق ١٤٠٠ هـ .

(١١) بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٤٧ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٤٤ ، موسوعة التاريخ الاسلامي جـ ٧ ، ص ٣٥٧

٢ - بداية ظهورهم السياسى

قبل أن نتطرق الى بداية ظهور بنى طاهر السياسى ، كان لزاما علينا أن نلقى نظرة على تاريخ هذه الأسرة قبل أن تصبح صاحبة سيادة على اليمن ، ثم ما هى منطقتهم التى ظهروا منها سياسيا ؟.

لقد كان ظهورهم فى بداية الأمر فى مخلاف رداع (١٢) ، وبمضى الزمن استطاعت هذه الأسرة أن تبرز على المسرح السياسى ، وكان هذا فى أواخر القرن الثامن الهجرى عندما كانوا نوابا للملك الأشرف الرسولى فى هذه المنطقة ، وذلك أن طاهر بن عامر أول من ظهر من هذه الأسرة وأصبح له النفوذ فى منطقة رداع (١٣) ، ويبدو أن هذه المنطقة عرفت ببلاد بنى طاهر نسبة الى هذا الشخص بينما نسبت الأسرة بنو طاهر الى طاهر ابن معوضة بن تاج الدين ، كما يبدو أنهم أسرة واحدة ، ولكن من فرعين مختلفين .

ولقد برز طاهر بن عامر فى أواخر القرن الثامن الهجرى ، وذلك

---

(١٢) بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٤٧ ، ومخلاف رداع ، مخلاف من مخاليف اليمن ، وهو مخلاف خولان ، وهو بين نجد وحمير الذى عليه مصانع رعين وبين نجد مذحج الذى عليه ردمان وقرن ، ياقوت بن عبد الله الحموى ، معجم البلدان ، المجلد الثالث ، ص ٣٩ ، بيروت ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م .

(١٣) غاية الأمانى ، ق ٢ ص ٥٤١ ، وطاهر بن عامر لم أجد له ترجمة وانما تفرد بذكره يحى بن الحسين . غاية الأمانى ، ق٢ ، ص ٥٤١

عندما قام بمهاجمة رداع سنة ٧٩٤ هـ وتمكن من الاستيلاء عليها ، الا أن الامام الزيدى على بن صلاح الدين حاول استردادها منه ، غير أنه ارتد عنها وبذلك فشل هذا الهجوم ، فقفل راجعا الى بلاده ،(١٤) ولكنه حاول استردادها مرة أخرى فى شوال من نفس السنة ، ولكنه لم يكن بأحسن حظا من المرة الأولى ولم ينجح فى الاستيلاء عليها .(١٥)

ويبدو أن الشيخ طاهر بن عامر قد استطاع أن يبسط نفوذه تماما فى هذه المنطقة ولم يستطع الامام الزيدى على بن صلاح أن يستخلصها منه ، ولذلك فانه قد أجل الهجوم عليها مرة ثالثة ، حتى يستطيع أن يعد العدة الكاملة لمحاربة هذا الشيخ سيما وأن الأخير يدعم من قبل الدولة الرسولية التى أرادت منه أن يكون حاجزا بين الاملاك الرسولية ومناطق نفوذ الأئمة الزيديه ، وقد توفى الشيخ طاهر بن عامر فيما بين سنة ٧٩٤ هـ وسنة ٨٠٣ هـ وحل محله فى حكم المنطقة ولده على الذى يبدو أن قوته لم تكن مثل مستوى والده من حيث القوة ولذا فقد انتهز الامام على بن صلاح هذه الفرصة وقام بمهاجمة رداع سنة ٨٠٣ هـ ، واستطاع أن يستولى على قلعة المعسال وأصبحت تابعة له فوضع فيها من يحكمها من قبله .(١٦)

ولم يطل العمر بعلى بن طاهر فقد توفى سنة ٨٠٦ هـ ،(١٧) وبعد هذا

(١٤) غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٥٤١

(١٥) غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٥٤٨

(١٦) غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٥٦١

(١٧) غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٥٦١

التاريخ بدأت المصادر تتحدث عن أسرة طاهر بن عامر ، ومن ثم يبدأ ذكر الأسرة الطاهرية الحاكمة فيما بعد لليمن . فقد أورد البريهي ذكر معوضة بن تاج الدين ، وأن من مناطق نفوذه بلدة " الضبيات "(١٨) ودون القاء أى ضوء على حياته السابقه ، أو المناطق المحددة لنفوذه وعلى الرغم من قلة المعلومات ، حول هذه الأسرة ، فان صيتها بدأ ينتشر بعد وفاة الشيخ معوضة بن تاج الدين سنة ٨١٢ هـ ، وحينما خلف طاهر بن معوضة مكان أبيه الذى بادر بزيارة للملك الناصر أحمد الرسولى سنة ٨١٧ هـ ، حيث قام الأخير باكرامه هو ومن معه من قومه ،(١٩) ولعل هذه الزيارة كانت من أجل الحصول على معونات من السلطان الناصر لمجابهة النفوذ الزيدى المتزايد والمتمثل فى قوة وخطر الامام على بن صلاح الدين ، والذى أصبح يهدد منطقة نفوذ بنى طاهر ، ومما يؤكد ذلك كثرة الرسائل والرسل التى كان يرسلها الشيخ طاهر بن معوضة الى السلطان الرسولى الناصر بن أحمد(٢٠) ، ولعله أيضا تكون هذه الرسائل متعلقه بدفع الخطر الدائم على بلاد بنى طاهر ، من الامام

---

(١٨) البريهى : عبد الوهاب بن عبد الرحمن ، طبقات صلحاء اليمن ، المعروف بتاريخ البريهى ، ص ١٧٨ ، صنعاء ، بدون تاريخ .

(١٩) بغية المستفيد ، ص ١٠٣ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٢٢ ، الكبسى : بدر الدين محمد بن اسماعيل . اللطائف السنيه في أخبار الممالك اليمنية ، ورقه ٤٥ ب

الوزير : عبد الله بن على ، جامع المتون فى أخبار اليمن الميمون ورقه ٤٩ أ مخطوط بمكتبة كورسنى بايطاليا رقم ٣٥٦ تاريخ

(٢٠) طبقات صلحاء اليمن ، ص ١٧٥ ، ٢١٠

علي بن صلاح ، اذ قام الأخير بمهاجمة بلاد بني طاهر سنة ٨٢٠ هـ فاستنجد أهلها بالسلطان الرسولي الناصر بن أحمد بن اسماعيل ، الذي هب لنجدتهم فور سماعه بالخبر ، وحدثت موقعة الصرام بينه وبين علي بن صلاح هزم فيها الامام علي أمام القوات الرسولية ثم توجه السلطان الناصر الى المقرانه حيث بني له دار النعيم بها (٢١) ، وهذه الخطوة من جانب السلطان الناصر أحمد ، أخذت تشدد القبضة على بني طاهر ، وذلك حتى يضمن مزيدا من الولاء من جانبهم للدولة الرسوليه ، كما أنه قد بدا واضحا أن نفوذ الطاهريين أخذ يزداد في بلاط العاصمة الرسولية ، حيث قام الشيخ علي بن طاهر بزيارة للسلطان الظاهر يحيى وذلك في سنة ٨٢٥ هـ ، وقد وجد الشيخ علي بن طاهر من السلطان الظاهر ما كان يلقاه أبوه من الاكرام والانعام (٢٢) ،

---

(٢١) بغية المستفيد ، ص ١٠٣ ، قرة العيون ق ٢ ، ص ١٢٢ ، غاية الأماني ق ٢ ، ص ٥٦٤ . جامع المتون ، ورقه ٤٩ أ ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٤٩ ، : استنتج محقق كتاب قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، الأستاذ محمد الأكوع ، مناطق نفوذ بني طاهر حيث قال : " ومن هذا يبدو أن آل طاهر كانت لهم ولاية على بلاد آل عمار وحبيش الحبشية والرياشيه ، وبلاد رداع الجنوبية والشرقية والغربيه الى خبان من ذي رعين وكذا المقرانه وجبن ونحو ذلك " قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٢٢ ، حاشية رقم ٢

(٢٢) بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٤٩ : وعلي بن طاهر هو علي بن طاهر =

ثم ازدادت هذه العلاقه قوة بزواج الملك الظاهر من ابنة الشيخ طاهر بن معوضة (٢٣) على أن نفوذ آل طاهر لم يقتصر مع الدولة الرسوليه فقط ، بل أصبح لهم نفوذ مع الأئمة الزيدية أيضا ، وأصبحوا يستغلون خلل الأوضاع في كلا الطرفين ، حتى يصبح لهم من النفوذ والقوة ما يستطيعون به أن ينالوا ما لم ينالوه في سابق الأيام ، وصار كلا الطرفين - الرسوليين والأئمة الزيدية - يستعينون ببني طاهر لمعالجة الخلافات الناشبة بينهم ، سواء عند الأئمة الزيدية ، أو الدولة الرسولية .

ففي سنة ٨٤٠ هـ ، استعان الامام الناصر بن محمد ببني طاهر ضد كل من قاسم سنقر والامام المطهر بن محمد بن عيسى ، واستطاع بنو طاهر أن يحسموا الموقف مع الامام الناصر بن محمد حيث تم أسر العبد قاسم سنقر ، والامام المطهر بن محمد ، وقام الامام الناصر بن محمد بضرب عنق قاسم سنقر ، وسجن الامام المطهر ، وبذلك صفت الأمور للامام الغالب

= ابن معوضه بن تاج الدين ، ولد سنة ٨٠٩ هـ ، وكان له دور كبير كما سنراه في قيام الدولة الطاهرية ، ضربت السكة وخطب له على المنابر باسمه سنة ٨٦٤هـ ، توفي سنة ٨٨٣ هـ ، قال عنه السخاوي : " وكان ملكا عادلا شجاعا عاقلا وللمعروف باذلا " السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع جـ ٥ ، ص ٢٣٣ ، بيروت بدون تاريخ .

(٢٣) ابن الديبع ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٣٠-١٣١ ، بغية المستفيد ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ، أبو مخرمه ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٣ د أ ، ٥٥٤ أ ، الوزير ، جامع المتون ورقه ٥١ ب ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٤٩ .

في صنعاء بعد أن قضى على منافسيه بالقوة العسكرية .(٢٤)

وقد تميزت الفترة الواقعة في العقد الخامس من القرن التاسع بازدياد نفوذ بني طاهر لأن الظروف ساعدتهم على البروز سياسيا في اليمن ، فالدولة الرسوليه قد بدأ الضعف والانحلال يأخذان من كيانها وهيبتها ، خاصة بعد وفاة الأشرف اسماعيل بن الظاهر سنة ٨٤٥ هـ ، وذلك لأن الانقسامات بدأت تدب في داخل البيت الرسولي ،وأصبح الطامحون للحكم في الأسرة متنافسون ، وأصبحت الأخيرة تغذى هذه الخلافات في استلام العرش والعزل منهم ، وقد لعب مماليكهم دورا كبيرا في تنصيب من يشاؤون أو عزلهم .

اضافة الى ذلك التنافس فيما بين القوى الزيدية المتناثرة في المناطق الجبليه . كل هذه الأمور ساعدت بني طاهر على أن يكتسبوا مكانة بين القوتين ، وتصبح القوة التي يعول عليها الطرفان في التدخل لصالحه ضد جانب اعداءه ، كما نستنتج على ضوء هذه الأحوال أن بني طاهر ، أصبحوا مستقلين في مخلاف رداع والمناطق التي حولها ، وان كان للدولة الرسوليه السيطرة الاسمية فقط ، كما أنه يبدو أن بني طاهر بنهاية العقد الخامس من القرن التاسع ، أخذوا يفكرون جديا في القضاء على الدولة الرسوليه ، باستغلال الخلافات التي فيها ،ويصبحوا حكام اليمن خلفا لهذه الأسرة .

---

(٢٤) غاية الأماني ،ق ٢ ،ص ٥٧٥

ضعف بني رسول وسقوط دولتهم :

كانت وفاة السلطان الأشرف اسماعيل بن الظاهر سنة ٨٤٥ هـ تمثل بداية النهاية الحقيقيه للدولة الرسوليه اذ أنه يعتبر آخر الحكام الرسوليين الأقوياء في هذه الدولة ، رغم الفتن والقلاقل التى كانت فى عهده ، وبرغم ذلك فقد نشط على قمع هذه الحركات ، الا أن العمر لم يطل به في الحكم فتوفى فى التاريخ المذكور أعلاه ، وتولى بعده ابن عمه الملك المظفر يوسف بن المنصور بن الأشرف اسماعيل (٢٥) ، الا أن بوادر الانحلال قد بدأت تظهر أقوى مما كانت عليه وأصبح الجند المماليك هم أداة الخلاف ، وعامل من عوامل انحلالها وسقوطها .

فبعد مبايعة الملك المظفر يوسف بن المنصور ، أعلن المماليك الخلاف وعلى رأسهم زعيمهم يشبك الخاصكى ، ونزلوا الى زبيد حيث قاموا بتنصيب سلطان آخر فيها وهو أسد الدين محمد بن اسماعيل ولقبوه بالمفضل وذلك فى محرم سنة ٨٤٦ هـ (٢٦) .

وقد اتخذوه ستارا لتبرير أعمالهم ، ويكون لها الصفة الشرعية في زبيد ، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية يكون المفضل واجهة الصراع

---

(٢٥) قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٣٩ ، بغية المستفيد ، ص ١١٤-١١٥ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٥٣ ب

(٢٦) قرة العيون ، ق٢ ، ص ١٣٩ ، بغية المستفيد ، ص ١١٥ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٥٥ أ بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٤٩

بينهم وبين الملك المظفر يوسف ، وقد شعر الأخير أن الخطر الداهم سيكون قويا عليه ، لأن تنصيبمنافس له من البيت لن يكون بالأمر الهين ، لذا سرعان ما أعد حملة بقيادة الطواشي محسن والشهاب الصباحـــي وعلى بن طاهر ، وأرسلها للقضاء على منافسه الجديد ، وكان النصــر حليف قوات الحكومة الشرعية ، كما تمكنت من القبض على المفضل وارساله مخفورا الى تعز (٢٧) ، غير أن الحياة لم تطل به ومات بها بعد قليل من القبض عليه ، وقد صدر مرسوم من السلطان المظفر لأهل زبيد بالأمان وقرئ في الجامع (٢٨).

ومن ثم بدأ الملك المظفر يصفي حسابه مع المماليك الذين خرجوا عن طاعته واستطاعت قواته أن تقتل رأس الخلاف فيهم وهو يشبك الخاصكي (٢٩) ،

---

(٢٧) بغية المستفيد ، ص ١١٥ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٤٠ ، قلادة النحر ، ج ٣ ، ورقه ٥٥٤ أ ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٥٨٠ ، يحي بن الحسين ، انباء أبناء الزمن في تاريخ اليمن ، ورقه ١٠٢ أ ، ميكروفيلم بالمكتبة العامة بجامعة الملك سعود بالرياض رقم ٩٥٣/س ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٣٨

(٢٨) بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩

(٢٩) قلادة النحر ، ج ٣ ، ورقه ٥٥٥ أ ، بنو رسول وبنو طاهـــر ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

وبالرغم من قضاء المظفر على هذه الفتنة ، الا أن الخلاف قد تجدد من المماليك بسبب طلبهم نفقتهم من الملك المظفر ، وقد تجاهلهم الأخير ، مما دعاهم الى القيام بفتنة جديدة كرد فعل لهذا الرفض ، فقاموا بنهب غلات الدولة في زبيد ، كما أنهم نادوا بخلع الملك المظفر يوسف بحجة عدم قدرته على القيام ، بأعباء الحكم لضعفه (٣٠) ، ثم شرعوا في البحث عن واحد من أفراد الأسرة الرسوليه ليقيموه سلطانا فوجدوا أحمد بن الناصر بن الظاهر يوسف في مدينة حيس ، فولوه سلطانا عليهم في جمادى الآخرة سنة ٨٤٦ هـ (٣١) ، وبما أن مدينة زبيد تعد مركزا من المراكز التجارية والحضارية وبعيدة عن تعز حيث يوجد المظفر ، فقد نقلوا سلطانهم الجديد اليها ولقبوه بالناصر (٣٢) ولم يكتف المماليك بذلك ، بل انهم قاموا بنهب مدينة زبيد وعاثوا فيها فسادا (٣٣) ، وقد ردت عليهم الأهالي باغلاق بعض أبواب المدينة وذلك عندما خرج الناصر الى خارجها غير أنهم لم يحكموا اغلاق الأبواب كلها ، فبقى باب الشبارق الذى تسيطر عليه القوات التابعة للسلطان الجديد مفتوحا ، لذا فقد تمكن من دخول المدينة عن طريق هذا الباب وقام بعقاب من فيها من الأهالى كافة ، فحصل عليهم من القتل والسلب والنهب بحيث أصبحت المدينة خرابا من هذه الواقعة ، وأطلق على السلطان الناصر لقب الخاسر بعد هذه الحادثة (٣٤) .

---

(٣٠) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٥٥ أ ، انباء الزمن ، ورقه ١٠٢م .

(٣١) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٥٥ أ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٤٠

(٣٢) بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٥٠

(٣٣) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٥٥ أ

(٣٤) قرة العيون ، ق٢ ، ص ١٤١ ، قلادة النحر ، جـ٣ ، ورقه٥٥٥أ - ٥٥٥ ب .

وقد نصب المماليك السلطان الناصر ليكون ألعوبة فى أيديهم ، يوافقهم على ما يريدون ويبارك لهم ما يعملون ، غير أن تقديراتهم جاءت عكسيه ، ولم يكن الناصر لين العريكة ولا سلس القياد فخشى المماليك من اتساع سطوته وازدياد نفوذه ، وهو أمر غير مرغوب فيه ، وذلك حتى يتمكنوا من ارواء رغباتهم فى السلب والنهب والخلاف على الدولة ، ونتيجة لذلك قام هؤلاء المماليك بخلعه فى ربيع الأول سنة ٨٤٧ هـ (٣٥) ، ثم أخرجوه هو وأسرته من زبيد (٣٦) وولوا مكانه الملك المسعود أبو القاسم بن الأشرف اسماعيل ابن الناصر فى نفس الشهر من نفس السنة وكان المذكور صغير السن ، اذ لم يتجاوز عمره ثلاث عشرة سنة (٣٧) ، وبعد توليته اتجهت أنظارهم نحو عدن ، حيث دخل المسعود اليها فى ذى القعدة من نفس السنة (٣٨) ، وذلك لأهميتها الاقتصادية ، خاصة فى تموين العسكر بالمال اللازم لهم .

وزيادة فى حماية هذه المدينة من الملك المظفر يوسف ، فقد قام الملك المسعود بغزو لحج حيث كان بنو طاهر نوابا للمظفر فيها ، لأنه قد شعر بخطرهم ، فتمكن من هزيمتهم ودخل لحج منتصرا (٣٩) .

(٣٥) قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٤١ ، بغية المستفيد ، ص ١١٧ ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٥٠

(٣٦) قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٤١

(٣٧) قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٤١ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٥٥ ب ، بغية المستفيد ، ص ١١٧

(٣٨) بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٥٠

(٣٩) بغية المستفيد ، ص ١١٧ ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٤١

ويبدو أن شوكة الملك المسعود قد قويت بعد استيلائه على عدن ولحج ، ولربما للدخل الكبير المتحصل من هذا الميناء التجاري فاستطاع بالمال أن يجند الكثير من جيشه ويتوجه نحو العاصمة تعز للقضاء على الملك المظفر ، واستطاع أن يضرب حصاره عليها والملك المظفر في حصنها سنة ٨٥٠ هـ (٤٠) ، وقد استنجد الأخير ببني طاهر ، فهب لنجدته الشيخ عامر بن طاهر ، غير أنه ارتد عن نصرة السلطان المحاصر وذلك لأن أحد قادة المسعود ويدعى الشواب الصباحي استطاع أن يقنع الشيخ الطاهري في التخلي عن محاربة المسعود ، ونصرة المظفر ، وفعلا عاد أدراجه بعد أن أرضي من قبل الملك المسعود (٤١) ، الذي تمكن من أن يبسط بعض السيطرة على تعز ، ويضيفها الى ما استولى عليه من أملاك وهي عدن وزبيد ولحج (٤٢) ، وبعد هذا الاستيلاء جاءت الأمور عكسية بالنسبة للمسعود ، وذلك أن بني طاهر قد رجعوا عن القرار الذي اتخذوه من سابق وهو عدم نصرة المظفر ، وقاموا بالهجوم على أملاك المسعود فاخرجوه من تعز في ١٥ رمضان سنة ٨٥٢ هـ (٤٣) ، ثم واصل

---

(٤٠) بغية المستفيد ، ص ١١٨ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٤٢ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٥٥ ب ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٤١

(٤١) بغية المستفيد ، ص ١١٨ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٤٢ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٥٥ ب

(٤٢) بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٤١

(٤٣) بغية المستفيد ، ص ١١٨ - ١١٩ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٤٢ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٥٦ أ

الملك المظفر ومعه حلفاءه تقدمهم الى لحج حيث استولوا عليها بعد هزيمة لقوات الملك المسعود الذى كان متخفيا بعدن حين هجومهم على لحج .(٤٤)

وهكذا كان الصراع بين الملك المسعود والملك المظفر بين كر وفر ، والذى أخذ كثيرا من وقت الدولة الرسوليه ومالها ورجالها وقوتها ، وأصبحت تهدر في صراعات بين أفراد الأسرة الحاكمة ، من أجل السيطرة على عرش السلطنة الرسوليه وفى نفس الوقت كانت هذه الصراعات عاملا من عوامل بروز قوة الأسرة الطاهرية ، التى كانت محط اهتمام أهل اليمن وموالاتهم لهم بعد شعورهم أن الأخوين على وعامر ابنى طاهر بدأ ينظمان عملية اسقاط الدولة الرسوليه وانتشرت رغبتهما هذه لعامة الناس وخاصتهم ، ولتضجر الرعية من هذه الأوضاع المتقلبة فى الدولة الرسوليه ، أبدوا استعدادا لمناصرة الأخوين ضد الأسرة الرسوليه الحاكمة ، بل ان أحد علماء الدولة الرسولية شنع عليهم ، وألف رسالة أسماها " المسك الفتيق فى فضل حر الأصل على الرقيق " تقربا من الطاهريين ليثير الناس على الرسوليين .(٤٥)

مما يدلنا على أن الأخوين ابنى طاهر انتقلا من فكرة تأسيس الدولة الى مرحلة التنفيذ والبدء فى الاجهاز على دولة بنى رسول .

---

(٤٤) بغية المستفيد ، ص ١١٩ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٤٢ ، غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٥٨٣

(٤٥) البريهى ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

ب ـ جهود الأخوين على وعامر ابنا طاهر
فى قيام الدولة الطاهريــــة

لم تكن عملية اسقاط الدولة الرسوليه لتتم لولا استغلال بـنى طاهر للخلافات الناشبة بين أفراد الأسرة الرسوليه ، وهذا الاستغـلال تم عن عدة طرق سلكها بنو طاهر أهمها :

أولا : استغلال عسكرى ، وذلك بالتظاهر بالوقوف الى جانب الملـك المظفر اذا ما حصلوا على مكاسب من جراء ذلك ، أو بالتخلى عنه اذا رأوا أن فى ذلك مصلحة لهم ، مع مراعاة عدم الاعتراف بالخارجين عن سلطة هذا الملك .

ثانيا : استغلال النفوذ الاقتصادى ، الذى كانوا يملكونه ، حيث كان بنو طاهر يشتغلون بالتجارة وخاصة تجارة الفوه ، (٤٦) وقـــد استغل بنو طاهر ما بأيديهم من المال وسيلة فى افساد الجند الرسولى ، خاصة القاطنين منهم فى عدن ، وهى المدينـــة الأولى التى ركزوا اهتمامهم عليها ، فقد كان على بن سفيان ،

---

(٤٦) أبو مخرمة ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٥٤ أ : وروى أبو مخرمه عن أحمد بن محمد باحنان أنه كان يكره أن يستولى بنو طاهـــر على عدن وحجته فى ذلك قوله (. . . اذا دخلوا عدن أبطلوا علينا المتجر وجعلوا عدن زريبة للفوة ، لأنهم نشأوا على التكسب والتجارة وعرفوا ما فيها من المصالح فلا يتركوا ذلك ، والسلطان اذا تعلق بالمتجر أبطل متجر التجار وتعطل عليهم الكسب) أبو مخرمة قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٥٤ أ ، =

يدخل عدن فى أيام المسعود متظاهرا بالتجارة تارة ويدخل مرة أخرى متخفيا ، فيفرق فى الجند الرسولى الأموال لافسادهم ضد الملك المسعود ، ويضمن ولاءهم لبنى طاهر. (٤٧)

ثالثا : تحييد القوى الزيديه ، وتأمين الجبهة الخلفية معهم ، وذلك بالتصالح مع الأئمة الزيديه ، خاصة مع الامام الناصر بن محمد ، الذى يعتبر أقوى الأئمة أنذاك حيث وقع الصلح بينهم سنة ٨٥٢ هـ. (٤٨)

وهكذا كان الظاهريون يستغلون الظروف المؤاتية لصالحهم من أجل اسقاط الدولة الرسوليه ، مستغلين كل الامكانات المتاحة لهم ، لتحقيق هذا الغرض ، وكان أكبر عامل مساعد لهم هو عامل الفرقة فى البيت الرسولى ، وتنافسهم فى طلب الملك كما سبق . ومما زاد الأمر سوءا أن المماليك قاموا بخلع الملك المسعود فى زبيد ، وولوا بدلا منه الملك المؤيد حسين بن الملك الظاهر بن الأشرف فى شعبان سنة ٨٥٥هـ، فلما علم الملك المسعود بذلك نزل من تعز الى زبيد بعساكره لقمع الفتنة

= أما الفوة فهى : عروق نبات أحمر يستعملها الصباغون ، وهو مر الطعم يشفى الكبد والطحال ويفتح سدادها ويدر البول .
ابن رسول : الملك المظفر يوسف بن عمر ، المعتمد فى الأدوية المفرده ص ٢٧١ ، بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م

(٤٧) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٥٩ أ

(٤٨) غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٥٨٢

الجديدة الا أن الفتنة والخيانة كانت في معسكره قبل عسكر المؤيد ، فلم يستطع أن يفعل شيئا ازاء الخارجين عليه في زبيد ، ولم يتمكن قمعها فقفل راجعا الى تعز ثم الى عدن (٤٩) وهكذا لعب المماليك دورهم مرة أخرى في اضعاف شأن كل ملك رسولي يبدأ في القوة والسيطرة على البلاد فيبادرون مسرعين باضعافه خوفا من العقاب وحفاظا على المصالح التي يجنونها من جراء سيطرتهم على أفراد الأسرة الحاكمة .

ولم تكن هذه مشكلة المسعود الوحيدة فقد وجدت له فتنة جديدة في عدن ، وذلك أن أهلها وخاصة أهل يافع أصبحوا منقسمين على أنفسهم متنافسين فيما بينهم ، دون اعارة أي اهتمام للسلطة في هذه المدينة ، وهذا التنافس بين قبائل يافع تمثل في كل من آل كلد وآل أحمد (٥٠).

وقد لعب هذا الصراع فيما بينهم دورا كبيرا في سقوط عدن بيد آل طاهر ، ولا يستبعد أن يكون للأخوين علي وعامر ابني طاهر دورا في ذلك ، مما حدى بالمسعود الى أن يحاول التوفيق فيما بين القبيلتين آل كلد وآل أحمد ، غير أن جهوده باءت بالفشل ولم يفلح ، بل انه تدخل مرة في فض قتال حصل بينهم فرموه بالحجارة حتى أدموه (٥١) .

---

(٤٩) بغية المستفيد ، ص ١١٩-١٢٠ ، قرة العيون ق٢ ، ص ١٤٢-١٤٣ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٥٦أ ، ٥٥٧ب ، غاية الأماني ، ق٢ ، ص ٥٨٤ ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٥٢

(٥٠) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٥٧ ب

(٥١) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٥٧ ب

ويصور المؤرخ أبو مخرمة وضع المسعود في عدن بقوله : (. . والحرب بينهم سجال ولا ينقادون للمسعود ولا يمتثلون أمره ، وانما هو معهم صورة له الخطبة والسكة لاغير ، خرج مرة يفرع بينهم في حرب كانت بينهم فرمـــوه بالحجارة حتى أدموه ، وقتل منهم شخص في الحرب فدفنوه قايما تفاؤلا بقيام الشر والفتنـــة . . .) (٥٢)

وكانت النتيجة الطبيعية لهذا التنافس ، أن اختل الأمن فـــي عدن ، وتعرضت بيوت التجار والأغراب للسلب والنهب . (٥٣)

ولما كان آل كلد هم الغالبية في عدن ، ويسيطرون عليها من الداخل ، فقد خشي منهم آل أحمد (٥٤) وأرادوا الانتقام من خصومهم ، فاتصلوا بالأخوين ، واتفقوا معهم على تسليم المدينة بحكم سيطرة آل أحمد على حصون عـــدن ، واشترط الأخيرون على ابني طاهر ، بأن يبقى آل أحمد على نقابتهم وتقدمهم على يافع ، وأن يخرج الاخوان آل كلد من عدن ، ولا يقتل منهم أحــــد ، وشروطا أخرى أقر الاخوان لهم بها ، وبعد الاتفاق على هذه الشروط ، نزل نقباء يافع الى عدن . (٥٥)

---

(٥٢) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٥٧ ب

(٥٣) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٥٧ ب ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص٢٥٣

(٥٤) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٥٨أ ، بنو رسول وبنو طاهر ص٢٥٣

(٥٥) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٥٨ أ ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص٢٥٣

خروج المسعود من عدن وسقوطها في يدى الاخوين :

كانت للفتن الحاصلة بين قبائل يافع ، اضافة الى فساد الجند دور كبير فى فزع المسعود ، من أن تلعب الخيانة دورها ، وأن يلقى القبض عليه من جانب احدى القبيلتين ، ويتم تسليمه الى بنى طاهر خاصة ، وأنه قد دافع عن المدينة ، وذلك بالهجوم على بنى طاهر فى لحج فى أوائل سنة ٨٥٨ هـ الا أن هذه المحاولات لم تكن حاسمة سواء لصالحه أو لصالح بنى طاهر[٥٦]، ولذلك بادر بالخروج من عدن فى جمادى الآخرة من سنة ٨٥٨ هـ ، متوجها الى العارة ثم الى هقرة حيث استجار عند الشيخ عبدالله بن أبي السرور[٥٧] وخروج المسعود بهذا الشكل من عدن يدل دلالة واضحة على مدى الدور الذى لعبه بنو طاهر فيهما من افساد للحياة بين أقوى قبيلة تسكن هذه المدينة ، اضافة الى ذلك الدور الخفى الذى قام به قائدهم على بن سفيان من افساد للجند الرسولى فيها .

وما أن سمع الملك المؤيد الرسولي بخروج المسعود من عدن ،حتى بادر بالمسير اليها من زبيد ودخلها سنة ٨٥٨ هـ ،[٥٨] الا أن الأخوين على

---

(٥٦) قلادة النحر ،جـ ٣ ،ورقه ٥٥٧ ب ،بغية المستفيد ،ص ١١٩ ، قرة العيون ،ق ٢ ،ص ٦٤٢ ، بنو رسول وبنو طاهر ،ص ٢٥٣

(٥٧) قلادة النحر ،جـ ٣، ورقه ٥٥٧ ب ، العبدلى : أحمد بن فضل ، هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن ،ص ٨٩ ،ط٢ ،بيروت ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

(٥٨) قلادة النحر ،جـ ٣ ، ورقه ٥٥٧ب - ٥٥٨أ ،بنو رسول ،ص ٢٥٤ ، هدية الزمن ،ص ٨٧

وعامر قد ضيعا عليه هذه الفرصة ولم يمهلاه كثيرا ،فأسرعا بالنزول اليها ، وقد كانت خطة الاستيلاء بالاتفاق مع آل أحمد مقابل مساعدتهم ضد خصومهم المحليين ، وقد عسكر الاخوان بقواتهم في المهاءة ثم تسلل شمس الدين على بن طاهر في جماعة قليلة من جنوده ليلا ، وذلك ليلة الجمعة ٢٣ رجب سنة ٨٥٨ هـ ، وعند وصولهم الى حصن التمكر تسلق على بن طاهر مع نفر من جنوده بعد أن تواطأ معه جنود ذلك الحصن حسب الاتفاق المبرم بين آل طاهر وآل أحمد ، وبعد الاستيلاء على هذه القلعة ، ضربت الطبول بداخلها ليلا علامة على استيلاء بني طاهر عليها ، كما نودى في عدن بأنها أصبحت ملك بني طاهر[59]، فاستيقظ من بداخلها وأصبحوا أمام الأمر الواقع ، وهو التسليم لهم ، وقد اضطر آل كلد الى طلب الجوار والحماية لأنه لم تكن لديهم حيلة للمقاومة ، بعد أن أيقنوا أن جحافل القوات الطاهرية ستقضي عليهم .

وفي صبيحة يوم الجمعة من تلك الليلة ، دخل بقية الجيش الطاهري عدن ، وعلى رأسهم الظافر عامر بن طاهر ، ونودى بالأمان لأهلها الا آل كلد .[60]

---

(٥٩) بغية المستفيد ، ص ١٢١ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٤٥ ، قلادة النحر ، ج ٣ ، ورقه ٥٥٨ أ ، ابن حميد ، سالم بن محمد سالم ، العدة المفيدة الجامعه لتواريخ قديمة وحديثة ، ورقه ٦٣ أ ، مخطوطة بمكتبة السيد على بن حسين العطاس بجاكرتا - دون رقم -

(٦٠) قلادة النحر ، ج ٣ ، ورقه ٥٥٨ أ ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٥٣

وبذلك سقطت أهم مدينة تجاريه يملكها بنو رسول ، كما فقدوا أهم مصدر للدخل لهذه الدولة ، أما الملك المؤيد والذى كان بداخلها ، فان بني طاهر ، أمنوه على نفسه واشتريا ما معه من خيل وسلاح ، كما قرروا له نفقة خاصة به (٦١) ، فلبث فيها مدة يسيره ، ولم يطب له المقام فيها ، فاستأذن الاخوين ابني طاهر في الخروج من عدن الى زبيد ، فسمحا له بذلك (٦٢) .

وأما آل كلد ، فقد أمهلهم الاخوان ثلاثة أيام ومن وجدوه منهم في البلد بعد اليوم الثالث ، فدمه هدر (٦٣) . ففروا هاربين وتفرقوا بين كل من زيلع وبربرة والشحر (٦٤) ويمثل استيلاء الاخوين علي وعامر على عدن البداية الحقيقية في قيام الدولة الطاهريه ، وسقوط الدولة الرسولية .

---

(٦١) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٥٨ أ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٤٥ ، بغية المستفيد ، ص ١٢١

(٦٢) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٥٦ أ

(٦٣) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٥٨ أ ، بنو رسول ، ص ٢٥٣ - ٢٥٤

(٦٤) بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٥٤

دخول تعز وزبيد والمناطق اليمنية الأخرى تحت نفوذ الاخوين :

وفي أثناء اقامة الاخوين على وعامر ابني طاهر في عدن وصل اليها الشيخ يحيى بن عمر الشابتي حاكم الحديدة ، وبايعهما ، وحلف لهما بالولاء ، ثم سلم المدينة لحكمهما ،(٦٥) أما تعز فالأغلب - فيما يبدو أنها سقطت في أيدى الاخوين قبل عدن ، وذلك أن المصادر قد سكتت تماما عن الملك المظفر يوسف بن المنصور عمر ، ولم يعلم مصيره كما يبدو أن الاخوين قد استوليا على ما بيده ، ثم بدأوا يولون جهتهم نحو المناطق الأخرى ، والا لما ذهب آل أحمد الى ابني طاهر ، واتفقوا معهم على تسليم عدن لو لم يكونوا مسيطرين على تعز واتضحت أهدافهم في طلب الملك بدلا من بني رسول . كما ضربت السكة وأقيمت الخطبة باسمهم في عدن مما يدل على أن آل طاهر قضوا على المظفر وأخذوا العاصمة تحت نفوذهم . وقد تتابع سقوط المدن المهمة تحت سلطتهم ، بحيث توالت الاحداث سراعا لصالحهم وذلك أنه لما استولى الاخوان على عدن ، والقائهما القبض على المؤيد ، فان المماليك الرسوليه في زبيد قد شعروا بخطر الاخوين ، ولذلك بادروا بالاتصال بالملك المسعود ، الذى كان مستقرا آنذاك في هقرة ، وبايعوه على السمع والطاعة ، وفعلا توجه معهم الى زبيد في الثاني من رمضان سنة ٨٥٨ هـ ،(٦٦) ومكث

---

(٦٥) قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٤٧ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٨٥٥ أ

(٦٦) بغية المستفيد ، ص ١٢٢ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٤٥-١٤٦ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٨٥٥ أ

نحو الشهرين فيها ، الا أنه لم ير منهم اخلاصا فاستدعى صاحب هقرة الشيخ عبد الله بن أبي السرور ، وصحبه الى مدينة الأخير ثم خلع نفســه وتوجه منها الى مكة سنة ٨٥٨ تاركا الملك .(٦٧)

وفي أثناء اتصال المماليك بالمسعود ومبايعتهم له ، كانـــت كتب أهالي زبيد قد وصلت الى الاخوين المجاهد علي بن طاهر والظافر عامر في عدن ، تدعوهم صراحة الى الاستيلاء على زبيد (٦٨) ، ومن ثم بدأ الاخوان في الاستعداد للاستيلاء عليها ، وكانت خطتهم في ذلك تعتمد على ضرورة تفريق كلمة المماليك المتواجدين بها ، ومن أجل ذلك استعانوا بالأمير زين الدين جياش بن سليمان السنبلي ـ وهو أحد الأمراء الكبار في دولة المسعود ـ اذ كان متواجدا في عدن عندما دخلها الاخوان ، فاتفقا معه على أن يضعف من اتحاد المماليك ويفرق كلمتهم .(٦٩)

ولاحكام الخطة وزيادة في التمويه ، فقد خرج الأمير المذكور مطرودا من عدن هو وأسرته وذويه ،(٧٠) وذلك حتى يكسب المماليك في زبيد الى جانبه ،

---

(٦٧) بغية المستفيد ، ص ١٢٢ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٤٦ ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٥٨٥

(٦٨) بغية المستفيد ، ص ١٢٢ ، قرة العيون ، ق٢ ، ص ١٤٦ ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٥٨٦

(٦٩) بغية المستفيد ، ص ١٢٢ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٥٨أ ـ ٥٥٨ ب .

(٧٠) بغية المستفيد ، ص ١٢٢ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٤٦ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٥٨ أ

ومن ثم يبدأ عمله في اسقاط المدينة ، بأقل الخسائر الممكنة في أيدى الاخوين ، وفعلا خرج من عدن واتجه الى موزع ، ومنها أرسل رسائله الى مماليك زبيد ليأذنوا له في دخولها ، فانقسم الأخيرون الى قسمين ، قسم رضى بدخوله وقسم امتنع من ذلك ، الا أن كفة الموافقين بدخوله هى الراجحة ، وكان ذلك بتأييد أشد زعمائهم ويدعى يوسف بن الفلقل (٧١) ، فلما دخل الأمير زين الدين جياشي السنبلى الى زبيد عمل على كسب ود المماليك ، وأظهر لهم النصح ، واستطاع أن يكسب ثقتهم ، كما عمل من جانب آخر الى استمالة جماعة من المماليك الى جانبه في تأييد بنى طاهر ، وتمكن أن يضم اليه المماليك الذين يدعون بعبيد السيد وعبيد الشمس (٧٢) ، ثم انه كتب للمجاهد على بن طاهر يخبره بالوضع ، ويطلب منه القدوم للاستيلاء على زبيد . كما أخبره بأنه لا خوف من المماليك ، فلما وصلت رسالة السنبلى الى المجاهد ، خرج من عدن في الثالث من شوال سنة ٨٥٩ هـ ، وتوجه نحو جبن ، لجمع العساكر ، ثم نزل الى تعز ، فاجتمع به القرشيون هنالك ، حيث أكرمهم وأنعم عليهم (٧٣) ، وبعدها سار

---

(٧١) بغية المستفيد ، ص ١٢٢ - ١٢٣ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٤٦ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٥٨ أ

(٧٢) بغية المستفيد ، ص ١٢٣ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٤٦ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٥٨ ب .

(٧٣) بغية المستفيد ، ص ١٢٤ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٤٧ - ١٤٨ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٥٨ ب ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٥٨٧

الى موزع ثم الى حيس ،فلما سمع به المماليك بزبيد شعروا بالقلق والاضطراب بل ان بعضهم هرب منها .(٧٤)

وفى نفس الوقت كان الأمير جياشي السنبلي قد جمع عنده رؤساء المماليك وقادتهم ثم أمر مناديا ينادى بأن زبيد للملك المجاهد ، وعند ما اعترض عليه أحد هم أمر من عنده من أنصاره بقتل المعترض ، فقتل ، فكان عبرة للباقين ، واضطروا الى الفرار من زبيد ليلة الحادى عشر من ذى الحجة سنة ٨٥٩ هـ ،(٧٥) وكان لهذا الاجراء أكبر الأثر فى استيلاء بنى طاهر على زبيد ، بدون حرب بعد التمهيد السابق ،لذا فقد دخلها المجاهد على بن طاهر فى الثانى عشر من ذى الحجة من نفس السنة ،(٧٦) وبهذا الاستيلاء على هذه المدينة فقد أصدر قادة بنى طاهر هنا أمرا بأن يدعى على منابرها للملك الظافر عامر بن طاهر كما ضربت السكة باسمه مع كونه أصغر سنا من أخيه المجاهد على بن طاهر .(٧٧)

أما مصير الملك المؤيد ، فانه قد خرج من زبيد الى مكة ، ويبدو أنه استطاع الخروج قبل استيلاء ابنى طاهر عليها ، حيث توجه الى مكة ثم الى مصر،

---

(٧٤) بغية المستفيد ، ص ١٢٤ ، قرة العيون ،ق ٢ ، ص ١٤٧ -١٤٨، قلادة النحر ،جـ ٣ ، ورقه ٥٥٨ ب ، غاية الأماني ،ق ٢ ،ص ٥٨٧

(٧٥) بغية المستفيد ،ص ١٢٤ ،قرة العيون ،ق ٢ ،ص ١٤٧ - ١٤٨، قلادة النحر ،جـ ٣ ،ورقة ٥٥٨ ب ، غاية الأمانى ،ق٢ ،ص٥٨٧

(٧٦) بغية المستفيد ،ص ١٢٥ ،قرة العيون ،ق٢ ،ص ١٤٨ ،قلادة النحر جـ٣ ، ورقه ٥٥٨ب، غاية الأماني ،ق ٢ ،ص ٥٨٧

(٧٧) بغية المستفيد ،ص ١٢٩ ، قرة العيون ،ق٢ ،ص ١٥١ ، قلادة النحر جـ ٣ ،ورقه ٥٥٦ أ ، غاية الأماني ،ق٢ ،ص ٥٨٨ .

وقد أكرمه سلطانها اينال ، وجعل له مرتب يكفيه ،فعاد منها الى مكة واستقر بها .(٧٨)

وهكذا سقطت أهم المدن فى سلطة الاخوين ، وأصبحت الدولة الطاهرية تضم معظم أملاك الدولة الرسولية التى أصبحت أثرا بعد عين .

(٧٨) بغية المستفيد ،ص ١٢٤ ، قلادة النحر ،جـ ٣ ،ورقه ٥٥٦أ ، بنو رسول ،ص ٢٥٦.

السلطنة والأخويـن :

عند ما استطاع الاخوان اسقاط الدولة الرسوليه ، وانشاء الدولة الطاهرية ضربت السكة وخطب فيها بادئ الأمر باسم أصغر الاخوين عامر بن طاهر ، مع أن كلا الاخوين بذل مجهودا كبيرا في قيام الدولة الطاهرية ، ولربما أن هناك أسباب كثيرة جعلت من الظافر عامر الأول أن يتولى السلطنة قبل أخيه الأكبر منه سنا وهو المجاهد على بن طاهر ، وأهم هذه الأسباب فيما يبدو ، أن الظافر عامر بن طاهر كان هو صاحب فكرة اسقاط الدولة الرسوليه ، وصاحب الدور الكبير في انشاء الدولة الطاهرية على أنقاض تلك الدولة . (٧٩)

على أن هذا الوضع لم يستمر بل تحولت الخطابة والسكة الى الملك المجاهد على بن طاهر سنة ٨٦٤ ، برضا من أخيه الملك الظافر عامر بن طاهر (٨٠) ، وهذا التنازل من جانب عامر لأخيه المجاهد ، ربما كان من أجل توزيع المسئوليات فيما بينهما اذ أنه من الملاحظ من خلال الاحداث التي وقعت في اليمن في فترتهما ، أن الملك الظافر ركز نشاطه في اليمن الأعلى ، وبالذات على الجهةالزيديه ، بينما تركز نشاط الملك المجاهد على بن طاهر في اليمن الأسفل ، وخاصة في زبيد ونواحيها ، ولعل هذا يفسر

---

(٧٩) بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٥٨

(٨٠) بغية المستفيد ، ص ١٢٩ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٥١ ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٥٨٩ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٣ أ

سر غضب المجاهد على الملك الظافر حينما قام الأخير ، بالتعرض للأمير علي بن سفيان والي زبيد وعزله من ولايتها (٨١) ، وربما شعر المجاهد من تصرف أخيه الظافر ، بأن السلطة ليست في يده ووجود شخصين في الحكم مفسدة لادارة البلاد ، ولذلك قرر المجاهد أن يتحاشى الصدام مع أخيه (٨٢) ، وآثر أن يترك اليمن له ، كما حاول أن يغادرها وكان ذلك في جمادى الأولى سنة ٨٨٦ هـ ، متظاهرا بأنه يريد الحج ، الا أن أهالي زبيد وعلماؤها قد أثنوه عن عزمه هذا وترجوه بعدم الاقدام على مثل هذا الأمر ، وقد انصاع لهم ، واقتنع بالعودة معهم الى زبيد مرة أخرى (٨٣) . الا أن المجاهد كرر محاولته ثانية ، اذ تسلل من زبيد ليلا ، وركب البحر فأسرع أمير زبيد ابن سفيان بارسال الخبر الى الملك الظافر ، وعندما وصل المجاهد الى الحديدة ، قام أميرها وعدد من علماءها بالتوسل اليه بعدم مغادرة اليمن ، فلم يسعه الا أن يستجيب لهم ، فعاد الى ميناء البقعة ، فعلم به أمير زبيد ابن سفيان ، فخرج هو والجند للقائه (٨٤) ،

---

(٨١) بغية المستفيد ، ص ١٣٤ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٦٤ أ

(٨٢) بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٥٨

(٨٣) بغية المستفيد ، ص ١٣٥

(٨٤) بغية المستفيد ، ص ١٣٥ - ١٣٦ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص١٥٠

ويبدو أن أمراء المدن التهامية مثل زبيد والحديدة ، كلفوا من قبل الظافر بعدم السماح له بالخروج من اليمن ، كما يبدو أنهم أعطوه ضمانات من قبل الظافر ، بالا يتدخل في أمور اليمن طالما أنه على رأس السلطة ، فاستجاب له الظافر بذلك بدليل عدم حدوث ما يعكر ما بينهما الى مقتل الظافر في حصار صنعاء سنة ٨٧٠ هـ .

الشحر وخولها تحت سلطة ابني طاهر :

كان لطرد آل كلد من عدن أثر كبير في محاولة هؤلاء من الانتقام من آل طاهر خاصة .وأرادوا ضربهم في الصميم بسلب عدن من أيديهم ، وفي سبيل هذا الهدف قام اللاجئون منهم الى الشحر وعلى رأسهم زعيمهم مبارك الكلدي باغراء حاكمها أبو دجانة محمد بن سعيد بن فارس للاستيلاء على عدن ، (٨٥) وقد لقيت هذه الفكرة صدى واستحسانا لدى حاكم الشحر ، سيما وأن آل كلد يعرفون عدن ومداخلها ونقاط الضعف فيها ، فما الذي يمنعه من الاستيلاء عليها ؟ بل انه تحمس لهذه الفكرة الى درجة عدم قبول أي مشورة تثنيه عن عزمه ، وعلى رأسهم والدته ووزيره الفقيه سليمان بن عبود . (٨٦)

وجهز أبو دجانة تسعة مراكب واستعان بقبائل يافع والمهرة لغزوها ، (٨٧) وحتى لا يصل الخبر الى عدن باستعداداته الحربية ،فقد قام بمنع المراكب من التوجه اليها حتى يضمن عدم وصول الخبر الى الأهالي بداخلها وكذلك حكامها الجدد من أجل أن يكون للمفاجأة دورها في غزوه هذا .

---

(٨٥) بامطرف : محمد بن عبد القادر ،الشهداء السبعه ،ص ٢٧،بغداد ١٩٧٤، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٦٢

(٨٦) بامطرف،الشهداء السبعة ،ص ٢٧

(٨٧) قلادة النحر ،ج ٣ ، ورقه ٦٢ ٥ ب

غير أن الخيانة لعبت دورا في افساد خطته اذ تسلل أحد قادة المراكب والتي كانت ترابط في ميناء الشحر واتجه الى عدن الذى أخبر أهلها بما يعده لهم من مهاجمة أبو دجانة (٨٨) ، وكان لانكشاف هذه الخطة أثر في مواجهة المهاجمين .

فقد استعد الوالي هنا الشيخ على بن سفيان لمواجهة الغزاة بالقوة الموجودة والتي لم تكن كافيه لصد الهجوم ، وقد هداه تفكيره الى أن يستخدم في قواته بعض المقيمين في البلد ، وبما أن القوات التي بين يدى الوالي الطاهرى غير كافية فقد أرسل الى القادة السياسيين من بني طاهر - الأخوان على وعامر - يستحثهم في الاسراع في ارسال قوات تعزيزية استعدادا لصد هذا الهجوم (٨٩) ، وبالتالي فقد أصبح الوالي أكثر استعدادا للمواجهه مع القوات الغازيه ، وأصبحت تقديرات أبا دجانة - وهو عنصر المفاجأة - قد خانته - فعند وصوله الى الشواطئ في أواخر ربيع الثاني سنة ٨٦١ هـ ، وعند النقطة التي كان من المتوقع أن يدخل الى المدينة منها والهجوم على القوات الطاهرية وجد أن الأخيرة قد استعدت لصده والقضاء عليه ، كما أن حظه كان سيئا اذ هاجت

---

(٨٨) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٢٦٥ ب ، ابن حميد ، العدة المفيدة ، ورقه ٦٣ ب ، بنو رسول ، ص ٢٦٣

(٨٩) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٢٦٥ ب ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٦٣ .

الرياح ليلا على ميناء عدن ، فتكسرت له بعض المراكب والتى اتخذها (٩٠) في هجومه هذا ، كما أن الظافر عامر الثاني قد استجاب لنداءات واليه هنا ودخل على رأس جيش ضخم ليحطم به آمال المهاجمين (٩١) .

ولما واجه أبو دجانه كل هذه المصاعب قرر الانسحاب من أمام أسوار عدن ثم العودة الى الشحر في صبيحة الليلة التى كان يريد المهاجمة فيها ، غير أنه حدث ما لم يكن في حسبانه ، وهو أن المركب الذى كان يقله قد تحطم وقذفت به الأمواج الى الشاطئ (٩٢) ومن ثم وصلت أخبار هذه الحادثة الى الظافر الذى خرج من عدن مسرعا من باب البحر مصطحبا معه نقباء يافع من آل أحمد ، ووصلوا جميعا حيث أبا دجانة موجودا فتم أسره غير أن مبارك الكلدى الخصم السابق للجميع تم فيه حكم الاعدام (٩٣) خوفا من أنّ آل أحمد كانوا متواطئين معه في القضية (٩٤) ، وبعد أن تم القاء القبض على أبى دجانة سيق مغلولا الى داخل المدينة ، وتماديا في

---

(٩٠) قلادة النحر ، ج ٣ ، ورقه ، ٥٦٢ ب ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٦٣

(٩١) قلادة النحر ، ج ٣ ، ورقه ٥٦٢ب ، بغية المستفيد ، ص ١٢٧ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٥٠

(٩٢) قلادة النحر ، ج ٣ ، ورقه ٥٦٢ ب ، بغية المستفيد ، ص ١٢٨ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٥٠ ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٥٨٨

(٩٣) قلادة النحر ، ج ٣ ، ورقه ٥٦٢ ب ، شنبل أحمد عبدالله : التاريخ الأكمل ، ورقه ٦٥ أ ، مخطوط لدى الدكتور عبدالله الحميد ، الحداد علوى بن طاهر : الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها ، ص ، ١١٦ ، سنغافوره ١٣٥٩ هـ

(٩٤) قلادة النحر ، ج ٣ ، ورقه ٥٦٢ ب

اهانته على ما أقدم عليه من هجومه فقد أركب على جمل ليراه الناس .(٩٥)

وبمناسبة الانتصار عليه فقد أقيمت الأفراح .

وقد ظل سجينا في عدن الى أن أتت والدته بنت معاشر ساعية في اطلاق سراحه من قبل الظافر ، وقد عرضت على بني طاهر تسليم مدينة الشحر ليحكموها مقابل فكاك ابنها من الأسر ، وقد تسنى لها هذا العرض لأنها كانت تحكم هذه المدينة أثناء غياب ابنها لقوة شخصيتها وحزمها ، وقد قبل الظافر عامر هذه الصفقة السياسية واستبقى العجوز عنده الى أن قبض المدينة حاكمها الجديد من قبل الطاهريين فاطلق سراح أبا دجانة وأمه سويا .(٩٦)

---

(٩٥) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٦٢ ب

(٩٦) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٦٢ ب ، بنو رسول ، ص ٢٦٤

صراع الأخوين مع القوى الزيدية ومقتل الظافر الأول :

كان للنجاح الباهر والسريع الذى حققه الأخوان الملك المجاهد ، والملك الظافر الأول فى تأسيس الدولة الطاهرية أثر كبير فى ازدياد مخاوف الأئمة الزيدية ، وخاصة الامام الناصر بن محمد حاكم صنعاء ، وقد انتهز هذا الامام فرصة انشغالهما بتثبيت دعائم ملكهم الجديد ، فأراد تعطيلهم من الاستمرار فى العمل ، فقام بمهاجمة رداع وذلك فى محرم سنة ٨٦١ هـ ،(٩٧) الا أن الملك الظافر تصدى لهذه الحملة ، غير أنه يبدو أن الهجوم الزيدى كان قويا على مملكة آل طاهر ، ولذا فان الملك الطاهرى أراد أن يأمن غارات خصمه والتى ربما ستكون متكررة على مملكة آل طاهر ، فآثر أن يصطلح معه بشروط ترضيه فوافق الأخير عليها ثم أبرم بينهما الصلح سنة ٨٦٢ هـ ،(٩٨) ولم يدم هذا الاتفاق طويلا وذلك حينما قام الامام الناصر بن محمد بمعاودة الهجوم على رداع فى رجب سنة ٨٦٣ هـ ، لكن كانت القوات الطاهريه تحت قيادة الأمير جياشى السنبلى على أهبة لصدها ، وفعلا تم لهم ذلك وأسفرت عن قتل بعض جنود الامام .(٩٩)

---

(٩٧) بغية المستفيد ، ص ١٢٨ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٥١ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٦٣ أ ، غاية الأمانى ق ٢ ، ص ٥٨٩ .

(٩٨) بغية المستفيد ، ص ١٢٩ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٥١ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٦٣ م ، غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٥٨٩ .

(٩٩) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٦٣ ، غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٥٨٩ .

ويبدو أنه قام بتكرار هجماته على رداع لاختبار القوات الطاهرية ولتمرين جنوده على هذا العمل ، ويبدو أن اتباع هذه الخطة كان ناجحا ،(١٠٠) ولذا فقد عاود هجومه على هذه المدينة في شهر رمضان سنة ٨٦٤ هـ معضدا بعلى بن مخارش حاكم الجوف وعدد من مشائخ القبايل ، فالتقى الخصمان في رضم ،(١٠١) وقد كان الهجوم قويا لذا فقد أسفر عن هزيمة الجيش الطاهرى الذى فقد من قادته الشيخ محمد بن طاهر ، كما قتل من الجانب الزيدى حاكم الجوف على بن مخارش.(١٠٢)

ويبدو أن الامام الناصر رغم هذا الانتصار لم يحقق الهدف من حملته على بلاد بنى طاهر ، لذا فقد قفل راجعا الى بلاده ، أما الظافر عامر الأول فقد أدرك أن بلاده ستظل مهددة طالما أن الامام الناصر مسيطرا على مدينة ذمار ، ولذلك رأى من المصلحة أن ينقل المعركة الى عمق النفوذ الزيدى ، ويتخذ من ذمار مركزا للهجوم ، وفى نفس الوقت تكون المنطقة خط الدفاع الأول عن الأملاك الطاهرية ، وبعد رسم خطته سار على رأس جيش ضخم الى ذمار وفرض حصاره عليها ، ولما كان الامام الناصر لا يستطيع مواجهة هذه الحملة ، فقد انسحب تحت ضغط جحافل

---

(١٠٠) بغية المستفيد ، ص ١٣٠ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٦٣ أ

(١٠١) قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٥١

(١٠٢) بغية المستفيد ، ص ١٣٠ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٥٢ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٦٣ أ ، غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ص ٥٨٩ - ٥٩٠

الجيش الطاهرى الى حصن هران تاركا مهمة الدفاع عنها لأهلها (١٠٣)، الذين لم يقوموا بأية مقاومة ، بل طلبوا الأمان من الظافر عامر فأعطاهم اياه (١٠٤)، واستطاع الأخير من خلال هذه الحملة أن يستولى على المدينة المحاصره فى رجب سنة ٨٦٥ هـ ، وأصبحت بهذا الاستيلاء من ضمن مناطق نفوذه (١٠٥) وقد حاول الامام الناصر استعادة ما فقده ، الا أنه فشل فى استعادة هذه المدينة خاصة أن موقفه العسكرى ازداد سوءا بعد أن قام كل من الامام المطهر محمد بن سليمان والأمير على بن حسن قائد همدان/العداء بالظاهر له وعاونا الظافر فى حربه معه .

وقد كان للموقف الحرج الذى تعرض له الامام الناصر أثر كبير فى طلبه الصلح من خصمه الظافر - الا أن الأخير قد اشترط عليه شروطا قاسية الذى بدوره رفضها (١٠٦) وأثر الانسحاب من حصن هران والعودة الى صنعاء بالرغم من المخاطر التى كانت تنتظره أثناء هذا التراجع ، وبينما هو متجه الى حيث يريد مر بعرقوب حيث غدر به أهلها (١٠٧) وألقوا عليه القبض ثم سلموه الى الامام المطهر الذى سجنه عنده وذلك سنة ٨٦٦ هـ (١٠٨).

وقد كانت هذه الهزيمة النكراء لهذا الامام مقدمات لخضوع صنعاء تحت

---

(١٠٣) غاية الأمانى ، ق٢ ، ص٥٩٠ ، قرة العيون ، ق٢ ، ص ١٥٢

(١٠٤) غاية الأمانى ، ق٢ ، ص ٥٩٠

(١٠٥) بغية المستفيد ، ص١٣١ ، قرة العيون ، ق٢ ، ص١٥٢ ، قلادة قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٦٣ أ - ٥٦٣ ب.

(١٠٦) غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٥٩٢

(١٠٧) غاية الأمانى ، ق٢ ، ص ٥٩٢ ، بغية المستفيد ، ص ١٣٢ ، قرة العيون ، ق ٢ ص ١٥٢ ، بنو رسول ، ص ٣١٦

(١٠٨) غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٥٩٢ ، بغية المستفيد ، ص١٣٢ ، بنو رسول ، ص ٣١٦

سلطة الدولة الطاهرية اذ أن ابنه محمد أصبح خليفة لأبيه في المدينة ، فرأى أنه من المصلحة له أن يسلمها لخصومه الطاهريين ، لأنه وجد أن خطر الامام المطهر قائم ولن يزول الا بالاستيلاء عليها ، وكانت خطته في ذلك قبول أخف الضررين ، فالامام المطهر له أنصار كثيرون في صنعاء ، بينما الدولة الطاهرية لا تتمتع بنفس الشعبية فيها ، ولذلك بادر هذا الامام الجديد لصنعاء بعرض تسليم المدينة للظافر مقابل خمسين ألف دينار فوافق الأخير على ذلك ، ونتيجة لهذا الاتفاق أرسل من قبله من يقبضها وقصرها وبذلك خضعت صنعاء في شوال سنة ٨٦٦ هـ لحكم الدولة الطاهرية .(١١٠)

(١٠٩) في السطر المنتهي بـ"مقابل" موضوعة فوق "خمسين ألف دينار".

أما الخليفة المتنازل فقد استقر به المقام في ضواحي صنعاء ، واستمر على ذلك الى سنة ٨٦٩ هـ حينما أمر الظافر باحضاره اليه ، وذلك خشية منه أن يقوم بأية تحركات تخرج المدينه من حكم الدولة الطاهرية ، فقام الأمير محمد بن عيسى البعداني والي صنعاء بابلاغ ابن الناصر رغبة الظافر ، وقد استمهله الى أن يجهز نفسه بما يحتاج اليه في السفر ، ويبدو أنه أحس بأن الظافر قد دبر أمرا غير مرغوب فيه ، لذا فقد كاتب الأمير محمد بن عيسى شارب الأسدي حاكم ذي مرمر يطلب منه العون

---

(١٠٩) غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٥٩٤ ، بنو رسول ، ص ٣١٧

(١١٠) غاية الأماني ، ق٢ ، ص ٥٩٤ ، بغية المستفيد ، ص ١٣٣ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٦٣ ب .

لتهربيه خوفا من بطش الظافر (١١١)، وقد استغل محمد بن عيسى شارب فرصة خروج الأمير البعدانى لقضاء بعض المهمات فى بلاد سنحان ، فدخل صنعاء ليلا فى نفر قليل ، وقد استغل فرصة تشابه الأسماء بينه وبين أميرها ، وطلب فتح أبوابها على أساس أنه الوالى (١١٢).

ويبدو أن حكم آل طاهر كان غير مرغوب فيه لدى أهالى صنعاء ، فعندما دخلها محمد بن عيسى شارب ساندوه وطلبوا منه الاستيلاء على مدينتهم ويخلصهم من حكامها الحاليين ، كما أنهم أعانوه أيضا على طرد الحامية الطاهرية منها ، وبهذا العمل الذى قام به هذا المغامر عادت صنعاء مرة أخرى للخضوع للامام محمد بن الناصر فى محرم سنة ٨٦٩ هـ (١١٣).

أما حاكمها السابق من قبل الدولة الطاهرية الأمير محمد البعدانى ، فقد ارتد عن أسوارها لأنه أيس من الدخول اليها بعد انفلات الأمر منه فتوجه الى المقرانه ، تاركا مهمة الحكم لمحمد بن الناصر وأعوانه (١١٤).

---

(١١١) غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٥٩٦ - ٥٩٧

(١١٢) بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٣١٨ - ٣١٩

(١١٣) بنو رسول ، ص ٣١٩

(١١٤) بنو رسول ، ص ٣١٩

وكان لهذا العمل أثر كبير في نفسية الظافر الأول فاشتد به الغضب فتجهز في حملة قوية وضرب حصاره حول صنعاء ، واستمات أهلها في الدفاع عنها ، وكان عطلهم شديد فلم يتمكن من الاستيلاء عليها بالرغم مما صحبه معه من قوات ، غير أنه لجأ الى خطة أخرى وهي تخريب ما حول صنعاء من بساتين لمزيد من الضغط عليهم ، ولكن محاولته باءت بالفشل ولذا فقد طال حصار الطاهريين عليها ، مما اضطر ابن الناصر الى أن يفرض لهم دفع مبلغ من المال مقابل رفع الحصار ، فقبل الظافر بهذا العرض، ورأى أن يؤجل الهجوم الى فرصة أخرى . ونتيجة لهذا الاتفاق بين الامام الناصر والملك الظافر سحب الأخير قواته اعلانا عن رفع الحصار . (١١٥)

ولم يكن الاتفاق المبرم بين المتنافسين الا لمدة يسيرة فقط وانهار ، وذلك أن الطاهريين رضوا به مؤقتا الى أن يتأتى الهجوم المناسب ويلقنوا فيه درسا قويا للامام محمد بن الناصر ، وقد واتت هذه الفرصة سنة ٨٧٠هـ، حينما كان الظافر بصحبة أخيه المجاهد في عدن اذ أتت رسالة من مؤيدى الدولة الطاهريه بصنعاء يستحثون فيها الملك الظافر أن يأتى ثانية للاستيلاء عليها ، وقد كان ارسال هذه الرسالة في غاية السرية والكتمان (١١٦)

---

(١١٥) بغية المستفيد ، ص ١٣٧ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٥٥ -١٥٦ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٦٤ أ - ٥٦٤ ب ، بنو رسول ، ص ٣١٩

(١١٦) بغية المستفيد ، ص ١٣٨ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٥٧ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٦٤ ب ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٠١ ، بنو رسول ، ص ٣٢٠

بحيث أن جحافل الجيش الطاهري قد وصلت فجأة أمام صنعاء ،ضاربا حصاره ، غير أن خصومه داخل المدينة انقضوا على جيشه الكبير ، وكان على رأسهم كل من الامام محمد والقائد محمد بن عيسى شارب ، وقد أسفرت المعركة ، والتي لم تكن في حسبان الطاهريين بهزيمتهم وقتل الملك الظافر على يد محمد بن عيسى شارب وذلك يوم الاثنين السابع من ذي القعدة سنة ٨٧٠ هـ .(١١٧)

وأحدث مقتل الظافر عامر بن طاهر خللا كبيرا داخل الدولة وبدأت بعض القبائل تطل برأسها لانتهاز مثل هذه الفرصة للنيل من الدولة الناشئة وخاصة قبائل تهامة ، وزادت هذه الأوضاع الجديدة من ثقل التبعات الملقاه على عاتق المجاهد على بن طاهر الذى اضطر الى تجريد الحملات المتعددة لاخماد ثورات القبائل وكثرت جولاته في أنحاء اليمن المختلفة لاقرار الأمن فيها .

ومن الملاحظ أنه في هذه الفترة لم يحاول الاصطدام بالقوى الزيدية وظل هذا دأبه الى أن وافاه الأجل في ربيع الآخر سنة ٨٨٣ هـ بعد حكم دام قرابة ربع قرن قضى نصفه الأول شريكا لأخيه الملك الظافر ،

---

(١١٧) غاية الأماني ،ق ٢ ،ص ٦٠١ ، بنو رسول ، ص ٣٢٠

وانفرد بالنصف الآخر متفردا بالملك الى أن سلمه عند وفاتــــه
لابن أخيه عبد الوهاب بن داود كخليفة له .

. . . .

(١١٨) بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨

د ـ سلطنة الملك المنصور عبد الوهاب بن داود ٨٨٣ - ٨٩٤ هـ

عند وفاة الملك المجاهد ، عهد بأن يليه ابن أخيه عبد الوهاب ابن داود ، ولم تكن هذه أول مرة يشير فيها الى من سيخلفه بعده ، بل سبق منه ذلك فى محرم سنة ٨٧٧ هـ ، عندما مرض المجاهد ، وخشى أن يكون أجله قد حان ، فأخذ البيعة لعبد الوهاب من الجند ورؤساء القبائل ، فحلفوا له (١١٩) ، غير أن الأجل طال به بعد ذلك قرابة ست سنوات ، فأكد قراره عندما شعر بقرب وفاته بأن يخلفه ابن أخيه عبد الوهاب، ولذلك ما أن توفى المجاهد ليلة السبت العاشر من شهر ربيع الثانى سنة ٨٨٣ هـ (١٢٠) ، حتى قام السلطان الجديد بأخذ البيعة لنفسه فى جبن ، ثم بادر بالنزول مسرعا الى عدن ، قبل أن يصل خبر وفاة عمه اليها ، فلما وصلها أظهر لبوابى سور عدن أمرا للمجاهد كان قد كتبه له قبل وفاته بالسماح له بدخوله اليها من أجل تجهيز المراكب التجارية (١٢١) ثم أشاع بموت عمه ، ولكى يضمن ولاء الجنود له هنا فرق بينهم الأموال ، وكان هذا التصرف من قبله حافزا على تأكيد البيعة له من جديد (١٢٢) .

---

(١١٩) بغية المستفيد ، ص ١٤٧ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٦٣ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٦٥ ب

(١٢٠) بغية المستفيد ، ص ١٥٦ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٦٦ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٧٠ ب ، بنو رسول ، ص ٢٦٨

(١٢١) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٧٠ ب ، بنو رسول ، ص ٢٦٩

(١٢٢) بغية المستفيد ، ص ١٥٩ - ١٦٠ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٦٨ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٧١ أ ، بنو رسول ، ص ٢٦٩

وكان تصرف الحاكم الأول ـ المجاهد ـ عامل يسر للتفرقة أن تدخل في أسرة آل طاهر وخاصة في عهد الملك المنصور وابنه الظافر عامر الثاني ونتيجة للصراع على كرسي الحكم فقد استنفذت الدولة كثيراً من الأموال والرجال كما أنها عطلت كثيراً من المشاريع الاصلاحية التي كانت في حاجة اليها .

وقد رد على هذه التولية الجديدة الشيخ يوسف بن عامر ـ الذي كان يحكم مدينة زبيد بأن أخذ يؤلب أهاليها على السلطان الجديد ، وكان رد الأخير على تصرفاته هذه ، بأن أخذ يهدئه ويأخذه باللين ، ولذلك فانه أرسل له الأموال كما وعده بكل جميل .(١٢٣)

وقد ساورت الشكوك حاكم زبيد نحو السلطان الجديد ، الذي اعتقد أن تصرفاته السابقة انما هي مؤقته ، ولذا فقد حرض أهالي زبيد في أن يحملوا السلاح في وجه السلطان والوقوف الى جانبه ضده ،(١٢٤) وقد تهدد هذا الأخير من يخالفه أوامره بمصادرة أمواله وفرض العقوبات المتعددة عليه ، وهنا في هذه المرحلة فقد أشعر اتباعه بعدم الموالاة بأن أمر خطيب زبيد في أن يتجاهل ذكر السلطان في الخطبة ، وانما بدلا من ذلك يذكر أسرة بني طاهر عموما دون تخصيص واحد منهم .(١٢٥)

---

(١٢٣) بغية المستفيد ، ص ١٦٠ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ١٥٧أ

(١٢٤) قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٦٨ - ١٦٩ ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦١٠

(١٢٥) بغية المستفيد ، ص ١٦٠ .

وعند ما رأى الملك المنصور عبد الوهاب تصرفات الشيخ يوسف ضد توليته عاد مسرعا من عدن الى المقرانة ، وقد تزود بالأموال الكثيرة والتي كانت موجودة في خزائنها (١٢٦) وعند استكمال استعداداته في عاصمته ترأس حملة قوية لمواجهة خصمه ، ثم فرض عليه حصارا ، ولمواجهة هذا العمل أمر يوسف بعض مماليكه بالتوجه الى خارج سور زبيد ، غير أنه لم يكن في حسبانه بأن الذين أرسلهم للدفاع عنه انقلبوا ضده ، واتجهوا الى معسكر السلطان عبد الوهاب ، وهذا التصرف من قبل هؤلاء الجنود كان دافعه أحد عاملين الأول أنهم رأوا أن ميزان القوى ضد يوسف ، فهم آثروا في البداية السلامة . وأما العامل الثاني لربما عدم قناعتهم بجدارة حكم الشيخ يوسف ، وبعض تصرفاته الغير منطقية في المدينة .

وقد فوجئ الشيخ يوسف بتصرفهم الذي كان في رأيه مشينا ، فخرج في أعقابهم ليردهم غير أنه لم يستطع ذلك ، وعند ما هم بالرجوع الى المدينة أغلقت الأبواب في وجهه (١٢٧) وخوفا من القاء القبض عليه اتجه الى حصن قوارير الذي لا يعرف طريقه جيدا ، ولذلك فقد تعثر عليه الوصول اليه فأشار عليه بعض خواصه بأن يتوجه الى معسكر السلطان ومن ثم يسلم نفسه له، (١٢٨) وقد قبل هذه النصيحة ، واتجه فعلا الى ابن عمه ، وعند ما رآه من كان في

---

(١٢٦) بغية المستفيد ، ص ١٤٠ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٦٩ ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦١٠.

(١٢٧) بغية المستفيد ، ص ١٦٠.

(١٢٨) بغية المستفيد ، ص ١٦٠ - ١٦١ ، بنو رسول ، ص ٢٧١

معسكر السلطان دب بينهم الذعر والاضطراب خوفا من أنه قد أتـــى لمهاجمتهم ، غير أن تخيلاتهم قد تضاءلت ثم هدأوا عندما أعلمهم بأنه قد أتى لتسليم نفسه ، ولم يأتي لمحاربتهم وعند دخوله على السلطان عبدالوهاب أخذ بخاطره ، وعاتبه عتابا خفيفا لربما لأنه قد أتى مذعنـا ولم يأت محاربا (١٢٩) ، ولم يبق السلطان وابن عمه في المعسكر الا ليلة واحدة ، ثم دخلوا المدينة سويا يوم الثلاثاء الثاني عشر من جمادى الأولى سنة ٨٨٣هـ (١٣٠)

وبيدو أن الشيخ يوسف بن عامر لم يشعر بالاطمئنان الكامل من الملك المنصور أو أنه لاحظ بعض تصرفات السلطان معه التي توجب الخوف، فأخذ يطلب من أخيه أحمد بن عامر الذى كان مواليا للسلطان بأن يسمح لـــه بمغادرة اليمن الى مكان نائي ليطمئن على حياته من بطش المنصور في يوم ما ، وبعد تمنع شديد وحياء من الشيخ أحمد سمح السلطان ليوسف بتلك المغادرة عن طريق ميناء البقعة حيث استقل زورقا واتجه الوهيفاء جـــده ثم الاستقرار في مكة المكرمة حيث أصبح ضيفا على أميرها الشريف محمد بـــن بركات (١٣١) ، ويبدو أن هناك صداقة سابقة بين الشيخ الطاهرى والأمير الشريف، ولذا فقد طلب من الأخير المساعدة في محاربة ابن عمه في اليمن الا أن

---

(١٢٩) بغية المستفيد ، ص ١٦١ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٧٠ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٧١ أ

(١٣٠) بغية المستفيد ، ص ١٦١ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٧٠ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٧١ أ

(١٣١) بغية المستفيد ، ص ١٦١ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٧٠ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٧١ أ ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦١١

الشريف لم يستجب لمطلبه هذا[١٣٢] ، لربما خوفا من النتائج التى ستحدث فيما بينه وبين الدولة الطاهرية والتى كانت قويه فى ذلك الوقت .

وعندما فشلت مساعى يوسف فى الحصول على هذه المساعدات اتجه الى بعض جيران الدولة الطاهرية وهم آل دريب فى جازان ، ويبدو هنا أنهم لم يلبوا له طلبا فى المساعدة فاتجه الى منطقة بنى حفيص ، والتى كان يتزعمها الشيخ أحمد بن أبى الغيث بن حفيص الذى رحب به وزوجه ابنته لربط الصداقة بين الأسرة الحاكمة[١٣٣] ، وكان تصرف ابن حفيص هذا بمثابة وسيلة ضغط ضد الملك المنصور ، الا أن السلطان قد ضيع عليهم جميعا هذا التكتل ضده ، فخرج بقواته اليهم لاضاعة فرصة تأليب القبائل عليه من قبلهم ، وبعد ما ضرب حصاره عليهم ، أخذ يراودهم فى الاستسلام وعدم اضاعة الوقت فى الحرب وعندما رفضوا عروضه ، اتجه الى المعركة واستخدام القوة معهم فبدأهم بالقتال فى يوم الخميس أول ذى القعدة سنة ٨٨٤ هـ ، وفى بداية المعركة سقط من معسكر القوات الطاهرية الشيخ أحمد بن عامر أخو الشيخ يوسف ، الذى شعر بالذنب نحو مصرع أخيه ، ونتيجة لذلك فانه قد غدر ببنى حفيص وقلب لهم ظهر المجن وذلك بتحوله

---

(١٣٢) بغية المستفيد ، ص ١٦٣ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٧٠ ،

(١٣٣) بغية المستفيد ، ص ١٦٣ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٧٠ ، قلادة النحر ، ج ٣ ، ورقه ٥٧١ ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦١١ .

أثناء المعركة الى جانب القوات الظاهرية مما أثر على قوات بنى حفيص ، الذين قتل منهم اربعمائة قتيل .(١٣٤)

وبعد هزيمة خصوم الدولة الظاهرية نتيجة لخيانة يوسف توجه الأخير مع السلطان الى زبيد ثم الى تعز ، ويبدو أن السلطان قد أخذ درسا من تمردات يوسف عليه مما جعله يلقى عليه القبض فى أوائل سنة ٨٨٥ هـ ثم سجنه(١٣٥) والذى استمر فى ذلك حتى تولى الملك الظافر الحكم .

وقد اتبع السلطان عبد الوهاب سياسة الحزم والقمع ضد الثورات الأخرى من أبناء القبائل المتعددة ، فكان كثيرا ما يتوجه بنفسه لتأديبهم ، وأظهر فى هذا المضمار الحزم والكفاءة الى أن توفى فى جمادى الأولى سنة ٨٩٤هـ .

---

(١٣٤) بغية المستفيد ، ص ١٦٣ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٧١ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقة ٥٨١ أ .

(١٣٥) بغية المستفيد ، ص ١٦٤ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٧١ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٨١ أ ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦١١ .

الباب الأول

- الفصل الأول -

أ - السلطان عامر بن عبد الوهاب

١ - مولده ونشأته .

٢ - حياته .

ب - حروبه ضد المخالفين له من بني طاهر

جـ - حروبه ضد قبائل يافع

د - حروبه ضد قبائل دثينه

هـ - مقتل ابن مخارش وفتح بيحان

و - فتنة شيخ دار الضرب بزبيد

. . . .

أ ـ السلطان عامر بن عبد الوهـــاب

١ ـ مولده ونشأتـه :

تعتبر فترة حكم السلطان عامر بن عبد الوهاب بن داود بن طاهـــر أطول فترة أسرة آل طاهر في الحكم ، الا أننا نجد صعوبة في الكشـف عن حياته قبل أن يلي الحكم بالرغم من وجود مؤرخين يمنيين معاصريـــن لفترته سواء أترابه أو ممن ولدوا قبله وبالرغم من حرص المؤرخ ابن الديبع على ذكر كل ما له علاقه بالسلطان عامر ، الا أننا نجد أنه لم يلق الضوء الكافي على حياته قبل أن يلي السلطنة بعد وفاة والده ، فقد اكتفى هذا المؤرخ بايراد تاريخ ولادته حيث ذكر أن السلطان عامر قد ولد في رمضان مـــن سنة ٨٦٦ هـ ولم يدون أي شيء عن نشأته الأولى ، (١) أما الامام الشوكانـــي فقد ذكر أنه حفظ القرآن الكريم ثم اشتغل قليلا في العلم . (٢)

وبالرغم من أن هذه المعلومات المدونة عن حياته كانت ضئيلة فانـــه بالامكان الاستنتاج أن السلطان عامر قد نشأ نشأة دينية علمية وذلك أن طبيعة الحكم في اليمن تحتم وجود القضاة والفقهاء في أسمى المناصب للدولة الطاهرية وهؤلاء من جل العلماء الأفذاذ وحتما فان والده حريص

---

(١) بغية المستفيد ، ص ١٣٣ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٥٤

(٢) الشوكاني : محمد بن علي ، البدر الطالع ، جـ ١ ، ص ٣٠٨ ، بيروت ، طبعة مصوره عن طبعة القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ .

كل الحرص على أن يتلقى ابنه على أيديهم العلوم النافعة في كل مجال .

وقد لازم عامر بن عبد الوهاب القاضي على بن أحمد الناشري ملازمة شديده وأحبه وظل معه الى أن تولى زمام السلطة بعد وفاة والده ،(٣) وهذه الصحبة ستؤثر بلا شك في تكوينه العلمي وهو في شرخ الشباب وأكد هذه الحقيقة موقفه من العلم والعلماء في عصره ، وحرصه على شراء الكتب التي يندر وجودها في مملكته وجلبها بالمال من أى مكان كما سنرى ذلك في الحركة العلميه - ولا أدل على ذلك من مدح السخاوى له حينما استعرض ترجمته اذ قال فيه :" ..والغالب عليه الخير ومحبة العلماء مع حسن العقيدة . . "(٤)

وقد بدأ والده السلطان عبد الوهاب يدفع بابنه الى خوض معترك الحياة السياسية والحربيه ليتلقى منها الاعداد لمواجهة أعباء الحكم عندما يخلفه وأول ظهوره في هذا المسرح كان في شوال سنة ٨٩٠ هـ عندما ترأس حملة عسكرية لتأديب قبائل الزيدية الثائرة على الدولة الطاهرية وتمكن الشيخ عامر بن عبد الوهاب أن يخضع هذه القبائل ويعيدها الى الطاعة(٥) ويبدو أن والده الملك المنصور كان يصطحبه معه

---

(٣) بغية المستفيد ، ص ١٦١ - ١٦٢

(٤) السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ٤ ، ص ١٦

(٥) بغية المستفيد ، ص ١٧٥ .

فى تجواله أثناء حملاته التأديبية على القبائل فقد رافقه الى زبيد فى ربيع الأول سنة ٨٩٣ هـ ليعاود منها الهجوم على قبائل الزيدية ثم خرجا معا على رأس حملة الى هذه القرية لقمع حركة المناوئين لهم ، وتكللت هذه الحملة بالنجاح ومن ثم عادت القوات الطاهرية أدراجها الى زبيد فى جمادى الأولى من نفس السنة (٦) .

وفى المحرم من سنة ٨٩٤ هـ عهد الملك المنصور الى ابنه وولى عهده بادارة منطقة زبيد وتتبع القبائل الثائرة فأدار الأجناد ووجهها الى أماكن الثوار للقضاء عليهم وتمكن من خلال ادارته هذه أن يخضع الخارجين على الدولة وبدأ رؤساؤها يفدون عليه الى زبيد لاداء الطاعة وازاء ما قام به هؤلاء من حسن النية تجاه الدولة الطاهرية أخذ يعاملهم معاملة حسنة كما أطلق من كان مسجونا منهم بعد أن أخذ منهم الايمان على السمع والطاعة ، وبعد ما انتهت مهمته هنا اتجه الى جبن محل اقامة والده الذى بدأ مرض الموت يسرى فى جسده ، فظل الى جانبه الى أن توفاه الله يوم الخميس ٧ جمادى الأولى سنة ٨٩٤ هـ (٧) ،فاختير ابنه عامر خلفا له ، فورث حملا ثقيلا سيواجهه فى سلطنته ، أقربها خروج أخواله عليه وتمردهم على سلطته غير أنه تمكن من هزيمتهم بعد حروب ضارية

---

(٦) بغية المستفيد ،ص ١٨٠

(٧) بغية المستفيد ،ص ١٨٢

ود ماء كثيره سفكت بسبب هذا التنازع ـ كما سنرى ذلك فيما بعد ـ ثم تفرغ بعد ذلك لثورات القبائل ومن ثم التوسع فى اليمن على حساب غيره من القيادات الزيدية وتبلغ الدولة الطاهرية فى عهده أقصى اتساع لها .

٢ ـ حياتـــه :

والمتأمل لحياة السلطان عامر بن عبد الوهاب يجد فيها الشخصية القوية المعتمد على تيسير أمور بلاده بكل جد ومثابره ، رغم أنه ولى الحكم وهو فى شرخ الشباب فقد باشر الأمور بنفسه سلما وحربا دون الاعتماد على أى شخصية مهما بلغت منزلتها ، ولذلك نلاحظ كثرة ترحاله وتجواله فى مملكته ، فلا يكاد يستقر فى بلد واحد حتى يغادره الى آخر متفقدا شئون مملكته ، واستمر على هذه السياسة الى حين مقتله .[٨]

ونتيجة لهذه السياسة فقد كان حازما فى ادارته لمملكته ودون أى تهاون كما كان شديدا فى قمع خصومه بل وأحيانا يبالغ فى الانتقام من الخارجين عليه سواء من الطاهريين أم غيرهم ، ولكن اذا مال خصمه الى طلب الصلح فانه سريع الاستجابة وبأفضل الشروط التى يشترطها أعداءه حفظا للدماء وتجنب المزيد من الخسائر قدر الامكان .[٩]

---

(٨) ابن الديبع : عبد الرحمن بن على ، الفضل المزيد على بغية المستفيد فى أخبار زبيد ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ ، ص ١٧٣ ، ط ١ ، الكويت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢١٤-٢١٥ ، قلادة النحر ج٣ ١/٥٩٧

(٩) الفضل المزيد ، ص ١١٥ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٩٧ .

اضافة الى ذلك فاننا نجد فيه جوانب انسانية تجاه شعبه حينما تلم بهم المهمات أو غير ذلك ، ولذلك فقد كانت له صدقات جاريه وخاصة مدينة زبيد (١٠) التى حظيت باهتمامه البالغ لأنها تعتبر من حواضر العلم والعلماء فى عهده فأولاها كثيرا من العناية حتى تستمر فى أداء رسالتها على خير ما يرام ، ودأب على اكرام العلم والعلماء طيلة عهده وكان عاملا مشجعا لنهضة الفكر فى بلاده حتى يرقى بها الى المكانة اللائقة بها .

---

(١٠) الفضل المزيد ،ص ٩٩ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ،ص ٢٣٨ ، ص٢٤٢، ص ٢٥٨ ، قرة العيون ، ق ٢ ،ص ١٩٥،ص ٢١٦ .

البـــاب الأول

الفصل الأول

ب - حروبه ضد المخالفين له من بني طاهـــــر

عقب وفاة الملك المنصور عبد الوهاب بن داود ومبايعة ابنه عامر بن عبد الوهاب سلطانا كخلف له وكان ذلك في مدينة جبن ،أدرك السلطان الجديد أنه أمام متاعب جديدة ستخلق له ، خاصة من أخواله أبناء الظافر عامر الأول .

ولقد أدرك السلطان عامر أن أخواله عبد الله ومحمد وعمر ، اضافة الى من انضم اليهم من بني طاهر ، لن يدعوه وشأنه ، بل لن يستقروا حتى يخلعوه أو يهلكوا دون ذلك ، خاصة وأن تجارب والده مع الشيخ يوسف عامر لم يجف مدادها بعد ، وعليه فقد بادر السلطان عامر بالانتقال الى المقرانة ، حيث طلب خاله الشيخ عبد الله بن عامر ، وحلفه على السمع والطاعة ، فحلف له على ذلك (١٢) وفي نفسه ما فيها من القيام بثورة ضد السلطان الجديد ، وليطمئن السلطان خاله قام باقطاعه البلاد الشرقية فأظهر رضاءه بما فعله السلطان (١٣) ، هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية فقد كان السلطان عامر بن عبد الوهاب متأكدا تمام التأكيد بأن أخواله سوف ينقضون أيمانهم ويثورون عليه ، لذلك أسرع بأرسال ابن عمه الشيخ محمد بن عبد الملك والأمير محمد بن عيسى البعداني الى عدن (١٤) ،

---

(١٢) قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(١٣) بغية المستفيد ،ص ١٨٥ - ١٨٦ ، قلادة النحر ،جـ ٣ ،ورقه ٥٨٤ أ

(١٤) قلادة النحر ،جـ ٣ ورقه ٥٨٤ أ

خشية على هذه المدينة من الخروج من يده ، وحتى لا يحاصر السلطان في المقرانة فقد توجه الى تعز ، بحجة أن هذه المدينة قد ضاقت من كثرة الوفود وقلة المؤونة ، التي لا تكفي لهذه الوفود (١٥) ، وخروج السلطان من المقرانة الى تعز بعد مكوثه بها عدة أيام وبهذه السرعة يدل دلالة واضحة على أنه قد أدرك الخطورة الكبيرة فيما لو بقي فيها مدة أطول ، حيث أنه سيحاصر فيها وسيقطع عليه خط الرجعة بينما في تعز سيستطيع أن يفلت (١٦) (من حركة التطويق هذه ويعبئ قواته ويطارد خصومه) بالطريقة التي يريدها هؤلا خصومه ، وحدث ما كان يتوقعه السلطان عامر من أخواله فانه ما كاد يستقر في تعز وبعد خمسة أيام من وصوله اليها حتى بلغه الخبر بأن أخواله عبد الله ومحمد وعمر أبناء الظافر الأول -عامر بن طاهر- قد نقضوا العهد الذى أعطوه اياه ، ودعوا لأنفسهم ، واستخدموا في ثورتهم هذه جيوشا من يافع وأهل جبن وغيرهم (١٧) ، ولم يكتفوا بذلك ، فانهم قاموا بنهب مدينة جبن ونهب بيوتها ، خاصة بيوت أرباب المناصب الكبيرة والموالين للسلطان عامر بن عبد الوهاب أمثال القاضي عمر الجبني ، والأمير محمد بن عيسى البعداني وأمثالهم (١٨) .

---

(١٥) بغية المستفيد ، ص ١٨٦ ، قرة العيون ، ص ١٨٠ ، قلادة النحر ، ج٣ ، ورقه ٤٨٥ أ

(١٦) الفضل المزيد ، ص ٤٧ - ٤٨

(١٧) بغية المستفيد ، ص ١٨٦ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٨٠ ، قلادة النحر ، ج ٣ ، ٤٨٥ أ

(١٨) غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦١٦ ، الوزير ، جامع المتون ، ورقه ٦٠ أ

ويبدو أن السلطان عامر قد أعد للأمر عدته مبكرا ، ولذلك نلاحظ أنه توجه اليهم فى جمادى الأولى سنة ٨٩٤ هـ - فيما تنقله المصادر - فى عشرين ألف مقاتل عدا من انضم اليه .(١٩)

وان كانت هذه المصادر تبالغ فى عدد الجيش الذى أعده السلطان عامر لمواجهة أخواله ، الا أنها بلا شك كثيرة ولكنها لا تصل الى العدد المذكور .

وخروج السلطان بهذه الطريقة تعطى انطباعا للسياسة التى سوف يسلكها ضد مناوئيه ، وعلى رأسهم أخواله ومن انضم اليهم من بنى طاهر ، كما توضح الى الحزم واظهارا لمدى قوة السلطان الجديد الذى لا يقتصر ترأس جيوش صغيرة العدد ، وحتى يكون لذلك وقع أشد فى نفوس كل من تسول له نفسه بالخروج على طاعة هذا السلطان . وما أن وصل الظافر الثانى بجنوده حتى بادر مناصروه بالنزول اليه أمثال القاضى عمر بن عبد السلام الناشرى ، فانتقم منه الشيخ محمد بن عامر بالاستيلاء على محتويات بيته وكتبه التى قيلت أنها بلغت ألفا وخمسمائة كتاب .(٢٠)

---

(١٩) بغية المستفيد ، ص ١٨٦ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٨٤ أ ، شرف الدين: أحمد حسين ، اليمن عبر التاريخ ، ص ٢٢٧ ، ط ٣ ، الرياض ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م ، الثور : عبد الله بن أحمد ، هذه هى اليمن ، ص ٣١٣ ، ط الثانية بيروت ١٩٧٩م .

(٢٠) بغية المستفيد ، ص ١٨٦ ، غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٦١٦ ، زبارة : محمد بن محمد ، أئمة اليمن ، جـ ١ ، ص ٣٥٣ ، تعز ، ١٣٧٢هـ .

وقد ضرب السلطان عامر حصاره على الثوار واستمر هذا الحصار خمسة وخمسين يوما هلك فيها من الأرواح الشيء الكثير من الجانبين ، كما أسفرت هذه المعارك الحربية عن هزيمة الشيخ عبد الله بن عامر الذى لم يستطع الصمود أمام قوات الظافر ، كما قتل عدد من أصحابه ، وأسر ابن أخيه الشيخ داود بن أحمد بن عامر ، الذى كان مشاركا له فى الخروج على طاعة السلطان .(٢١)

وقد لاذ الشيخ عبد الله بن عامر بالهروب الى جبل حرير حيث أرسل السلطان عامر خلفه حمله بقيادة الشيخ أحمد بن محمد بن عامر ، فلم يستطع الشيخ الفار أن يواجه هذه الحملة فولى منهزما الى بلاد يافع.(٢٢)

وجرت محاولات للصلح بين الظافر عامر بن عبد الوهاب وأخواله على يد كبار قادة الدولة الظاهرية ومن بعض المشائخ ، أثمرت عن عقد صلح بينهما ، حيث حلف الشيخ يوسف بن عامر خمسين يمينا بالوفاء والمحافظة على بيعة السلطان عامر ،(٢٣) كما حلف الأخير بالوفاء للشيخ عبد الله ، اضافة الى ذلك فقد تعهد السلطان بأن يطلق يد أخواله فى جبل حرير والشعيب ويدفع لهم فى كل عام أربعين ألف دينار من خراج عدن ، وقد تم هذا الصلح على يد كل من الأمير عمر بن عبد العزيز الحبيشى ،(٢٤) والسيد أبو بكر بن

---

(٢١) بغية المستفيد ، ص ١٨٦ ، قلادة النحر ، جـ٣ ، ورقه ٥٩٣ أ ، غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٦١٦ .

(٢٢) بغية المستفيد ، ص ١٨٦ .

(٢٣) العيدروس : ابو بكر بن عبد الله ، ديوان محجة السالك وحجة الناسك ، ص ١٣٤ .

(٢٤) بغية المستفيد ، ص ١٨٧ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٨٤أ ، =

عبد الله العيدروس .[٢٥]

ولعل الشيخ عبد الله بن عامر قبل بهذا الصلح لأنه كان في موقف حرج ، فآثر السلامة بقبول هذه الشروط الى أن تحين فرصة يتقوى فيها ، ومن ثم يقوم بثورته من جديد ، كما يبدو أن أخاه الشيخ محمد بن عامر لم يكن راضيا عما اتفق عليه مع السلطان عامر ، ولذلك بادر مسرعا في نقض الصلح وقام بمهاجمة تعز بناء على مراسلات وردته من بعض الأهالي ، اضافة الى ذلك موالاة بعض شيوخ القبائل له مثل المنتصر العربي وابن صاحب مرعيت كما اغتنم فرصة تجول السلطان عامر بن عبد الوهاب في بعض المناطق خارج المدينة .

ونستطيع أن نفسر ما أقدم عليه لعدة أسباب :

أولا : إما أن الشيخ محمد بن عامر يرى في هذا الصلح دون ما كان يؤمل من السلطان ، ولذلك نراه يبادر بنقضه .

ثانيا : خشيته من أن يكون الصلح حلا مؤقتا من جانب ابن عمه الظافر ثم بعدها يتحين الأخير الفرص ، ويختلق الأسباب للقبض على خصومه أو التخلص منهم في ظروف مؤاتية تسنح فيما بعد .

ثالثا : أنه رأى في موالاة بعض أهالي تعز ومناصرة بعض شيوخ القبائل

= العقيلي ، محمد بن أحمد ، تاريخ المخلاف السليماني ، جـ ١ ، ص ٢٥٨ ، ط الثانية ، الرياض ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م .

(٢٥) العيدروس ، ديوان محجة السالك وحجة الناسك ، ص ١٣٤ .

مثل المنتصر العربى وابن حاكم مرعيت فرصة يجب أن يغتنمها ، وطمع فى الاستيلاء على تعز واتخاذها قاعدة يستطيع منها أن يجابه السلطان عامر بشكل أقوى مما كان عليه سابقا ، ومن ثم كان يأمل فى القضاء على السلطان من خلال سيطرته على تعز .

وقد يكون لمجموع هذه العوامل أثرها فى اثارة الفتنة من جديد بين الأسرة الطاهرية يذكيها الشعور من جانب ابناء الظافر عامر بن طاهر بأنهم أحق بالسلطنة من عامر بن عبد الوهاب للدور الذى قام به والدهم فى قيام الدولة الطاهرية وقام الشيخ محمد بن عامر فى الثالث من رمضان سنة ٨٩٤ هـ بمهاجمة مدينة تعز ، يصحبه المنتصر العربى وابن حاكم مرعيت،(٢٦) غير أن المشتركين فى الهجوم فوجئوا بما لم يدر بخلدهم اذ أن أنصار السلطان يشكلون قوة لا يستهان بها فى داخل المدينة وقد تولى قيادة هذا الدفاع عنها القاضى شمس الدين يوسف بن يونس الجبائى ، الذى قام بدور كبير فى حض الناس ورفع الروح المعنوية بينهم ، وخوفا من أن الصيام يؤثر على سير القتال أفتى هذا الشيخ بجواز أفطار الأهالى ،(٢٧) لكى تكون مواجهتهم للمعتدين قوية وصلبة ، ونتيجة لاتباع هذه السياسة فقد نجح السكان هنا من رد المهاجمين على أعقابهم والانتصار عليهم ، وقد

---

(٢٦) بغية المستفيد ، ص ١٨٧ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٨٤٥ أ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٨١ .

(٢٧) بغية المستفيد ، ص ١٨٧ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٨٤٥ أ ، غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٦١٦ .

لاقى ابن حاكم مرعيت حتفه وجمع من جنده على يد القوات الموجودة داخل مدينة تعز .(٢٨)

ويبدو أن والى تعز من قبل الظاهريين الأمير عمر بن عبد العزيز الحبيشى كان متواطئا مع خصوم السلطان الشرعى ، فهو لم يقم بأى دور فى الدفاع عن المدينة ولدوره السلبى هذا فقد ألقى به السلطان عامر فى السجن فيما بعد لموقفه المتخاذل .(٢٩)

وقد توارد ت أنباء هذا الهجوم المباغت على مدينة تعز الى اسماع السلطان عامر الذى كان موجودا فى رداع لتفقد هذه المنطقة ، ويبدو أن انتصار الموالين للسلطان عامر على خصومه ، جعل الأخيرين يتجهون الى أماكن أخرى لعلهم يجدون بغيتهم فيها ، وهو الانتصار على القوات الحكومية ، فكانت وجهتهم فيما يبدو منطقة إب لأن قاضيها الشيخ عبد العليم بن على البريهى أتى مسرعا الى السلطان فى رداع وأعلمه أن منطقة اب مضطربة ، وأنه لابد من الوصول اليها فى أسرع وقت وقد استجاب السلطان لأن هذه الأمور خطيرة بالنسبة لدولته ، فوصلها فى الحادى عشر من رمضان سنة ٨٩٤هـ(٣٠) غير أنه لم يستقر فيها ، وخرج بعد أربعة

---

(٢٨) بغية المستفيد ، ص ١٨٨ .

(٢٩) بغية المستفيد ، ص ١٨٨

(٣٠) بغية المستفيد ، ص ١٨٨ ، قرة العيون ، ص ١٨١ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٨٤ ب .

أيام وكان وصوله الى صهبان حيث التقى بخصومه فى معركة عظيمة تحت النجد الأحمر ، وقد اسفرت المعركة بين الطرفين بانتصار الحكومة وهزيمة الخارجين عليها بقيادة الشيخ محمد بن عامر ، وكان النصر كبيرا ، لأن معظم الخارجين عن الطاعة قد قتلوا ، كما غنم منهم خصومهم جميع ما معهم من الأموال والعتاد ، وقد بلغ عدد الأسرى الذين وقعوا فى أيدى القوات الطاهرية خمسمائة أسير .(٣١)

---

(٣١) غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٦١٧ ، جامع المتون ، ورقه ٦٠ ب ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٠٦ ، وصهبان ، بالضم وسكون الهاء ثم موحدة ، ثم ألف ونون ، ناحية متسعة تشتمل على حصون وقرى قريبة من ذى جبله ، أبو مخرمه : ابو محمد الطيب بن عبد الله ، النسبة الى المواضع والبلدان ، ورقه ٢٥٣ أ ، المكتبة المحمودية ٢٥٦٩

الشيخ عبد الباقي بن محمد بن طاهر ومحاولته أخذ عدن - رمضان سنة ٨٩٤هـ

وقد انتهز الشيخ عبد الباقي بن محمد فرصة انشغال السلطان عامر بحربه مع الشيخ محمد بن طاهر في شهر رمضان سنة ٨٩٤ هـ ، فأعد عدته من أجل الاستيلاء على عدن فمهد لذلك بنزوله الى لحج تعضده قبائل من يافع ، فتقدمت طائفة من جنده ودخلوا المدينة حيث عاثوا فيها فسادا، وقد رد القائمون على حمايتها بمنازلة هؤلاء الغزاة وأوقعت بهم الهزيمة ، وأدرك الشيخ عبد الباقي ما حل بجنده على أيدى أهل لحج ، فأسرع الى تنظيم قواته ، التى تمكنت من دخول المدينة بالقوة فأصبحت تحت قبضته هو ومن معه من الجنود الذين منعهم من أن يقوموا بأى عمل من أعمال السلب والنهب .(٣٢)

وهنا أخذ الشيخ الغازى يستعد لمهاجمة عدن فجهز مائة من السلالم ليستعين بها على تسلق حصن عدن ، وبعد استكمال تجهيزاته ، توجه صوب عدن (٣٣) ،فوصل الى العباءة ليلة العاشر من رمضان سنة ٨٩٤ هـ ، فاشتبكت قواته مع القوات الطاهرية تلك الليلة التى صباح يوم الثلاثاء ، ثم خرج اليهم الشيخ محمد بن عبد الملك ، الذى استعان بعساكر المراكب

---

(٣٢) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٨٤ه ب ، الحامد : صالح بن على ، تاريخ حضرموت السياسى ، جـ ٢ ، ص ٥٧٥ . بيروت بدون تاريخ .

(٣٣) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٨٤ه ب ، تاريخ حضرموت السياسى ، جـ ٢ ، ص ٥٧٥ ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٧٦ .

البحرية ، ويبدو أن هجوم الشيخ عبد الباقي كان مؤقتا له لانتهاز موسم قدوم السفن الى هذا الثغر ،(٣٤) على أمل النجاح أولا في الاستيلاء عليها ومن ثم الفوز بأخذ المكوس من أرباب السفن التي تدر دخلا عظيما لخزينة الدولة الطاهرية وبهذا المال يتقوى بما يحصل عليه ، والاستعانة به في حربه ضد السلطان .

وكانت لاستعانة أمير عدن الطاهرى بعساكر المراكب البحرية وآلاتها من المدافع وغيرها أثر كبير في حسم الموقف لصالحه ،اذ تمكن من الانتصار على خصومه وتقهقر قوات الشيخ عبد الباقي وغالبهم من يافع من أرض المعركة الى جبل حديد ،أما الشيخ الطامع فان يده قد كسرت في هذه المعركة ، وفر هاربا تاركا جنده خلفه ،(٣٥) وتعقبت القوات الحكومية فلول المنهزمين والمعتصمين بجبل حديد ،فحصرتهم هنا ، وتحت وطأة الحصار استسلموا ، واضطروا الى تسليم ما بأيديهم من سلاح ، كما ألقي القبض عليهم ، وأصبحوا أسرى في أيد أمير عدن الذى دخل بهم الى المدينة مكبلين في الأغلال ،(٣٦) وهكذا تبددت أحلام

---

(٣٤) قلادة النحر ،جـ ٣ ، ورقه ٥٨٤ ب

(٣٥) بغية المستفيد ،ص ١٨٩ ، قرة العيون ،ق ٢ ،ص ١٨٢ ، قلادة النحر ،جـ ٣ ، ورقه ٥٨٤ ب ،غاية الأماني ،ق ٢ ،ص ٦١٧

(٣٦) قلادة النحر ،جـ ٣ ، ورقه ٥٨٤ ب

الغزاة وسلمت المدينة من خطر الاستيلاء عليها من قبل خصوم السلطان عامر بن عبد الوهاب .

ونتيجة للهزائم المتلاحقة لمنافسي السلطان عامر أدرك هؤلاء أنهم أمام خصم قوي ، فاضطروا الى أن يتمركزوا في معاقل حصينة تستطيع الصمود أمام قوات الدولة الطاهرية ، فاتجهت أنظارهم الى الأماكن الاستراتيجية مثل جبن التي أصبحت شوكة في جنبها وذلك لأنها قد أوت الثائرين من أفراد الأسرة الحاكمة ، ونتيجة لذلك فقد شعر السلطان بهذا الخطر الداهم ، فأخذ يعد العدة ، لتوجيه ضربة الى هذا الجيب الموجود داخل دولته ، فقام بحصاره في أول سنة ٨٩٥ هـ ، (٣٧) والتقى الطرفان في عدة معارك ، اشترك فيها خال السلطان عامر بن طاهر ، وكانت أهمها معركة النصة التي أسفرت عن هزيمة المعادين للظافر الثاني ، ومقتل عدد من أفراد قوة خاله ، كما خسر الأخير ثلاثين فرسا . (٣٨)

وبعد هذه المعركة لاذ الشيخ عبد الله ، والشيخ عبد الباقي بن محمد بن طاهر ، بالفرار الى مكان يعرف بالربيعيتين ، وقد وصف هذا المعقل بأنه من دخله فقد آمن على نفسه وماله (٣٩) ، أما جبن فقد شدد

---

(٣٧) بغية المستفيد ، ص ١٩٢ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٨٢ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٨٥ ب .

(٣٨) بغية المستفيد ، ص ١٩٢ ،

(٣٩) بغية المستفيد ، ص ١٩٢ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٨٤ ، والربيعيتين ، حصون كثيرة وهي جنوب شرقي جبن ، بمسافة تعني يوم ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٨٤ ، حاشية رقم ٣

السلطان حصاره عليها ، وقد واجه الشيخ عبد الله هذا الضغط الحصارى ، بأن شدد هجمات خاطفة من مأواه على أطراف عسكر السلطان لكى يخفف هذا الضغط الشديد على المدينة ، وقد تكررت هذه الهجمات أياما وكان نتيجة هذا التكتيك الحربى أن تمكنت قواته من قتل أحد قادة الجيش السلطانى ويدعى شداد بن محرم العنسى (٤٠).

وعندما علم السلطان بما حدث لقواته هنا ، رأى أن قواته تبقى عبثا فى هذا المكان ، طالما أن الشيخ عبد الله بن عامر يتبع مع قواته أسلوب الكر والفر ، لذا فقد كان لا بد من عمل حاسم ، فى مكان آخر ، فأمر السلطان بمهاجمة الربيعيتين من كل جانب ، وقد حققت القوات الحكومية المركزية نصرا كبيرا ، بحيث أنها استطاعت أن تهزم الشيخ عبد الله والشيخ عبد الباقى الذين لاذا بالفرار ، كما تمكنت من أسر الشيخ داود بن على بن تاج الدين بن طاهر ، وعلى حاكم الشوافى الذى يدعى محمد بن عباس ، وهو خال الشيخ عبد الله بن عامر (٤١).

وكانت هذه الهزيمة التى لحقت بالشيخ عبد الله ومن ناصره من بنى طاهر عاملا مهما فى استسلام أهالى مدينة جبن ، اذ طلبوا تأمينهم

---

(٤٠) بغية المستفيد ، ص ١٩٣ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٨٤ .

(٤١) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٨٥ أ - ٥٨٥ ب ، غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٦١٧ .

على حياتهم وأموالهم ، فوافقهم السلطان عامر على ما اشترطوه ، وتفـذ ما أملوا عليه ، واستثنى من هذا الاعفاء أم الشيخ يوسف بن عامـــر ، والتى كانت المحرضة على الفتنة ضده .(٤٢)

وهكذا فان السلطان تمكن بعد حصار ما يقرب من خمسة شهـور لجبن من أن ينتزع أهم معقل من معاقل ثوار بنى طاهر فى شهر جمادى الأولى من سنة ٨٩٥ هـ وأصبحت بقية الحصون التى بأيديهم سهلة المنال حيث استطاع أن يستولى على عدد منها فى شوال سنة ٨٩٦ هـ ، وأهمها حصن الظفر ، حصن شماد ، وحصن عقيان ، وهو مكان تواجد الشيخ محمد ابن عامر اذ استولى عليه فى شهر ذى الحجة سنة ٨٩٤ هـ ، ولم يبق فى أيدى خصومه الا حصنين هما : حصن الساقة ، وحصن المعافرى .(٤٣)

ويبدو أنه بعد هذه الهزيمة الساحقة التى لحقت بالشيخ عبد الله بن عامر ، وعبد الباقى بن محمد بن طاهر ، جعلت منهما شخصين منهوكى القوى ، بل ومشردين لا مكان لهما يستطيعان أن يأويا اليه ، وهما آمنان ، فلم يجد الشيخ عبد الباقى بن محمد بن طاهر بدا من مغادرة اليمن ، اذ

---

(٤٢) بغية المستفيد ، ص ١٩٣ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٨٤ ، بنو رسول ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠

(٤٣) بغية المستفيد ، ص ١٩٧ - ١٩٨ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٨٧ .

استقل سفينة حملته الى بوبرة من شاطىء الحبشة .(٤٤)

وقد تعقب السلطان عامر هذا الفار ، وكتب الى ابن سعد الدين المجاهد فى أن يلقى القبض عليه ، وقد استجاب هذا الحاكم لطلب السلطان ، وفعلا ألقى القبض عليه ، ثم أرسل الى ابن سعد الدين فى الثالث من رمضان سنة ٨٩٦ هـ ، حيث أقام معه مدة ، وقد شفع له ما أظهره من شجاعة فى القتال الذى دار بين الحاكم المسلم ، وحاكم الحبشة المسيحى ، فأطلق سراحه ، ونصحه بالعودة الى جزيرة العرب، وقد انصاع لهذه النصيحة ، وعاد واستقر فى يافع .(٤٥)

وأما الشيخ عبد الله بن عامر فقد ظل مختفيا الى أن تم القبض عليه - كما سيأتى -.

وهكذا أصبح السلطان عامر أكثر أمنا على ملكه عن ذى قبل ، وأصبحت شوكة المخالفين له من بنى طاهر عديمة الأثر ، اذ أنه سرعان ما ألقى القبض عليهم الواحد تلو الآخر ، ففى آخر ذى القعدة من سنة ٨٩٦ هـ قام الملك الظافر بمهاجمة حصن عميقان الذى كان يتحصن فيه الشيخ محمد ابن عامر فسقط هذا المعقل فى يد الملك الظافر ، ووقع منافس الأخير فى

---

(٤٤) بغية المستفيد ، ص ٢٠٠

(٤٥) بغية المستفيد ، ص ٢٠٠

الأسر وتم ارساله الى السجن فى رداع العرش حيث يوجد فيه اخوته .(٤٦)

أما الشيخ عبدالباقى بن محمد بن طاهر ،فان المصادر قد سكتت عنه تماما ،خاصة بعد رجوعه من الحبشة ، واستقراره بيافع ، ولم تورد سوى خبر القبض عليه ، مما يدلنا أن خطره قد اضمحل ، ولم يعد يشكل أى خطر على السلطان ، كما أن أهل يافع لم يستطيعوا أن يصمدوا أمام زحف السلطان على بلادهم ،بسبب تواجده بينهم ، أما كيفية القبض على الشيخ عبدالباقى ، فيبدو أنه حينما رأى ضغط القوات الطاهريه على حصون أهل يافع حاول الفرار الى أى مكان ، ولكنه لم يفلح ووقع فى أيدى قوات السلطان أسيرا وذلك فى جمادى الأولى سنة ٩٠٣ هـ .(٤٧) وبعد القبض على الشيخ المذكور ، لم يبق مايقض مضجع السلطان سوى فرار الشيخ عبدالله بن عامر ،واختفاءه داخل اليمن ، وطالما أنه فيها فخطره لا يزال قائما ، الا أنه من حسن حظ الملك الظافر ، أن مملوكا للشيخ عبدالله قد ألقى القبض عليه فى مدينة تعز ، وأقتيد المملوك الى السلطان ويبدو أنه تحت الضغط والترغيب كشف هذا العبد للسلطان عن خطة قد دبرت ضده ، بهدف قتله وتولية الشيخ عبد الله على سلطنة اليمن

---

(٤٦) بغية المستفيد ،ص ١٩٨ ، قرة العيون ، ق٢ ،ص ١٨٧ ، غاية الأمانى ،ق ٢ ، ص ٦١٨ - ٦١٩.

(٤٧) الفضل المزيد ،ص ١١٦ ،قرة العيون ،ق٢ ، ص ١٩٧ ، بافقيه ، تاريخ الشحر ، ورقه ٦٤ أ ،ابن حميد : سالم ، العدة المفيدة ، ورقه ٦٦م، قلادة النحر، جـ٢ ،ورقه ٥٩٣ ب.

بدلا منه (٤٨) ، كما كشف هذا المملوك أسماء من شاركوا في المؤامرة مع الشيخ عبد الله ، وعلى رأسهم الأمير محمد بن عبد الملك ، وشخص يدعى علـى الموتى ، وعمار ابن المملا شيخ المخلاف ، كما ضمت القائمة كثير ممـن حول السلطان ، وبعد الأدلاء بهذه المعلومات ، ألقى القبض عليهم جميعا (٤٩) ، ولم ينـج من هذه التهمة الا الفقيه محمد بن محمد النظـاري ، والأمير علي بن محمد البعداني (٥٠) ، وعبديه مرجان وفرحان ، وفقد السلطان ثقته في حاشيته بناء على هذه المعلومات التي سمعها ، وأصبح حـذرا أكثر مما كان .

والكشف عن هذه المؤامرة تدلنا على أن الشيخ عبد الله بن عامر ، قد غير من أسلوب المواجهة مع السلطان عامر ، فبما أنه لم يستطع مواجهته عسكريا اذا فليعمل في الخفاء ، ولم يجد من وسيلة سوى استقطاب الأمراء الكبار الذين هم في محل ثقته ، واستمالة زعماء القبائل والحاشية المحيطة به لتنفيذ مآربه في خصمه ، وهي بلاشك خطة محكمة تدل على اتقان وتخطيط منظم ، فيما لو قدر له النجاح ، ولكنه من سوء حظ الشيخ المذكور ، وقوع

---

(٤٨) الفضل المزيد ، ص ١٣٦ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٠٠

(٤٩) الفضل المزيد ، ص ١٣٦ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٠٠

(٥٠) الفضل المزيد ، ص ١٣٦

مملوكه المشار اليه آنفا وكشف هذه الخطة قبل تنفيذها .

أما الشيخ عبد الله بن عامر ، فانه سرعان ما ألقى القبض عليه ، بعد هذه الحادثة في قرية وادى مكسب قريبا من يفرس من أعمال الحجرية ، (٥١) حيث كان مختفيا هناك ، وقد تعرف عليه حداد من أهل حجاف ، فتتبعه حتى دخل أحد المنازل فترصد له قرب منزله ، وكان قد أرسل الى حاكم الحجرية يخبره بالمكان الذى يوجد فيه خصم السلطان عامر ، فأرسل أمير الحجريه قوة قبضت على الشيخ الفار في يوم الاثنين ١٠ شوال سنة ٩٠٥هـ (٥٢)

وعقب القبض عليه أرسل للسلطان عامر يخبره بذلك ، وعندما وصل نبأ القبض على الشيخ عبد الله بن عامر الى الملك الظافر أمر الأخير صاحب الحجرية بارساله اليه في تعز .

وقبل أن يدخلها بعث اليه السلطان عامر بما يحسن من هيئته من عمامة وقميص ورداء اضافة الى مركوب عبارة عن بغلة ، اذ أن الشيخ عبد الله حين القبض عليه كان يرتدى أطمارا بالية ، فلبس ما أرسل به السلطان اليه ، وبعد أن حسن من هيئته توجهوا به الى حيث ينتظره الظافر بدار الوعد اذ كان السلطان موجودا فيها ، وقد استقبل الملك الظافر الثاني خاله أحسن استقبال ، ثم تصافح الاثنان ، وسلم كل منهما على الآخر وأجلسه

---

(٥١) الفضل المزيد ، ص ١٣٧ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٠١

(٥٢) الفضل المزيد ، ص ١٣٧ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٠١ .

السلطان بجواره في الروشن (٥٣) ، ولكى يسرى السلطان عن خاله وازالة ما بنفسه من كدر ، اضافة الى ذلك اعلام الناس بصدق خبر القبض على خاله وحتى يتمكن أكثر عدد ممكن من مشاهدته وهو معه في الروشن .

وقد أمر السلطان عامر بأن يقيد خاله ويحفظ في أحد مقاصير دار القسطال (٥٤) فظل سجينا هنالك حتى يوم الاثنين الثامن عشر من ذى القعدة ، ثم نقله الى رداع العرش والتى ظل بها سجينا الى أن توفى في ١٧ شوال سنة ٩٠٧ هـ (٥٥) بمرض الحمى المطبقة ، وقد أحضر المتكفل به أعيان البلد ورؤساءها وأشهدهم على موته ، ثم دفن في مقبرة البلد هنا (٥٦) .

وبالقبض على الشيخ عبد الله بن عامر والذى كان أخطر شخصية يخشاها الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب شعر الأخير بفرحة غامرة لا تعد لها فرحة لأن في ذلك زوال آخر خطر كان يتوقعه من جانب منافسيه من بنى طاهر ، ولقد عبر السلطان عن فرحته هذه باهداء الكسوات العظيمة التى أعطاها للمبشرين بالقبض عليه ، كما أعفى القابضين

---

(٥٣) الفضل المزيد ، ص ١٢٧

(٥٤) الفضل المزيد ، ص ١٢٧ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٠١ ، قلادة النحر ، خ جـ ٣ ، ٥٩٠ أ .

(٥٥) الفضل المزيد ، ص ١٥٩ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٠٥ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ٥٩٥ أ

(٥٦) الفضل المزيد ، ص ١٥٩ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٠٥ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٥ أ

عليه من الخراج الذى كان يؤخذ عليهم من أراضيهم ، وأطلق لحاكم الحجرية بلاده سنة كاملة يتصرف فى ايراداتها المالية ، وزيادة فى الفرحة فان وزراءه وأمراءه كسوا المبشرين أيضا بكسوة تماثل تلك التى أهداها السلطان للقابضين على الشيخ عبد الله بن عامر .

ولقد عمت الأفراح فى جميع أقطار المملكة اليمنية ، وكثر الوافدون على السلطان عامر بن عبد الله للتهنئه له وأنشدت القصائد أمامه (بهذه المناسبة العظيمة) (٥٧) .

---

(٥٧) الفضل المزيد ، ص ١٣٨ .

تميزت القبائل اليمنية بكثرة ثوراتها على حكامها ، ولم تكن الدولة الطاهرية هى الدولة الوحيدة التى عانت من الاضطرابات الداخلية ، فقد عانت منها كذلك الدولة الرسولية طوال فترة حكمها .

ولكن هل هذه الثورات كانت من أجل نظم جائرة فرضت على هذه القبائل من جانب هذه الدول ؟ أم أن التركيب القبلى فى اليمن غير قابل للخضوع لأية سلطة ؟ فمتى شعرت أية قبيلة بأية فرصة سانحة للتعبير عن قوتها أظهرتها أمام الدولة ، واشتبكت معها فى قتال مرير حتى تستنفذ قواها ثم تعود مرة أخرى للسكينة ، وهكذا دواليك .

والدولة الطاهرية تميزت بكثرة الفتن والاضطرابات طوال عهدها ولقد عانى السلطان عامر بن عبد الوهاب من هذه القبائل ، كما عانت هى بدورها منه طوال فترة حكمه ، والتى استمرت ما يقارب من تسعة وعشرين عاما ، وكانت مصدر قلق مستمر للدولة ، فتارة فى تهامة وتارة ضد يافع ، وأخرى ضد الطوالق فى دثينة فما أن تخمد فتنة حتى تقوم غيرها فى مكان آخر .

ومن خلال الدراسة نلحظ أن ثورات القبائل كانت ذات أهداف متعددة تبعا لنشاط كل قبيلة وأهدافها المحددة لها ، وهى تختلف أيضا باختلاف مواقعها فى الأراضى اليمنية ، ويمكن أن تفسر ثورات قبائل يافع بأنها ثورات ذات أهداف سياسية ، ونتيجة لطموحاتهم هذه فانهم خاضوا حربا لا هوادة فيها ضد القوات الحكومية الطاهرية ، وناصرت بعض

الخارجين من البيت الطاهرى طمعا فى تحقيق مكاسب لها من جراء هذه المؤازرة للمخالفين من آل طاهر فيما اذا تحققت لهم أهدافهم .

وهناك قبائل تقطن على مقربة من الطرق التجارية ، وقد سال لعاب هذه القبائل بمرور القوافل التجارية عبر أراضيها ، فكانت تقطع الطرق عليهم للاستيلاء على ما بها من أموال ، مما حتم على السلطة الحاكمة أن تقف بحزم تجاهها حتى تؤمن هذه الطرق .

أما الصنف الثالث من القبائل فقد تعددت أسباب ثورتها وهذه الأخيرة تختلف عن تلك بحكم موقعها الجغرافى ، ولذلك تختلف عنها أيضا فى سبب خروجها على الدولة كما سنبينه فيما بعد :

جـ - ثورة قبائل يافع وموقفها من السلطان عامر :

تعتبر قبائل يافع من القبائل القوية التى ثأرت على السلطان عامر ابن عبد الوهاب ، وناصرت الثائرين عليه من آل طاهر ، ولكن ما هى أسباب ثورتهم اذا علمنا أن ثورتهم لم تذكر فى عهد الملك المنصور عبد الوهاب ؟

وللاجابة على هذا السؤال فلابد أن نرجع الى العلاقة القديمة بين الدولة الطاهرية وأهل يافع وبالذات القاطنين فى عدن من آل أحمد

وآل كلد فآل أحمد هم الذين اتفقوا مع الاخوين المجاهد على بن طاهر ، والظافر عامر بن طاهر على تسهيل مهمة دخولهما الى عدن ، اذ أن آل أحمد يرون أن لهم فضل فى قيام الدولة الطاهرية ، بينما موقف آل كلد بالنسبة لهم عدائيا منذ البداية ، وبالطبع فان أهل يافع لم يقتصروا على القبيلتين لكن يتأثر المجموع بتأثر الجزء اذا كانت هناك مصالح تتصل بالجميع اذا فآل أحمد يتوقعون امتيازات نتيجة لموقفهم الأول مع الاخوين ومن كل سلطان جديد يتربع على عرش السلطنة اذا أخذنا فى الاعتبار أن الملك المنصور عبد الوهاب بن داود حينما توفى عمه المجاهد بادر بالتوجه الى عدن قبل أن يعلم أهلها بموته ، ثم نشر خبر وفاة عمه ووزع الاعطيات والأموال لجنده ، كما يبدو أنها شملت أهل يافع ، لكن السلطان الجديد - عامر بن عبد الوهاب - اكتفى بارسال ابن عمه الأمير محمد بن عبد الملك والأمير البعدانى ، ولم ينهج نهج والده الملك المنصور ولعل هذا يفسر سبب ميل أهل يافع القاطنين فى عدن الى موالاة أخوال السلطان عامر بن عبد الوهاب ، ولربما يكون أيضا الكثرة منهم من آل أحمد بينما آل كلد فقد حانت فرصة الانتقام من الدولة الطاهرية ، وذلك بتشجيع فريق ضد آخر ، ويبدو أن هذا هو السبب الذى دفع بالسلطان الى أن يصدر أوامره لأمير عدن باخراج يافع منها حينما علم بمناصرتهم لاخواله وذلك فى شهر رجب سنة ٨٩٤ هـ ، وقد كانوا حوالى خمسمائة شخص منهم ، (٥٨)

---

(٥٨) بغية المستفيد ، ص ١٨٦ - ١٨٧ ، الحامد ، صالح بن على ، تاريخ حضرموت السياسى ، جـ ٢ ، ص ٥٧٤ ، بنو رسول ، ص ٢٩٠

ويظهر أن هذه الخطوة من جانب السلطان عامر بن عبد الوهاب أحدثت رد فعل عند قبائل يافع ، وقد زاد تصميمها على التمرد ضده ، ومن أجل أن تكون الثورة محكمة فقد لجأت الى عدة حصون أحدها الذى اشتهر بالمنعة والقوة وهو المسمى شمر جناح الواقع فى بيضا حصي ، ولكى لا تستشرى ثورتهم وتستفحل ثم تمتد الى مناطق أخرى فقد أسرع اليهم الملك الظافر آخر سنة ٨٩٧ هـ وفرض الحصار على هذا الحصن المتجمع فيه هؤلاء الثوار ظنا منه أن الثورة اقتصرت على هذا المكان ، غير أنه بلغ الى علمه بأن فريقا آخر من يافع يتمركزون فى حصن المعافرى بجحاف وأنهم يريدون الهجوم على قواته من أجل تخفيف الضغط على المحاصرين هنا الا أن قوات السلطان لم تعطهم الفرصة لتحقيق هدفهم ، اذ تجهزت قوة بقيادة الشيخ عبد الملك بن عبد الوهاب والفقيه محمد النظارى ، وباغتوهم بالهجوم على من كانوا خارج الحصن وتمكنوا من هزيمتهم ، كما قتلوا منهم ما يزيد على المائة وأسروا مثلهم (٥٩) ثم فرضت القوات الحكومية الحصار على حصن المعافرى ، وشدد الشيخ عبد الملك الحصار على من بداخله ، الا أنهم لم يستسلموا لهذا الحصار ، فآثر كل من الشيخ عبد الملك والفقيه النظارى أن يفاوضا أصحاب الحصن على التسليم مقابل دفع مال معين لهم كما ضمنا لهم على أن يخرجوا من الحصن

---

(٥٩) بغية المستفيد ، ص ٢٠١ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٨٩ ، قلادة النحر ، جـ٣ ، ورقه ٥٩٠ أ

سالمين ، ورأى من بداخله أن هذا العرض فى صالحهم يجب أن يستغلوه . فوافقوا عليه ، وسلموا الحصن للشيخ عبد الملك والفقيه النظارى فى يوم الأحد السابع عشر من ربيع الأول سنة ٨٩٨ هـ ، (٦٠)

أما المحاصرون فى شمر جناح فقد شدد السلطان عامر الحصار عليهم واستخدم المنجنيقات ضدهم ، وقد دخل الجند الطاهرى بالقـــوة الى داخل الحصن فى التاسع عشر من ربيع الأول سنة ٨٩٨ هـ وقتل ممن بداخله الكثير ، وعلى رأس القتلى قائدهم أبو بكر بن مزاحم ، بينما أسر أخوه محمد بن مزاحم ، وخربت مدينة بيضا حصى ، عقـــب هذه المعركة ، (٦١) وهكذا تمكن السلطان عامر من بعد ما يقرب مـــن أربعة أشهر فى حصار هذه المدينة وحصونها - ٢٠ الحجة - الأحــد ١٩ ربيع الآخر سنة ٨٩٨ هـ - من الاستيلاء عليها وبسط نفوذه فيها ، كما كان لاستيلاء القوات الطاهرية على حصن المعافرى بجحاف أثـــر كبير فى ضعف معنويات كثير من أهالى الحصون من أهل يافع مثـــل أهل حصن مغلحة وحصن الكلب - رداع الحرامل - وآثروا الاستســـلام للقوات الطاهرية ، وبهذا النصر الذى أحرزه السلطان عامر تمكن مـن وضع حد للاضطرابات والثورات فى هذه المناطق ، (٦٢) الا أن أهل يافـــع

---

(٦٠) قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٨٩ .

(٦١) بغية المستفيد ، ص ٢٠١ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٨٩ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٨٥ أ

(٦٢) بغية المستفيد ، ص ٢٠١ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٨٩ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٨٥ أ .

لم ينسوا ما وقع لهم من السلطان عامر بن عبد الوهاب ، وانما استكانوا له بسبب القوة التى ووجهوا بها ، ولذلك فانه ما أن لجأ اليهم الشيخ عبد الله بن عامر بن طاهر (٦٣) حتى قاموا بايوائه وربما أرادوا من ايوائهم اياه القيام بتمرد جديد تحت قيادة شخص من البيت الحاكم الطاهرى يستطيعون بواسطته أن يؤثروا على القبائل المجاورة فى الانضمام اليهم ، وقد تنبه السلطان لهذه التحركات مبكرا ، لذا فقد واجههم بحزم وسير اليهم حملة فى جمادى الأولى سنة ٩٠٣ هـ ، وكانت قوية بكثرة عددها وعدتها (٦٤) ، ووصلت القوات الى بلاد يافع فى السابع من جمادى الآخرة ، واشتبكت القوات الحكومية مع أهل يافع ، ولم يستطع الأخيرون الصمود أمام قوات الدولة الطاهرية وهزموا شر هزيمة (٦٥) ، وتفرقوا فى أماكن شتى ، وامعانا فى القضاء عليهم نهائيا فقد قسم جيشه الى عدة فرق احداها كانت تحت قيادته ، وفرقة بقيادة على النظارى توجهت الى حصن ثمر وهو الحصن الذى كان يأوى اليه الشيخ عبد الله بن عامر وعززت فرقة النظارى بفرقة أخرى يرأسها الفقيه محمد النظارى ، وتمكن القائدان من الاستيلاء على حصن "ثمر" وحصن حيظان الذى وجد

---

(٦٣) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٢ أ ، بافقيه : الطيب محمد بن عمر ، تاريخ الشحر ، ورقه ١٤ أ

(٦٤) الفضل المزيد ، ص ١١٤ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٩٧ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٢ أ ، غاية الامانى ، ق ٢ ، ص ٦٢٤ ، روح الروح ، ورقه ٥ أ

(٦٥) الفضل المزيد ، ص ١١٥ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٩٧ ، تاريخ الشحر ، ورقه ١٤ أ ، بن حميد : العدة المفيده ، ورقه ٦٦ ب .

بداخله خمسون من الرجال ونحو خمسمائة من الأطفال والنساء فألقوا القبض على المقاتلين ، أما البقية فاطلق سراحهم .

وبعد سقوط هذين الحصنين ، توافدت جموع أهل يافع طالبين من السلطان العفو عنهم ، فحقق لهم ذلك المطلب بأن منّ عليهم به ، (٦٦) وبهذا النصر الذى حققه السلطان على قبائل يافع يبدو أنه كان نصر حاسم حيث لم تشهد لم فتنة بعد ذلك خلال فترة حكم السلطان عامر ، مما يدلنا على أنهم قد استكانوا تماما ، ولم يعودوا يفكرون فى الثورة على الدولة مرة أخرى .

---

(٦٦) الفضل المزيد ،ص ١١٥ ، قرة العيون ،ق ٢ ،ص ١٩٧ .

د- السلطان عامر وأهل دثينة (٦٧) :

حرصت الدولة الطاهرية منذ بداية عهدها المحافظة على التجارة بحكم طبيعتهم التجارية ، ولحرصهم عليها وتشجيعهم للتجار ، فقد حرصوا على سلامة الطرق التجارية ، وتأمين التجار اللذين يجوبون الأراضي اليمنيه ، ولم تكن الدولة الطاهرية في عهد الظافر الثاني لتتهاون مع من يعكر صفو الأمن على هذه الطرق ، وقد امتهن أهل دثينة قطع الطريق على التجار حرفة وترتب من عملهم هذا أن تعرضت القوافل التجارية السالكة طريقهم الى الخطر ، فبادر السلطان عامر الى ارسال حملة في صفر سنة ٩٠٦ هـ بقيادة الأمير عمر بن مفتاح الجبني لتأديب هؤلاء العابثين ، وكان النصر حليف القائد الطاهري ضد من كان يعبث من الأهالي في هذه المنطقة ، كما تمكنت القوات الطاهرية من القبض على زعيمهم المسمى جواسي (٦٨) ، وأن يدخلوا به الى عدن ومعه

---

(٦٧) دثينة : بالفتح وكسر المثلثة وسكون التحتانية ثم نون مفتوحه ثم هاء ، صقع معروف باليمن بناحية أبين من الشمال وتهامة رداع الحرامل تحت الكور من الشرق وهي بلاد متسعة ،أبو مخرمة: النسبة الى المواضع والبلدان ، ورقه ١٦٠ ب - ١٦١ أ .المكتبة المحمودية بالمدينة رقم ٢٥٦٩ .

(٦٨) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٣ أ .

مائة أسير من قومه ، ورغم القبض على زعيمهم ، فان أهل دثينة عاودوا نشاطهم في نفس السنة ، ويبدو أن خطرهم قد استفحل مما جعل السلطان عامر يترأس حملة قوية للقضاء عليهم ، وقد لجأ الأهالي هنا الى الحصون خوفا من القوات الزاحفة عليهم ، وفرض الحصار عليهم ، وضربت حصونهم بالمنجنيقات ودام الحصار عليهم قرابة ثلاثة شهور ، كما قتل منهم الكثير ، واشتد بهم الضيق وعرفوا أنهم لا يستطيعون المقاومة ، فلجأوا الى طلب الصلح وتأمينهم فأعطاهم السلطان اياه ورفع الحصار عنهم ، (٧٠) ونتيجة لهذه الهزيمة فقد أمنت الطرقات ، الا أن هذا الهدوء لم يستمر طويلا اذ أن الأهالي عادوا الى حرفتهم القديمة والتي لربما أنهم يعيشون عليها ، فقد قطعوا الطريق سنة ٩٠٩ هـ ، ونتيجة لهذه الأعمال التخريبية التي قام بها هؤلاء فقد أرسلت اليهم حملة لتأديبهم ، فتمكنت من قتل عدد منهم . (٧١) ويبدو أن الطرق الحربية لم تجد نفعا في تأديب هؤلاء الذين اتخذوا قطع الطريق حرفة ومعيشة

---

(٦٩) الفضل المزيد ، ص ١٤٢ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٠٢ ، قلادة النحر ، ج ٣ ، ورقه ٥٩٣ أ

(٧٠) الفضل المزيد ، ص ١٤٦ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٠٢ ، قلادة النحر ، ج ٣ ، ورقه ٥٩٣ أ

(٧١) الفضل المزيد ، ص ١٧٢ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٠٦ ، قلادة النحر ، ج ٣ ، ورقه ٥٩٣ ب

لهم كما ذكرنا سالفا ، ولذا فقد اتجه السلطان الى الطرق السلمية بأن قرر مرتبا كبيرا لشيخ الطوالق وقدره مائتى دينار على أن يكف قومه عن قطع الطريق ، فالتزم الأخير بذلك ، وتبعا لهذه الاتفاقية فقد هدأت الأمور فى دثينة قرابة عشر سنوات ، بعدها أنهار الصلح حينما طلب شيخ الطوالق زيادة فى المرتب سنة ٩٢٠ هـ ، فرفض ناظر عدن هذا الطلب الا بعد موافقة السلطان عليه ، فجاء رد الأخير بالرفض لهذه الزيادة ، (٧٢) وكان لهذا الامتناع من زيادة مرتب شيخ الطوالق من قبل الدولة الطاهرية أثره فى معاودة نشاط أهل دثينة القديم ، فقاموا تحت قيادة شيخ الطوالق بنهب أعالى لحج وقد تصدى لهم والى هذه المدينة وسن الظافرى ـ الذى طاردهم لأخذ ما نهبوه من لحج ، الا أن محاولاته باءت بالفشل ، وذلك لأن الخيل والجنود قد تعبوا من هذه المطاردة ، والتى يبدو أن أهالى دثينة قد أسرعوا فى العودة الى أماكن نائية ، يستطيعون من خلالها الالتفاف على القوات الحكومية ، ونفذت خطتهم وتمكنوا من هزيمة العسكر وقتل قائدهم الأمير وسن الظافرى ، وقد خفف من ضغط أهالى دثينة على القوات الظاهرية الأمير مرجان بن بن عبد الله الظافرى والى عدن ، والذى تمكن من القبض على أحد

---

(٧٢) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٧ أ .

زعمائهم الذى يدعى حيدر بن مسعود الهيثمى (٧٣) ثم أرسله الى صنعاء حيث يتواجد بها السلطان عامر بن عبد الوهاب ، وبعد وصول الأسير الى صنعاء دبر حيلة للخلاص من الأسر ، وفعلا تمكن من الهروب والعودة الى بلاده بينما كان ابنه فى شبه سجن فى لحج فيما يبدو فأرسل اليه والده فى تدبير حيلة للخروج من لحج والعودة الى منطقتهم لوضع خطة جديدة لمحاربة القوات الطاهرية واخراجها من دثينة وتمكنا من ذلك (٧٤) .

وبعد انتصارهم لم تستطع الدولة أن ترسل الى منطقتهم قوات أخرى لتأديبهم ، وذلك لانشغالهم بالغزو البرتغالى والمملوكى الذى واجهوه فى هذه الفترة ، وبذلك فقد أغمضت الدولة الطاهرية عينها عن منطقة دثينة فى هذه الفترة الحرجة من تاريخها .

---

(٧٣) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٦ ب

(٧٤) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٦ ب ، تاريخ الشحر ، ورقه ٥٧ أ - ٥٧ ب .

مقتل ابن مخارش وفتح بيحـــان :

في يوم الثلاثاء الرابع من صفر سنة ٩٠٥ هـ وفي مخيم السلطان عامر بن عبد الوهاب بَرداع العرش اغتيل ابن علي بن محمد بن مخارش حاكم الجوف (٧٥)، وقد كان لمقتله أكبر الأثر في نفس السلطان الذى جعله مثابة تحد له في أقرب مكان يجلس فيه ، والسكوت عن مثل هذه الجريمة تشجيع لخصومه الى الوصول الى أية شخصية من حاشيته يراد قتلهـــا ، دون أي صعوبة وهذا ما جعله يشدد في التقصي والبحث عن القاتـل في أسرع وقت وقد تبين من خلال المتابعة أن القاتل كان من بني عبد (٧٦)، ويبدو أن قتله كان بممالأة جمع من قومه ، وهذا يفسره لجوء بني عبد الـى أحد اليهود في بيحان ، والمتزعم لطائفة من أناس مختلفين بين مسلمين ويهود هدفهم التمرد على السلطان عامر ، وحينما علم الأخير بلجـــوء بني عبد الى ذلك اليهودى تجهز في أواخر صفر سنة ٩٠٥ هـ لغزوهـم ، وكان هدف الحملة مزدوجا ، أولها القبض على يهودى بيحان ومعاقبتـه

---

(٧٥) الفضل المزيد ، ص ١٣١ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٩٩ ، قلادة النحر ، ج ٣ ، ورقه ٥٩٣ ب ، روح الروح ، ورقه ٥ ب ، السناء الباهر ، ورقه ٢٠ أ

(٧٦) الفضل المزيد ، ص ١٣١ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٩٩ ، قلادة النحر ، ج ٣ ، ورقه ٥٩٢ ب ، روح الروح ، ورقه ٥ ب ، السناء الباهر ، ورقه ٢٠ أ ، اللطائف السنية ورقه ٥٥ ب ، جامع المتون ، ٦٢ أ

على طعنه في الاسلام وتشجيعه لليهود الذين أسلموا بالتهود مرة أخرى (٧٧) وفي نفس الوقت معاقبة بني عبد لانضمامهم اليه ولقتلهم ابن مخارش .

وبادىء الأمر تظاهر السلطان عامر بأنه خرج للصيد ، وفعلا كان يفعل ذلك في أثناء توجهه الى بيحان ، وقد سبقه جمع من الأمراء ومقدمي الجنود الى هذه المنطقة ، فلما شعر اليهودي بقدومهم خرج منها الى منطقة غير سكنية وبينما هو هنا أخذت القوات السلطانية تداهمه وأحاطت به من كل جانب وألقي القبض عليه وقيد أسيرا هو وأسرته كما غنمت القوات الحكومية جميع ما معه من أموال وسلاح ، وتمكنت هذه القوات من أسر بني عبد ومن بينهم قاتل ابن مخارش (٧٨) وبذلك تمكن السلطان من تحقيق هدفه المزدوج ، وفرض سيطرته على بيحان سيطرة مباشرة .

---

(٧٧) الفضل المزيد ، ص ١٣١ ، قرة العيون، ق ٢، ص ١٩٩ ، قلادة النحر جـ٣ ورقه ٥٩٢ ب ، روح الروح، ورقه ٥ ب ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٢٥ .

(٧٨) الفضل المزيد ، ص ١٣١ - ١٣٢ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٩٩-٢٠٠ قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٢ ب ، روح الروح ، ورقه ٥ ب-٦أ السناء الباهر ، ورقه ٢٠ أ ، اللطائف السنية ، ورقه ٥٥ ب ، جامع المتون ، ورقه ٦٢ أ .

فتنة شيخ دار الضرب بزبيد :

تعتبر فتنة أحمد بن محمد المقرطسي شيخ دار الضرب بزبيد امتدادا لفتنة أخوال السلطان عامر ، اذ نجده يتآمر في زبيد مع طائفة من الجند على قتل حاكمها من قبل الظافر - الأمير محمد بن عيسى البعداني - والذى يعتبر زوجا لأخت المقرطس[79] ، وقد استغل الأخير هذه القرابة لتنفيذ مآربه ، لأنه لا يمنع من الدخول عليه في أي وقت شاء ، وفي يوم الاثنين الثاني عشر من شوال سنة ٨٩٤ هـ أقدم المتآمر على الدخول على الأمير البعداني الذى كان جالسا في دار الامارة ، وقد كان في صحبته عبده فقط ، بينما اصطحب المقرطس اثنان معه من أعوانه لتنفيذ الجريمة ، وقد ظن أنه سينفذها بسلام عندما أشار الى الرجلين بقتل الحاكم[80] ، وحاول الأخير اثناء عزمه غير أنه أصر على ذلك ، وهنا لم ير الأمير بدا من المقاومة الفعلية فأمر عبده بالعمل الذى تمكن بسرعة من ضرب خصمه بالسيف قطع فيها عضد المقرطس، وقد تمكن البعداني من الهرب ، وبينما هو كذلك اذ أخذ ينشر

---

(٧٩) بغية المستفيد ، ص ١٨٩ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٨٢ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٨٣ أ .

(٨٠) بغية المستفيد ، ص ١٨٩ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٨٢ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٨٣ ب.

النقود الذهبية ليشغل من أتى لتعضيد المقرطس (٨١) ، وقد نجحت هذه الخطة واستطاع بها أن يثنيهم عن المواصلة فى تعقبه ، وقد تمكن الأمير من الصعود الى سطح القصر ، ومن هنا أخذ يستغيث بجنوده المرابطين خارج القصر ، وعندما سمعوا منه هذا النداء أسرعوا اليه مهرولين ، وبوصولهم سلم من خطر محقق كان يحيط به (٨٢) .

أما المقرطس فانه تمكن من الفرار من قصر الأمير ولجأ الى دار الضرب ولم يطل به المقام هنا الا الى منتصف ذلك اليوم الذى تآمر فيه على قتل الحاكم خوفا من القاء القبض عليه فى هذا المكان علما بأن قوات الدولة أخذت تبحث عنه فى كل مكان فخرج خائفا ليستجير بأحدى ترب المشائخ الصوفية ليأمن على نفسه ، وبينما هو متجه اليها لقيه أحد العاملين فى الديوان السلطانى وعندما عرفه ضربه بعود على رأسه ، ويبدو أن الضربة كانت قوية بحيث ألقته على الأرض الا أنها لم تكن مميتة ، ولذا فقد أجهز عليه تماما أحد المماليك المارين بهذا الطريق ،

---

(٨١) بغية المستفيد ، ص ١٩٠ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٨٣ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٨٣ ب .

(٨٢) بغية المستفيد ، ص ١٩٠ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٨٣ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٨٣ ب

ثم جرد من ثيابه وظل ملقى على الأرض فترة الى أن أمر حاكم زبيـــد
بأن يحمل الى بيته لاكمال مراسيم دفنه ، وبعد الانتهاء منها صلــى
(٨٣)
عليه جمع قليل من الناس ودفن من يومه ، وبموته انتهت فتنة كـادت
أن تؤدى بحاكم البلد وربما ترتب على ذلك اخراج هذه المدينـــة
من سلطة الدولة الطاهرية ، ويبدو أن الأمير البعدانى قد شـــك
فى أن لحرسه ضلع فى هذه المؤامرة التى دبرها صهره ، ولـــذا
فانه لم يأمنهم على حراسته ، واستبدلهم باستئجار حراس من أصـــاب
واستمروا على ذلك الى أن أرسل له السلطان عامر جندا من قبله لتولى
مهام الحراسة والذين كانت قبضتهم قوية على داخل المدينة فلم يثربها
ثائر جديد بعد فتنة المقرطس.

---

(٨٣) بغية المستفيد ،ص١٩٠ ،قرة العيون ،ق٢ ، ص ١٨٣ ،
قلادة النحر ،جـ ٣ ، ورقه ٥٨٣ ب

(٨٤) بغية المستفيد ،ص١٩٠ - ١٩١ ،قرة العيون ،ق ٢ ،ص ١٨٣ ،
قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٨٣ ب .

الباب الأول

الفصل الثاني

قبائل تهامة وقضاؤه على ثوراتها

أ - ثورات المعازبه

ب - ثورات الزيديين

جـ - ثورات الزعليين

د - الكعبيون وثوراتهم

هـ - فتنة الخواص

و - تمرد بني الشكاعي

ز - ثورات قبائل الجهات الشامية

ح - تمرد المخارشة

ط - أهل أصاب

دأبت الدولة الطاهرية على فرض خراج معين تقبضه من القبائل القاطنة في تهامة والتي تقع مناطقهم جنوب مدينة زبيد ثم تمتد الى شمالها الى أن تصل الى حدود امارة آل دريب بجازان وتحديدا الى منطقة حرض حيث تتوقف الحدود الشمالية للدولة الطاهرية ، واذا كانت المصادر لم تشر الى نوع الخراج بوضوح تام فانها أشارت الى العنصر الهام منه وهو جباية الخيل منهم والتي يبدو أنها كانت من كرام الأموال لدى هذه القبائل ، ويبدو أن المستوفين أو الظامنين من رجال الدولة كانوا يشتطون في معاملتهم ويتجاوزون الحدود المعقولة في تقدير الخراج مما كان يسبب لهذه القبائل الكثير من الخسائر في الأموال التي تعبوا في جمعها ،فتعبر عن استيائها بالتمرد على الدولة ، وبالتالي تسير الحملات من جانب السلطة لتأديبهم . هذا مع ملاحظة أن معظم هذه القبائل التي تسكن في الحدود المشار اليها آنفا ليست ذات بداوة أو بمعنى آخر ليست قبائل رعوية لا تستقر بمكان ، بل ان معظمها قبائل مستقرة في أماكن محددة تعمل بالزراعة وترعى ماشيتها قريبا من أماكن تواجدها ،وليكن في الحسبان أنها ستدرك مدى الخسائر التي سوف تلحق بهم سواء في الأرواح أو الأموال لأن الدولة الطاهرية كانت تلجأ في بعض الأحيان الى مصادرة الممتلكات العائدة لهؤلاء الثائرين ،اذاً فما الذي يجعلهم يثورون الا أسباب قهرية وفي معظم الأحيان .

أ ـ ثورات المعازبة (١)

تعتبر قبائل المعازبة من أشد قبائل تهامة وأكثرها ثورات على الدولة الظاهرية على العموم وعهد السلطان عامر بن عبد الوهاب على الخصوص ، وقد أثر عن المعازبة في الدولة الرسولية قول أحد مشايخهم :
" مرنوا هذا السلطان على الخلاف حتى يتوطأ لكم جنابه " (٢) فهل هذه حكمة أثرت عندهم من قديم وتطبق كلما سنحت فرصة مواتيه ضد الدولة أم هو الشعور بالقهر فرض عليهم الخروج الدائم على السلطة !

والمستقرىء للنصوص يلحظ وبكل وضوح أن هذه القبيلة وغيرها وكان ينتابها الشعور بالظلم العظيم من جانب الدولة الظاهرية لكثرة ما تجبيه منهم وكما أشرنا في طليعة ما تجبيه هي الخيول والتي يبدو أنها كانت بكميات كبيرة في اليمن أنذاك ، وربما كان يتولد شعور لدى السلطات الحاكمة المتعاقبة ومن ضمنها الدولة الظاهرية أن بقاء هذه الخيول في حوزة رجال القبائل أكبر عامل لتشجيعهم على الثورة ضدهم وضد أمن بلادهم من قطع الطرقات واخافة السبل كمظهر من مظاهر الانتقام من الدولة .

---

(١) المعازبه : من قبائل اليمن وهي من القبائل التي تؤلف قبيلة الأشاعر وساكنهافي المنطقة الممتدة ما بين البحر غربا وحزاز الجبال شرقا وبيت الفقيه شمالا . عمارة اليمني : نجم الدين عمارة بن علي ، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ، ص ٤٤ ، ط ٢ ، القاهرة ١٣٩٦ هـ

(٢) المقرىء : اسماعيل بن أبي بكر : عنوان الشرف الوافي في علم الفقيه والعروض والتاريخ والنحو والقوافي ، ص ١٧٣ ، الطبعة الرابعه ، مكان الطبع بدون سنة ١٤٠٠ هـ.

اضافة الى ذلك أن السلطان عامر بن عبد الوهاب لجأ الى أسلوب آخر وهو أسلوب اتخاذ الرهائن من القبيلة حتى يضمن ولائها وذلك بأن تودع أسر مشائخهم لدى الدولة ، وبذلك ترى أنها تحد من عدم خضوعهم وهكذا تبقى العلاقة بين السلطة وبين القبائل في شد وجذب تقوم القبيلة بالثورة وتسير الدولة اليها الحملات لقمعها .

وقبيلة المعازبة في طليعة هذه القبائل ، فقد استغلت فرصة انشغال السلطان عامر بحروبه ضد مخالفيه من أخواله ولذا فقد لجأت الى قطع الطرقات وأخذ الأموال ونهب القرى ، ولكي يضع حدا لهذه الأعمال التخريبيه أرسل الملك الظافر الثاني الشيخ محمد بن عبد الملك الى زبيد ليتولى مهمة القضاء على هذه الفتن التي انتشرت حول المدينة فوصل اليها في يوم الجمعة الثالث من شعبان سنة ٨٩٥ هـ ، (٣) ولم يطل به المقام هنا وخرج منها الى بيت الفقيه ووصلت أخبار تقدم الشيخ عبد الملك الى مسامع المعازبه ولذا فقد اضطروا الى الخروج من قرية الكدخة ولجأوا الى الحازة والتي يبدو أنها مكان حصين ، وانتهز الشيخ محمد ابن عبد الملك فرصة التجائهم الى المكان السابق وفرض حصاره على قريتهم الكدخه كي يؤثر على نفسيات مقاتيلهم واجبارهم على الاستسلام للدولة

---

(٣) بغية المستفيد ، ص ١٩٤ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٨٥ ، بنو رسول ، ص ٢٩٨ .

في أسرع وقت خوفا على أهليهم وذويهم ، وحاول المقاتلون من المعازبة صرف أنظار الحملة عن القرية المذكورة ، وذلك بالاغارة على القـــــرى المنتشرة حول زبيد لكي يجبر الأمير على رفع الحصار عن القرية ويحـــاول اللحاق بهم ، الا أن محاولاتهم هذه التي قاموا بها باءت بالفشل ، وذلك أنه زاد من ضغطه على قريتهم مما أجبرهم على التسليم وأداء الطاعه ، وقد فرض عليهم القائد الطاهرى اتاوة مقابل أعمالهم السابقه وهي عبارة عن تسعين راسا من الخيل ثم رفع حصاره عنهم (٤) ، وتوجه الى بعض المناطـق لأخذ الخراج منها ، وبعد أن اطمأن الى ما قام به من عمل رجع الـــى زبيد في شوال من نفس السنة .

ويبدو أن هناك اتفاق بين هذا الأمير وقبيلة المعازبة لم ينفذ مـن قبل الأخيرين ، ولم تذكر المصادر ما تم بينهم في هذا الاتفاق لذا فقـد عاود هذا الأمير الهجوم مرة أخرى على هذه القبيلة الشرسة الطبـــاع ، وقد أتاهم صباحا ليأخذهم على غرة فهاجمهم ، ونتيجة لذلك فقد تمكن من قتل أربعين واحدا من رجالهم ، ولكي يخيف البقيه من هؤلاء المحاربين فقد اجتز رؤوس عشرين واحدا من القتلى ، وبعد نجاح مهمته عـــاد الى زبيد (٥) وبالرغم مما حصل بهم من خسائر في الأرواح والأموال فـــان

---

(٤) بغية المستفيد ،ص ١٩٤ ،قرة العيون ،ق ٢ ،ص ١٨٥ ، بنو رسول ،ص ٢٩٨

(٥) بغية المستفيد ،ص ١٩٤ - ١٩٥ ،قرة العيون ،ق٢ ،ص ١٨٥ ، قلادة النحر ،جـ ٣ ،ورقه ٨٤ ٥أ .

المعازبة لم يستكينوا تماما وبمجرد عودة القوات الطاهرية من أماكنهم عاودوا نشاطهم من جديد ، وقد أغضب تصرفهم هذا السلطان عامر بن عبد الوهاب الذى اضطر أن يقوم بترأس حملة لمهاجمتهم ومعاقبتهم وقد تم ذلك في صفر سنة ٨٩٦ هـ ونتيجة لعمله هذا فقد تمكن من قتل عدد منهم ،كما أحرق قراهم وعاملهم بقسوة بالغة لكى يثبط من عزائمهم ليلزموا الطاعة قهراً ، وبعد أن تم له ما أراد عاد الى زبيد ثم توجه الى تعز في جمادى الأولى من نفس السنة .(٦)

وقبل أن يعود من هذه المنطقة أقام الأمير عبد الباقى بن مكرد العجيلى حاكما على زبيد وأسند اليه مهمة مراقبة تصرفات قبيلة المعازبة والقضاء على ما يقومون به من ثورات جديدة مما جعله يشن عليهم غارات متكررة وقد كان أهمها في السادس من شعبان سنة ٨٩٦ هـ وعند بداية هذه المعركة استطاعت قوات الحكومة أن تنتصر عليهم وتقتل بعضهم الا أن هذه الهزيمة كانت مدبرة فيما يبدو ، ففروا من المعركة تاركين خمسين قتيلا منهم ، ولذا فقد انشغل الجنود الطاهريون بالنهب والسلب داخل القرى ، وبينما هم على ذلك اذ ظهر أفراد قبيلة المعازبة وشددوا هجومهم على القوات الحكومية وعلى رأسهم الأمير فأوقعوا بهم ونتجت الهزيمة عن

---

(٦) بغية المستفيد ، ص ١٩٦ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٨٥ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقة ٨٤٥ ب .

الأمير عبد الباقي ونحوا من ستين من جنوده ، وعندما رأت القـــوات الطاهرية الباقية ما حل بأميرهم عادوا أدراجهم الى مدينة زبيد (٧) ، وعندما سمع السلطان عامر بمقتل واليه على زبيد أرسل نائبا عنه أخاه الشيخ عبد الملك بن عبد الوهاب لتهدئة الوضع في المدينة ، وقد اتخذ هذه الاجراءات لانشغاله بحرب أخواله ذلك الوقت فدخل المدينة القائـد الطاهرى في رمضان سنة ٨٩٦ هـ ، وبعد أن استقر هنا أرسل حملة الى قبيلة المعازبة تحت قيادة الأمير عمر الجبـنى (٨) ، ويبدو أن الأخير قد فشل في مهمته مما اضطر أن يقدم بنفسه الى زبيد لوضع حد لتمرد المعازبه ، فوصل اليها في منتصف رجب سنة ٨٩٧ هـ ثم اتجه الى بيت الفقيه في ١٨ رجب تمهيدا للوصول الى حيث يتجهـون ، ومنها الـى مكان شرق قرية الكدخه والتى اتخذها مركزا لهجومه على المعازبـــه (٩) ، وعندما سمع الأخيرون بوصوله الى هنا لاذوا بالفرار الى مكـــان

---

(٧) بغية المستفيد ،ص ١٩٦ - ١٩٧ ،قرة العيون ،ق ٢ ،ص ١٨٦ ، قلادة النحر ،جـ ٣ ، ورقه ٥٨٤ ب ، غاية الأماني ،ق ٢ ،ص ٦١٨ .

(٨) قرة العيون ،ق ٢ ،ص ١٨٧ .

(٩) بغية المستفيد ،ص ٢٠٠ ، قرة العيون ،ق ٢ ،ص ١٨٨ .

يسمى الهيجة في شرق وادي رمع (١٠) وهنا ضرب عليهم السلطان الحصار الذي دام طويلا حتى كادوا أن يهلكوا من الجوع والعطش ، ولاستمراره عليهم فقد أصبحوا في حالة سيئة لانقطاع الامدادات عنهم ، وأصبحوا في مأزق شديد ، وقد فكروا في الوسائل التي تمكنهم من الخروج بسلام فلم يجدوا حلا لذلك إلا طلب الأمان من السلطان والاعتذار اليه ليصفح عنهم فقالوا له كما تقول الرواية : " يا مولانا السلطان عد أنا كنا كفارا فأسلمنا على يديك " ، وبعد أن سمع كلامهم هذا رقت نفسه لهم ، ونتيجة لذلك أنه عفى عنهم ، ويبدو أنه عاملهم معاملة انسانية بعد أن رأى مظاهر البؤس باديا عليهم من جراء الحصار ، وقد أتبع عمله هذا بأن أمر لهم بما يقتاتونه به من طعام .

وبعد أن تأكد من خضوعهم هذا استولى على جميع ما معهم من الخيل وهي تقارب الأربعين رأسا ، وهذا الاجراء مما لا شك فيه أنه

---

(١٠) قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٨٨ ، والهيجة : " هي الغابة ذات الأشجار الكثيرة المدوحه وذات الشوك الملتفة والملتويه بعضها على بعض كأنها الحلقة المفرغة لا يرى فيها الا من أخصاص وخلال كحدق العين أو أكبر منها ويسمى اليوم هذا الموضع ـ القصره ـ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٨٨ ، حاشية رقم (١)

يخشى ان بقيت فى أيديهم يعودون الى الثورة والتمرد مرة أخرى ، ثم عاد الى زبيد فدخلها فى يوم الجمعة السادس والعشرين من شعبان سنة ٨٩٧ (١١) .

وبالرغم من هذه الحملات المتكررة عليهم وما لحق بهم من خسائر فى الأرواح والمادة فانهم لم يستسلموا ولم يهدأ لهم بال بالرغم من هذه النوازل التى نزلت بهم من كثرة حملات الدولة عليهم ، ولشدة تعنتهم وكثرة منازلتهم لقوات السلطان ،استدعى الأمر أن يأتى بنفسه مرة أخرى ليحسم الموقف المتأزم مع هؤلاء الثوار وكان ذلك فى ربيع الأول سنة ٨٩٩ هـ ولم يدخل زبيد المركز الرئيسى للدولة فى هذه المنطقة، وانما اتجه مباشرة الى قرية التريبة لينازلهم بنفسه ومما يدل على أهمية الأمر فقد اصطحب معه جمع من الأمراء ومشايخ بنى طاهر ، ويبدو أن السلطان كان فى غضب شديد على الثوار بحيث أنه لم يترك لهم الفرصة ليتجمعوا أو يقووا من أمرهم لذا فقد جعل همه الانتقام منهم فصبحهم يوم الجمعة الثالث من ربيع الأول وقد كان هجومه مباغتا استطاع من خلاله أن يقتل عددا منهم ويستولى على ما بأيديهم من المواشى والأموال الأخرى (١٢) ، وبعد أن نجح هجومه هذا عاد الى مدينة زبيد اليوم الثانى

---

(١١) بغية المستفيد ،ص٢٠٠ ، غاية الأمانى ،ق ٢ ،ص ٦١٩ .

(١٢) بغية المستفيد ،ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ،قرة العيون ، ق ٢ ،ص ١٩٠ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٨٥ أ ،غاية الأمانى ،ق٢ ،ص٦٢٠

للمعركة وترك أمر مراقبتهم للشريف عبد الله بن سفيان الذى استطاع أن يقوم بحملة ضد هم وتمكنت قواته أن تهزمهم وفى يوم الاثنين ٢٩ رجب سنة ٨٩٩هـ احتزت رؤوس عشرة من هؤلاء الثوار ود خلت القوات الحكومية الى مدينة زبيد (١٣) لعرضها أمام الناس لتكون عبرة لمن تسول له نفسه منهم الخروج مرة أخرى على الدولة .

ويظهر أن هدوءًا نسبيا قد خيم على منطقتهم لربما للضربات المتلاحقة عليهم من قبل قوات الدولة الطاهرية لكن الأمور لم تستمر على هذه الحالة لذنب حصل منهم ونقض كما يقول المصدر (١٤) ، لذا فقد بادر الأمير على بن شجاع العنسى فى أوائل القعدة سنة ٨٩٩ هـ بمهاجمتهم ، وتمركز فى قرية المدوة من وادى رمع ، ومن هنا كانت الانطلاقه ضد تحصينات المعازبة فى قراهم ، كما أن الشريف عبد الله بن سفيان قد دعم هجوم العنسى بقوات أتت من بيت الفقيه بن عجيل (١٥) ، وبهذه الطريقة التى اتبعتها قوات الدولة فقد أصبح المعازبه بين فكي الرحى ، ويبدو أن أحد المصلحين فى المنطقة قد لعب دورا فى اصلاح ذات البين ،فاتفقوا على وقف القتال خوفا من المزيد من ازهاق للنفوس وتم الصلح بين القوتين المتحاربه ،ولذلك

---

(١٣) بغية المستفيد ،ص ٢٠٥

(١٤) بغية المستفيد ،ص ٢١٠

(١٥) بغية المستفيد ،ص ٢١٠

فقد ارتفعت قوات الحكومة من مناطقهم ليتجهوا الى أماكن أخرى لجمع الخراج المستحق على الأهالي فيها [(١٦)] غير أن هذا الصلح لم يدم طويلا ففي ربيع الآخر سنة ٩٠١ هـ قام الأمير على بن شجاع العنسي بغزو المعازبة ، وكانت الدائرة على الأخيرين الذين فقدوا زعيمهم الذى يدعى الجبرتي المعزبي وذلك عندما تمكن أحد جنود قوات الحكومة من قتله ، ولكي يكون ردعا لغيره من المغامرين فقد حز رأسه وأخذته قوات الدولة لعرضه في زبيد [(١٧)] .

وهكذا نرى أن المعازبة لا يكادون يخضعون قليلا للدولة حتى تعود ثورتهم من جديد ، وما أن تعود حملة حتى تتجهز أخرى لغزوهم ، وتأخذ من أموالهم وما تجده ، في قراهم فيطلب المعازبة الصلح ، فتجيب الدولة طلبهم وسرعان ما ينقض اما لسبب انتقام المعازبه من الدولة لما حل بهم ، أو لامتناع عن دفع الخراج المقرر عليهم .

كما حد مقتل شيخ المعازبة من نشاطهم في التمرد فترة قصيرة ، ثم عادوا الى الثورة من جديد في أول شعبان سنة ٩٠٣ هـ وتوجه الأمير على بن عمر العنسي لغزوهم ، واستطاع أن يهزمهم ويقتل منهم

---

(١٦) بغية المستفيد ، ص ٢١٠

(١٧) الفضل المزيد ، ص ٩٣ - ٩٤ .

عدة أشخاص كما أسر منهم نحوا من ثمانية عشر شخصا ، وكان من بين الأسرى أحد المقاتلين للأمير عبد القادر بن مكرد العجيلى ، ودخل بهؤلاء الأسرى الى زبيد . (١٨)

ولقد هدأت الأمور نسبيا بعد هذه الغزوة بين الدولة الطاهريه والمعازبه لأن السلطان عامر بن عبد الوهاب كان يعد عدته للتوسع فى المناطق الزيدية وربما أنه أبدى شيئا من اللين تجاه قبائل تهامة ومن بينهم المعازبة وذلك حتى يستعين بهم لفتح أهم معقل من معاقل الزيدية وهى صنعاء ، وقبل أن يتقدم لفتحها بقليل توافدت اليه قبائل تهامة من صميين والواعظات والمعازبة وغيرهم ، فأجزل السلطان الأعطيات لهم ثم رجعوا الى مناطقهم شاكرين له صنيعه . (١٩)

وقد نفذ السلطان عامر ما دبره من الهجوم على صنعاء غير أن الأمور أتت عكسية لما كان يرومه ، فلحقت به الهزيمة أمام أسوارها سنة ٩٠٧هـ ونتيجة لذلك فقد اغتنمت الفرصة قبيلة المعازبة ونكثت بالدولة من جديد وذلك باثارة المتاعب وبقيامهم بقطع الطرق فى شهر شعبان سنة ٩٠٨ هـ ونهبوا كثيرا من الخيول ، غير أنهم كانوا يقدرون ما سيلحق بهم من عقاب بعد تجمع قوات الجيش الطاهرى ومجيئه اليهم ، عندها ردوا جميع ما أخذوه بعد

---

(١٨) الفضل المزيد ، ص ١١٧

(١٩) الفضل المزيد ، ص ١٥٤

(٢٠)
أن طلبوا العفو من الملك الظافر فعفا عنهم ، وربما كانت هذه الخطوة من جانبهم لعلمهم أنهم لا يستطيعون مواجهة أى حملة تسير اليهم ، فآثروا أن يظهروا الندم على ما فعلوه حتى تحين فرصة مناسبة لممارسة عبثهم فى قطع الطريق ، وقد أتت هذه فى شهر صفر سنة ٩٠٩ هـ ، وقد توالت أنباء تمردهم الى مقر الحاكم الطاهرى فى زبيد ريحان الظافرى، فهب من توه على رأس قوة من الجند وتوجه بهم نحوهم لمعاقبتهم ، فلما علموا به فروا الى الأودية والشعاب الوعرة خوفا من العقاب ، وعندما وصل الأمير مرجان الى منازلهم وجدها خاوية فأمر بنهبها ونهب دوابهم أيضا ، كما تمكن بعد عدة أيام من القبض على عدة نفر منهم ، وجرت محاولة للصلح بينهم وبين الأمير الطاهرى الذى لجأ الى أسلوب جديد وهو أخذ الرهائن منهم حتى يضمن عدم خروجهم على الدولة من جديد (٢١)، فوافقوا على ذلك الشرط وسلموه بعض الرهائن الذين توجه بهم معه الى زبيد فى السادس والعشرين من صفر من نفس السنة (٢٢) ويبدو أن أسلوب الرهائن كان سلاح فعال مع المعازبة بحيث أنه لم يعد يذكر خلاف لهم بعد

---

(٢٠) الفضل المزيد ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .

(٢١) الفضل المزيد ، ص ١٧٢ .

(٢٢) الفضل المزيد ، ص ١٧٢ .

هذه الموقعة ، مما يدل على أنهم قد خضعوا تماما للسلطة الطاهرية ، ولم يكن في مقدورهم أن يثوروا على الدولة او الخروج عن طاعتها وكان لعنف ردة الفعل من جانب الدولة أيضا اثره الكبير في الحد من تمردهم هذا اذا استثنينا ما قام به الفقيه عبد الكريم بن أحمد بن بن علوان عندما قام بالقبض على أربعة عشر من زعماء المعازبة في منتصف شهر ذى الحجة سنة ٩١٨ هـ وأرسل بهم الى السلطان عامر في زبيد ، ويبدو أن القبض عليهم كان ظلما من جانب الفقيه المذكور مما جعل الملك الظافر يأمر بفك قيودهم ، كما أمر بأن يلقى القبض على الفقيه عبد الكريم واد خاله مترسما مقيدا الى زبيد (٢٣) ، ولعل هذا الاجراء من جانب السلطان هو استرضاء لزعماء المعازبة وتطييبا لأنفسهم ، بل وحتى يأمن شرهم من القيام بالفتن بعد أن خمدت .

---

(٢٣) الفضل المزيد ،ص٢٦٠ ، قرة العيون ،ق ٢ ،ص ٢١٦.

ب - ثورات الزيديين - بنو حفيص -

كانت لحملات الملك المنصور عبد الوهاب بن داود ضد الزيديين أثره الكبير فى اضعاف شوكتهم ، وخاصة بعد القبض على زعيمهم أحمد ابن أبى الغيث هو وأولاده سنة ٨٧٩ هـ (٢٤) ، حيث هدأت أمورهم ولم تعد تسمع لهم ثورات كبيرة ، ثم ان السلطان عامر قبل أن يخلف والده فى حكم اليمن قام باطلاق مشائخ بنى حفيص فى محرم سنة ٨٩٤ هـ ومنهم أولا أحمد بن أبى الغيث وكساهم وأنعم عليهم ، وأعطاهم خيلا بعد أن استوثق منهم بالايمان بعدم الخلف على الدولة ، وزيادة فى الحيطة فانه استبقى أولادهم ونساءهم رهائن (٢٥) .

وبعد أن تولى الملك الظافر الثانى مكان أبيه ، وانشغاله بحروب أخواله وخروج كثير من قبائل تهامة على الدولة الطاهرية ، لم يشارك الزيديون غيرهم الخروج على السلطة ، الى أن كانت سنة ٨٩٦ هـ عندما قام السلطان عامر بجولة تهدف الى تفقد المناطق الشمالية ، ودخل قرية الزيدية ، فاستقبله أهلها . ثم دخل عليه جماعة من بنى حفيص والزيديين وفيهم سالم بن قاسم الشريانى فقبض عليهم السلطان عامر وقيدهم بحجة

---

(٢٤) بغية المستفيد ، ص ١٧٤ ، والزيديون نسبة الى قرية الزيدية وليس الى المذهب الزيدى .
(٢٥) بغية المستفيد ، ص ١٧٧ - ١٧٨ .

ذنوب تواترت عنهم ، وكان مجموع من ألقى القبض عليهم واحدا وثلاثين شخصا أرسل بهم الى زبيد مقيدين (٢٦) ورغم ذلك نرى الزيديين يتعاونون مع قوات السلطان عامر ضد قبائل القحرى فى رمضان سنة ٨٩٦ هـ ، ولكن الهزيمة تلحق بهم نتيجة الكمين الذى نصب لهم ،فقتل مقدم العساكر ، بينما كانت خسائر الزيديين عظيمة فى الأرواح من هذه الحملة ، مما أثار الاضطراب حول زبيد ، ولم يسكنه سوى وصول الشيخ عبد الملك بن عبد الوهاب (٢٧) .

وظلت الأحوال بين الزيديين وبين الدولة الطاهرية فترة ليست بالقصيرة ، وان كانت تتخللها بعض فترات التمرد بزعامة أبو القاسم بن سالم الشريانى ، وربما يكون هذا التمرد انتقاما لأبيه الذى قبض عليه الملك الظافر ، ولكنه سرعان ما يعود الى الطاعة ، ففى جمادى سنة ٩٠١ هـ قدم أبو القاسم المذكور الى زبيد (٢٨) " بعد طول خلافه " ويصحبه ابن راسين وولده بعد أن أعطاه السلطان الذمة ، وقد وجد تكريما من أمير زبيد الأمير على العنسى الذى استقبله خارجها ، وكساه هو ومن معه وأنعم عليهم ووزع عليهم الأموال ، ثم دخل الجميع الى زبيد وأقاموا بها ثلاثة أيام ثم توجه بعدها أبو القاسم الشريانى ومن معه الى

---

(٢٦) بغية المستفيد ،ص ١٩٦ ،قرة العيون ،ق ٢ ،ص ١٨٦ ، قلادة النحر ،جـ ٣ ، ورقه ٥٨٥ ب .

(٢٧) بغية المستفيد ،ص ١٩٧ .

(٢٨) الفضل المزيد ،ص ٩٥ ، قرة العيون ،ق ٢ ،ص ١٩٤ (١٩٥-١٩٥ ، قلادة النحر ،جـ ٣ ، ورقه ٥٩١ ب - ٥٩٢ أ

السلطان بتعز ، وأكرمهم الأخير وعفا عنهم ثم أمرهم بالنزول الى زبيد وأن يسكنوا بها .(٢٩)

وقد أصاب الشرياني توعك لازمه طوال الطريق ، وما أن وصل الى مدينة زبيد ومكث بها عدة أيام حتى توفي ودفن بها .(٣٠)

واستمرت فترة الهدوء هذه ما يقرب العشرين عاما حدثت فيهـــا حادثة واحدة سنة ٩٠٥ هـ قتل فيها من الزيديين بني المليل ثلاثـة عشر شخصا .(٣١)

الا أن الأمور تطورت تطورا كبيرا في جمادى الأولى سنة ٩٢١ هـ فقد هاجم الزيديون وفي جمع كبير ويقال أنهم بلغوا نحوا من سبعـة آلاف راجل ومائة فارس قرية الضحي ، وقد تمكنت القوات الطاهريـــة وأمير القرية عيسى بن علي الحجري من صد هذا الهجوم المفاجئ ، بل والحاق الهزيمة بالمهاجمين وخسر الزيديون ما يقارب خمسمائة قتيل منهم احتزت رؤوسهم ودخل بها الى زبيد لعرضها هنا .(٣٢) وقد نقلت المصادر هذا النبأ دون أن تشير الى مسبباته اذ أنه كشف عنه استياء عام مـــن

---

(٢٩) الفضل المزيد ، ص ٩٥ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٩٥ .

(٣٠) الفضل المزيد ، ص ٩٥ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٩٥ .

(٣١) الفضل المزيد ، ص ١٣٣ ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٤٢

(٣٢) الفضل المزيد ، ص ٢٧٢ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٢١ ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٤٢ .

أهالي هذه المنطقة على الدولة الظاهرية دفعت بهم الى التكتـــل بهذا الشكل الضخم مما يبين أنهم كانوا تحت ضغط متواصل أدى الى أن يقرروا الخروج على الدولة مهما كلف الأمر من تضحيات ، وبالرغـــم مما لحق بهم من ضربات من قوات الحكومة الا أنهم استمروا على ثورتهـم ، فتوجه اليهم في جمادى الثانية سنة ٩٢١ هـ الشيخ عبد الوهاب بـــن السلطان عامر بن عبد الوهاب وهو يومئذ أمير زبيد ، واستقر في قريـة الضحى لاتخاذها مركزا لتوزيع جنده ضد المخالفين من الزيد يـــين ، وقبل أن يشتبك معهم اجتمع اليه مشايخ الصوفيه في تلك القريـــــة ، وتكفلوا بالصلح بينه وبين الزيديين وأداء ما عليهم من خيل ، فسلموه أكثرها ، ثم دخل عليه زعماؤهم أبو بكر النجار وأخوه وغيرهم ، فحلفوا له على الطاعة ، ونتيجة لذلك عفا عنهم وأحسن اليهم ، (٣٣) وأذن لمعظمهم بالانصراف مستثنيا أبا بكر النجار الذى استبقاه عنده ، وما أن خـــرج أولئك الزعماء حتى نكثوا ما بينهم من صلح ، فأمر الشيخ عبد الوهـــاب أمير الضحى بتتبع رؤساء الخارجين أين كانوا ، فتتبعهم الأمير عيسى بن على الهجرى من موضع الى موضع حتى تمكن من القبض عليهم وعلى عيالهم وأموالهم ثم ساقهم الى الشيخ عبد الوهاب بن عامر في قريـــــــة

---

(٣٣) الفضل المزيد ، ص ٢٧٤ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٢١ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٧ أ

الضحـــى .(٣٤)

وسكنت ثورتهم قليلا بعد هذه الحادثة ، لكنهم سرعان ما كانوا أول الناقضين من قبائل تهامة والمساعدين على تقويض دعائم الدولة الطاهرية ، اذ انضموا الى المماليك الجراكسة ، وبايعوا الأمير حسين الكردى ضد السلطان عامر .

---

(٣٤) الفضل المزيد ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ ، قرة العيون ، ص ٢٤١ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٧ أ .

جـ - الزعليون (٣٥)

يعتبر الزعليون ، أقل القبائل ثورات ضد سلطة السلطان عامر بن عبد الوهاب ، ويبدو أنهم تأثروا في ثوراتهم بجيرانهم بنو حفيص ، وذلك بحكم قربهم منهم ، وربما ارتباطهم مع بعضهم البعض ، ورغم ذلك فان حوادثهم كانت تأتي متفرقه وليست ذات خطر كبير ، ففي شهر رمضان من سنة ٩٠٣ هـ توجه اليهم الأمير على بن عمر العنسي ، وربما بسبب امتناعهم عن دفع الخراج فلما وصل الأخير الى قرية الضحي خشي الزعليون النتائج المترتبة على هذا التمنع من دفع ما هو مقرر عليهم ، فما كان منهم الا أن يؤدوا الطاعة وطلب الصلح فصالحهم الأمير العنسي ثم قفل راجعا الى زبيد (٣٦).

ولم يكن هذا الصلح الا مؤقتا اذ لم يمض عليه بضعة أشهر حتى غدروا بقوات السلطان عامر الموجودة عندهم ، مما جعل الأمير على بن عمر العنسي يعود اليهم ثانية في محرم سنة ٩٠٤ هـ ، فلما وصل الى قرية تغير لم يجد بها أحدا منهم ، فأمر الأمير المذكور بنهبها واحراقها نكاية بهم ثم تتبعهم الى موضع يسمى الهيجة ، وعسكر

---

(٣٥) الزعليون : نسبة الى زعل بن جشم احدى القبائل اليمنية ، كانت مساكنهم ما بين سردد وسور ، وما بين حيس وزبيد .
كحالة : عمر رضا ، معجم قبائل العرب القديمة ، والحديثة جـ ٢ ، ص ٣٧٣ ، الطبعة الثالثه ، بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، الفضل المزيد ، ص ١١٨ ، حاشية رقم (٧)

(٣٦) الفضل المزيد ، ص ١١٨ - ١١٩ .

بالقاوص ، (٣٧) ولم يكن فرار الزعليين من قريتهم الا لأمر د بروه وبينما قوات الد ولة معسكرة هنا فاجأتهم مساء يوم السبت ٧ محرم سنة ٩٠٤هـ هذ ه القبيلة الخارجه واستولت على المعسكر بما فيه ومن بينها محمل الأمير نفسه ، وقد اضطرب المعسكر اضطرابا شد يد ا من قوة الهجوم المفاجئ ، فلم يد ر ما يفعله لجنود امام شد ة الصد مة ، ولذا فقد لا ذ وا بالفرار الى قرية الضحى ، وكان الزعليون فى هجومهم حريصين على عد م القتل وكان صائحهم ينادى " ألا يقتل من الناس أحد " (٣٨) ويد لنا النداء الذى أطلقه هؤلاء بعد م اراقة د ماء الجند الطاهرى أنهم قاموا بعملهم هذا لاسترد اد حقوقهم ووضع حد لما كان يفعله عمال الد ولة معهم عند جباية الخراج أو فرض الاتاوات الزائد ة والغير مقررة فى الشريعة الاسلامية . (٣٩)

---

(٣٧) الفضل المزيد ، ص ١٢٠ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٩٧ .

(٣٨) الفضل المزيد ، ص ١٢٠ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٩٨ .

(٣٩) الفضل المزيد ، ص ١٢١ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٩٨ ، قلاد ة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٢ أ .

ومما لا شك فيه أن شيخ الزعليين ابن الاهيل مقدر نتائج عمله هذا مع القوات الطاهرية وخوفا من ردة الفعل من جانب الدولة طلب الأمان من السلطان له ولجماعة من أهله فأجابه السلطان الى طلبه ومن ثم توجه برفقه مجموعة من أفراد القبيلة الى تعز حيث كان اللقاء بالسلطان ومزيدا في تألفهم كساهم وأنعم عليهم ثم رجعوا الى موطنهم بعد هذه المقابلة .(٤٠)

وقد استكن الزعليون للهدوء ولم يشهد لهم بعد ذلك كبير أمر ، بل قنعوا بالسكينة والخضوع للدولة واستمروا على ذلك حتى قام الزيديون بثورتهم في جمادى الثانية سنة ٩٢١هـ (٤١) ، ويبدو أن الزعليين قد تحالفوا معهم على الثورة ضد السلطة الطاهرية التي هبت قواتها الى مراكز تجمع هؤلاء الثوار بقيادة عبد الوهاب بن السلطان عامر وتمركزت في قرية الضحى ، ونتيجة لجهود المصلحين ومحاولة عدم اراقة مزيد من الدماء بين الجانبين ، فقد كف القتال بين رجال الدولة وهؤلاء الثوار ومن بينهم الزعليون اذ دخلوا على الشيخ عبد الوهاب وقدموا له الولاء والطاعة وحلفوا له على ذلك وعدم الخروج مرة أخرى على الدولة ،فاطمأن الى ما وعد به هؤلاء وكساهم وأنعم عليهم ، غير

---

(٤٠) الفضل المزيد ، ص ١٢٣ .

(٤١) الفضل المزيد ،ص ٢٧٤ .

أن جهود الدولة فى اخضاعهم واعطائهم العهود والمواثيق بعدم الخروج باءت بالفشل ، وذلك عندما رجعوا الى مساكنهم عاودوا التمرد مرة أخرى على الدولة بالرغم من وجود القائد الطاهرى الشيخ عبدالوهاب فى قرية الضحى حيث يعسكر بها وجنوده ، ونتيجة لعملهم هذا بادر هذا القائد بشن الغارة عليهم فى حملة قادها الشيخ تاج الدين بن عبدالباقى العربى ، فتمكن الأخير من اختراق تحصيناتهم بالهيجة المسماة بالعلاقى وأنزل بهم الهزيمة الساحقة وتمكن من القاء القبض على زعيمهم الشيخ أحمد بن على بن معروف ومعظم من تعاون معه كما تمكن من أسر أولادهم ونسائهم وأرسل بهؤلاء الى حيث يتواجد فيها القائد العام لهذه الحملة الشيخ عبدالوهاب بن عامر (٤٢).

وكان هذا آخر تمرد من قبلهم الى أن أتت الحملة المصرية الى اليمن فانضموا مع من انضم اليها من القبائل ..

---

(٤٢) الفضل المزيد ، ص ٢٧٥ .

د ـ ثورات الكعبيين : (٤٣)

كان في سجن تعز عدد من شيوخ القبائل الذين سكتت المصادر عن سبب سجنهم ومن بينهم بعض زعماء الكعبيين ، وقد تمكن في شهر ربيع الآخر سنة ٩١٢ هـ جماعة من الزيديين والكعبيين ومنهم صلاح أسود الزعلي ، ومحمد بن أحمد الثروف وهؤلاء من شيوخ الكعبيين ، وابن مقينح وابن علي بن يوسف من زعماء الزيديين من الهرب من سجن تعز (٤٤) واتجهوا الى بلد الكعبيين ، وهنا بدأت ثورة الأخيرين حينما اتفقوا على مجابهة الدولة الطاهرية بسبب ما أقدمت عليه تجاههم ، وكانت الفرصة سانحة لهم عندما مرت احدى القوافل التجارية والمتجهة الى اللامية وبعض الأماكن الأخرى ، ولم يكن عند قادة هذه القافلة علم بتمرد الكعبيين الذين فاجأوهم بنهبها والاستيلاء على ما تحمله من بضائع ، ولم يكتف هؤلاء بما عملوه هنا بل اتجهوا الى نهب القرى المجاورة ـ المخارشه وصوفيه بني خلف واللاميين ـ وكان مقدار ما نهبوه هو قرابة خمسمائة رأس من البقر ، (٤٥) وقد استشرت ثورتهم بحيث أنهم

---

(٤٣) الكعبيون : ربما ينسبون الى كعب بن عمرو ، بطن من مذحج بن أدد من كهلان من القحطانيه ، معجم قبائل العرب ، جـ ٥ ، ص ١٥٤ .

(٤٤) الفضل المزيد ، ص ١٩٦ .

(٤٥) الفضل المزيد ، ص ١٩٦ .

قطعوا الطرق الآمنه وهددوا سكان القرى المجاورة ، ويبدو أن أمير زبيد لم تكن لديه قوة كافيه فاستعان باللاميين وغيرهم في تجهيز حملة بقيادة الأمير عمر بن عبد العزيز الحبيشى ، وقد توجهت هذه الجموع الى الكعبيين في ١٨ من جمادى الأولى من نفس السنة (٤٦) ، فلما علموا بتوجه الحملة لجأوا الى الهيجة وتحصنوا فيها وعندما وصلت الحملة الى بلادهم لم يجدوا بها أحد هنا ، وقد رأى الأمير أن يريح جنده في قرية المنصورية ، غير أن الأمور جاءت عكسية لهم وذلك عندما انتهز الكعبيون غفلة الجند الطاهرى فهاجموهم ليلاً ، وتمكن المهاجمون من قتل عدد منهم ، وعندما رأى الأمير هذه الهزيمة آثر أن ينسحب سالما بنفسه وقد تمكن أن يأخذ معه العتاد الذى كان معه (٤٧) .

ويبدو أن الكعبيين قد استشرت ثورتهم بعد هذه الواقعة وقويت شوكتهم مما جعل الدولة تفكر ملياً في أمرهم ، واضطر السلطان الى ارسال قوة تحت قيادة الأمير عبد الله بن على بن سفيان من عنده

---

(٤٦) الفضل المزيد ، ص ١٩٦ .

(٤٧) الفضل المزيد ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

الى زبيد التى وصل اليها فى الرابع من جمادى الثانية ثم مكث بهـا أربعة أيام بعدها توجه للقضاء على ثورتهم [٤٨] ، ولكنه جوبه بمقاومة شديدة أبداها أمامه الكمبيون لذا فقد عضدته الدولة بتعزيزات أخرى تحت قيادة الأمير عمر الجبنى بلغ مجموعها مائة وخمسين فارسا ، وقد وصلت هذه القوة فى ١٣ من جمادى الثانية سنة ٩١٢ هـ الى بيت الفقيه ابن عجيل [٤٩] ، وقد ضربت القوات الحكومية الحصار على الكمبيين [٥٠] ، غير أنه لم يؤد الى نتيجة حاسمة مما اضطر الدولة الى ارسال تعزيزات أخرى لتعضيد من سبق لمحاربة هؤلاء المتمردين وقد قادها الأمير الشجاع بن محرم العنسى وهى مؤلفة من ألف راجل وكان وصولها اليهم فى شهر رجب من نفس السنة [٥١] ، وأصبح لهذه الجموع أثر كبير على الموقف الحربى ، فحينما رأى الكمبيون أن القوات الحكومية قد أحاطت بهم من كل جانب وأنهم لا قبل لهم بمقاومتها ، طلبوا من الأمير ابن سفيان الذمة على أن يؤدوا الخيل والرهائن من نسائهم وأولادهم على أن يبقوا فى بلادهم ، فرضى الأمير ابن سفيان منهم ذلك ، وعندما

---

(٤٨) الفضل المزيد ، ص ١٩٧ .

(٤٩) الفضل المزيد ، ص ١٩٨ .

(٥٠) الفضل المزيد ، ص ١٩٨ .

(٥١) الفضل المزيد ، ص ١٩٨ .

طلب منهم الرهائن اعتذروا بأن نساؤهم لم يطعنهم على تسليم أنفسهن وأولادهن (٥٢)، فعرف الأمير عبد الله بن سفيان أن تلك مكيدة منهم لكسب الوقت ولتخفيف الحصار حتى يتمكنوا من ايجاد ثغرة يستطيعون منها أن يفعلوا شيئا وفي نفس الوقت فقد بيت الأمير عبد الله المكيدة مع الأميرين العنسي والجبني وذلك بأن تظاهر الأميران المذكوران بالارتحال الى زبيد ليلا ، كما تظاهر ابن سفيان بالتوجه الى اللامية ، مما طمأن الكعبيين بأن القوات الطاهرية قد ارتحلت عنهم ، وربما شعروا بالاطمئنان ولكن ما أن أسفر صباح يوم الأربعاء من سلخ رجب حتى كان الجيش الطاهري قد صبحهم في قراهم فاعملوا فيهم السيوف وقتلوا منهم جموعا كثيرة ، وأسروا آخرين وعلى رأسهم شيخ الكعبيين محمد بن أحمد الشروف وموسى بن المقبول ، وأرسلوا بالجميع الى زبيد اضافة الى ذلك نهبت أموالهم من الابل والبقر والغنم وأمتعة البيوت (٥٣) وكان انتقام الجند الطاهري شديدا بنهب منازلهم ودوابهم .

وبعد ما حصل لهم هذا الانتقام من القوات الطاهريه هدأ الكعبيون قليلا الى أن خرج ابراهيم الخواص من بني الاكسع فانضموا اليه في حربه ضد الدولة الطاهرية .

---

(٥٢) الفضل المزيد ، ص ١٩٨ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١١٠ .

(٥٣) الفضل المزيد ، ص ١٩٩ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢١٠

هـ - فتنـة الخـواص .

تعتبر هذه الفتنـة من أقوى الفتن التى ظهرت فى عهـــد السلطان عامر بن عبد الوهاب وأكثرها مدة زمنية اذ انها استمرت مـن صفر سنة ٩٠٩ هـ - ٩١٥ هـ أى قرابة ست سنوات وسيرت فيهـا الحملات الضخمة ، ولم تستطع الدولة القضاء على فتنته طيلة هذه المدة .

أما الخواص فهو يدعى ابراهيم الخواص وكل ما يعرف عنه أنـه ظهر فى ناحية بيت الاكسع (٥٤) ، ولم تذكر المصادر شيئا عنه وعن حياته السابقة ، وكل ما هنالك أنه كان أحد فقراء - صوفيه - الشيخ أحمـد المشرع ، أما كيف ظهر وانتشر صيته ، فيبدو أنه سكن فى بيت الأكسع وتظاهر بالزهد والنسك والتزم طريقة صوفيه حببت الناس فيه فاجتمعوا حوله خاصة الغرس وأهل النخل والكعبيون ، وكان يتظاهر بمعرفة بعض الأمور الغيبية - فتصدق كما يقال - (٥٥) ويعتبرونها منه كرامات وزاد تعلق الناس به حينما عرف عنه ذلك ، أما سبب خروجه على الدولة الطاهرية ، فلـم

---

(٥٤) بيت الاكسع : قرية مشهورة شمال بيت الفقيه ابن عجيل قريبـا منها ويبدو أنها نسبت الى بنى الأكسع وهم بيت علم وصـلاح ويمتون بقرابة الى بنى العجيل وجميعهم يعودون الى المعازبه المشهورين ، الشرجى : أحمد بن عبد اللطيف ، طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص ، ص ١٠٢ ، القاهرة ١٣٢١ هـ

(٥٥) قرة العيون ، ق٢ ، ص ٢٠٧

تذكره لنا المصادر بوضوح ، فابن الديبع يشير الى أنه وشي بالخواص من أناس بينهم وبينه خصومه[٥٦] ، بينما في الرواية الثانية أن الأمير ريحان الظافرى أمير زبيد أرسل يطلبه بالقدوم عليه فامتنع من ذلك ودخل الهيجة تحسبا من قدوم من يقبض عليه من قبل هذا الأمير ، وربما أن الخواص قد تعرض بالنقد للدولة الطاهرية في بعض تصرفاتها التعسفية تجاه الناس فوشي به بعض خصومه الى الأمير ريحان الذى طلبه ليعرف منه الحقيقة ، فرفض واعتصم بالهيجة[٥٧] ، والتي تعتبر الحصن الطبيعي لكل مخالف ويبدو أن هناك كثيرون ممن ينقم على الدولة الطاهرية ومن بينهم العبيد العامريين وكافة أهل المناطق الجبلية[٥٨] ، الذين ساندوه في هذا التحصن وكان تصرفهم هذا بمثابة عصيان واضح وقد فكر الأمير ريحان في الهجوم على المتحصنين هنا لكى يقضى عليهم قبل أن تستفحل ثورتهم الا أن قوته الموجودة لم تكن كافية لهذا الأمر ، فتوالت عليه الامدادات من السلطان بقيادة الأمير اسماعيل بن حتروش ، وعندما تجمعت القوات الطاهرية اتجه الأميران الى الهيجة لمهاجمة الخواص وذلك في ربيع الآخر سنة ٩٠٩ هـ[٥٩] ، وبدأ هجومهم الفعلى عليه في

---

(٥٦) قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٠٧

(٥٧) الفضل المزيد ، ص ١٧٢ - ١٧٣ .

(٥٨) الفضل المزيد ، ص ١٧٣

(٥٩) قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٠٧ ، الفضل المزيد ، ص ١٧٣ .

نفس المكان المتحصن فيه ، وربما أخطأ قائد الحملة فى تقدير قـــوة الخصم ، ولذا تمكن الخواص من الحاق الهزيمة بالجند الظاهرى ، ولولا ثبات الأمير ريحان وابن حتروش لقضى على الحملة تماما (٦٠) ، وانسحـــب الأميران الى بيت الفقيه انتظارا لامدادات جديدة تصله من قبل أمـير زبيد ، أما الخواص فقد قويت شوكته وعظم أمره ، ولم تعد الحملات الصغيرة كافية للقضاء عليه ، ولا أدل على ذلك من وصول الفقيه جمال الدين محمد ابن محمد النظارى الى زبيد يوم الخميس التاسع من جمادى الأولى ســنة ٩٠٩ هـ فى عساكر عظيمة ـ كما وصفها المصدر (٦١) ، ولبث منتظرا فى زبيــد الى أن قدم عليه بها الأمير عمر بن مفتاح الجبنى فى الثامن والعشــرون من الشهر المذكور (٦٢) ، وبعد أن تمت الاستعدادات للهجوم علـــــى

---

(٦٠) الفضل المزيد ، ص ١٧٣ - ١٧٤ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٠٧

(٦١) الفضل المزيد ، ص ١٧٤ ، ويلاحظ على ابن الديبع أنه يتغاضـى عن تتبع الفتن التى تحدث فى الدولة الظاهرية ، ومن ضمنهـا فتنة الخواص اذ أنه يسكت عنها حتى تقوم حرب فعليه بــين الدولة والثائرين ، فاذا انتصر الثوار فانه يذكر انتصارهــم وكأنه لاشئ ، فاذا ما انتصرت العساكر السلطانية فانه يطنـب فى ذكر الانتصار وكيف قوبل من الناس بالفرحة التى تعم النــاس من جراء ذلك الانتصار .

(٦٢) الفضل المزيد ، ص ١٧٤ .

المتمردين في الهيجة توجهت الحملة الى بيت الفقيه ابن عجيل حيث يرابط الأمير ريحان الظافري (٦٣)، ومنها الى حيث يتمركز الخواص (٦٤)، وكانت الخطة التي رسمها أمراء الحملة الطاهرية هي أن يحاصر الخواص في الهيجة ، ثم اللجوء الى مفاوضة أهل قرية الغرس المناصرين له ، وكذلك العبيد العامريين ، ونجح القادة الطاهريون في مفاوضة هذه القبائل ، وذلك بالصلح معهم (٦٥)، وترتب على ذلك أن جرد الخواص من أنصاره مما اضطره الى الفرار الى حصن حجران حيث أواه بنو القحري (٦٦) وبالرغم من كثرة عدد هذه الحملة الا أنها عادت دون أن تستطيع القاء القبض عليه ، ولذا فقد ترك القائدان الطاهريان المكان/فواصل النظاري سيره الى جهات الشام بينما عاد الأمير ريحان الى زبيد في الثاني والعشرين من جمادى الثانية (٦٧).

وظل الخواص طليقا حوالي خمس سنوات بعد الفشل الذي منيت به قوات الحكومة للقضاء عليه ، ويبدو أنه خلال هذه المدة لم يقم بأي نشاط ضدها ، فتركته وشأنه ، غير أنه ظهر فجأة لمحاربة الدولة الطاهرية

---

(٦٣) الفضل المزيد ، ص ١٧٤ .

(٦٤) الفضل المزيد ،ص ١٧٤ ،

(٦٥) الفضل المزيد ،ص ١٧٤ ،قرة العيون ،ق ٢ ،ص ٢٠٧ .

(٦٦) الفضل المزيد ،ص ١٧٤ ،قرة العيون ،ق ٢ ،ص ٢٠٧ ، قلادة النحر ، جـ٣ ،ورقه ٥٩٤ أ .

(٦٧) الفضل المزيد ،ص ١٧٤ .

ويبدو أنه لعب دورا فى تجميع الأنصار خلال فترة هدوئه وقد خـــرج بهم فى يوم الثلاثاء العاشر من ربيع الأول سنة ٩١٤ هـ من الهجـــرة ، وكان هؤلاء الأنصار من العبيد وبنى القحرى الذين وضعوا قائدهـــم فى محمل على جمل ثم دخلوا قبر الفقيه أحمد بن موسى عجيل ، فزاروه ، وقرأ هو وأصحابه عنده شيئا من القرآن ، وخروجه هذا يعتبر تحديـا جديدا للدولة الطاهرية ، ولكى يقضوا على هذه التحركات فى مهدهـا تعرضت له قوة من المعازبة ورجال الدولة الطاهرية ، غير أنها لم تعمل شيئا فى ايقاف حركته ، وعلى العكس من ذلك فقد تمكن من أن يقتل منهم ثلاثة أشخاص ، ويعود من حيث أتى سالما (٦٨) ،

وخوفا من نشاطه الأول كان لابد من القضاء عليه حتى لا يعاوده مرة أخرى فى هذه المنطقة ، جهزت له حملة من زبيد وفيها ثلاثة مـــن أمراء الدولة وهم الأمير عبد الله بن على بن سفيان ، والشيخ عبد الوهاب ابن محرم المنسى ، والأمير الجبنى ، واتجهت تلك القوة الى الخواص من بيت الفقيه ابن عجيل فى الثانى عشر من رجب سنة ٩١٤ (٦٩) ، وانضـــم

---

(٦٨) الفضل المزيد ، ص ٢١٤ - ٢١٥ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢١٢ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٥ أ

(٦٩) الفضل المزيد ، ص ٢١٧ .

اليها جموع من الفرسان والرجالة من القبائل المعازبة وأهل التربية والقرشية والروية وغيرهم (٧٠).

وبالرغم من تكاثر الجنود ومن عضدهم من القبائل فقد فشلت هذه الحملة في القضاء عليه، وعندما فشلت جميع جهود الدولة الطاهرية في القضاء على الخواص بواسطة الحملات عمد أمراء الحملة الى تشجيع من يقتله غيلة، فدخل عليه عدد من الرجال الى منزله في الهيجة ليقتلوه، لكن ضربتهم لم تكن قاضية، وسلم من الموت ولم تصبه الا اصابات غير مثخنة وذلك في محرم سنة ٩١٥هـ (٧١).

وفي نفس الشهر دفع السلطان عامر بن عبد الوهاب بقائد محنك ليخوض الحرب ضد الخواص وهو علي بن محمد البعداني الذي وصل الى زبيد في جيش ضخم من الفرسان الذين بلغ عددهم ثلثمائة فارس ومن الرجالة أكثر من خمسة آلاف راجل (٧٢)، وبعد أن أقام في زبيد الى أوائل شهر صفر رتب فيها أموره، ارتحل الى قرية الكدحة، فلما سمع الكعبيون

---

(٧٠) الفضل المزيد، ص ٢١٧.

(٧١) الفضل المزيد، ص ٢٢١

(٧٢) الفضل المزيد، ص ٢٢١.

بقدومه اليهم فروا من قراهم الى حيث يتحصنون فى الهيجة وسدوا الطرق المؤدية اليها وتحصين أماكنهم فيها (٧٣) ، أما الأمير البعدانى فانه عمل منذ وصوله اليهم أن يحكم حصاره على هذه المنطقة بمن فيها من الكعبيين وغيرهم من القبائل التى التفت حول الخواص فى الهيجة ، ثم انه تتبع طرق المياه التى كانت تنساب اليهم من الأودية المجاورة فقطعها عنهم ، وتحت ضغط العطش الذى عانوا منه اضطر الكعبيون الى طلب الصلح مع الأمير البعدانى مقابل غرامة مالية يدفعونها للدولة ، فرضى منهم القائد الطاهرى ذلك العرض وارتضى لهم أن يسكنوا فى بلادهم مقابل التعهد بحفظ الأمن فيها فرضوا بشرطه هذا ، أما الخواص ، فانه تمكن من الفرار رغم الحصار الذى كان مفروضا عليه الى بلاد عتم حيث يسكن بنو القحرى الذين أجاروه (٧٤) .

ولم تعد المصادر بعد هذه الواقعة تذكر شيئا من أخباره فلربما تغافلت عنه أو أنه أصبح لا خطر منه ، فلم تعتن بتتبع أخباره الى نهاية فترة الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب .

---

(٧٣) الفضل المزيد ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢١٢-٢١٣ .

(٧٤) الفضل المزيد ، ص ٢٢٢ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢١٣ .

و- بنو الشكاعـــي :

قام بنو الشكاعي الذين يبدو أنهم من سكان مناطق شمال زبيد بثورة ضد الدولة الطاهرية ، وسكتت المصادر عن أسباب هذه الثـــورة غير أنه يبدو أن الأسباب المعروفه والتي قد ثارت معظم القبائل الأخرى من أجلها هي التي دفعتهم أن يقوموا بعمل عدائي ضد السلطة المركزية وقد استغل نفر من هؤلاء القوم وركزوا أنظارهم نحو حصن الشريف الذى تتحكم به الدولة على منطقتهم ، وقد استولوا عليه غيله ، ذلك أنهـــم كانوا مكلفين بتزويد الحصن بالمؤن اللازمة للحامية المرابطة هنا ، وكانت خطتهم اخفاء أسلحتهم داخل المواد التموينية ، ثم فتحوا الأكياس التى أخفوا أسلحتهم فيها (٧٥) وانقضوا على النقيب المسؤول عن الحصن ومن كـان تحت قيادته فقتلوهم جميعا واستولوا عليه ، ثم اتخذوه مركزا بحميهـــم من حملات الدولة الطاهرية (٧٦) وكان ذلك في الرابع من شعبان سنة ٩١٧ هـ ، ولم تسكت الدولة على جريمتهم هذه وأرسلت اليهم الشريف عبد الله بـــن سفيان والأمير عبد الوهاب العنسي (٧٧) على رأس قوة من الجند لاستعادته ،

---

(٧٥) الفضل المزيد ، ص ٢٤٧ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٥ ب.

(٧٦) قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢١٤ ، الفضل المزيد ، ص ٢٤٧ .

(٧٧) قرة العيون ، ق٢ ، ص ٢١٤ .

وفرض الحصار على بني الشكاعي من رمضان من نفس السنة الى أواخـــر سنة ٩١٧ هـ ، ولم يستسلم المعتصمون بالحصن للأميرين المذكورين ، ويبدو أنهم قد أخذوا ما يلزمهم من المؤونة تكفيهم لأطول مدة ممكنـــة وهم محاصرون ، وظل بأيديهم الى جمادى الأولى سنة ٩١٨ هـ حيث حضر السلطان عامر بن عبد الوهاب بنفسه لحصار المعتصمين فـــــي الحصن وذلك في منتصف شهر جمادى الأولى ، ولما رأى بنو الشكاعي حضور الملك الظافر بنفسه لحصارهم توسطوا بالفقيه عمر بن محمد بـــن جمعان لكي يطلب لهم الذمة من السلطان ، ولم يتأخر الأخير فـــي تلبية طلبهم وكتب لهم بالأمان (٧٨) ، وبعد أن اطمأن الشكاعيون لوعـــد السلطان نزلوا من الحصن وسلموه الى الدولة ، ثم دخلوا عليه فعفـــا عنهم وتصدق عليهم ، ثم وضع حامية في الحصن تقوم على حمايته كمـــا كلف السلطان الفقيه عبد الكريم بن علوان بعمارته وزيادة تحصينه (٧٩) لئـــلا تفقده الدولة مرة أخرى .

---

(٧٨) الفضل المزيد ، ص ٢٥٤ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢١٥ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٥ ب .

(٧٩) قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢١٦

ز- ثورات قبائل الجهـات الشاميـه

الجهات الشاميه هي تلك المناطق التي تقع في شمال بيت الفقيه ابن عجيل ثم تمتد مناطقها الى قرية الضحي الى أن تصل الى حدود المخلاف السليماني ، ويبدو أن هذه المناطق يخيم عليها الهدوء والسكينة ،فهي لم تظهر فيها ثورات ضد الدولة الطاهرية بالرغم من كثرة ما يجبى منها من خراج خاصة الخيل التي تؤخذ منهم ، ولم تشر المصادر عن سبب هذا الهدوء ولربما أن ضعف سكان هذه المناطق جعلهم يهابون سلطة الدولة ، ومن ثم لزموا الهدوء الا أنه في سنة ٨٩٩ هـ قام السلطان عامر بن عبد الوهاب بجولة في المناطق الشمالية ، وربما كانت هذه الجولة استخلاص الخراج ولتأديب بعض القبائل التي شذت عن قاعدة هدوء المنطقة حيث أباد منها ،أمما لا تحصى كما تقول المصادر (٨٠) ، وبعد أن أنهى جولته عاد الى زبيد في جمادى الأولى من نفس السنة ، وكان مجموع ما استخلصه من المناطق الشمالية يزيد على مائتين وعشرين فرسا ومن الجمال البحرية ما يزيد على الثلاثين

---

(٨٠) بغية المستفيد ،ص ٢٠٥ ، قرة العيون ، ق٢ ،ص ١٩٠ ،. وسبق أن ذكرنا القبائل التي تمردت على السلطان وموقفه منها ، أما ما نحن بصدده فهي القبائل التي لم تعرف مناطقها على التحديد ويكون موقعها بين التحديد المشار اليه أعلاه .

وقبض منهم أموالا جمـــة .(٨١)

ثم سادت فترة من الهدوء على هذه المناطق بعد جولة السلطان فيها وبعدها قام الواعظات فى محرم سنة ٩٠١ هـ بالتمرد ، وقد ردت الدولة عليهم بأن تعاونت الجنود السلطانية والصميون بالايقاع بهــــم وتمكنوا من قتل سبعة وعشرين رجلا منهم ،(٨٢) وقد اتبعت الدولة الطاهرية خطة ضرب القبائل التهامية بعضها ببعض لاضعافها ، كما قام الأمــــير على بن شجاع العنسى بحملة على بنى الجعد فى أواخر محرم سنة ٩٠٢هـ، وذلك بسبب استيلائهم على حصن الطباشى ، وتمكن القائد الطاهـــرى من استرداده منهم عقب الحصار الذى فرضه عليهم مما أجبرهم علـــــى الاستسلام وبذلوا له الرهائن كدليل على حسن نيتهم ، فرحل عنهـــــم الى بيت الفقيه ابن عجيل .(٨٣)

ويبدو أن الدولة الطاهرية كانت بحاجة الى كثير من الأموال ، فكان لابد لأمير منطقة زبيد أن يتوغل فى مجاهل تهامة حتى يحصـــــل

(٨١) بغية المستفيد ،ص ٢٠٥ ،قرة العيون ،ق٢ ،ص ١٩٠ .

(٨٢) الفضل المزيد ، ص٩٢ ، والواعظات : من قبائل تهامه وهى من بطون عك ، والواعظات أيضا موقع قرب جازان والمحالب، معجم قبائل العرب ، جـ ٣ ،ص١٢٤٢ ، الفضل المزيد ،ص٩٢ ،حاشية ٤

(٨٣) الفضل المزيد ،ص١٠٠ ،قلادة النحر ،جـ ٣ ،ورقه ٥٩٢ أ

الأموال من أكبر قدر ممكن ممن يقطنون في هذه الأماكن الشاسعة ، وفي نفس الوقت يعزز سلطة الدولة في هذه المناطق ، وفي سبيل ذلك قام الأمير علي بن شجاع العنسي في سنة ٩٠٥ هـ بالتوغل في البلاد الشامية فوصل الى قرية الرغد ونهب سكانها من القطبه لرفضهم دفع الخراج الذي فرضه عليهم ، وبعد أن انتهى من مهمته قفل راجعا الى زبيد ومعه من الخيل أكثر من المائة ، ومن الابل ثمانين جملا وغير ذلك من الدواب .(٨٤) وقد لعبت الحصون دورا مهما في ثورات المناطق الشاميه اذ أنها كانت تمثل مركز اشراف للدولة على قبائل هذه المناطق وتراقب الطرق المؤدية الى انحاء اليمن في نفس الوقت ، ويبدو أن مناطق الحدود كانت كثيرة الحصون لأهميتها الاستراتيجية . وقد سيطر عليها في بعض الفترات التي انشغلت فيها الدولة الطاهرية بفتح صنعاء بعض القبائل المتوطنة هناك ، وعندما تفرغت الدولة عملت على استرداد هذه الحصون وهي حصن المحرق والبداح والسوادة واللحب وذلك سنة ٩١١ هـ حيث تمكنت القوات الطاهرية من استعادتها بالقوة العسكرية ممن استولى عليها من القبائل هناك (٨٥) وقد لعب بعض شيوخ القبائل في

---

(٨٤) الفضل المزيد ، ص ١٣٤ .

(٨٥) الفضل المزيد ، ص ١٩١ ، وهذه الحصون تقع في أقصى حدود الدولة الطاهرية الشمالية ومقاربة لامارة جازان ، العقيلي : ديوان الجراح بن شاجر ، ص ٥٢ وما بعدها .

هذه المنطقة دورا مهما في اثارة القلاقل ضد الدولة اما لاطماع شخصية يتوقع تحقيقها من الدولة أو لأوضاع أخرى فرضت عليه جعلته يتزعم قومه في التمرد ضد الدولة ، ومن هؤلاء الشيوخ المدعو سليمان المناعي الذي خرج عن طاعة الدولة وتزعم بعضا من قومه ومن الزيديين في الاستيلاء على عدة حصون في البلاد الشاميه وهي حصن ابن مناع والظامن وتنعم والجحيم والمصنعه (٨٦) ، ولم تذكر المصادر سبب تمرده هذا ومهما يكن فان السلطة الطاهرية لم تعطه الفرصة الكافية للسيطرة عليها طويلا اذ توجه الأميران عبد الله بن علي بن سفيان والشيخ عبد الوهاب العنسي على رأس قوة عسكرية لانتزاع تلك الحصون من هؤلاء المتمردين وذلك في أواخر سنة ٩١٦ هـ من قرية الضحي ، ويبدو أن القوة الطاهرية وصلت الى المنطقة المراد الهجوم عليها في الليل ، ولذلك آثر القائدان أن يريحا الجنود في أحد الحصون التابعة للدولة ويدعى حصن المنقم غير أن الثوار انتهزوا الفرصة وذلك باستغلال الظرف الذي كان عليه الجنود من تعب وارهاق من مسيرتهم هذه ، وقاموا بالهجوم عليهم قريبا من الحصن المذكور ، وأمام هذا

---

(٨٦) الفضل المزيد ، ص ٢٣٧ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٢٣ .

الوضع اضطر الشيخ عبد الوهاب العنسى أن يخوض المعركة ضد هم تمكن في النهاية من الحاق الهزيمة بهم وتفريقهم بعيدا عن المعسكر الطاهرى (٨٧)، وعقب المعركة تحرك الجيش الحكومى الى مكان آخر أكثر أمنا ، وذلك للراحة فيه ووجدوا بغيتهم في حصن الشريف الذى يبدو أنه يبعد عن المكان الأول قليلا ، حيث أخذوا فيه قسطهم من الراحة والنوم ، وعند الفجر تهيأ القائدان الطاهريان لخوض معركتهم ضد المناعى ومن يتبعه، وكان هجومهم عليه مفاجئا وغير متوقع استخدمت فيه البنادق اضافة الى الأسلحة التقليدية (٨٨)، وكان لهذا الهجوم المباغت أثره في حسم المعركة لصالح الجيش النظامى وبالتالى الاستيلاء على الحصون التى فر منها المتمردون وعلى رأسهم سليمان المناعى الذى فر الى أماكن مجهولة بينما لجأ الزيديون المناصرون له الى احدى زوايا الصوفية واستجاروا بها خوفا من عقاب الدولة (٨٩)، ويبدو أن هذه الحصون كانت من الأهمية

---

(٨٧) الفضل المزيد ، ص ٢٣٧ ، قرة العيون ، ص ١٢٣ .

(٨٨) الفضل المزيد ، ص ٢٣٨ ، لأول مرة يشير ابن الديبع الى استخدام الجند الطاهرى البنادق في هذه الحملة ومما يزيد تأكيد ذلك هروب شخص اسمه محمد البندقانى هو وجماعته وتعب السلطان لذلك ، مما يدلنا على أن السلطان عامر حاول تحديث جيشه باستخدام البنادق وان كانت البداية ضعيفة فهى تدل =

بمكان ، كما يبدو أن الحاكم الطاهرى فى زبيد عقب وصول المبشرين باستردادها أمر الأهالى باقامة الافراح فى هذه المدينة وكسيت الأسواق بالزينة تعبيرا عن السعادة والفرح باستردادها .(٩٠)

= على وجودها فى اليمن فى تلك الفترة .

(٨٩) الفضل المزيد ، ص ٢٣٨ .

(٩٠) الفضل المزيد ،ص ٢٣٨ .

ح - تمرد المخارشـــه :

كانت من عادة الدولة الطاهرية القبض على زعماء القبائل الذين تخشى منهم تمردا عليها ، ويبدو أن السلطان عامر بن عبد الوهاب أو أحد أمرائه خشي من ثورة شيخ المخارشة موسى بن المساوى ، فألقت القبض عليه وسجنته في منتصف شهر ربيع الثاني سنة ٩١٩هـ الا أنه تمكن من الهرب بمساعدة مجموعة داخل المدينة له بهم علاقة ، وقد أعد له فرس بقرية النويدره بالقرب من زبيد (٩١) ، ومن هناك توجه الى قومه في قرية السامر ، وعن طريق الصدفة التقى الشيخ الهارب بالقرب من بيت الفقيه ابن عجيل برجل له علاقة بالدولة كان متوجها الى زبيد ، فلما وصل الى هذه المدينة توجه مباشرة الى السلطان عامر الذى كان يتهيأ للرحيل الى تعز فأخبره برؤيته الشيخ لمخارشه متوجها الى بلاده (٩٢) ، وعندها أجل الملك الظافر سفره واستدعى النقيب اسماعيل بن الوجيه اقبال وسأله عن سجينه فادعى النقيب بأنه موجود عنده وسيحضره له ، الا أن السلطان لم يعر قوله هذا أذنا صاغية وأمر به الى السجن مكان سجينه الهارب (٩٣) ، ومن ناحية أخرى فقد بعث السلطان الفقيه عبد الكريم بن علوان خلف الشـيخ

---

(٩١) الفضل المزيد ، ص ٢٦٤

(٩٢) الفضل المزيد ، ص ٢٦٤ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢١٨

(٩٣) الفضل المزيد ، ص ٢٦٤ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢١٨

موسى بن المساوى ليقبض عليه قبل أن يصل الى قومه ، وتمكن الفقيه عبد الكريم بن علوان الوصول الى قرية سامر قبل الشيخ الفار وبحث عنه هنا ولكنه لم يجد له أثر ، وبعد البحث عرف أنه لجأ الى الهيجة الحصن الطبيعي للمتمردين ، فرجع الى زبيد خالى الوفاض وأعلم سلطانه بذلك (٩٤) ، عندها توجه الملك الظافر الى تعز تاركا مهمة القبض على ابن المساوى لأمير زبيد ، وعندما سمع موسى بن المساوى بتوجه الملك الظافر الى تعز أرسل الى الفقيه محمد النظارى يطلب منه الذمة على أن يقيم فى بلده ، وتعهد فى المقابل أن يمنع قومه من التمرد بسببه ، فقبل منه الفقيه النظارى ذلك ، وأرسل له بكسوة كدليل عن العفو عنه (٩٥) ، ويبدو أن شيخ المخارشة لم يكن صادقا فى وعده اذ أنه انتهز فرصة ثورات قبائل تهامة الأخرى سنة ٩٢١ هـ ، وقام مع قومه بالتمرد على الدولة واعتصم بالهيجة مأوى المتمردين (٩٦) ، ولوجود الشيخ عبد الوهاب ابن السلطان عامر فى قرية الضحى فقد أرسل الأخير اليهم الشيخ محمد ابن عامر بن وهبان والنقيب أحمد بن سعد بن مقداد على رأس قوة

---

(٩٤) الفضل المزيد ، ص ٢٦٥ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢١٨

(٩٥) قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢١٨ ، الفضل المزيد ، ص ٢٦٥

(٩٦) الفضل المزيد ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٢٢ .

لمحاصرة المخارشة هناك حتى لا يتم أى تعاون بينهم وبين القبائل الأخرى ، ويبدو أن تموين المخارشه قد بدأ ينفذ وأجبرتهم الحاجة الى الغذاء على التسلل خفية الى احدى القرى القريبة منهم وعلى رأسهم ابن المساوى الذى اتجه الى قرية مقبلة لنهب دوابها ، وبعد أن نفذ ما يريده كر راجعا الى مكانه الأول ، الا أن النقيب أحمد بن سعد قطع عليه خط الرجعه على رأس قوة صغيرة ، ونجح الأخير بعد اشتباك بينهما أن يقتل ابن المساوى ويقطع رأسه ويستولى على ما معه من خيل وسلاح والدواب التى نهبها والتى أرجعها لأصاحبها[٩٧] ، وبمقتل ابن المساوى فى يوم الثلاثاء الرابع من ذى الحجة سنة ٩٢١هـ[٩٨] انتهت ثورة المخارشة وأرجعتهم الى الطاعة .

---

(٩٧) الفضل المزيد ، ص ٢٧٦ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٢٢ .

(٩٨) الفضل المزيد ، ص ٢٧٦ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٢٣ .

ط : أهـــل أصـــــاب :

يبدو أن منطقة أصابـ وصاب ـ قد ظلت فترة حكم الطاهريين بعيدة عن نفوذهم المباشر حتى كانت فترة حكم السلطان عامر بن عبد الوهاب ولربما أدرك أهل هذه المنطقة أن حكمه ونفوذه لابد أن يصل اليهـــم بالقوة ، ولذلك بادر أهلها بتسليم بلادهم الى سلطته في ربيع الثانـــي سنة ٩٠٤ هـ ، وتسليمه معظم حصونهم سلما ، وقد لاقى عملهم هذا من السلطان عامر استحسانا وكافأهم عليه بأموال جزيله وأنعم عليهم (٩٩) ،وظلت هذه المنطقة تحت حكمه الى محرم سنة ٩١٣ هـ ثم بدأ أهلها يخرجون عن حكم الدولة الطاهرية بالتمرد ، وقد سكتت المصادر عن سبب هذا التمرد ، ويبدو أن الخراج الذى يعطى للدولة كان السبب المباشر لثورة الأهالى هنا ، وكان نتيجة عملهم هذا بأن سيطروا على ثلاثـــة حصون كانت تحت أيدى القوات الطاهريه وهى حصن القعور وحصـــن

---

(٩٩) الفضل المزيد ،ص ١٢٦ ، قلادة النحر ،جـ ٣ ، ورقه ٥٩٢ ب،
وصاب سميت باسم وصاب بن سهل بن الجمهور بن زيد بـــن عمرو بن قيس بن معاويه الحميرى ، وتقع شمال وادى رمع وتنقسم الى قسمين وصاب الأعلى ووصاب الأسفل ، الحبيشى : عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الرحمن ، تاريخ وصاب المسمى الاعتبار فـــي التواريخ والأثار ،ص ٨٢ ،ص ٨٣ ، ط١ ، ١٩٧٩م.

القدمه وحصن بهوان (١٠٠) ، وقد بادرت الحكومة الى ارسال قواتها لكى تضع حدا لهذا النشاط المعادى ، وعلى رأس هذه القوات الفقيه على بن محمد النظارى والأمير ريحان (١٠١) ، ولم تستطع هذه القوات السيطرة على المنطقة واعادتها الى السلطة المركزية ، ويبدو أن المقاومة كانت عنيفة ، كما يبدو أن الأمير ريحان قد جرح فى هذه الحملة أفضى به الى الموت ثم صلى عليه فى جامع زبيد (١٠٢) فى الرابع من ربيع الأول سنة ٩١٣هـ

ونتيجة لعدم سيطرة القوات الحكومية على هذه المنطقة فقد فرض الحصار عليها الا أنه لم يؤثر تأثيرا قويا على الأهالى هنا ، مما دفع السلطان عامر بأن يرسل أخاه الشيخ عبد الملك بن عبد الوهاب بتعزيزات جديدة فى ذى القعدة من نفس السنة (١٠٣) تدعم القوات المرابطة فى هذه المنطقة ولكى يحكم الحصار أيضا على المتمردين ، وبهذه التعزيزات الجديدة تقوى مركز القوات الحكومية ، وقد اشتبكت مع الأهالى فى معركة

---

(١٠٠) الفضل المزيد ، ص ١٢٦ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ٥٩٢ ب .

(١٠١) الفضل المزيد ، ص ٢٠٨

(١٠٢) الفضل المزيد ، ص ٢٠٩

(١٠٣) الفضل المزيد ، ص ٢١١

حاسمة استمرت من الصباح الى غروب الشمس (١٠٤) تمكنت فيها قوات الجيش الطاهرى من قتل عدد كبير من الأهالى ، ولذا فقد خفت حدة مقاومتهم السابقة مما مكن من تشديد الحصار على من بقى فى الحصون ، وقد حدث ما لم يكن فى الحسبان ، وذلك أن أصحابها قد اغتنموا فرصة ظلمة الليل وخرجوا من الحصون بأهاليهم وتركوها خاوية على عروشها (١٠٥) ، وعندما أشرقت شمس يوم الخميس الموافق السابع من ذى الحجة ، فوجىء الشيخ عبد الملك قائد القوات الطاهرية خلو الحصون من أهلها ، ولم يستطع هؤلاء حمل ما بداخل الحصون من أموال ، ولذا فقد أصبحت غنيمة فى أيدى القوات الحكومية (١٠٦) .

وبما أن الخراب سيعم المنطقة بخلوها من السكان الهاربين فقد فكر القائد هنا مليا فى الأمر ، ثم أصدر قراره بالمناداة عليهم بالأمان لمن يعود منهم الى هذا المكان ، وعندما تمكنت الوطأة الحكومية ، وضع القائد الطاهرى الحاميات فى الحصون التى استولوا عليها ، ثم قفل راجعا الى حيث يستقر أخاه السلطان عامر (١٠٧) ليقرر له أحوال المنطقة وما وصلت اليه الحالة الأمنية بها .

---

(١٠٤) الفضل المزيد ، ص ٢١٢

(١٠٥) الفضل المزيد ، ص ٢١٢

(١٠٦) الفضل المزيد ، ص ٢١٢

(١٠٧) الفضل المزيد ، ص ٢١٢ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢١١ - ٢١٢ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٥ أ

البـــــاب الأول

الفصـل الثالـــث

حروبه ضـد الأئمـة الزيديـه وتوسـيع نفـوذه

أ - العلاقة الزيدية الطاهرية قبل فتح صنعاء ٨٩٤-٩١٠ هـ

بَ - فتـح صنعــاء سنة ٩١٠ هـ

جـ - العلاقة الزيديـة الطاهرية بعد فتح صنعاء ٩١٠هـ - ٩٢٠هـ

---- ------------

أ ـ العلاقة الزيدية الطاهرية قبل فتح صنعاء

كانت للنهاية المفجعة للظافر عامر الأول على أبواب صنعاء سنة ٨٧٠ هـ الأثر الكبير في تخفيف حدة الصراع بين القوى الزيدية والدولة الطاهرية التي كانت آنذاك في طور الانشاء وبناء القواعد الثابتة للدولة الجديدة واكتفى المجاهد بالمحافظة على الأقاليم السنية ، ولم يحاول أن يدخل في نزاعات مع القوى الزيدية ، وذلك ربما لعلمه أن هذه القوى متنافره فيما بينها ، ولم تكن بينها وحدة دائمة تستطيع بها أن تتجه الى الجنوب السني بشكل قوى ، فعمل المجاهد على تقوية مملكته ، وظل يتبع هذه السياسة الى أن توفى سنة ٨٨٣ هـ ، ولم يكن خلفه السلطان عبد الوهاب بن داود بأكثر منه طموحا ، بل قنع بالعيش في سلام مع باقي السيادات التي عاصرته (١) ، واكتفى باستعادة ذمار وفرض سيطرته عليها ، فلما توفى الملك المنصور عبد الوهاب خلفه ابنه الظافر الثاني عامر ابن عبد الوهاب سنة ٨٩٤ هـ ، وشغل السلطان الجديد في بداية عهده بالفتنة القائمة في البيت الطاهرى أولا ثم ثورات القبائل عليه ، ولكنه تمكن من أبناء الظافر الأول ، كما تغلب على معظم القبائل التي

---

(١) سالم : السيد مصطفى ، الفتح العثماني الأول لليمن ، ص ٣٤ ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٤م.

ثارت عليه ولم يبق عليه الا أن يتجه نحو الشمال وبالذات الى صنعاء .

ولكن السلطان عامر لم يتجه هذا الاتجاه الا بعد خطوات تثيد ة وثابتـه نحو القوى الزيدية والتي كانت متناثرة في المناطق الشمالية ، ولكي تتضح الصورة لا بد أن نلقي الضوء على هذه القوى وبالأصح الى الأئمة الزيدية الذين بلغ التنافس ذروته فيما بينهم بعد وفاة الامام عز الدين بن الحسن - ٩٠٠ هـ - اذ قام بعده ابنه الحسن بن عز الدين في شهر رجب سنة ٩٠٠هـ (٢) ، ويبدو أنه كان يتمتع بشعبية تفوق ما كان لأبيه اذ امتـدت الاستجابة لامامته الى صعدة والتي كان يحكمها الأمير محمد بن حسين الحمزى والذى كان لا يعترف بامامة أبيه (٣) ، وبالرغم من ذلك فان الامـام الحسن بن عز الدين لقي معارضة من عمه صلاح بن الحسن وابنه على بن

---

(٢) غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٢١ ، زبارة أئمة اليمن ، ص ٣٥٧ ، ولد الامام عز الدين بن الحسن بن المؤيد سنة ٨٤٥ هـ بهجرة فلله ، وطلب العلم وهو صغير ، وأخذ الحديث عن شيخ محدثي اليمن أنذاك يحي بن أبي بكر العامرى ، قام بدعوته سنة ٨٧٩هـ وبايعه أهل هجرة فلله ودخلت تحت طاعته بلاد السودة وكحلان والشرفين والمناطق الشماليه . توفى في رجب سنة ٩٠٠ هـ ، البدر الطالع ، جـ ١ ، ص ٤١٥ ، ص ٤١٦ .

(٣) غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٢١ ، زبارة أئمة اليمن ، ص ٣٧٥ .

صلاح ، وبعض علماء الزيدية كالقاضي محمد بن أحمد مظفر وغيره (٤) ولم تقتصر هذه المعارضة عليه من هؤلاء فقط ، بل ظهر منافس جديد للامام الحسن وهو الامام محمد بن علي الوشلي السراجي الذي دعا الى نفسه في ذي القعدة سنة ٩٠٠ هـ في قرية القابل من بلاد بني الحارث (٥) أي بعد حوالي أربعة أشهر من دعوة الامام الحسن بن عز الدين ، ووجد معارضوا الأخير فرصة سانحة في مبايعة الوشلي رغم المحاولات التي بذلها بعض علماء الزيدية لاقناع الامام الجديد ببطلان دعوة اللاحق لدعوة السابق ، ولكنه لم يقتنع بوجهة نظرهم ، وأخذ ينشر دعوته في ثلا وغيرها من المناطق وقد استجابت لدعوته أيضا ذمار نكالا بالدولة الطاهرية ، كما لقيت دعوته تأييدا من الطوائف الزيدية المنتشرة في

---

(٤) غاية الأماني ، ق٢ ، ص ٦٢١ ، الضمدي : عبد الله بن علي ، الوافي بوفيات الأعيان المكمل لغربال الزمان ، ورقه ١٠٦ أ ، مخطوط مكتبة الأحقاف بتريم ، مجموعة المكتبة الشعبية بالمكلا ، أئمة اليمن ، ص ٣٥٧ .

(٥) غاية الأماني ، ق٢ ، ص ٦٢٢ ، والامام الوشلي هو محمد بن أحمد المعروف بالسراجي ولد سنة ٨٤٥ هـ واشتغل بالعلم حتى برع فيه ، دعا الى نفسه سنة ٩٠٠ هـ ووقعت بينه وبين السلطان عامر كثير من المعارك انتهت بأسره سنة ٩١٠ هـ قريبا من صنعاء ولبث في الأسر قليلا ثم توفي في السنة المذكوره ، البدر الطالع ، جـ ٢ ، ص ٢١٤ ، أئمة اليمن ، ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .

المناطق الشمالية لأنه بدأ يحتك بالدولة الطاهرية ، ويظهر عداءه الواضح نحوها واتخذ من اختلاف المذهب قاعدة في هجومه على السلطان عامر واتهامه بأنه ممن يقول بالجبر (٦) ، وهدفه من ذلك هو تحريض المناطق الزيدية التي تخضع للدولة الطاهرية ، ومن ناحية ثانية تقليص نفوذ وشعبية كل من الامام الحسن بن عز الدين الذي سار على سياسة والده بعدم الاحتكاك بالدولة الطاهرية ، كذلك التعريض بالامام محمد بن الناصر امام صنعاء وضواحيها منذ فترة طويلة ، وربما لم يحاول أن ينشر نفوذه فيما عداها من المناطق الزيدية لأنه كان مسالما للسلطان عامر بن عبد الوهاب (٧) .

أما العلاقات فيما بين هؤلاء الأئمة، فان المصادر لم تشر الى كثير من جوانبها ، ولكن يمكن أن نستنتج من ذلك أن هذه القوى آثرت أن توجد نوعا من التوازن فيما بينها ، وعدم إهدار قواها في صراع جانبي تكون نتائجه أخيرا إنهاك قوتهم جميعا ، وإضعافها وفي النهاية تصبح فريسة سهلة للقوة السنية المجاورة والتي تتربص بهم وتحبذ

---

(٦) غاية الأماني ،ق ٢ ،ص ٦٢٣ .

(٧) الكبسي ، اللطائف السنية ،ورقه ٥٤ ب.

مثل هذا الصراع ، ولعل هذا يفسره تجديد الصلح فيما بين الامام الحسن بن عز الدين والأمير محمد بن حسين الحمزى حاكم صعدة لمدة خمس سنوات والذى أبرم فى حياة والده الامام عز الدين بن الحسن. (٨)

أما الامام الوشلى والامام الحسن بن عز الدين فانهما كما يظهر أن كلا منهما كان يحاول أن يضم الآخر الى بيعته بالاقناع واظهار الحجج ، غير أن جهودهما لم تفلح فى ضم كل منهما الى الآخر رغم اللقاء الذى تم بينهما فى بلاد الشرف (٩) ، واكتفى كل واحد من هؤلاء الائمة بمناطق نفوذه ، وأصبحت المناطق الزيدية متوزعة الولاء والتبعية فيما بينهم .

أما عن العلاقات الزيدية الطاهرية ، فاننا نجد أن أكثرهم نشاطا ضد القوة السنية المجاوره هو الامام محمد بن على الوشلى ، والذى يبدو أنه كان يمهد البيعة لنفسه فى ذمار لاعلان دعوته منها ، مستغلا بذلك خلل الأوضاع فى الدولة الطاهرية بسبب النزاع فى بيت

---

(٨) غاية الأماني ، ق٢ ، ص ٦٢١ .

(٩) غاية الأماني ، ق٢ ، ص ٦٢٥ ، أئمة اليمن ، ص ٣٥٧ ، وبلاد الشرف لعلها شرف البياض من بلاد خولان من جهة صعدة .
الحموى : ياقوت ، معجم البلدان مجلد ٣ ، ص ٣٣٦ ، بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م .

الملك نفسه ولذلك لجأ الى أهل ذمار وحرضهم على الدولة الطاهرية بهدف اخراج حاميتها منها ، ومن ثم الاستيلاء عليها لاتخاذها مركزا لنفوذه ، وقد استجاب له أهلها ، ومهدوا لذلك ببناء سور حول المدينة لتستطيع الصمود أمام جيوش السلطان عامر ، ولكن الأخير (١٠) أدرك خطورة تحركاتهم ، ولم يعطهم الفرصة لتنفيذ خطتهم ، بل سارع بالتحرك بنفسه في ١٧ من ذي القعدة سنة ٨٩٥ هـ على رأس قوة كبيره لقمع تمردهم ، وفرض عليهم حصارا قويا حاول أهل ذمار أن يخرجوا منه بالاشتباك مع القوات الطاهرية الا أن نتائج هذه المعركة لم تكن في صالحهم ، وقتل من أعيانهم الشريف محمد الجوفي ، (١١) وشدد السلطان عامر حصاره عليهم ، مما اضطرهم الى طلب الأمان منه مقابل تسليم المدينة اليه ، فأعطاهم ذلك واشترط عليهم في المقابل هدم السور الذي بنوه ، ففعلوا ، ودخلها الظافر بعد ذلك ثم جعل فيها واليا من قبله وكر راجعا الى بلاده . (١٢)

---

(١٠) الثور : عبد الله بن أحمد ، هذه هي اليمن ، ص١٣٣ - ١٣٤ .

(١١) بغية المستفيد ، ص ١٩٥ ، جامع المتون ورقه ٦٠ب .

(١٢) غاية الأماني ، ق٢ ، ص ٦١٨ ، بغية المستفيد ، ص ١٩٦ ، قرة العيون ، ق٢ ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .

وقد وضعت هذه الحملة حدا لتمرد أهل ذمار وما جاورهـا من المناطق الزيدية فترة ليست بالقصيره رغم الظروف التى كان يعانيها السلطان من تمرد أخواله واستنزاف جهد قواته ،مما يعطى انطباعـا أن القوى الزيدية بدأت تحسب الف حساب للقوات الطاهرية ، ولعـل ما أصاب أهل ذمار قد أخر مخططات محمد بن على الوشلى فى القيام بدعوته منتظرا الفرصة السانحه لاعلان إمامته ،لكن وفاة الامام عز الدين وقيام ابنه الحسن بالدعوة جعلته يعجل بإعلان إمامته ، ويبدو أن دعوته هذه قد لقيت أذنا صاغية بين أهل يعر من ناحية ملص الذيـن تأثروا بها ونتيجة لذلك فقد تمردوا على الدولة الطاهرية ، وكـان لعملهم هذا أثره بين رجال القوات الطاهرية لذا فقد توجه اليهم الأمير على بن محمد البعدانى فى الثانى من محرم سنة ٩٠١ هـ وهاجمهـم واستطاعت القوات الطاهرية أن تحرز عليهم انتصارا كبيرا فقتل سبعين منهم وأسر أربعين شخصا أيضا (١٣) ، الا أنه يبدو أن هذا النصر لـم يكن حاسما فعاودت عليهم الهجوم فى الثانى عشر فى مكان يعرف بذى جود وتمكنت القوات الطاهرية من أن تتغلب عليهم ثانية وأسفرت هـذه

---

(١٣) بغية المستفيد ،ص ٢١٧ ، الفضل المزيد ،ص ٩٢ ، قرة العيون ،ق ٢ ،ص ١٩٣ ، ويعر : مقاطعة من مغرب عنس من أعمال ذمار ، وملص بلدة من ذمار . بغية المستفيد ، ص ٢١٧ .

المعركة عن قتل قرابة مائة رجل (١٤) ، وبعد أن اطمأن القائد الطاهرى من تمكن الوطأة فى هذه الأماكن توجه الى السلطان عامر بن عبد الوهاب فى رداع العرش ومعه الأسرى منهم ، فعفا عنهم السلطان وأطلق سراحهم (١٥) .

الا أن نشاط الامام الوشلى لم يتوقف ضد أملاك الظافر عامر بن عبد الوهاب اذ قام بتحريض أهالى ذمار مرة أخرى واستجابوا له وساعدهم أهل المصنعه ولكى لا يستفحل أمر هذا التأييد للامام ، سار اليهم السلطان عامر بنفسه وتمكن من أن يسيطر على الوضع بسهولة ، كما تمكن من الاستيلاء على حصن المصنعة فى ربيع الأول سنة ٩٠٢ هـ (١٦) .

---

(١٤) روح الروح ، ورقه ٤ أ ، غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٦٢٢ .

(١٥) غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٦٢٢ .

(١٦) الفضل المزيد ، ص ١٠٠ - ١٠١ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٩٥ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٢ أ .
والمصنعه : تطلق على عدة أماكن منها : مصنعه بنى بداء من حصون مشارف ذمار لبنى عمران بن منصور البدائى ، ومصنعة أيضا حصن من حصون بنى حبيش ، ومصنعه بنى قيس من نواحى ذمار ، ومصنعه من نواحى ذمار أيضا .
معجم البلدان ، مجلد ٥ ، ص ١٤٤ .

وكان للحصون دورا مهما في المناطق الجبلية ، ولعبت دورا كبيرا في تحصين من بداخلها ومشقة المهاجمين في الوصول اليها ، وذلك لوعورة المسالك والطرق المؤدية اليها ، ويبدو أن حصن هداد - ولعله يكون قريبا من ذمار - كان له دور كبير في اثارة المتاعب ضد الدولة الطاهرية مما اضطر السلطان عامر الى أن يرسل جيشا يقوده الأمير علي بن محمد البعداني للاستيلاء عليه ، ولكي لا يسقط هذا الحصن المهم بالنسبة للامام الوشلي ، ويخفف من حصار الجند الطاهري على الأهالي ، فقد سارع الى نجدتهم وحاول أن يشغل الجيش الطاهري وتمكن بعضا من الوقت أن يضيق الخناق على الأمير البعداني ، ولكي يخرج الأخير من فكي الرحى دبر خطة الالتفاف حول قوات الامام الوشلي من خلفها ، فاختار الف مقاتل وسلك طريقا غير معهودة ففاجأ خصمه بهذه القوه ، ولم يستطع من المفاجأة أن يصمد أمام قوات البعداني ، وهزم هزيمة ساحقه اضطرته الى الفرار بعد أن قتل من معسكره عدة أشخاص وقطعت رؤوسهم اضافة الى ما استولى عليه من سلاح وخيول للوشلي ،[17] وبهذه الخطة التي اتبعها البعداني سقط حصن هداد في يد القوات الطاهريه في جمادى الأولى سنة ٩٠٤ هـ ،واظهارا

---

(١٧) الفضل المزيد ،ص ١٢٥ ،قلادة النحر ،جـ ٣ ،ورقه ٥٩٢ ب ، غاية الأماني ، ق ٢ ،ص ٦٢٤ - ٦٢٥

للفرحة بهذا الانتصار الغير متوقع فقد أهدى المبشرون بانتصار القوات الطاهرية ، كما سادت الأفراح في أنحاء المملكة الطاهرية .(١٨)

وقد ترتب على سقوط هذا الحصن في أيدى الطاهريين أن مهد بفتح حصون أخرى في المنطقة فيما بعد ، كما مهد أيضا لفتح عاصمة اليمن الشمالية - صنعاء - كما ضمنت القوات الطاهرية خط الرجعه عبر الحصون المشار اليها آنفا فيما لو فشلت في الاستيلاء على صنعاء ، ودلالة على استفادة القوات الطاهرية من سقوط حصن هداد في أيديها توجهت جموعها في آخر جمادى الآخرة سنة٩٠٧هـ الى ذمار التي جعلها السلطان عامر نقطة ارتكاز لانطلاقاته التوسعية في المنطقة بعد أن وصلها في غرة رجب من نفس السنة وأول عمل قام به هنا هو توجيه طائفة من جنده الى منطقة جمعة الجزع (١٩) ، فتمكنت من الاستيلاء عليها وعلى حصونها بعد أن قتل عدد كثير من أهلها الذين سقطوا دفاعا عن منطقتهم .(٢٠)

---

(١٨) الفضل المزيد ، ص ١٢٧ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٩٨ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٢ ب .

(١٩) الفضل المزيد ، ص ١٥٦ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٠٤ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٣ ب ، (جمعة الجزع : في قرة العيون جمعه الخزج ، وعرفها المحقق الأكوع بقوله : هو الموضع الذى يقال له اليوم سوق الجمعه ، والخزجه في العرف الأرض المغيلوله تنبت فيها المراعى وهو شمال ذمار) قرة العيون ٢ / ٢٠٤

(٢٠) الفضل المزيد ، ص ١٥٦ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٠٤ ، روح الروح ، ورقه ٦ أ ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٢٨ ، اللطائف السنية ، ورقه ٥٥ ب .

المحاولة الأولى لفتح صنعاء سنة ٩٠٧ هـ

أغرت هذه الانتصارات السلطان عامر على أن يمد نفوذه الى صنعاء، وباقى جهات المنطقة الشمالية، وأن يخضع هؤلاء الأئمة لسيادته، (٢١) فتوجه الى صنعاء على رأس حملة كبيرة فوصل اليها يوم الثلاثاء الثامن من شعبان سنة ٩٠٧ هـ، وضرب حصاره عليها (٢٢)، متخذا كامل استعداداته هنا من عدد وعده خاصة المجانيق الكبيرة لاستخدامها فى هدم أسوار المدينة (٢٣) ويبدو أن الظافر فرض أسوأ الاحتمالات وحسب لطول مدة الحصار حسابها وقد أطبق عليها الجيش الطاهرى من جميع جوانبها وضيق على أهلها الخناق وذلك باللجوء الى تخريبها حول المدينة وخاصة المزارع، والحقت المجانيق الضرر الكبير بسورها ولم تسلم المنشآت التى بداخلها منها (٢٤)، وبالرغم

---

(٢١) الفتح العثماني لليمن، ص ٣٧.

(٢٢) الفضل المزيد، ص ١٥٦، قلادة النحر، جـ ٣، ورقه ٥٩٣ ب، غاية الأماني، ق ٢، ص ٦٢٨، روح الروح ورقه ٦ أ، أئمة اليمن، ص ٣٦٠.

(٢٣) روح الروح، ورقه ٦ أ، غاية الأماني، ق٢، ص ٦٢٨ - ٦٢٩.

(٢٤) الفضل المزيد، ص ١٦٤.

مما اتخذه الجيش الظاهرى من أعمال العنف ضد السكان هنا الا أن فترة الحصار قد طالت الى محرم سنة ٩٠٨ هـ ، فلم يجد الامام محمد بن الناصر بدأ من الاستعانة بالامام محمد بن على الوشلى ، وبحاكم صعدة محمد بن حسين الحمزى المعروف بالبهال وغيرهما من القوى الزيدية لنجدته وفك الحصار عنه ، فاستجابت هذه الطوائف لاستغاثة امام صنعاء ، فلما علم الظافر بقدومها أرسل قوة بقيادة الأمير على بن محمد البعدانى لاعتراض طريقها أو القضاء عليها وارغامها على الانسحاب من حيث أتت ، (٢٥) واشتبكت قوة البعدانى بالنجدة الزيدية أسفرت عن هزيمته أمامهم ، (٢٦) وبذلك فشل الأمير المذكور من تحقيق هدف حملته المنوط بها من قبل السلطان عامر ، فاضطر الى الانسحاب الى معسكر الظافر ، وتطورت الأمور بشكل لم يخطر على فكر السلطان ، وتحول الموقف الى ضده ونتيجة لهزيمة البعدانى أصبح الجيش الظاهرى محاصرا بين أهل صنعاء وبين قوات الوشلى والبهال ، فلم يجد السلطان من وسيلة للخروج من هذا المأزق الذى وقع فيه الا التفاوض مع الأمير محمد بن

---

(٢٥) بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٣٢٤ - ٣٢٥

(٢٦) الفضل المزيد ، ص ١٦٣ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٣ ب ، غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٦٢٩ ، روح الروح ، ورقه ٦ ب ، اللطائف السنية ورقه ٥٦ أ

حسين البهال ، واستعان بحاكم قلعة همدان في هذا التفاوض (٢٧) ، غير أن البهال اشترط في مقابل الصلح ، أن يقوم الظافر عامر بن عبد الوهاب بتعويض أهالي صنعاء عن كل الاضرار التي لحقت بهم من جراء حصاره لهم وتخريب ممتلكاتهم ، كما اشترط بأن يسلم السلطان أخاه عبد الملك بن عبد الوهاب كرهينة عنده والانسحاب من الحدود الزيدية التي استولى عليها سابقا (٢٨) ، وأمام هذه الشروط القاسيه لم يجد الظافر بدا من البحث عن مخرج مشرف من هذا الموقف الحرج الا المقاومة فعمد أولا بالسماح للزيديين المشاركين معه بالانصراف من المعسكر (٢٩) ثم جمع كبار قادته واستشارهم في كيفية تأمين الانسحاب بأقل الخسائر وانتهى بهم الأمر الى تفريق كميات كبيرة من الأسلحة للمشاركين معه في الحصار من الجند وغيرهم ، ثم حمل جميع أمواله وعتاده على ما يقارب ألفي جمل (٣٠) ، كما أحرق ما لم يستطع حمله حتى لا يكون غنيمة لاعدائه ثم أمر أخاه الشيخ عبد الملك بن عبد الوهاب بالتقدم بالخياله وأهل يافع ، ولكي لا يهاجم الخصوم تموينات الجيش فقد أمر السلطان أن تكون وسط الحملة وأرفق

---

(٢٧) الفضل المزيد ،ص ١٦٤ ،غاية الأماني ،ق٢ ،ص ٦٢٩ ،أئمة اليمن ،ص ٣٦٢.

(٢٨) الفضل المزيد ، ص ١٦٤ .

(٢٩) الفضل المزيد ،ص١٦٤.

(٣٠) الفضل المزيد ،ص١٦٤.

بها من لا يحسن الحرب ، وتأخر السلطان عامر مع عدد من الفرسان وبقية الجيش من بني حشيش وأهل الشوافي وبقية القبائل العربية المصاحبه له ثم بدأ انسحابه من صنعاء (٣١)، ويبدو أن الامام الوشلي والأمير الهمال لم يحاولا اللحاق بالجيش الطاهري المنسحب ، واكتفوا بما آل اليه من فشل في تحقيق الهدف لهم ، وذلك بعكس أهل صنعاء الذين خرجوا على رأس قوة هدفها الحاق الأضرار بالجند الطاهري المنسحب ، وكسب ما يمكن كسبه من غنائم ، ولكن الظافر تصدى لهم وقتل منهم مائتي رجل عدا عدد من الفرسان ، وأكمل انسحابه ، وفي هذه الأثناء صب جام غضبه على المناطق الزيدية الواقعة فيما بين صنعاء وذمار ، وأخرب كثيرا منها انتقاما لما حل به من هزيمة (٣٢)، الى أن وصل الى ذمار في يوم السبت الحادي عشر من محرم سنة ٩٠٨ هـ ، ولم يلق صعوبات تذكر أثناء انسحابه (٣٣)، وهكذا كان تهديد السلطان عامر ابن عبد الوهاب لصنعاء كافيا لاثارة مخاوف القوى الزيدية بأجمعها

---

(٣١) الفضل المزيد ، ص ١٦٤ .

(٣٢) الفضل المزيد ، ص ١٦٥ ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٢٩

(٣٣) الفضل المزيد ، ص ١٦٥ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٣ ب

مما دعاها الى التكاتف وتوحيد الصفوف للدفاع عن هذه المدينة الاستراتيجية والتاريخيه والتى تعتبر أيضا مفتاح المنطقة الجبلية الشمالية رغم ما بينها من اختلاف ، ولكن عندما يبدو أى تهديد لها فان القوى الزيدية سرعان ما تتجه للدفاع عنها تاركين هذه الخلافات ليواجهوا الخطر الداهم الذى يهدد الجميع .(٣٤)

أما نتائج هذه المعركة بالنسبة للامام الوشلى والأمير البهال ، فانهما دخلا صنعاء وتلقاهما الامام محمد بن الناصر بالترحاب ،كما أقيمت الخطبة للامام الوشلى فيها (٣٥) ، أما البهال فقد تنازل له الامام محمد بن الناصر عن حصن ذى مرمر ثمنا لمساعدته له أثناء الحصار،(٣٦) ولم يطل العمر بمحمد بن الناصر طويلا اذ سرعان ما توفى فى شعبان سنة ٩٠٨ هـ وخلفه أخوه أحمد بن الناصر فى حكم هذه المدينة ،(٣٧) وكان عليه العبء فى تحمل الدفاع عنها فيما بعد .

(٣٤) بنو رسول وبنو طاهر ،ص ٣٢٦ ، الفتح العثماني لليمن ، ص ٣٨ .

(٣٥) غاية الأمانى ، ق٢ ، ص ٦٢٩

(٣٦) الفتح العثمانى لليمن ،ص ٣٨

(٣٧) الفضل المزيد ،ص ١٦٩ ، روح الروح ،ورقه ٦ أ ، اللطائف السنية ، ورقه ٥٦ أ ، غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٦٢٩ .

ب ـ فتح صنعاء ٩١٠ هـ

كانت لأهمية صنعاء دافعا كبيرا الى أن يكرر الظافر عامر بن عبد الوهاب محاولته لفتحها ولكنه في هذه المحاولة اتخذ كافة الاستعدادات اللازمة لاسقاطها وضمها الى نفوذه ، ويبدو أنه تظاهر بصرف النظر عنها حتى لا يتيح لأحمد بن الناصر بأن يأخذ حذره ، ويحصن المدينة لكي تستطيع الصمود أمام قوات السلطان عامر .

ومع مطلع سنة ٩١٠ هـ بدأ الظافر يرتب نفسه للمسير اليها ، وأخذ يرسل ولاته الى أقاليم اليمن المختلفه لجمع المحاربين منها ، فمثلا في صفر من نفس السنة بعث السلطان الأميرين الفقيه عبد الكريم بن علوان والأمير علي بن محمد البعداني الى قبائل تهامة لجمع المقاتلين منها ، والذين سيرافقون الحملة الى صنعاء (٣٨) ، وبعد أن أنهى الأميران مهمتهما توجها الى الظافر في رداع العرش يوم الجمعة الثالث من شهر ربيع الأول ، وبصحبتهم ما استطاعوا تجنيده من مقاتلي القبائل وأهمهم الواعظات والصميون ، والمعازبة ، والقرشيون وغيرهم (٣٩) .

---

(٣٨) الفضل المزيد ، ص ١٨٠ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٠٧

(٣٩) الفضل المزيد ، ص ١٨٢ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨

وبعد أن أكمل الجيش استعداداته وتجمع الجند قادة السلطان عامر ولى شطره نحو ذمار في ربيع الأول سنة ٩١٠ هـ فدخلها يوم الخميس ١٦ من ربيع الأول ومنها سار بهذا الجيش الخضم الى صنعاء فوصل اليها آخر الشهر المذكور ، وقد بلغ تعداده ـ كما تذكره المصادر ـ مائة وسبعون ألف راجل وثلاثة آلاف فارس (٤٠) ثم أطبق بهم على صنعاء وأحاطها كاحاطة السوار بالمعصم ، ولكي يضيق على أهالي المدينة الموجودين بداخلها منع وصول الامدادات اليها من أي مكان وتنفيذا لهذه الخطة فقد ألقى القبض في شهر شعبان سنة ٩١٠ هـ على عدد من التجار يبدو أنهم حاولوا الفرار من رقابة رجال الدولة الطاهريه ، والهروب بما معهم من أموال وبضائع حيث أرسوا بمكان بعيد عن مرسى السفن القادمة الى عدن يطلق عليه اسم ضراس، الا أنهم سرعان ما وقعوا في الأسر بذلك المكان وأرسلوا بما معهم الى السلطان عامر وهو محاصر لصنعاء (٤١).

---

(٤٠) الفضل المزيد ،ص١٨٢ ،قرة العيون ،ق٢ ،ص ٢٠٨ ،قلادة النحر ، جـ ٣ ، ٥٩٤ ب ،غاية الأماني ،ق٢ ،ص ٦٣٣ ، جامع المتون ، ورقه ٦٦ ب ، ٦٧ أ ،اللطائف السنية ،ورقه٥٦ أ

(٤١) الفضل المزيد ،ص ١٨٤ ، وضراس : بالضم جبل بعدن من جهة حقات وفيه مرسى للسفن ولا ساكن به ،النسبة الى المواضع والبلدان ،ورقه ٢٥٥ أ

واستمر حصار السلطان لها الى شهر رمضان ، وكما حدث في المرة الأولى أقبلت نجدة من القوى الزيدية الأخرى يتقدمها الامام محمد بن علي الوشلي ، والأمير محمد بن حسين الحمزي - البهال - وذلك بعد حوالي خمسة أشهر من بدء الحصار ، ويبدو أن تأخر هذه النجدة طوال هذه الفترة مرده الى أن المذكورين أرادوا أن تنهك القوات الطاهرية من طول الحصار اضافة الى اغتنام فرصة أن يصيب الجند الملل من الحصار وكسب الوقت في الاعداد للنجدة التي سيتوجهان بها لمصادمة القوات الطاهرية ، واجتمع القائدان في مدينة الظاهر في شهر رمضان سنة ٩١٠ هـ وانتظروا إمدادات تصلهم من صعدة برفقة ابن الأمير محمد بن حسين البهال ، الا أن تأخر هذه الامدادات جعلتهما يصرفان النظر عنها (٤٢) ، ويتوجهان بما معهما من القوات الى صنعاء ، وكانت أمامهم مشكلة اجتياز القوات الطاهرية الى داخل المدينة المحاصره ، واستقر رأيهما أخيرا على أن يسلك الاثنان بقواتهما عبر الطرق الوعرة ، وذلك باختيار طريق حمراء علب ، وأصبحا قريبا من صنعاء قاصدين بيت بوس (٤٣) ، ولعل هذا الاختيار هدفه إما مفاجأة الجيش الطاهري

---

(٤٢) الزحيف : بدر الدين محمد بن علي ، مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار ، ورقه ٢٤٠ ب ، مخطوط . المكتبة المركزية بجامعة أم القرى رقم ٨٣ تاريخ

(٤٣) مآثر الأبرار ، ورقه ٢٤٠ ب وبيت بوس : قرية من حازة بني شهاب بصنعاء ، ابن سمرة الجعدي : طبقات فقهاء اليمن ، ص ٣٠٨ ، تحقيق فؤاد سيد ، بيروت ١٩٥٧م .

ومهاجمته على غرة أو محاولة منهما للوصول الى صنعاء دون الاشتباك مع القوات الطاهرية لفارق العدد والعدة والاكتفاء بمساندة أهالى صنعاء فى محنتهم وتشجيعهم على الاستمرار فى المقاومة ضد قوات الظافر ، الا أنه مهما يكن هدفهم ، فان السلطان عامر قد وضع هذه المرة تلك القوة فى الحسبان ، وقام بتقسيم جيشه الى قسمين : أولهما : ومهمته حصار صنعاء (٤٤) وكان يتزعمه الشيخ عبد الملك بن عبد الوهاب (٤٥) ، أما القسم الثانى فكان برأسه الظافر نفسه ، وهدفه مواجهة أية نجدة قادمة وفوجئت النجدة الزيدية القادمة لمساعدة أهل صنعاء بالقوات الطاهرية التى أعدها الملك الظافر لهم قرب بيت بوس (٤٦) ، فدارت بين الجانبين معركة من أعنف المعارك التى وقعت فى عصر الدولة الطاهرية وانتصر فيها السلطان عامر بن عبد الوهاب انتصارا حاسما فى يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من رمضان سنة ٩١٠ هـ (٤٧) ، رغم المحاولات التى بذلها أهل صنعاء لمساعدتهم ، الا أن الشيخ عبد الملك لم يمكنهم من تحقيق هدفهم وأجبرهم على العودة داخل المدينة (٤٨) ، وكانت من نتائج معركة

---

(٤٤) بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٣٢٦

(٤٥) الفضل المزيد ، ص ١٨٥ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٠٩ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٤ ب .

(٤٦) مآثر الأبرار ، ورقه ٢٤٠ ب .

(٤٧) بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٣٢٦ - ٣٢٧

(٤٨) الفضل المزيد ، ص ١٨٥ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٠٩ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٤ ب .

السلطان عامر مع الامام الوشلي قتل العدد الكثير من قواتهما ، ووقوع الامام الوشلي أسيرا في يده بينما تمكن الأمير محمد بن حسين البهال الفرار من المعركة ، اضافة الى الغنائم الكبيرة من الأموال والذخائر العديدة التى استولى عليها منهم [(٤٩)]، ويبدو أن ترأس السلطان عامر للقوات المتصدية لهذه النجدة هو محاولته رد الاعتبار لما حدث له فى حصار صنعاء الأول سنة ٩٠٧ هـ ، وأراد شخصيا أن يشرف عليها دون الاعتماد على أى من القادة المصاحبين له فى حملته هذه ، وأن يصفى حسابه معهم وبوجوده المباشر .

وهكذا كان وقع هزيمة وأسر الوشلي فى معسكر السلطان عامر أثره الكبير فى نفوس أهالى المدينة وعلى رأسهم زعيمها أحمد بن الناصر ، والذى أسقط فى يده ولم ير فى المقاومة ما يجدى ، فآثر أن يطلب من الظافر الأمان للمدينة وأهلها مقابل تسليمها له فرضى بهذا العرض الذى قدمه حاكم المدينة ، وبعد أن تم هذا الاتفاق توافد زعماء الزيدية بصنعاء الى معسكر السلطان عامر وعلى رأسهم أحمد بن الناصر وعبد الله بن المطهر وغيرهم فى اليوم التالى لانتصاره على البهال والوشلي فأكرمهم وأنزلهم منزلا يليق بهم [(٥٠)]، ويبدو أنهم فاوضوا السلطان عامر على

---

(٤٩) الفضل المزيد ، ص ١٨٥ ، مآثر الأبرار ، ورقه ٢٤٠ ، الضمدى : عبد الله بن على : العقيق اليمانى فى أخبار المخلاف السليمانى ، ورقه ٥٠ ب ، مخطوط مكتبة السيد محمد القديمى بالزيديه ، روح الروح ، ورقه ٦ ب - ٧ أ

(٥٠) الفضل المزيد ، ص ١٨٤ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٠٩ ، غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٦٣٠

الترتيبات اللازمه لتسليم المدينة اليه وخوفا من أن ينكل السلطان بقاتل الملك الظافر عامر بن طاهر وهو محمد بن عيسى شارب فقد طلب زعماء صنعاء من السلطان المنتصر هنا العفو عنه ،فاستجاب لهم وعفا عنه ، وبعد أن تأكد من وعده هذا خرج محمد بن عيسى شارب الى معسكر السلطان الظاهرى حاملا القرآن على رأسه وكفنه على رقبته ، فأكرمه السلطان على ما بدا منه من ندم وطلب العفو (٥١).

وهكذا كان توافد كبار رجال الحكم فى صنعاء الى الملك الظاهرى بمثابة تسليم للمدينة وتمت الترتيبات اللازمه لاستلامها فدخلها الفقيه محمد بن محمد النظارى لكى يهيئ المدينة لاستقبال الفاتح وذلك فى يوم الاثنين الرابع من شهر شوال سنة ٩١٠ هـ وأول ما بدأ به الفقيه هو السيطرة على قصر الحكم ، ومن هنا بدأ ينفذ أوامره لاقرار الأمور بداخل المدينة ، وبعد ثلاثة أيام من تسليم المدينة دخلها الظافر عامر بن عبد الوهاب (٥٢) وبذلك خضعت صنعاء من جديد للدولة الطاهرية وبعد ما يقارب من أربعة عقود من الزمن تكبد السلطان عامر فى سبيل تحقيق هدفه من الاستيلاء عليها الكثير من الخسائر فى الأموال والعتاد والرجال .

---

(٥١) الفضل المزيد ،ص ١٨٤ ،قرة العيون ،ق ٢ ،ص ٢٠٩ ،غاية الأماني ،ق ٢ ،ص ٦٣٠ .

(٥٢) الفضل المزيد ،ص ١٨٤ ،قرة العيون ،ق ٢ ،ص ٢٠٩ ، روح الروح ، ورقه ٧ أ ،غاية الأماني ،ق ٢ ،ص ٦٣٢ ، أئمة اليمن ،ص ٣٦٥

أما عن مصير قادة وأئمة الزيدية فان السلطان عامر بن عبد الوهاب أمر بسجن الامام محمد بن على الوشلى فى قصر صنعاء ، وظل سجينا فيه الى أن توفى فى ذى القعدة سنة ٩١٠ هـ (٥٣) ، وأما بقيتهم أمثال أحمد ابن الناصر ومن يخشى منهم على صنعاء فقد سيرهم الى تعز بذويهم وأهليهم (٥٤) ، وهدفه من ذلك هو قطع كل أمل لأهل صنعاء فى الخروج عن طاعته ، والتعلق بأية شخصية لها صفة الزعامة عليهم ، وابعاد هؤلاء الزعماء أيضا عن محيطهم الذى يؤثرون فيه تجريدهم من مصادر قوتهم التى يعتمدون عليها ، وقد نجحت سياسته هذه طوال حياته وظل مسيطرا على صنعاء بل وتوسع على حساب أتباع المذهب الزيدى بشكل لم يصل اليه أحد من حكام الدولة الطاهرية السابقين .

وأعقب فتح صنعاء أن تساقطت الحصون الزيدية القريبة منها ، والتى كانت تتبعها تحت حكم ابن الناصر من قبل ، ولم تذكر أية مقاومة من جانب القائمين على هذه الحصون ، ولم يتبق الا حصن ذى مرمر والفص (٥٥) فتحت فيما بعد .

(٥٣) الفضل المزيد ، ص ١٨٦ ، غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٦٣٤ ، العيدروس: عبد القادر بن شيخ ، النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، ص ٥٣ ، بغداد ١٣٥٣ هـ ، أئمة اليمن ، ص ٣٦٥ ، مآثر الأبرار ، ورقه ٢٤٠ بـ ٢٤١ أ .

(٥٤) روح الروح ، ٧ أ ، غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٦٣٣ ، أئمة اليمن ، ص ٣٦٥ .

(٥٥) الفضل المزيد ، ص ١٨٥ - ١٨٦ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٩٤٥ ب ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٠٩ .

وأقام الظافر في صنعاء قرابة نهاية العام ينظم أمورها ويشرف على شؤونها ، ثم غادرها في ١٨ محرم سنة ٩١١ هـ تاركا الفقيه محمد ابن محمد النظارى واليا عليها من قبله ، كما ترك معه حامية في المدينة تقدر بألف راجل وثلثمائة فارس، أما قصر الحكم فقد ترك فيه ثلاثمة من الجند الراجلين يقومون بحراسته (٥٦) ، ولم ينسى وهو يغادر صنعاء أن يصطحب معه بقية عائلات المسجونين لديه من زعمائها ، اضافة الى اخراج بنى أسد منها معه وغيرهم ممن يخشى منهم التحرك ضده في المدينة (٥٧) .

---

(٥٦) الفضل المزيد ، ص ١٨٨ .

(٥٧) الفضل المزيد ، ص ١٨٨ .

جـ ـ العلاقة الزيديه الطاهرية بعد فتح صنعاء ٩١٠ ـ ٩٢٠ هـ

يعتبر فتح الظافر الثاني لصنعاء أعظم انتصار حققه ، وبمثابة ضربة قاصمة وأنزلها في الصميم بالزيديه ، ولم يكتف السلطان بتفوقه العسكري فحسب بل انه عمد الى تحطيم معنوياتهم نفسيا وعسكريا وذلك بزجه لزعمائهم في السجون في أنحاء متفرقه في اليمن (٥٨) وبعيدا عن مراكز قواهم ونفوذهم في مناطق زعامتهم مما أفقد سكان المرتفعات الشمالية فرص النهوض مرة أخرى في وجهه تحت قيادة قويه تستطيع أن تواجهه في ميادين القتال ، واسترداد المناطق التي استولى عليها والتي يعتبرونها مناطق دينيه وتاريخية خاصة بهم لا يجوز التفريط فيها لأية قوة مهما كانت صفتها وقوتها (٥٩) .

دعوة الامام شرف الدين يحى بن شمس الدين سنة ٩١٢ هـ

ونتيجة لما قام به السلطان تجاه زعمائهم ، كان لا بد للزيدية من شخصية جديدة قوية تقوم مقام من أسر أو قتل من الأئمة في المعارك الضارية بين السلطان وبينهم يلتفون حوله كزعيم عليهم يستطيعون به أن يقفوا ضد

---

(٥٨) روح الروح ، ورقه ٧ أ ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ١٣٣ ، أئمة اليمن ، ص ٣٥٦ .
(٥٩) الفتح العثماني لليمن ، ص ٣٨

توسع الدولة الطاهرية فى مناطقهم ، خاصة فى هذه المرحلة وما بعدها ، والذى بلغ حدته ، ويمكن أن نطلق عليه صراع مع الدولة الطاهرية من أجل البقاء ، وقد تهيأت شخصية كان لها دور كبير فى تاريخ اليمن الحديث ، بل وتحولت اليمن فيما بعد من تسلسل الحكام الشوافع الى أئمة زيدية تحكم هذه المنطقة الى فترة قريبة من تاريخنا المعاصر .

وقد تمثلت هذه الشخصية فى الامام شرف الدين بن شمس الدين الذى دعا الى نفسه فى العاشر من جمادى الأولى سنة ٩١٢هـ فى ظفير حجة ، وسرعان ما لبث طوائف الزيدية دعوته وانضموا تحت لوائه ، وحاول (٦٠)

---

(٦٠) الوزير : محمد بن ابراهيم ، السلوك الذهبية فى خلاصة السيرة المتوكليه ، ورقه ٥ أ ، مخطوط المتحف البريطانى رقم or. 3731
النهازى : صالح بن صديق ، سلسلة الابريز ، ورقه ١٦ أ ، مخطوط المتحف البريطانى رقم or. 3918 ، غاية الأمانى ، ق ٢ ص ٦٣٥ ، البدر الطالع ، جـ ١ ، ص ٢٧٨ ، روح الروح ، ورقه ٧أ
الآنسى : عبد الملك بن حسين ، اتحاف ذوى الفطن المختصر من أنباء الزمن ، ورقه ٢٧ ب ، مخطوط مكتبة كورسنى بايطاليا رقم ٣٦٥ تاريخ ، الفتح العثمانى لليمن ، ص ٣٩ ، بنو رسول ، ص ٣٢٩
والامام شرف الدين هو الامام المتوكل على الله شرف الدين يحى بن شمس الدين بن الامام أحمد بن يحيى المرتضى بن أحمد المرتضى بن المفضل بن الحجاج بن على بن القاسم بن يوسف الداعى بن يحى بن أحمد بن الهادى يحى بن الحسين بن القاسم .
العصامى : عبد الملك بن حسين ، سمط النجوم العوالى فى انباء الأوائل والتوالى جـ ٤ ، ص ١٨٠ ، القاهرة ١٣٧٩هـ ، الوزير ، =

الامام الجديد أن يكون جبهة زيدية عريضه يستطيع بها أن يقف بها أمام توسعات السلطان عامر بن عبد الوهاب ، خاصة وأنه قد انتشر نفوذه في مناطق الامام الحسن بن عز الدين في نواحي حجة ، ولم يعد للأخير من كلمة مسموعه في أتباعه بسبب موقفه السلبي من الدولة الظاهرية ، ولم يخرج الامام الحسن من حجه الى السودة الا باذن الامام شرف الدين .(٦١)

ورغم الجهود التي بذلها الامام شرف الدين يحى الا أنه يلاحظ أنه تفادى أي اشتباك مباشر مع الدولة الطاهرية ، كما يلاحظ أنه راسل السلطان عامر ، ورغم أنه ليس بأيدينا نصوص تلك الرسالة

= السلوك الذهبية ، ورقه ٤ ب .

ولد في رمضان سنة ٨٧٧ هـ بحصن حضور ، وأخذ العلم وهو صغير على عدد من علماء المذهب الزيدى وأولهم والده الذى عنى به عناية خاصة ، وتنقل في طلب العلم ما بين ذمار وصنعاء وحجة وغيرها دعا الى نفسه في العاشر من جمادى الأولى سنة ٩١٢ هـ .

البدر الطالع ، جـ ١ ، ص ٢٧٨ ، أئمة اليمن ، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ ، توفي في السابع من جمادى الآخرة سنة ٩٦٥ هـ ، البدر الطالع ، جـ ١ ، ص ٢٨٠ .

(٦١) السلوك الذهبية ، ورقه ٥ أ

التى بعث بها الى السلطان الظافر ولا حتى تاريخها (٦٢) ، الا أنـــه بالامكان من خلال طبيعة الموقف الذى كان عليه الامام شرف الديـــن أن نستنتج أنه أراد من هذه المراسلة أن يطمئن السلطان عامر مـــن جهته ، وربما أظهر له الود حتى لا يبادر السلطان الى حجة لدفع خطـر تكتل الزيديه من جديد تحت قيادة امام حديث عهد بالامامه ، وأيضا حتى ينتهز فرصة ملائمة لخوض المعارك ضده ، وظل الامام شرف الدين عاجزا عن الوقوف أمام الامتداد الطاهرى نحو المرتفعات الجبلية شمال صنعاء ، مما يدلنا دلالة واضحة على مدى قوة الدولة الطاهريـــة آنذاك ، بل ان القوات الطاهرية تمكنت من الاستيلاء على حصـــــــن ذى مرمر - القريب من صنعاء - فى شهر رمضان سنة ٩١٢ هـ (٦٣) ، ويبدو أن أهل الحصن بقيادة أبو ريحان بن شارب تمكنت من استرداده مـــن الجيش الطاهرى ، مما دفع بالسلطان عامر الى أن يتجه الى صنعاء فى محرم سنة ٩١٤ هـ ، فدخلها بعسكر كثيف توجه بهم الى حصن ذى مرمر لاسترداده وفرض حصاره عليه بعض الوقت ، وسرعان ما تمكن من الاستيلاء

---

(٦٢) السلوك الذهبية ، ورقه ٥ ب

(٦٣) الفضل المزيد ، ص ٢٠٢ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢١١ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٤ ب ، روح الروح ، ورقه ٨ أ ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٣٥ ، جامع المتون ، ورقه ٦٠ ب ، اللطائف السنيه ، ورقه ٥٧ أ

عليه فى ربيع الأول من السنة ذاتها ، كما تبع هذا الحصن فى السقوط عدة حصون أخرى هى الفصين والعروس (٦٤) والرياشيه (٦٥) وأسر أبو ريحان بن شارب (٦٦) .

ولم تكن وعورة مسالك المناطق الشماليه وارتفاع جبالها هى العائق الوحيد أمام القوات الطاهرية وهى تحاول بسط نفوذها فى هذه المنطقة فقد كان انتشار المذهب الزيدى هناك يمثل عائقا آخر (٦٧) ، مما فرض على الدولة الطاهرية الى أن تتجه ببطء شديد فى توسعها فى هذه المناطق، ويبدو أن مهمة والى صنعاء كانت مزدوجة وهى أولا المحافظة وبقوة على ما تم احرازه من مناطق بعد فتح صنعاء وثانيا مد هذا النفوذ الى أكبر عدد ممكن من مناطق شمالها ، ولعله من أجل تحقيق هذه الخطوات اسناد ولاية صنعاء الى أكبر شخصيتين لدى السلطان عامر مكانة هما الأمير على بن محمد البعدانى والفقيه جمال الدين محمد بن محمد النظارى (٦٨) ، كما يبرز

---

(٦٤) الفضل المزيد ،ص ٢١٣ ،قرة العيون ،ق ٢ ،ص ٢١٢ ،قلادة النحر ،جـ ٣ ، ورقه ٥٩٥ أ

(٦٥) روح الروح ، ورقه ٨ أ ، غاية الأمانى ، ق ٢ ،ص ٦٣٧ ،

(٦٦) الفضل المزيد ،ص ٢١٥ ،قرة العيون ،ق ٢ ،ص ٢١٢

(٦٧) الفتح العثمانى لليمن ،ص ٣٩

(٦٨) الفضل المزيد ،ص ٢٤٣ ،ص ٢٤٥

تعيينهما في صنعاء الى أهميتها الاستراتيجية للسلطان عامر الذي اتخذها أيضا قاعدة للانطلاق منها نحو الشمال ، وقد بذل الأمير علي بن محمد البعداني جهودا جبارة في توسيع نطاق المملكة الطاهرية وتقليص مناطق النفوذ الزيدي ، وكانت أعظم الفتوحات التي قام بها البعداني هي حين توجه الأمير المذكور في جمادى الأولى سنة ٩١٧ هـ لجمع الخراج - فيما يبدو - من المناطق الواقعه خارج صنعاء ، فسلك طريق بلاد نهم - الواقعه الى الشرق من صنعاء - فلما وصلها لاذ أهلها بالفرار واعتصموا بالجبال المحيطة ببلادهم تاركين المدينة له ولجنده ، وكان معنى ذلك أنهم أعدوا أنفسهم للخلاف على الدولة والخروج عن طاعتها ، ولم يكتف الأهالي بذلك فقد قاموا بالاغارة على أطراف الجند الطاهري بغية ايذاء الحملة ، فعاقبهم الأمير البعداني بنهب المدينة واتلاف مزارعهم ،[(٦٩)] فلما رأى الأهالي ما حل بأموالهم ومزارعهم ، نزلوا من الجبال للدفاع عن ممتلكاتهم ، فرموا الجند الطاهري بالنشاب والحجارة لاجبارهم على الخروج من مدينتهم ، وكان نزولهم فرصة للجند الطاهري الذي بادر الى مواقع المقاتلين من أهل نهم والايقاع بهم ، فقتل منهم زيادة على الخمسين انسانا ، وتمكنوا من هزيمتهم ، وأراد الأمير البعداني معاقبتهم جزاء ما اقترفوه ، فسمح لجنده بنهب

---

(٦٩) الفضل المزيد ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ، روح الروح ، ورقه ٩ أ

المدينة من جديد فنهبت نهبا كبيرا ، وأحرقوا ما لم يستطيعوا حمله وأتلف مزارعهم جميعا ، (٧٠) وتركها لهم قاعا صفصفا ، ثم واصل تقدمه الى أن قارب مأرب والجوف بعد أن استولى على جبل ملح ثم قصد ذبيان وفي أثناء حصاره لها قام أهل ثلا - غرب صنعاء - بقتل رجل من الدولة الطاهرية - فيما يبدو - عدوانا وظلما ، ولعل ذلك محاولة منهم للتخلص من نفوذ الدولة الطاهرية ، مستغلين ابتعاد الأمير المذكور في الجهات الشرقية من صنعاء ، وقد اكتفى البعداني بتأديبهم بدفع خمسة عشر ألف دينار كدية للمقتول ، غير أن السلطان تشدد مع أهل ثلا واشترط عليهم مقابل الخروج من طائلة العقاب تسليم حصن ثلا ، (٧١) ونتيجة لهذا الشرط فقد رفض أصحاب الحصن من تسليمه ولاذ أهله بالحصن المذكور انتظارا لما تسفر عنه ردة الفعل من جانب الدولة الطاهرية .

وقد عمد البعداني استخدام الحيله في الايقاع بأهل ثلا ، اذ اتفق مع مجموعة من أصحاب العروس على الاستيلاء على حصن التعسيرة وهو حصن مقابل لحصن ثلا ومواز له ، وجعل لهم مكافأة مجزية اذا هم

---

(٧٠) الفضل المزيد ، ص ٢٤٤

(٧١) الفضل المزيد ، ص ٢٤٤ ، وثلاء : بالضم ، وفتح اللام ثم ألف ، مدينة كبيرة على قلعة حصينه باليمن بالقرب من صنعاء وهي أطيب ماء وهواء وتربه وفيها خيرات سهلية وجبلية وأكثر زرعها الحنطة والشعير . النسبة الى المواضع ، ورقه ٩٥ ب

نجحوا فى ذلك وقد لعبت الخديعة دورا وذلك عندما قصدت هذه المجموعة - وعددهم ثمانون رجلا حصن التعبرة على أساس التسوق فى حصن التعبرة (٧٢) غير أنهم هاجموا الحصن وتمكنوا من السيطرة عليه على حين غفلة من المدافعين عنه والذين تنبهوا بعد فوات الأوان ،فلم يكن منهم الا اعلان النفير بضرب الطبول طلبا للمساعدة ممن حولهم لاسترداد الحصن ، قبل أن يصبح مأوى للقوات الطاهرية والتى ستهدد حصن ثلاء منه ، واستجابت القبائل المجاورة لنداء الاستغاثة الصادر من الطبول ، وأحاطت بالحصن لاستنقاذه ، كما بادر ابن ناصر الدين أمير كوكبان بالاسراع فى الخروج من صعدة - وكان متواجدا فيها - وهو فى طريقه طلب من أمراء المناطق الزيدية المختلفة المسارعة الى نجدته فلبت طلبه وتوجه الجميع الى تدعيم الحصار على أنصار الدولة الطاهرية ، وتحرج موقف المتغلبين على الحصن ، وبلغت هذه الأحداث الأمير العدانى ،فرأى ضرورة حسم الموقف والاسراع الى ثلاء والسيطره عليها بأسرع وقت ، ومن

---

(٧٢) الفضل المزيد ، ص ٢٤٤ .

أجل ذلك ترك حصار ذيبان (٧٣) ، وجد في المسير مواصلا ليله بنهاره بحيث قطع مسافة خمسة أيام بيوم وليلة ، وفوجىء أهل ثلاء بهبوط البعداني عليهم بسبعمائة فارس وعشرة آلاف راجل (٧٤) ، وعند وصوله هنا شن هجومه المباغت عليهم وعملت المفاجأة عملها اذ سرعان ما انهزم أهل ثلاء ووقوع عدد من زعمائهم في الأسر مثل ابن ناصرالدين وصاحب مدع ، ونهبت بعض جوانب ثلاء ولم ينقذها الا أمر الأمير البعداني ، وهكذا تمكن الأخير من الاستيلاء على ثلاء ، ولم يتبق الا حصنها الذى سرعان ما سقط تحت سلطته في ١٧ رجب سنة ٩١٧ هـ (٧٦)

---

(٧٣) الفضل المزيد ، ص ٢٤٥ ، وذيبان وجبل ذيبان ووادى ذيبان من بلد همدان ثم من أرحب ، الهمدانى : حسين بن فيض الله ، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ، ص ١٢٧ ، الطبعة الثانية ، دمشق بدون تاريخ ، الهمدانى : الحسن بن أحمد ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢١٧ - ٢١٨ ، الطبعة الثالثة ، صنعاء ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

(٧٤) الفضل المزيد ، ص ٢٤٥ ، روح الروح ، ورقه ٩ ب ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٣٨ ، اللطائف السنية ، ورقه ٥٧ ب .

(٧٥) الفضل المزيد ، ص ٢٤٥ ، روح الروح ، ورقه ٩ ب ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٣٨ ، اللطائف السنية ، ورقه ٥٧ ب .

(٧٦) الفضل المزيد ، ص ٢٤٦ ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٣٨

وتبعها في السقوط بقية الحصون القريبة من ثلاء مثل حصن أشيح وحصن كوكبان الذى استولى عليه الأمير البعدانى في ربيع الأول سنة ٩١٨ هـ ،(٧٧) وبهذا النصر الذى حققه البعدانى أنزلت بجموع الزيدية الضربة الثانية بعد فتح صنعاء ، ويبدو أنها زادت من شعور أهل صنعاء بالمرارة وفقدان الكثير من الآمال في استرداد ما فقدوه من قبل ، ولذلك فان تفكيرهم انحصر أولا في ضرورة التخلص من الأمير البعدانى الذى هو في نفس الوقت أمير صنعاء ، ولعلهم فيما يبدو أرادوا التخلص من أمير صنعاء كمقدمة للاستيلاء على المدينة ذاتها ، ومن أجل ذلك دبرت مؤامرة من بعض أهلها لتنفيذ هذه الخطة في صفر سنة ٩١٩ هـ ، غير أن خطتهم هذه سرعان ما اكتشفها الأمير على بن محمد البعدانى بطريقة ما ، كما عرف المشاركين فيها ، فألقى القبض عليهم ونكل بهم جزاء ما اقترفوه ،(٧٨) وسلم مما دبر له ، ويبدو أن ذلك مزيدا من الاحباط وقطع آخر أمل لهم في عودة

---

(٧٧) الفضل المزيد ، ص ٢٦٣ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢١٤ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٥ ب ، روح الروح ، ورقه ١٠ أ اللطائف السنية ٥٧٥ ب

(٧٨) الفضل المزيد ، ص ٢٦٣ ، قرة العيون ، ق٢ ، ص ٢١٧ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٥ ب ، روح الروح ، ورقه ١٠ ب ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٤٠ ، بنو رسول ، ص ٣٢٩

سيادة الزيدية على صنعاء وتوابعها ولذلك بدأت جموع أشراف صعدة بالوفود على السلطان عامر بن عبد الوهاب في تعز في ذي القعدة سنة ٩١٩ هـ باذلين له الطاعة ، وقابلهم السلطان عامر باحسان نزلهم ومكافآتهم على عرضهم هذا (٧٩).

غير أن موقفهم هذا سرعان ما تغير تجاه الدولة الطاهرية ، اذ انتهز أشراف صعدة فرصة زيارة الظافر الثاني لصنعاء في شهر شعبان سنة ٩٢٠ هـ وقاموا بتكرار الزيارة له فيها ، وجددوا له السمع والطاعة ، كما عرضوا تسلم صعدة اليه (٨٠)، وعرضوا عليه الحضور ليتسلمها منهم بنفسه ، ولكنه أرسل/عنه نائباً للقيام بتلك المهمة والاقامة فيها مع حامية أعدها معهم، وفي طريقهم الى صعدة ،أوقعوهم في كمين كانوا قد أعدوه لقتل السلطان ، ولم تتخلص الحامية الظاهرية من هذا المأزق الا بعد أن وصلتهم نجدة من السلطان ،فعادوا الى صنعاء (٨١) ، ويبدو أن الظافر عامر بن عبد الوهاب كان متوقعا منهم الغدر ، فبعث خلفهم هذه السرية لانقاذ الموقف لو تحرج مع أشراف صعدة ، وحدث ما كان

---

(٧٩) الفضل المزيد ، ص ٢٦٦ ، روح الروح ،ورقه ١٠ ب ،غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٤١

(٨٠) الفضل المزيد ، ص ٢٦٨ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٦ ب ، روح الروح ، ورقه ١١ أ ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٤١

(٨١) بنو رسول ، ص ٣٣٠

يتوقعه منهم ، كما يبدو أن السلطان عامر لم يرد أن يمرر هذا بالسكوت عليه بل يبدو أنه أرسل جيشا يأخذ عليهم صعده بالقوة وتمكنت هذه الحملة من الاستيلاء على حصن ذ ينان وحصن ظفار صعده في شوال سنة ٩٢٠ هـ (٨٢) ولم تتمكن القوة الطاهرية فيما يبدو من دخول صعده والاستيلاء عليها ، فاكتفى بما استولى عليه من حصونها اذ لم يمكنه أميرها من الاستيلاء عليها رغم أنه ترك أهله وأولاده لدى السلطان كرهائن (٨٣) ، وأثر الا يسلمها اليه مهما كانت النتائج ، فاكتفى الملك الظافر بما حققه من كسب مواقع جديده في هذه المنطقة على أن يتفرغ لها فيما بعد .

وهكذا بلغت الدولة الطاهرية في آخر عهد السلطان عامر بن عبد الوهاب أقصى اتساع لها في عهده ، ولم يتبق الا أجزاء صغيرة في اليمن وفي الشمال الغربي من صنعاء حيث يتمركز الامام شرف الدين يحيى ، ومن هذا الجزء كانت بداية تاريخ اليمن الحديث اذ سرعان ما لاح في الأفق أن الدولة الطاهرية ستتورط في نزاع خارجي يختلف عن كل ما عهدته من الحروب السابقة ، وذلك هو تحول المماليك من صراع مع البرتغاليين الى استيلاءهم على اليمن نتيجة عوامل عديدة سنذكرها في محلها .

---

(٨٢) الفضل المزيد ، ص ٢٧٠ ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٤١

(٨٣) الفضل المزيد ، ص ٢٧٠ .

الفصل الرابع

العلاقات الخارجية

أ ـ العلاقات الطاهرية الحجازية

ب ـ العلاقات مع أمراء جازان

جـ ـ العلاقات الطاهرية المملوكية في عهد

السلطان عامر بن عبد الوهاب من سنة

٨٩٦ هـ - ٩٢٣ هـ

*

أ - العلاقات الطاهرية الحجازيـــة

بدأت العلاقات الطاهرية الحجازية منذ عهد الملك المجاهـد
علي بن طاهر وذلك عندما وصل الشريف ادريس بن قاسم بن حسن بـن
عجلان - ابن عم الشريف محمد بن بركات أمير مكة - في رمضان سنة ٨٦٨هـ
الى زبيد حيث لقيه المجاهد هناك فأكرم نزله فيها ثم توجه بعد ذلـك
الى الظافر الأول في جبن فلقي فيها اكراما يفوق ما فعله المجاهد معه .(١)
الا أن بداية الاتصال بين السلطان عامر بن عبد الوهاب وأمراء مكة بدأت
حينما زار اليمن الشريف رميثه بن بركات بن حسن بن عجلان في صفـر
سنة ٨٩٧ هـ (٢) وكان ذلك بسبب خروجه على أخيه الشريف محمد بن بركات
ويبدو أنه كان يهدف من هذه الزيارة توريط الدولة الطاهرية فـي
المنازعات بين أشراف مكه ، (٣) ولكن الملك الظافر الثاني لم يستجيـب
لمغريات رميثه في التدخل في الشئون الحجازية ، ولكنه اكتفى بما يوجبه
عليه كرم الضيافه تجاه الزائر الذي حل عليه في زبيد . فأكرمه وأحسن نزله
وعند مغادرة السلطان لزبيد استأذنه الشريف رميثه في السفر الى بيلول
فأذن له بعد أن زوده بالمال ومنها توجه الى الحبشه ثم الى مصر .(٤)

---

(١) بغية المستفيد ، ص١٣٥ ، قلادة النحر ، جـ٣ ، ورقه ٥٦٢ ب.
(٢) بغية المستفيد ، ص ١٩٩ ، قلادة النحر ، جـ٣ ، ورقه ٥٤٨ ب
(٣) الضوء اللامع ، جـ ٣ ، ص ٢٣٠
(٤) بغية المستفيد ، ص ١٩٩ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٨٤ ب

ويبدو أنه كان لهذا الموقف الذى وقفه السلطان عامر بن رميثه أثره فى بداية العلاقات الحسنه بين الدولتين وفى سبيل تقويتها فقد بادر الشريف محمد بن بركات بإرسال مجموعة من الطيور الجارحه المستخدمه فى الصيد إلى سلطان اليمن وقد وصلت اليه فى ربيع الأول سنة ٩٠٢ هـ (٥)، ولم تزودنا المصادر بما قام به الملك الظافر تجاه هدية حاكم الحجاز ، ولعله بعث اليه بهدايا رداً لهديته .

الا أن العلاقة الحقيقية بين هذين الأقليمين تظل فى حقيقتها على روابط الحج المتكررة فى كل سنة الى ديار الحجاز ، وتؤثر هذه الفريضة حتما على العلاقات فيما بينهما سلبا أو ايجابا ، فهذا ركب الحج اليمنى قد عاد الى زبيد سنة ٩٠٨ هـ وعلى رأسهم شيخ الركب عفيف بن مرزوق بعد أن قتل من كان معه ونهبت القافلة التى يقودها (٦). بسبب التنازع فيما بين أبناء بركات بن حسن بن عجلان على السلطة فى هذه الديار ، ولعل ما حدث للركب اليمنى كان دافعا للشريف ابراهيم بن بركات أن يتوجه نحو اليمن فى السنة التالية سنة ٩٠٩ هـ ويقصد السلطان عامر بن عبد الوهاب فى المقرانة حيث استقبله الأخير أحسن استقبال وأوصله بصلات عظيمة - كما يقول المصدر - كما كسا

---

(٥) الفضل المزيد ،ص ١٠٢

(٦) الفضل المزيد ،ص ١٧١.

جميع من معه من الحاشية وبيد و أنه كرر نفس طلب أخيه الشريف رميثـه غير أنه أجابه بنفس الرفض الذى لاقاه أخوه ، ولذلك توجه الشريـف ابراهيم الى زبيد خاوى الوفاض ، وهناك بدأ يسيئ معاملة أهالى هذه المدينة ، ولولا تدخل الفقيه محمد بن محمد النظارى ووقوفه الى جانب الزائر لكان لحق به الضرر جزاء ما اقترفه بحقهم ، ولكى يتخلص الفقيه المذكور من الشريف ابراهيم ويخرجه من البلاد فقد دبر له حيلة وهو أن يتظاهر الفقيه بالخروج من المدينة ، ولذا فقد خرج الضيـف ليودعه بهذه المناسبة ، وكان الفقيه قد أصدر أوامره باغلاق أبـواب المدينة عند عودة الشريف ابراهيم ، فلما رجع وجدها موصدة أمامـه وكان ذلك اشارة له بالعودة من حيث أتى ، وأرسلوا اليه باغراضه مـع خدمه فأخذها وتوجه الى بلاده .(٧)

وبعد هذا التاريخ ينشغل السلطان عامر فى فتوحاته فـى المناطق الزيدية وفى نفس الوقت ينشغل أمير مكه أيضا بحروبه ضـد مناوئيه من اخوته على حكم الحجاز ، ولهذه الظروف تأثيراتها السلبية على البلدين فى علاقتهما ، اضافة الى ذلك بداية اهتمام الاقليميـن بالغزو البرتغالى والذى من المفروض أن يوحد جهودهما ضده ، لكـن اقتصرت هذه الجهود على الدولة المملوكية وحدها رغم المتاعب التى تعانيها ، بحكم قوتها آنذاك وكان هذا سبب ايضا فى تورطهم فى اليمن .

(٧) الفضل المزيد ، ص ١٧٦

ب ـ العلاقات مع أمراء جـازان :

ارتبطت العلاقات بين كل من سلاطين آل طاهر وأمراء جـازان بحكم الجوار القريب الذى كان بينهما والحدود المشتركة بين أملاكهما ، الا ان الذى دفع هذه العلاقات فى البداية الى التقوية هجـوم أمير مكة الشريف محمد بن بركات على جازان سنة ٨٨٢ هـ والذى كـان يقود جافل الحملة المكية ، وبعد أن أنسحبت تلك الحملة عائدة الـى بلادها ، بعث أحمد بن دريب أحد أبناءه الى الملك المجاهد سـنة ٨٨٣ هـ (٨) الذى قام بدور الوسيط بين أمراء جازان والدولة المملوكيـة لكف أمراء مكه عن هذه الامارة . (٩)

ويعزو الأستاذ محمد بن أحمد العقيلى أسباب لجوء أمـراء المخلاف السليمانى الى الدولة الطاهرية هو أنه لابد لأمراء هـذه المنطقة أن يستندوا بدولة قوية تحميهم من الأطماع المحيطة بهم ، فلجأوا الى الدولة الطاهرية كنوع من المصانعه السياسية والمجاملـة المادية واظهارا للولاء . (١٠)

---

(٨) تاريخ المخلاف السليمانى ، جـ ١ ، ص ٢٦٢

(٩) بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٤٤٦ - ٤٦٧

(١٠) تاريخ المخلاف السليمانى ، جـ ١ ، ص ٢٦٩

وقد أشار الضمدى الى نوع هذه العلاقه بقوله : " وامتدت أيديهما - يقصد الأخوين المجاهد والظافر - على جميع تهامة اليمن من حرض الى عدن وداهنهم ملك جازان وكان يهدى لهم فى كل عام ما يساوى ألف دينار هدية قهر ورهبة لا محبة ورغبة " . (١١)

وقد سارت العلاقات بين السلطان عامر بن عبد الوهاب وجيرانه أمراء جازان على هذا المنوال ففى سنة ٨٩٩ هـ يقدم رسول من أمير جازان أحمد بن دريب وهو القاضى الصديق بن على الخياط الى الملك الظافر ومعه هدية عبارة عن ستة رؤوس من الخيل ولكن المنية اخترمته قبل أن يبلغ زبيد اذ توفى بين بيت الفقيه بن عجيل وزبيد ، ويبدو أنه كان يحمل رسالة مهمة لم يرد أمير جازان أن يكتبها فى أوراق فأودعها صدر سفيره الذى حالت المنية عن ابلاغها الى السلطان الظاهرى وقام سلطان اليمن بواجبه تجاه جنازة الخياط وأمر بتجهيزه ودفنه فدفن قريبا من باب سهام ورد هدية الأمير أحمد بن دريب بهدية مثلها . (١٢)

---

(١١) العقيق اليمانى ، ورقة ٩٧ ب - ٩٨ أ

(١٢) بغية المستفيد ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقة ٥٨٥ أ

وبعد هذه السفاره التى لم تؤد الغرض المنشود منها نلاحظ أن المصادر بدأت تشح معلوماتها عن هذه العلاقة ، ويبدو أنـــه لانشغال السلطان عامر بحروبه ضد مناوئيه ثم ردع القبائل والتوسع فى الجبهة الزيدية أثرها على هذه العلاقات غير أن وفاة حاكم جـــازان أحمد بن دريب فى شوال سنة ٩١١ هـ كانت أحد الأسباب فى عودة ذكر المصادر لأمراء المخلاف اذ وفد فى جمادى الآخرة سنة ٩١٢ هـ الشريف المهدى بن أحمد بن دريب أخو الحاكم الجديد لهذه المنطقة ـ العزيز بن أحمد بن دريب الى مدينة زبيد وحمل معه هدية عبارة عن أسد صغير وتسعة رؤوس من الخيل النفيسة وبعدها توجه الى المقرانه لمقابلة السلطان عامر بن عبد الوهاب وسلمها اليه ويبدو أن الوافـــد الجازانى كان يطمع فى احتلال منصب أخيه الحاكم الجديد ، فاستغل هذه السفاره لصالحه واتفق مع السلطات الطاهرية على تنحيته ويتولـــى الحكم فى بلاده بدلا من العزيز ومن أجل الاطاحة به وضع له السم فى أكله مما أودى بحياته فى شوال سنة ٩١٢ هـ كما قيل ثم تولى المهدى المنصب الا أنه أراد أن يتحرر من سلطة الطاهريين ولكن السلطـــان عامر فوت عليه ما كان يفكر فيه واستغل أخاه الشريف عز الدين بن أحمد ابن دريب وولاه مدينة حرض المجاوره لأمارة جازان وعضده برجل مـــن

الدولة الطاهرية يدعي ابن سبأ ربما ليكون رقيبا على تصرفاته (١٣) ، وقد أدرك المهدي الخطأ الذي وقع فيه ، فبادر بارسال رسول الى الملك الظافر ليصلح ما أفسده أولا ، فبعث سفيره أحمد بن الصديق الخياط الذي وصل الى المقرانه في ذي الحجة سنة ٩١٤ هـ وقد حمله المهدي هدية نلاحظ أنها أكبر من الهدايا السابقة وهي عشرة من الخيل ومائة قطعة من القوه ، فاستقبلها الظافر رأساً من الرسول وقد عاد الرسول في شهر محرم محملا بهدايا السلطان وهي مائة أشرفي للسفير اضافة الى هدية للمهدي تزيد قيمتها على ألف أشرفي ذهبا (١٤) ، ويبدو أن محاولات أمير جازان برفع يدي السلطات الطاهرية عن التدخل بين أسرة الحاكم فيها لم تجد ، فصمم على الانتقام من الأمير عز الدين ، فقام بغارة على مدينة حرض ، وخوفا من النتائج المترتبة على عمله هذا أسرع في الاعتذار للسلطان الطاهري وحمل اعتذاره هذا ابن للشيخ الصديق بن السهل الحكمي صاحب ابي عريش ومعه ثلاثة من الخيل ، ويبدو أن رسول المهدي كان ذو لباقه تمكن من خلال مقابلته للسلطان عامر أن يصفي الأمور بينهما (١٥) .

---

(١٣) الفضل المزيد ، ص ٢٠٤

(١٤) الفضل المزيد ، ص ٢٢٠

(١٥) الفضل المزيد ،ص ٢٢٦ - ٢٢٧

غير أن حاكم جازان لم يطمئن الى سكون جاره ، ولذلك اتجه اتجاه آخر لحماية مملكته ، وهو الارتباط مباشرة مع المماليك ، وفي سبيل تحقيق هذه الغاية بعث برسالته الى السلطان قانصوه الغوري ضمنها في البداية اعجابه الشديد به وانه سمى أحد أبنائه باسم الغوري ثم انتقل الى رفع تظلمه من السلطان الظاهري الذى يفرض عليه خراجا جائرا ، واقترح على الدولة المملوكية أن تبادر بارسال جيش مهمته الاستيلاء على اليمن ، وتعهد في المقابل أن يسهل مهمة الجيش المملوكي (١٦) .

وقد استغل المماليك هذا التحول من جانب أمراء جازان ورأت فيها فرصة من أجل املاء شروطها على الدولة الطاهرية التي رفضت التعاون مع المماليك كما سنرى فيما بعد ، وساهم أمراء جازان في تحطيم الدولة الطاهرية ، ومقتل السلطان عامر في النهاية على يد المماليك .

. . . .

---

(١٦) تاريخ المخلاف السليماني جـ ١ ، ص ٢٦٩ - ٢٧٠

جـ - العلاقات الطاهرية المملوكية في عهد السلطان عامر بن عبد الوهاب من سنة ٨٩٦هـ - ٩٢٣ هـ

تميزت العلاقات المملوكية الطاهرية في عهد السلطان عامر بقوة الترابط بشكل أقوى مما كانت عليه في عهد كل من المجاهد ومن بعده الملك المنصور ، ويرجع ذلك الى الازدهار الاقتصادى الذى تمتعت به اليمن في عهد الدولة الطاهرية ، وحرص هؤلاء على تنمية هذا المورد الهام ، والى المكانة التى اكتسبتها عدن التى حلت محل جده ، بعد أن كادت الأخيرة تخسر موقعها السابق نتيجة لما يتعرض له تجارها من سلب ونهب بسبب التنافس فيما بين أشراف مكة وحاجة كل من المتنافسين الى أموال تجارها لتمويل ثورته على منافسه وأثر هذا بدوره على الوضع التجارى في جده .

وقد بدأت الرابطة القوية للعلاقات الحسنة فيما بين هاتين الدولتين في عهد الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب ففى شهر شوال سنة ٨٩٦ هـ وصل الى اليمن الشهاب أحمد بن قيصر كرسول من الخليفة العباسي المتوكل على الله عبد العزيز بن يعقوب بن المتوكل على الله الى السلطان عامر بن عبد الوهاب ويحمل معه هدية اضافة الى مرسوم شريف وخلعة شريفه ، وسيف وخاتم متوجه باسم أمير المؤمنين (١٧) ، ويبدو من

---

(١٧) بغية المستفيد ، ص ١٩٨ ، والخليفة هو المتوكل على الله أبوالعز =

خلال هذا الحدث أن الظافر عامر بن عبد الوهاب هو الذى سعى الى الحصول على اعتراف من الخلافة العباسية فى مصر باستقلاله فى حكم اليمن ، وقد لبى الخليفة له هذا الطلب واستقبل الظافر الثانى هذه السفارة أحسن استقبال وأجاز رسول الخليفة الجوائز السنية تقديرا للخليفة العباسى (١٨).

غير أن هذه السفارة لم تكن الأولى فى تاريخ العلاقات بين الخلافة العباسية والدولة الطاهرية اذ نجد أن الخليفة العباسى يرسل سفارة أخرى الى السلطان عامر بعد رسالته الأولى وذلك سنة ٩٠٢ هـ ووصلت الى اليمن فى ربيع الآخر من نفس السنة ، وتقابلت مع الملك الظافر فى تعز وقد حمل أعضاءها هدية سنية اليه من قبل الخليفة المتوكل على الله العباسى وقوبلت هذه السفارة بمثل ما قوبلت به فى المرة الأولى ، وردا على ما فعله الخليفة من ارسال الهدايا أنعم السلطان على أعضاء الوفد بالاكرام والاحسان واعطاهم مالا جزيلا وخلعا

= عبد العزيز بن يعقوب بن المتوكل على الله ، ولد سنة ٨٦٩ هـ واشتغل بالعلم فى صباه ، السيوطى : الحافظ جلال الدين ، تاريخ الخلفاء ص ٤٧٣ ، بيروت بدون تاريخ ،. بويع بعد عمه المستنجد لما طال مرضه سنة ٨٩٤ هـ ، الضوء اللامع ، جـ ٤ ، ص ٢٣٦ توفى فى محرم سنة ٩٠٣ هـ ابن اياس : محمد بن أحمد ، بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، جـ ٣ ، ص ٣٧٩ ، القاهرة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

(١٨) بغية المستفيد ، ص ١٩٨.

(١٩)
نفيسـة .

ولم يكن هذا النشاط قاصرا بين الخلافة العباسية والدولـة الظاهرية اذ نجد أنها توطدت أكثر مع بدء اهتمام سلاطين المماليك بترسيخ التعاون والاخاء فيما بينهم ، وذلك أن السلطان جان بلاط أرسل سفارة أخرى سنة ٩٠٦ هـ ووصلت فى آخر شعبان من هذه السنة الى اليمن ومع أعضائها هدايا عظيمة مكونة من فانوس بللور كبير الحجم بقدر قامة الانسان وصندوقان من بللور أيضا اضافة الى عدد من السيوف وغيرهما من الهدايا الثمينة ، وقد كان الباعث على ارسال السلطان المملوكى بهذه الهدايا الى السلطان عامر أنه رأى رؤيا صالحه فى منامه لسلطان اليمن - كما يقول الصدر - (٢٠) فبعث اليه بهذه الهدية تعبيرا عن تقديـره واحترامه له ، (٢١) ويبدو أن سفير السلطان المملوكى وصل أولا الى زبيـد ومنها توجه الى الظافر الثانى فى رداع فى النصف من رمضان من السنة المذكورة ، وسلم اليه هذه الهدايا ، وليس هناك من اشارة الى ما قام به السلطان عامر تجاه هذه السفارة ، ويبدو أنه قام بالرد على تلـك الهدايا بمثلها للسلطان المملوكى .

---

(١٩) الفضل المزيد ، ص ١٠١ - ١٠٢ ، روح الروح ، ورقه ٤ أ ، اللطائف السنية ، ورقه ٥٥ أ

(٢٠) الفضل المزيد ، ص ١٤٦ - ١٤٧ ، النور السافر ، ص ٤٤

(٢١) الفضل المزيد ، ص ١٤٨ ، النور السافر ، ص ٤٤

ظهور البرتغاليين في المحيط الهندى وأثره على العلاقات الطاهرية المملوكية :

شهد أواخر القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) اشتداد التعصب الصليبى ضد المسلمين ، وذلك عندما تمكن الأسبان من تصفية الوجود الاسلامى من آخر معاقله في غرناطة التى سقطت في أيديهم سنة ٨٩٧ هـ (١٤٩٢م) وأجبر المسلمون على الارتداد عن دينهم واعتناق المسيحية تجنبا للتعذيب والقتل (٢٢) .

وقد عملت البرتغال وبتشجيع من البابوية من جانبها بهذه الروح الصليبية على تطويق العالم الاسلامى من الخلف وقاموا بمحاولاتهم هذه فترة طويلة من الزمن قاربت الثمانين عاما (٢٣) ، وأسفرت جهودهم في النهاية عن وصولهم الى الهند وذلك أنه في محرم سنة ٨٩٢ هـ (ديسمبر ١٤٨٧م) تمكن البحار البرتغالى بارثلميوديا ز من الوصول الى رأس الرجاء

---

(٢٢) بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٤٧٥

(٢٣) محمد عبد العال أحمد ، البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه ، ص ٦٦ - ٦٧ ، الاسكندرية ١٩٨٠ م

يوسف فضل حسن ، "الصراع حول البحر الأحمر منذ أقدم العصور حتى القرن الثامن عشر" ، ص ١٦٦ ، مجلة الدارة ، العدد الثالث ، السنة الثامنه ربيع الثانى ١٤٠٣ هـ

الصالح (٢٤) وبهذه الخطوة أصبح الطريق البحرى الى الهند مفتوحا أمامهم ، ولم يعق دياز عن مواصلة رحلته سوى تمرد البحارة الذين كانوا معه من مواصلة السير (٢٥) ، وبعد هذا التاريخ بحوالى عشر سنوات وتحديدا فى الحجة سنة ٩٠٣ هـ (يوليو ١٤٩٧م) أمر ملك البرتغال دوم مانويل بتجهيز حملة الهند وجعل على رأسها القائد البرتغالى فاسكودى جاما ، ولأهمية هذه الرحلة فقد كان الملك البرتغالى وحاشيته على رأس المودعين لفاسكودى جاما الذى غادر ميناء لشبونة وتحت قيادته أربع من السفن ثلاث منها حربية بينما كانت الأخيرة سفينة بضائع وعلى متنها مائة وخمسين فردا (٢٦) ، وقد سلك دى جاما بسفنه نفس الطريق الذى سلكه دياز من قبل حتى وصل الى الشاطئ الشرقى لأفريقية حيث

---

(٢٤) طرخان : ابراهيم ، مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسه ، ص ٢١٩ ، القاهرة ، ١٩٥٩م ، الفتح العثمانى الأول لليمن ، ص ٤٧ ، محمود : حسن أحمد ، "التهديد البرتغالى لسواحل جزيرة العرب" ، ص ٢١٩ ، مجلة المؤرخ العربى ، العدد الثانى عشر ، بغداد ، ١٩٨١ ، بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٢٩ ، القاهرة ، ١٩٦٢م ، الحبيد ، عبدالله بن حامد ، " المماليك الجراكسة فى اليمن " ، ص ٢٩ ، مجلة البحث العلمى والتراث الاسلامى ، العدد الأول ، جامعة أم القرى ، ١٣٩٨ هـ .

(٢٥) آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٢٩

(٢٦) التهديد البرتغالى لسواحل جزيرة العرب ، ص ٢١٩

توقف في عدد من الموانيء الشهيرة آنذاك ومنها موزمبيق وممبســــه وماليندى وكانت هذه الثغور مليئة بالتجار العرب والمسلمين الذين ارتادوا هذه الأماكن منذ زمن بعيد ، ومن ماليندى استعان دى جاما بأمهر البحارة العرب وهو أحمد بن ماجد الذى قاد البرتغاليـــين الى الساحل الغربي للهند حيث ألقى مراسيه في ميناء قاليقوط فـــي شوال سنة ٩٠٤ هـ (مايو ١٤٩٨ م) (٢٧)

وقد حرص دى جاما في رحلته هذه على ألا يثير أية مشاكـــل بينه وبين الزامورين حاكم قاليقوط ، وبجانب حرصه هذا فانه قام بدراسة للأوضاع في هذه المنطقة ، ويبدو أن دراسته هذه جاءت شاملة لكـــى شرقى أفريقية والمحيط الهندى خرج منها بنتائج مهمة حملها معه الـــى البرتغال بعد أن غادر قاليقوط ومعه البضائع التى قايض بها السـلع التى أحضرها من بلاده . (٢٨)

واتجهت سياسة البرتغاليين في المراحل التالية لرحلة دى جاما بالعمل على اقامة المراكز التجارية اضافة الى اقامة الحصون القويـــــة

---

(٢٧) الشناوى : عبدالعزيز ، أوربا فى مطلع العصور الحديثه ،جـ ١ ص ١٣٢ ، ص ١٢٤ ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٧٧م.

(٢٨) أوربا فى مطلع العصور الحديثة ،جـ١ ، ص ١٢٤ - ١٢٥

والى جانب ذلك حرصوا على مطاردة السفن الاسلامية وأغراقها أو الاستيلاء عليها ، كما اتجهت سياستهم على مطاردة العرب والمسلمين من المراكز التجارية فى المحيط الهندى أو الساحل الشرقى لأفريقية (٢٩) وقد قام دى جاما فى أثناء رحلته الأولى بمهاجمة احدى السفن الاسلامية فاستولى على ما بها من بضائع ثم أمر باغراقها بما تحمل من ركائبه وأكد البرتغاليون موقفهم المعادى من كل ما يمت بصلة الى الاسلام عندما قام فى رحلته الثانية سنة ٩٠٨ هـ (١٥٠٢م) اذ كلف أحد قادته بالاقامة الدائمة على رأس خصس سفن حربية عند مدخل البحر الأحمر لمهاجمة السفن العربية ولمنعها من المتاجرة فى مياه المحيط الهندى الا بتصريح خاص من البرتغاليين . (٣٠)

وهكذا أخذت السيطرة البرتغالية تزداد قوة على قوة بسبب تأخر القوى الاسلامية فى مواجهتها بحزم منذ البداية ، وزاد من خطورتهم أنهم أصبحوا يتحكمون فى الطريق المباشر بين مصر والهند عندما استولوا على جزيرة سوقطرة قرب مدخل البحر الأحمر عند القرن الأفريقى

---

(٢٩) الفتح العثمانى لليمن ، ص ٥٣ ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٤٨٦
آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٣٩ ، أوربا فى مطلع العصور الحديثة ، جـ ١ ، ص ١٢٥ .

(٣٠) الفتح العثمانى لليمن ، ص ٥٣

سنة ٩١٢ هـ (١٥٠٦م) ثم استحكمت باستيلاء البوكيرك على ملقا سنة ٩١٧ هـ (١٥١١م) وبيّن سبب الاستيلاء عليها بقوله : (ان الخدمة الجليلة التى سنقدمها لله بطردنا العرب من هذه البلاد وباطفائنا شعلة شيعة محمد بحيث لا يندلع لها بعد ذلك لهيب . . . وذلك أنى على يقين أننا لو انتزعنا تجارة ملقة هذه من أيديهم (أى المسلمين) لأصبحت كل من القاهرة ومكة أثرا بعد عين)(٣١)

وقبل ذلك استولوا على هرمز على رأس الخليج العربى ، وكانت ميناء التجارة الشرقية للطريق البرى الى سوريا ، وباستيلائهم عليها أقفل هذا الطريق وتمكنوا من وضع أيديهم على مصائد اللؤلو فى الخليج العربى وعلى تجارة الخيول العربية والفارسية التى كانت ترسل من هرمز الى بلاد الهند(٣٢).

وأمام استفحال السيطرة الغربية وازدياد قرصنتهم وتجرمهم فى المحيط الهندى وسواحل جزيرة العرب لجأ الحكام الهنود والدول المتضررة

---

(٣١) آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٢٨ ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٩٩ ع الفتح العثمانى لليمن ، ص ٦٨

(٣٢) طرخان : مصر فى عصر المماليك الجراكسه ، ص ٢٩٢ ، الحبيد ، المماليك الجراكسة فى اليمن ، ص ١٢٩

منهم الى السلطان قانصوه الغورى سلطان مصر طالبين منه ايقاف القرصنة البرتغالية فى هذه المناطق ووضع حد لنشاطهم المعادى للعرب والمسلمين[٣٣]، وذلك بحكم القوة التى تملكها الدولة المملوكية وتمكنها من الأسلحة والسفن القادرة على مواجهة القوة الصليبية الجديدة وأيضا لأن المماليك هـــم المقصوديين مباشرة بهذه الأعمال من جانب البرتغاليين لشل الحركـــة الاقتصادية فى مصر والشام والحرمين وبالتالى الاستيلاء عليها فى النهايـة. وبطبيعة الحال فان الدولة الطاهرية كانت من أوائل الدول التى استنجدت بالمماليك خاصة وأن السلطان عامر بن عبد الوهاب لم يكن يملك الأسلحـة والسفن التى يستطيع بها أن يواجه الحصار المفروض على بلاده ، لذا لـم يجد بدا من الاستعانة بالمماليك الذين كتب عليهم أن يتحملوا الجـزء الأكبر فى الجهاد ضد الصليبيين الذين كثر عبثهم فى المحيط الهندى ، ولذا فقد أرسل السلطان عامر يستنجد بالسلطان قانصوه الغورى فى وقت

---

(٣٣) الطيبارى : زين الدين المعبرى ، تحفة المجاهدين فى أحـــوال البرتكاليين ، ورقه ١٥ ب ، مخطوط جامعة برنستن مجموعة يهودا رقم ٣٩٢٠ تاريخ ، النهروالى : قطب الدين محمد بن أحمد ، البرق اليمانى فى الفتح العثمانى ، ص ١٩ ، الطبعة الأولـــى الرياض ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م ، الشلي ، السناء الباهر ، ورقه ورقه ٤ ب ، ٥ أ ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ١٨٢- ١٨٣.

مبكر ، وقد حدد الشلي تاريخ ذلك سنة ٩٠١ هـ ، (٣٤) ولم يكن هـــذا التاريخ مطابقا للواقع ، وذلك لأن البرتغاليين لم يصلوا بعد الـــى الشواطىء الهندية ، وانما بعد هذا التاريخ بقرابة ثلاث سنوات أى فى سنة ٩٠٤ هـ ولم يبدأ نشاطهم المعادى للعرب والمسلمين فـــى المحيط الهندى بعد ، وقد يكون ما ذكره الشلي بعد سنة ٩٠٨ هـ - أى بعد أن قام البرتغاليون بوضع جزء من أسطولهم بالقرب من باب المندب لاغلاق البحر الأحمر ومنع السفن الاسلامية التى ترتاد هذا البحر مـن ممارسة نشاطها ، (٣٥) ولعل هذا ما دفع بالسلطان عامر الى الاستنجـــاد بالسلطان قانصوه الغورى بعد ذلك التاريخ طالبا منه دفع الخطـــر الذى أصبح قريبا منه وألحق ضررا بالغا به .

وقبل أن نتطرق الى الجهود المملوكية يجب أن نشير الى دور اليمن فى مواجهة الحصار البرتغالى المفروض على البحر الأحمر لتحكمهم فى جزيرة سوقطرى وجزر خوريا موريا .

---

(٣٤) الشلي : السناء الباهر ، ورقه ٤ ب - ٥ أ

(٣٥) بنو رسول ، ص ٤٨٥ ، محمد عبدالعال أحمد ، البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه ، ص ٧٩ .

وقد أشار ابن الديبع الى محاولة وحيدة قام بها السلطان عامر تحت ضغط الارهاب الذى شنه البرتغاليون من نهب للسفن وقتل للبحارة والتجار على متنها ، ولذلك أعد حملة بحرية قوامها أربعة عشر سفينة شارك فيها ستمائة مجاهد ومن بينهم جماعة من طلبة العلم وبعض الفقهاء ، وقد غادر هؤلاء ميناء عدن فى شوال سنة ٩١٢ هـ (١٢ مارس سنة ١٥٠٧ م) (٣٦) ، ويبدو أن هذه المراكب الطاهرية لم تستطع أن تصمد أمام مدافع البرتغاليين ووقعت فريسة سهلة أمامهم ، وذلك أن ابن الديبع الذى أورد خبر هذه الحملة لم يذكر لنا نتائجها وسكت عنها تماما ولم يذكر مصيرها مما يؤكد ما ذكرناه عنها .

وهنا يبدو أن الملك الظافر اكتفى بمحاولته تلك واعتمد على ما سيقوم به المماليك تجاه البرتغاليين (٣٧) .

ونظرا للظروف الصعبة التى كانت تمر بها الدولة المملوكية ومن أوضاع داخلية وخارجية سيئة فقد سلك السلطان الغورى لمواجهة هذه الظروف طريقين أولهما :

محاولة الضغط على البابوية وذلك بالتهديد باغلاق كنيسة القيامة اذا لم توقف البرتغال أعمالها العدوانية ضد المسلمين هذا من جانب ومن

---

(٣٦) الفضل المزيد ، ص ٢٠٣

(٣٧) بنو رسول ، ص ٤٩١

جانب آخر سعت مع البندقية من أجل امدادها بالمؤن العسكرية - وخاصة مواد بناء السفن ولوازمها من المدافع ولكن الأخيرة تنصلت من هذا العمل بحجة خوفها من بقية الشعوب الأوروبية التى سوف تتهمها بخيانة النصرانية اذا هم أقدموا على مساعدة المماليك ضد البرتغال (٣٨) اذاً لم يجد السلطان المملوكى بداً من الطريق الآخر وهو العمل العسكرى الذى اضطر اليه وبالقدرات الذاتية المتوفرة لديه لمواجهة هذا العمل الصليبى وفى سبيل ذلك بذل جهودا كبيره حتى استطاع أن يعد أسطولا قويا وعدته ثلاثة عشر سفينة ومزودة بالأسلحة النارية الحديثة وأسند قيادتها الى الأمير حسين الكردى الذى أقلع من ميناء السويس فى جمادى الآخرة سنة ٩١١ هـ (٣٩) متوجها الى جدة حيث قام ببناء سور عليها ليكون كخط دفاعى عنها (٤٠) أمام البرتغاليين وبعد أن أتم بناءه توجه الى هدفه الأصلى وهو لقاء البرتغاليين ، وكان لابد من مرور الأمير حسين على الشواطىء اليمنية اذ وصل الى عدن فى ربيع الآخر سنة ٩١٣ هـ ، ولكى لا يكون هناك سوء فهم من قبل الوالى الطاهرى

---

(٣٨) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٩١ ، عاشور : سعيد عبد الفتاح ، العصر المماليكى فى مصر والشام ، ص ١٨٦ ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٧٦م ، طرخان ، مصر فى عصر المماليك الجراكسه ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .

(٣٩) تحفة المجاهدين ، ورقه ١٦ أ ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٨٤

(٤٠) البرق اليمانى ، ص ٢٠ ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٩٥ - ٩٦

- الأمير مرجان الظافرى - فقد أرسل الأمير حسين الكردى قائد الحملة المملوكية رسولا الى الأمير مرجان يستأذنه فى الدخول الى ميناء حقات ، وللتأكد من نوايا الحملة فقد بعث أمير عدن رسولين الى الكردى ليتأكدا من هدفهم ، وعندما وصل الرسولان اليه قام باكرامهما وكساهما ، ثم وضح لهما أن السلطان قانصوه الغورى شدد عليه بألا يدخل الى مدينة عدن ، ولولا ذلك لذهب الى أميرهم وسلم عليه ، وفى أثناء ذلك تبودلت الهدايا النفيسة فيما بين الأميرين ، ومن خلال هذه المقابلة اتضحت أهداف الحملة المملوكية ، وعندئذ سمحت لهم السلطات الطاهرية بالدخول الى الميناء وأخذ ما يحتاجونه من المؤن اللازمة لحملتهم (٤١) ، وبعد انقضاء مهمتهم من عدن توجه المماليك الى الهند لكن موضع التساؤل هو لماذا لجأ أمير عدن الى ابراز العدة والسلاح واظهار القوة أمام أنظار الحملة المملوكية ؟

ثم لماذا نادى منادى هذه الحملة بأن الناس فى أمان الله وأمان السلطان قانصوه الغورى ؟ وكان هذا النداء الصادر من الحملة المملوكية مصدر غضب على الوالى الطاهرى الذى سمح لهم بمثل هذا النداء (٤٢) ،

---

(٤١) الفضل المزيد ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢١١ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٦ أ - ٥٩٦ ب ، روح الروح ، ورقه ٨ أ انباء الزمن ، ورقه ٥٨ أ ، غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٦٣٦ ، هدية الزمن ، ص ٩١ .

(٤٢) الفضل المزيد ، ص ٢١٠ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٦ أ

وهل هذا التصرف من جانب المماليك هو كرد فعل لما فعله معهم أمير عدن من اظهار العدة الحربية أمامهم ، أو أن هناك ايحاء من جانب المماليك بأن اليمن أيضا واقعة تحت حمايتهم .

وللاجابة على هذه التساؤلات ، يبدو أن هناك نوع من الحساسية الزائدة في التعامل المباشر بين الدولتين ، فاليمن كانت تريد الابتعاد قدر الامكان عن الارتباط مباشرة بين الدولتين لأنه من خلال هذا التعامل ستجد نفسها واقعة تحت النفوذ المملوكي سواء أرادت أو لم ترد ، وهو ما تخشاه الدولة الطاهرية على نفسها ، ومن أجل ذلك كانت تخشى من ارتياد مثل هذه الحملات على موانئها بصفة الاستمرارية ، فأبرزت هذه آلة الحرب أمامهم كأنها مشعرة لهم بأنها تستطيع أن تدافع عن موانئها دون الحاجة الى عون المماليك ، ومثل هذا النوع من التعامل فيما بينهما كان نوع من المكابرة في مثل هذه الظروف التي تمر بها اليمن التي لا تملك السفن والأسلحة الحديثة لتستطيع أن تدافع عن نفسها طويلا أمام العدو المشترك لهما .

ومهما كانت نوايا الطرفين فان التعقل بدأ واضحا من الحملة المملوكية وانتهى الموقف بأن توجهت الحملة الى هدفها بسلام ، حيث التقوا بحلفائهم الهنود واستطاعت القوة المملوكية بمساندة من السفن الهندية أن تنتصر على البرتغاليين في معركة تشول سنة ٩١٤ هـ(١٥٠٨م) (٤٣)

---

(٤٣) مصر في عصر المماليك الجراكسه ، ص ٢٩٥ ، بنو رسول ، ص ٤٩٨

غير أن البرتغاليين استطاعوا في السنة التاليه أن يتداركوا الموقف والتقوا بالأساطيل الاسلامية في ديو وركزوا هجومهم على السفن المملوكية ودمروها تماما ولم ينجح حسين الكردى الا بصعوبة وأرغم الأمير حسين بعدها أن يعود الى جدة لتبدأ مرحلة جديدة من الاعداد الحربى لمواجهة البرتغاليين (٤٤).

وعمل السلطان قانصوه الغورى بعد هزيمة ديو على توحيد جهود جميع الدول المتضررة من البرتغاليين وضمها الى جانبه وذلك ادراكا منه بأهمية هذه المرحلة التى يمرون بها ومدى تأثيراتها على المماليك وغيرهم من الدول التى لها ارتباط بالتجارة العالمية المعروفة آنذاك ، ومن أجل زيادة الثقة في التعامل مع هذه الدول حرص السلطان قانصوه الغورى على أن يبعث سفراءه الى تلك الدول المتضررة وعلى رأسها الدولة الطاهرية التى استقبلت سفارة مملوكية على رأسها زين الدين المحتسب والطواشى بشير التى وصلت الى زبيد في العاشر من جمادى الثانية سنة ٩١٦ هـ فاستقبلها أميرها من قبل الظافر وهو الشريف عبدالله بن سفيان الذى قام بواجبه تجاهها (٤٥) ، وبعد أن أخذوا قسطا من الراحة توجه السفيران الى رداع حيث كان يقيم السلطان عامر ،

(٤٤) بنو رسول ، ص ٤٩٨ ، مصر في عصر المماليك الجراكسه ، ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، دراج : أحمد ، المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجرى - الخامس عشر الميلادى ، ص ١٣٧ ، القاهرة ١٩٦١ م.

(٤٥) الفضل المزيد ، ص ١٢٣ ، روح الروح ، ورقه ٨ ب ، انباء الزمن ، ورقه ٥٨ ب

ولمزيد من التكريم واظهار الحفاوة البالغة بسفراء المماليك فقد أمر الظافر ولديه الشيخ عبد الوهاب بن عامر والشيخ أحمد بن عامر بالخروج لاستقبالهما فى أثناء الطريق ، وقد نفذ أبناءه ما أمرهم به والدهم ، ثم دخل الجميع على السلطان عامر الذى رحب بهم ، ثم عرض الرسولان الهدية التى تصحبهما من قبل مرسلهما السلطان قانصوه الغورى فقبلها منهم (٤٦) ، وبعد أن أدى السفراء مهمتهم المطلوبة منهم رغبوا فى العودة من حيث أتوا ، وعند ذلك رد السلطان اليمنى الهدية بهدايا مثلها من " الثياب الفاخرة والذخائر النفيسة ، كما أعطاهما فيلا من أفياله وشحن لهما مركبا من جميع ما تصلح هديته للملوك " (٤٧) ، وتوجه الرسولان بعد ذلك الى عدن ومعهما كتاب توصية الى أميرها مرجان الظافرى فيه أمر من السلطان باكرامهما ، ونفذ الأمير ما طلب منه وقام بواجبه أتم قيام ، وأظهر من التكريم لهما فوق ما كان يعمله للظافر عامر وكل ذلك بناء على التعليمات التى تلقاها منه (٤٨) ، وهذا الاهتمام الذى لقيته هذه البعثة المملوكية تدلنا على الآمال الكبيرة التى كانت معلقة على المماليك

---

(٤٦) الغضل المزيد ، ص ٢٣١ ، روح الروح ، ٩ أ

(٤٧) الغضل المزيد ، ص ٢٣٢

(٤٨) الغضل المزيد ، ص ٢٣٢

والهدف المرتقب منها لتشجيعهم من جانب الدولة الطاهرية على القيام بحملة قوية تقضي على العدوان الصليبي الذى زاد نشاطه في البحرين العربي والأحمر ، وقد عادت سفارة القاهرة أدراجها اليها في التاسع من محرم سنة ٩١٧ هـ ، وقدمت للسلطان قانصوه الهدايا التي بعث بها معهم سلطان اليمن .(٤٩)

ويبدو أن السلطان المملوكي كان يريد أن يطمئن على حملته المرتقبه لهذا سعى قبل أى اجراء آخر الى ضرورة ايجاد وحدة شاملة بين ملوك الهند وكافة الدول التي تضررت من التواجد البرتغالي في المحيط الهندى ليضعوا أيديهم في يده لعلاج الموقف ، فأرسل هذه السفارة ، ولكنها توقفت في اليمن فقط ، ولم تتمكن من الخروج من باب المندب بسبب الحصار الذى فرضه الأسطول البرتغالي عند مدخل البحر الأحمر .(٥٠)

---

(٤٩) بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٢١٩

(٥٠) الرمال : غسان محمد ، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر خلال القرن العاشر الهجرى - السادس عشر الميلادى ، لوحه ١٣٧ - ١٣٨ ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى سنة ١٤٠٠ هـ

الهجوم البرتغالي على عدن سنة ٩١٩ هـ

ويبدو أن البرتغاليين لم تخف عنهم هذه التحركات المملوكية الهادفة الى تأليب القوى الاسلامية للعمل ضدهم ، ولذلك بادر القائد البرتغالي البوكيرك الى العمل بسرعة لضرب هذه الجهود قبل أن تنعكس آثارها عليهم ، ومن أجل تنفيذ خطتهم هذه وقع اختيارهم على عدن للاستيلاء عليها لموقعها الاستراتيجي ، اضافة الى جعلها مركزا برتغاليا يتصدى لأى حملات مملوكية توجه ضدهم ، وأيضا تكون هذه المدينة نقطة انطلاق نحو المقدسات الاسلامية في مكة والمدينة (٥١) وهي أحد الأهداف التي حرص البرتغاليون على تنفيذها منذ البداية للتنفيس عن أحقادهم الصليبية التي يحملونها في صدورهم ، ولذلك تحركت أساطيلهم نحو عدن للاستيلاء عليها ويبدو أنهم كانوا يودون الاعتماد على عنصر المفاجأة ليسهل عليهم الاستيلاء عليها ، ولكن هذا العنصر تلاشى قبل وصولهم اليها وذلك أن أهل أبين لاحظوا سفن البرتغاليين واستنكروا كثرتها واجتماعها ، وعندئذ أدركوا أن هذه السفن هى سفن برتغالية (٥٢) ، فما كان منهم الا أن أرسلوا بحريا منهم ليقوم بتحذير السلطات الطاهرية من العدو القادم ، ووصل هذا النذير في ليل يوم

---

(٥١) بنو رسول ، ص٥٠٧

(٥٢) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٥ ب

الخميس ١٦ محرم سنة ٩١٩ هـ ، وصاح بأهل الحصون لاستقبال رسالته التي يحملها معه الى الوالي الطاهري وقد انزعج أهل عدن لهذا الخبر ، وعندها طلب أصحاب السفن التجارية من الأمير مرجان الظافري - حاكم المدينة - أن يسمح لهم بتفريغ سفنهم من البضائع التي تحملها قبل أن يصل اليها البرتغاليون ، ولكنه رفض هذا الطلب منهم لتصوره أنه يستطيع أن يحميها منهم - كما يقول المصدر - (٥٣) وفي صباح يوم الجمعه ١٧ محرم سنة ٩١٩ هـ أقبلت سفن البرتغاليين وعددها ثمانية عشر سفينة وفرضت حصارها على هذه المدينة ، وهنا يبدو أن الأمير الطاهري قد بدأ بالاستعداد لمواجهتهم ، ولكن وجود من يعرف أسلوب البرتغاليين في القتال وفقدان الجيش الطاهري لعنصر الأسلحة الحديثة خذّلت الوالي الطاهري من الاقدام على حربهم ، وجعلته يعمل على تحصين البلد من الداخل كما أنه منع الناس من مبادأة البرتغاليين بالقتال وذلك انتظارا لما تسفر عنه الأحداث (٥٤) ، وقد تشجع البرتغاليون حينما لم يتقدم أحد لقتالهم ، وتقدموا نحو بندر المدينة ، وهنا بدأوا بالعمل على ضربها بالمدافع والبنادق ، وخوفا من مزيد من الخسائر أقدم الوالي

---

(٥٣) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٥ ب

(٥٤) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٥ ب ، الفضل المزيد ، ص ٢٦١ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢١٦ ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٤٠ ، روح الروح ، ورقه ١٠ أ

الطاهرى الى ارسال رسول اليهم ويحمل معه كباش وفاكهة على سبيل الضيافة - كما يقول المصدر - (٥٥) ومهمته فيما يبدو بحث امكانية تلافى القتال نظير تلبية مطالبهم ، الا أن البوكيرك رفض هذه الهديـــة ، وصرح بأنه لا بد من أخذ البلد سواء طوعا أو كرها وأعطى مهلـــــة للطاهريين بقية يوم الجمعه - ١٧ محرم - وتنتهى بطلوع شمس يوم السبت - (٥٦) ومن ناحية أخرى قام البرتغاليون بالاستيلاء على السفن الراسية هناك ، دون أن يتقدم أحد لمنعهم من هذه الأعمال ، وبانتهاء المهلة تقدم البرتغاليون بالسفن المنهوبة نحو أسوار المدينة ومعهم سلالم أعدت مسبقا لتسلق هذه الأسوار ، واختاروا أقصرها للوصول بسرعة الـــى داخل المدينة ، ويبدو أنه قد نجحت جماعات منهم فى الوصول الـــى أماكن استراتيجية وهى مناطق مرتفعة تطل على البلد للاستفادة منهـــا لضرب المدينة بالمدافع ، ولكن الأهالى أبدوا استبسالا فى القتـــال ، واستطاعوا رغم قلة يدهم من السلاح أن يخرجوا هذا الجيب من الجبـــل

---

(٥٥) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ٥٩٥ ب ، لقد اعتمد غسان رمال فى بحثه ، صراع المسلمين مع البرتغاليين ، لوحه ١٤٤ ، على المؤرخ البرتغالى فاريا سوزا وذكر تفرد هذا المؤرخ بذكر أن الأمير مرجان الطاهرى قد أكرم البرتغاليين ،ونفى أن تكون أى من المصادر اليمنيه قد ذكرته ، والحقيقه ما ذكرناه .هنا فى أن باخرمه ذكر أيضا هـــذه الحادثة .

(٥٦) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ٥٩٥ ب .

- حصن الحضر - بالحجارة (٥٧) ، وبدا الأمير أثناء هذا القتال الدائر بين الأهالي والبرتغاليين في حالة يأس تام من انقاذ المدينة وفكر في التحصن في دار السعادة لولا تشجيع بعض التجار ويدعى أحدهم بابن ماقوس والآخر بالمهرى (٥٨) ، وبعد هذا التشجيع امتطى الأمير مرجان جواده وتبعه بعض جنوده استعدادا للقتال ، وعندها بدأت جموع من السكان تتوافد اليه يحركهم الرغبة في الجهاد ضد أعداء المسلمين (٥٩) وبدأ القتال بين هذه الجموع وبين البرتغاليين الذين استطاع جموع منهم أن ينفذوا الى داخل المدينة عبر السلالم ، وتغلب الحماس في طلب الشهادة على عنصر الأسلحة الحديثة آنذاك التي يملكها البرتغاليون والذين بدأوا في الانهزام أمام المقاتلين المحليين بعد أن دبت الفوضى بينهم وأخذ بعضهم يرمي بنفسه من على السلالم خوفا على نفسه من أهالي عدن ، وأخذوا في الانسحاب الى سفنهم تاركين خلفهم تسعة من القتلى (٦٠) ، وأمام هذا الفشل الذريع الذى منى به البرتغاليون أخذوا يسلطون نيران مدافعهم على المدينة والتي أصابت عددا كبيرا من الأهالي وأردتهم قتلى ، وظهر للبرتغاليين أن الاستيلاء على هذه

---

(٥٧) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٦ أ

(٥٨) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٦ أ

(٥٩) قلادة النحر ، جـ٣ ، ورقه ٥٩٦ أ

(٦٠) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ٥٩٦ أ ، الفضل المزيد ، ص٢٦١ ، قرة العيون ، ق٢ ، ص ٢١٧ ، غاية الأماني ، ق٢ ، ص ٦٤٠ ، روح الروح ، ورقه ١٠ أ - ١٠ ب .

المدينة من المحال فأثروا الانسحاب عنها بعد أن أحرقوا المراكب الراسية في الميناء اشباعا لرغبتهم في الانتقام (٦١)، وتوجه البوكيرك بقواته الى باب المندب متوجها نحو شمال البحر الأحمر فمر بالمخا والبقعة والمتينة ثم الحديدة دون أن يجرؤا على النزول في أى من هذه الموانىء لوجود القوات الطاهرية على أهبة الاستعداد لهم (٦٢)، الى أن وصلوا الى جزيرة كمران في أوائل شهر صفر واستولوا عليها بعد أن قتلوا الحامية الطاهرية الموجودة فيها وعلى رأسهم الشريف محمد بن عبد العزيز ابن على بن سفيان وغيره (٦٣)، وأقاموا بجزيرة كمران الى النصف من شهر جمادى الأولى دون أن تتخذ الدولة الطاهرية أى عمل من شأنه اخراجهم منها رغم حماس الناس وحنقهم على السلطان لمنعه من قتالهم (٦٤)، وعلى كل فان البرتغاليين بدأوا بالانسحاب من الجزيرة والعودة الى عدن لتكرار

---

(٦١) قلادة النحر، جـ ٣، ورقه ٥٩٦ أ، الفضل المزيد، ص ٢٦١، غاية الأماني، ق ٢، ص ٦٤٠، بنو رسول وبنو طاهر، ص ٥٠٦

(٦٢) الفضل المزيد، ص ٢٦١، قرة العيون، ق ٢، ص ٢١٧

(٦٣) قلادة النحر، جـ ٣، ورقه ٥٩٦ أ، الفضل المزيد، ص ٢٦١ - ٢٦٢.

(٦٤) قلادة النحر، جـ ٣، ورقه ٥٩٦ أ

المحاولة ويحدوهم الأمل في الاستيلاء عليها ، الا أن الاستعدادات التي اتخذتها السلطات الطاهرية خلال فترة اقامة البرتغاليين في كمران حطمت آمالهم في الاستيلاء عليها ، واذ تمكن الجنود وعساكر المراكب البحرية أن يلحقوا الهزيمة بهم للمرة الثانية فولوا مدبرين من حيث أتوا في جمادى الثانية سنة ٩١٩ هـ.(٦٥)

ومع أن حملة البرتغاليين على عدن كان نصيبها الفشل الا أن آثارها كانت بعيدة المدى بالنسبة للعلاقات الطاهرية المملوكية في هذه الفترة اذا علمنا تلك الحفاوة البالغة التي استقبلت بها السفارة المملوكية سنة ٩١٦ هـ ، ثم نلحظ أن المصادر اليمنية تشير الى سفارة سنة ٩٢٠هـ والتي بعث بها السلطان قانصوه الغوري الى السلطان عامر بن عبد الوهاب فوصلت الى زبيد في شعبان سنة ٩٢٠ هـ وبعد ثلاثة أيام توجهت الى صنعاء حيث يقيم الظافر فيها وتمت مقابلة رسول صاحب مصر اليه وأكرم نزله وأحسن معاملته (٦٦) ، دون أن تذكر هذه المصادر تلك الحفاوة التي استقبلت بها السفارة السابقه مما يعني أن هناك تغير في سياسة الدولة

---

(٦٥) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٦ أ ، الفضل المزيد ، ص ٢٦٤

(٦٦) الفضل المزيد ، ص ٢٦٩ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٢٠ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٨ أ ، غاية الأماني ، ق٢ ، ص ٦٤١ ، روح الروح ، ورقه ١١ أ

الظاهرية تجاه المماليك عند ما بدأ أسطولهم في التحرك من السويس سنة ٩٢٠هـ بقيادة حسين الكردى ، وهو تغير لم تكن تحتمله ظروف المرحلة التى يمر بها هذان البلدان بالذات وانقلبت رأسا على عقب ، وبالتالى حدوث نزاع مسلح انتهى بمقتل الظافر عامر بن عبد الوهاب على يد الحملة المملوكية التى كانت من المفروض أن تتوجه الى قتال الفرنج واستئصال شأفتهم ويبدو أن هذا التغير في موقف السلطان عامر كان أثرا من آثار الغزو البرتغالى على عدن اذ شعر أنه كان لوحده في مواجهتهم وظلت هذه القوات البرتغالية ترتع أمام الشواطىء اليمنية قرابة خمسة أشهر دون أن تجد قوة تستطيع مواجهتها في عرض البحر وذلك بسبب عجز السلطان عامر من أن يجهز السفن التى تستطيع أن تواجه البرتغاليين ، ولأنه أيضا/ عجز أن يزود أسطوله بالمدافع الحديثة أنذاك ، وبسبب هذا العجز ربما كان يتوقع أن يسارع حلفاؤه المماليك الى نجدته ، خاصة وأن أخبار هذه الحملة البرتغالية قد وصلت أولا الى مسامع أمير مكة الذى نقلها بدوره الى السلطان قانصوه الغورى ، كما يبدو أن السلطان عامر أرسل رسلا الى شريف مكة وبطرق عديدة يبلغه بما حدث لبلاده من هجوم صليبى .(٦٧)

---

(٦٧) ابن فهد ، عبد العزيز بن عمر المكى ، بلوغ القرى في ذيل اتحاف الورى بأخبار أم القرى ، ورقه ٢١٤أ - ٢١٤ب ، مكتبة الحرم رقم ١ تاريخ عبد الوهاب .

وعلى ضوء العلاقات السابقه بينه وبين المماليك يبدو أنه كــــان يأمل أن تصله نجدة سريعة من حلفائه الذين ترك لهم مسئولية حمايــة البحر الأحمر من أى تهديد ، ولكنه وجد أن اهتمام السلطان قانصوه الغورى قد انصب على ضرورة حماية جدة والتى تعتبر البوابة البحريــة لأهم بقعه وهى مكة المكرمة ، ولذلك انزعج السلطان الغورى من هــذا التهديد ايما انزعاج ، وخشى بالتالى أن يكون الهجوم القادم مـــن هؤلاء الصليبين على هذه المدينة ، ولذلك فقد أرسل نجدة سريعــة الى جدة مهمتها حماية ثغر مكة البحرى بقيادة الأمير خشقدم وذلك فى ربيع الأول سنة ٩١٩ هـ .

اذاً رأى سلطان اليمن أن المماليك تخلوا عنه ، ولم يقدموا لــه المساعدة فقرر أن يتخلى عنهم اضافة الى ذلك أن السلطان عامر كـان قد طلب من المماليك امداده بالآلات والمدافع ولم يحصل عليها ، وهذا الاستنتاج نابع مما ذكره الدكتور حسن احمد محمود (٦٨) الذى أورد طلب السلطان هذا ولا ندرى ان كان قد استقى هذه المعلومة مـن مصدر لم يتيسر الاطلاع عليه أو أنه استنتجه ، وفى كلا الحالتيـن فهذا احتمال وارد كأحد العوامل التى رفض السلطان الطاهرى التعاون

(٦٨) "التهديد البرتغالى لسواحل جزيرة العرب" ، ص ٢٤٤

مع المماليك لتخليهم عنه في تصوره ، وهو غير مدرك للجهود التي كـــان يبذلها السلطان الغوري في مصر من أجل بناء أسطول جديد وقوى يمسح به ما سببته هزيمة ديو.

الا أن ذلك لا ينفي احتمال وجود خطة من جانب المماليـــك للاستيلاء على اليمن وذلك لسبب وجيه وهو طالما أن سلطان اليمـــن لم يستطع مواجهة الحملة البرتغالية على بلاده ، ولم يبذل أى محاولــة جدية للخروج لنزالهم أمام شواطئ بلاده ، فخطر البرتغاليين لا يزال قائما على هذه المنطقة ، سيما وأن الأخيرين قد صرحوا بأنهم لابـــد أن يستولوا على البلد بالرغم من أن والى عدن الأمير مرجان قد أظهـــر الود تجاههم في البداية ، وذلك بارسال عدد من الكباش والفاكهـــة على سبيل الضيافة (٦٩) كما ذكرنا سابقا ، وللحقيقة فان مجرد تقديم هـــذه الهدايا كان معناه أن هناك استعداد ولو جزئي من جانب الدولـــة الطاهرية في التفاوض معهم ، ورغم فشل مساعي أمير عدن لكسب جانـــب البرتغاليين ، فان ذلك مرده الى اصرارهم على الاستيلاء على عدن لموقعها الاستراتيجي ، وتحكمها في مدخل البحر الأحمر مما يشكل تهديدا مباشرا لأمن الدولة المملوكية فيما لو نجح البرتغاليون في الاستيلاء عليها (٧٠) ، وهذا

---

(٦٩) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٥ ب

(٧٠) أحمد يوسف أحمد ، الدور المصرى في اليمن ، ص ١٩ ، القاهرة ١٩٨١م.

فى حد ذاته ربما يكون سببا قويا فى اصرار المماليك على أن يسيطروا على هذه الدولة أو على الأقل السيطرة على عدن لاتخاذها قاعدة انطلاق أولى للجهاد ضد الفرنج . ومن ثم كان لابد من السبق اليه قبلهم ، كما يستنتج من المصادر اليمنية أنها تشير بأصابع الاتهام لحملة حسين الكردى ، وأن هدفها الحقيقى هو فتح اليمن وليس قتال الفرنج ، ومما قوى شكهم مصاحبة الأمير الشريف عز الدين بن أحمد بن دريب للحملة المملوكيه الى كمران ، خاصة وأن صاحب جازان المهدى بن أحمد بن دريب سبق له وأن كتب للغورى يبذل له مساعدته على الاطاحة بالدولة الطاهرية مقابل الاعتراف بحدود امارته فى المخلاف السليمانى (٧١) وذلك بسبب اشتداد وطأة السلطان عامر على دولته ، فكان لابد لأمير هذه المنطقة من الاستعانة بسلطان المماليك لدفع ما يتضرر منه صاحب المخلاف السليمانى (٧٢).

فلما وصلت الحملة الى جازان بذل لها من المساعدة ما تحتاجه ، وعند مغادرتها لهذا الميناء أرفق معها أخاه الشريف عز الدين بن أحمد بن دريب (٧٣) ، ومن ميناء جازان توجهت الحملة الى جزيرة كمران ، وكان خبر

---

(٧١) الوافى بوفيات الأعيان ، ورقه ٣ ، تاريخ المخلاف السليمانى ، جـ ١ ، ص ٢٦٩ .

(٧٢) تاريخ المخلاف السليمانى ، جـ ١ ، ص ٢٧٠

(٧٣) تاريخ المخلاف السليمانى ، جـ١ ، ص ٢٧٠

وصولها قد انتهت الى السلطان عامر قبل أن تتوجه الى كمران ، لأن الأمير حسين الكردى بعث رسولا الى الظافر يعلمه بقدومه ، ويطلب منه المساعدة ، ورغم أن ابن الديبع لم يشر الى هذه الرسالة ، فان معاصرة أبو مخرمه ذكرها (٧٤) ، ووضحت حقيقة موقف السلطان عامر تجاه الحملة المملوكية منذ البداية ، وذلك باعراضه عن رسولهم للأسباب السابقه ، ومعنى ذلك أن الصدام وشيك الوقوع بين القوتين .

ورغم اعراض سلطان اليمن عن رسول الأمير حسين فان الحملة واصلت سيرها الى جزيرة كمران (٧٥) ، فوصلت اليها في السابع من ذى القعدة سنة ٩٢١ هـ (٧٦) ، وما أن وطئت أقدامهم هذه الجزيرة حتى بعثوا برسالة ثانية الى السلطان عامر وارفقوا بها هدايا له ولابنه وولى عهده عبد الوهاب ابن عامر والى زبيد آنذاك (٧٧) معززين طلبهم السابق بضرورة مساعدتهم ، ويبدو أن الظافر قد أعطى أوامر مشددة الى واليه على زبيد الشيخ عبد الوهاب بن عامر بعدم ابداء أية بادرة سواء سلبا أو ايجابا الا بعد أخذ رأيه فيها ، وهذا ما فعله أمير زبيد حينما وصل الجيش المملوكي الى كمران ، ومع وصول الرسالة التى بعثها الأمير حسين الكردى الى

---

(٧٤) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٧ ب

(٧٥) روح الروح ، ورقه ١١ أ ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٤١ ، السناء الباهر ، ورقه ١٠٦ ب - ١٠٧ أ

(٧٦) الفضل المزيد ، ص ٢٧٧ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٩٨ ب ، روح الروح ، ورقه ١١ أ

(٧٧) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٩ أ

الظافر عامر بن عبد الوهاب حتى تبين موقفه الأخير منها ، اذ عمد الى استشارة وزراءه ، وكأنه أراد أن يحمل الجميع المسئولية معه ومجرد ضرب المشورة فى هذا الطلب المقدم من الحملة يدل على أنه غير حريص على التعامل مع المماليك فى هذا الوقت الحرج .

وقد تضاربت الروايات حول موقف وزراءه ، فابن الديبع لم يشر الى هذه الرسالة ، بينما أبو مخرمة يذكر أن الأمير على بن محمد البعدانى ، كان قد نصح الظافر عامر باعطائهم ما طلبوه ، وتكفل هو شخصيا بتمويلهم بما يحتاجونه من ماله الخاص ، بينما أشار عليه أحد وزراءه وهو الفقيه عمر الجبرتى بترك ذلك معللا حجته هذه بقوله : " انهم لا يسوون شيئا وحدهم البحر لا يتجاوزونه " فتبع السلطان مشورته .(٧٨)

بينما تذكر رواية ابن المطهر أن الفقيه على بن محمد النظارى أشار على السلطان بضرورة مساعدتهم للحملة وبذلك يحقق هدفين : أولهما اكتفاء لشرهم وثانيا كسب الأجر من الله على هذه المساعدة لأنها صرفت للجهاد ضد الكفار ، بينما وقف الأمير على بن محمد البعدانى بعكس هذا الموقف ، وثارت فيه حمية للسلطان لأنه اعتبر صيغة الخطاب الذى بعث به الأمير حسين اهانة لسلطانه ، وبدوره ،أهان رسل

---

(٧٨) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٨ ب - ٥٩٩ أ .

الأمير حسين الكردى قائلا لهم " أمركما من يجهل حال السلطان الملك الظافر صلاح الدنيا والدين خليفة الله على المسلمين ويرسل اليه بهذه الرسالة ويدفعكما بهذه المقالة ، كأنه بعض عماله على بلاده وأعماله أوما علم أنه سلطان اليمن ، وواحد الزمن ، والله لولا أن قتل الرسل حرام لأعرضنكما على الحسام ، اذهبا فهذه غاية الخطاب ونهاية الجواب " (٧٩)

وقد أيده في روايته هذه ضمنا يحى بن الحسين وعدة من المصادر. (٨٠)

الا أن رواية أبى مخرمة أقرب الى الواقع في سبب الرفض ، وذلك فيما يبدو أنه حينما تمكن الظاهريون من الصمود أمام الهجوم البرتغالى على عدن ، كان ذلك عاملا مشجعا للظافر عامر على الاصرار فى عدم التعاون مع المماليك ، للأسباب التى ذكرناها آنفا ، وتصور الظافر عامر ووزيره أن الفشل مصير للحملة المملوكية ، كما فشلت حملة البرتغاليين ونسي عاملا مهما هو ورجال دولته كان ينبغى ادراكه ، وهو الفارق بين الحملتين وذلك أن البرتغاليين مسيحيون صليبيون ، وفارق الدين كان أقوى مما فعلته الحامية الظاهرية والأهالى بأسلحتهم المتواضعه فى عدن ، لأن

---

(٧٩) روح الروح ، ورقه ١٣ أ

(٨٠) غاية الأماني ، ق٢ ، ص ٦٤٣ ، اللطائف السنية ، ورقه ٥٨ أ ، جامع المتون ، ورقه ٦٥ أ

القضية أصبحت لدى المقيمين فى المدينة وغيرها قضية جهاد اسلامى ، ويطلب كل فرد منهم الشهادة فى سبيل الله ، وبهذا العامل تمكن أهل عدن والعساكر الظاهرية من صد البرتغاليين لا بالأسلحة والتحصينات الموجودة فى بلاده ، بينما حملة حسين الكردى فهى حملة قادتها ورجالها مسلمون ، ومعنى ذلك زوال الفارق الذى بسببه حارب اليمنيون هؤلاء الصليبيين .

ولم يكتف السلطان عامر بموقف الحياد فقط بل انه منع السفن المحملة بالحبوب من الاتجاه شمالا فى البحر الأحمر والمتجهة الى الحجاز كى لاتستفيد منها القوة المملوكية فى كمران [(٨١)] ، ومما زاد الموقف حرجا حدوث أمرين مهمين كانت من الأسباب القوية التى دفعت بالمماليك الى التوغل داخل اليمن وهما :

أولا : وصول رسول من الامام المتوكل على الله شرف الدين يحى الى حسين الكردى فى كمران ، ويطلب منه نصرته على السلطان عامر بن عبد الوهاب [(٨٢)] الذى أصبح يهدد بشكل جدى آخر معاقل الزيدية ، وخاصة

---

(٨١) الفضل المزيد ، ص ٢٧٨ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٩ أ ، روح الروح ، ورقه ١١ أ ، غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٦٤١ ، اللطائف السنيه ، ورقه ٥٧ ب ، الوزير : أحمد بن عبد الله ، شرح منظومة النمازى ، ورقه ١٢ ب - ١٣ أ

(٨٢) روح الروح ، ورقه ١٢ أ

حجة التى يتمركز فيها الامام شرف الدين ، ولم يبق الا هذا الجزء من الأملاك الزيدية خارج نطاق السلطة الطاهرية ، وأصبح خطرها قريبا منها ، ولم يحق الاستيلاء عليها الا وصول المماليك ، ويلاحظ أن الامام شرف الدين قد نوه فى رسالته بأن السلطان عامر يود الاتجاه الى الحرمين الشريفين للاستيلاء عليهما ، والقضاء على من بها من آل البيت ، ويهدف من هذا دفع المماليك على التورط فى اليمن . (٨٣)

كما يلاحظ أنه أرسل رسالته هذه قبل أن يبعث الأمير حسين برسله الى سلطان اليمن ، مما يدل على علمه بتحركات الحملة ، ويبدو أن حسين الكردى قد بدأ يتشكك من حليفهم السابق ولذلك فضل عدم التسرع فى اعطاء رد حاسم للامام شرف الدين ، واستشار رجاله فى الرأى فأشاروا عليه بتأجيل النظر فى طلب الامام الزيدى ، وانتظار ما يسفر عنه موقف السلطان عامر . (٨٤)

أما وأن الرد قد عرف ، ولم يكتف الظافر بذلك فقد أمر ضامن الحديدة محمد بن نوح بمنع أية سفينة تتجه الى الحجاز ، وقام الأخير

---

(٨٣) روح الروح ، ورقه ١٢ أ

(٨٤) روح الروح ، ورقه ١٢ أ ، غاية الأمانى ، ق٢ ، ص ٦٤٢ - ٦٤٣ جامع المتون ، ورقه ٦٥ أ ، اللطائف السنية ، ورقه ٥٨ أ

باخراج حمولة ثلاث مراكب من الحبوب حتى لا تقع في أيدي الحملة المملوكية ، وهذا ما ألحق الضرر بهم ربما نتيجة للنقص في التموين لديهم ، لذا فقد أرسل الأمير حسين الى ضامن الحديدة يطلب منه السماح للسفن المحملة بالمواد الغذائية من أن تأخذ طريقها الاعتيادي ليستطيع أن يمول رجاله بما يحتاجونه من طعام ، كما توعد الوالي والحامية الطاهرية اذا لم تستجب لمطلبه هذا (٨٥) ، وقد قوبل طلب أمير الحملة هذا بالرفض من قبل المسئول الطاهري في الحديدة بناء على الأوامر التي لديه . ويبدو أن ضامن الحديدة محمد بن نوح خشي العاقبة من تهديد الاسطول المملوكي للمدينة ، ولذلك فقد أرسل الى أمير زبيد الشيخ عبد الوهاب بن عامر يخبره بالوضع وما يتهدد المدينة التي كانت تعاني من نقص في الجند ، فلم يكن من الشيخ عبد الوهاب الا أن أرسل اليه تعزيزات عسكرية لتقوم بحمايتها ، فلما وصل هؤلاء الجنود اليها طالبوا الأهالي بالمؤونة اللازمة لهم (٨٦) مما جعل الأهالي يفضلون الفرار من الحديدة بحجة الهروب من التهديد المملوكي

---

(٨٥) الفضل المزيد ، ص ٢٧٨ ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٤٤ .

(٨٦) الفضل المزيد ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٩ أ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٢٤ ، روح الروح ، ورقه ١٣ ب غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٤٣ ، تاريخ الشحر ، ورقه ٥٨ أ

وخروجا من مأزق ارهاقهم بنفقة الجند الطاهرى الذى شكل عبئا جديدا عليهم ، وقد لاحظ المتمركزون فى جزيرة كمران ما حدث فى هذه البلدة ، ومن خروج أهلها عنها ، وقدوم تعزيزات عسكرية اليها عند ذلك أيقن الأمير حسين أن السلطان عامر جاد فى موقفه منهم ولا أمل فى الرجعة عن هذا القرار ، لذلك قرر أن يعاقب المسئولين الطاهريين فى الحديدة عن موقفهم تجاه الحملة التى يقودها وعليه فقد اقتربت السفن المزودة بالمدافع الى ميناءها ، وعند المرسى سألوا عن مكان اقامة الجند الطاهرى ومكان نزولهم ، فأشاروا عليهم بمراكزهم فرموهم بالمدافع ، ويبدو أنها كانت طلقة واحدة من مدافع المماليك ،(٨٧) ولكنها كانت كافية لاثارة الذعر بينهم وتفريق شملهم وذلك لأن هؤلاء الجنود لا عهد لهم بمثل هذا النوع من السلاح ، صحيح أن البرتغاليين هاجموا عدن بمثل هذه المدافع ، ولكن سكان المناطق التهامية الأخرى لم يسبق لهم أن تعاملوا مع مثل هذا النوع من الأسلحة فضلا عن رؤيتها مما يعطى تصورا كافيا عن عزلتهم التامة عن التطورات التى تحدث خارج نطاق اليمن ، وقد كانت هذه الطلقه من المدافع مصدر رعب وهلع للجند الطاهرى الذى ذهل منها ، ولغرابتها فقد قاموا بارسال القذيفة

---

(٨٧) الفضل المزيد ،ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ، قرة العيون ،ق ٢ ،ص ٢٢٤؛ غاية الأمانى ، ق ٢ ،ص ٦٤٣

الى زبيد (٨٨) كبرهان على خطورة القادم الجديد ، والتى تعتبر هذه الشرارة بمثابة انذار مبكر لما سيصيب بلادهم اذا هم وقفوا فى وجهه ، كما أنها كانت كافية لاخلاء الساحة لهم داخل الحديدة التى أصبحت خاوية على عروشها ، فدخلها المماليك وأخذوا ما يلزمهم منها ، وعند مغادرتهم لها أخذوا دروف البيوت وأخشابها ليبنوا لهم بهذه الأدوات ما يحتاجونه من بناء داخل جزيرة كمران (٨٩) .

وهنا يتدخل العامل الثانى فى أسباب توغل الحملة المملوكية داخل اليمن وهو من أقواها على الاطلاق ، وهذا الحدث يبين أن حملة حسين الكردى لم تغير سياستها نحو الدولة الطاهرية الى هذه اللحظة وانما ظروف الموقف هى التى حتمت عليهم التوقف أمام الشواطئ اليمنية بسبب تشدد الظافر معهم ، وبالتالى سمح الأخير للقبائل التى سنذكرها فيما بعد والتى ذاقت منه الأمرين أن تثأر لنفسها منه ومن دولته ، والانضمام بل الأصح طلب المعونة من الحملة المملوكية أن تعينهم بالرجال والسلاح واخضاع مناطقهم لسيادة الدولة المملوكيه ، اذ أن ما حدث فى

---

(٨٨) الفضل المزيد ، ص ٢٧٨ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٢٤-٢٢٥ ، روح الروح ، ورقه ١٣ ب ، غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٦٤٣ .

(٨٩) الفضل المزيد ، ص ٢٧٨ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٢٤ -٢٢٥ ، روح الروح ، ورقه ١٣ ب ، غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٦٤٣

الحديده وانتشار أخبارها حتى تحركت كوامن نفوس كثير من القبائل كانت مخبؤة وذكرتهم بجراح لم تندمل صنعتها الدولة الظاهرية لهم ، فأرادت الانتقام من هذه الدولة عن طريق هؤلاء المماليك كما كشف هذا الحدث أيضا أن هذه القبائل لم تكن خاضعة خضوع رغبة ، وانما استكانت خشية ورهبة وخوفا من القوة والسطوة التى تميزت بها الدولة الظاهرية في معالجتها لأسباب ثوراتهم ، وكان دواءها الوحيد لهم هو السيف ، فحملوا الضغائن ، وكانوا أول معين للمماليك على الدولة الظاهرية .

وما أن رجع المماليك الى جزيرة كمران حتى بادر اليهم الفقيه أبو بكر بن المقبول الزيلعي أمير اللحية وعرض عليهم خدماته ، وأشار على الأمير حسين الكردى بامداده بقوة يستطيع بها أن يفتح جهات وادى مور ويخضعها لنفوذهم ، وقد استجاب الكردى لطلبه هذا وأمده بمائة جندى مزودين بالبنادق الحديثة آنذاك ، وتمكنت هذه القوة من أن تبسط نفوذها على هذه الجهات ، كما قتل الوالي الظاهرى عليها وهو محمد بن سليمان بن جياشي السنبلي وعدد من جنوده أثناء مقاومتهم للفرقة المصاحبة لابي بكر بن المقبول الزيلعي .(٩٠)

---

(٩٠) الفضل المزيد ، ص ٢٧٨ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٢٥ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٩ أ ، تاريخ الشحر ، ورقه ٦٠ أ - ٦٠ ب .

ومما هو جدير بالذكر أن تعامل أبي بكر بن المقبول مع المماليك فيما يبدو يرجع الى وقت مبكر وذلك عن طريق الاغراء والهدايا التي كانت تغدق عليه ، وأصبح مواليا لهم ، وذلك باعلان تبعيته للسلطان قانصوه الغوري وبالخطبة له في مساجد اللحية . (٩١)

ولعل النجاح الذي أحرزه أمير اللحية هو الذي شجع القبائل المجاورة لوادي مور وأهمها تلك التي تقطن حول قرية الزيدية وما حولها الذين سرعان ما هرعوا الى القائد المملوكي حسين معلنين ولائهم له واستعدادهم لخدمته ، وعرضوا عليه مساعدتهم مقابل مساعدته لهم ، وتكفلوا في المقابل بنفقات القوة التي ستصاحبهم ، كما أن الخراج المقرر عليهم من قبل الدولة الطاهرية سيسلمونه للأمير حسين ، وكان هذا العرض فرصة لا تعوض بالنسبة له ، لذا أسرع في اجابة مطلبهم وأمدهم بمائتي مملوك ، توجهت بهم القبائل الزيدية الى قرية الضحى ، وقد قام واليها الأمير عيسى بن علي الحجري ورجال الدولة الطاهرية بالتصدي لهذه القوة المملوكية ومن يصحبها من القبائل الا أن كفة القوة الأخيرة هي الراجحة والتي سرعان ما استولت على القرية المذكورة ، وقامت

---

(٩١) الفضل المزيد ،ص ٢٧٨ ،قرة العيون ،ق ٢ ،ص ٢٢٥ ، غاية الأماني ، ق ٢ ،ص ٦٤٤ - ٦٤٥ ، اللطائف السنية ،ورقة ٥٨ ب ، روح الروح ،ورقه ١٤ أ .

بنهبها ، وبعد ذلك أحرقوا ما تبقى منها حتى خربت ولم تجد الحامية الظاهرية بدا من مغادرتها والانسحاب الى قرية الغانمية لتتحصن بها (٩٢) .

وأمام هذه المستجدات التى أصبحت تهدد الدولة الطاهريه ، كان لا بد أن تتخذ الاجراءات المضادة لكى تتمكن من صد الخطر الذى توغل داخل البلاد اليمنيه ، ويلاحظ أن السلطان عامر بن عبد الوهاب لم يعتمد فى التجنيد على القبائل التهامية ، وذلك لتشككه فى اخلاصهم تجاهه وتجاه دولته ، ولذلك صعد الفقيه عبد الحق النظارى الى المناطق الجبلية ليجلب منها جموع العساكر السلطانية فى آخر شهر ذى الحجة سنة ٩٢١ هـ ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أطلق من كان مسجونا من أسرته من بنى طاهر قبل ذلك ، ليوحد جهود (٩٣) الأسرة الحاكمة أجمعها ولتقف موقفا موحدا معه أمام الخطر الذى طرق دولته .

---

(٩٢) الفضل المزيد ، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٢٥ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٩ أ ، روح الروح ، ورقه ١٤ أ - ١٤ ب ، غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٦٤٥ ، اللطائف السنية ، ورقه ٥٨ ب

(٩٣) الفضل المزيد ، ص ٢٧٧ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٢٣ ، قلادة النحر جـ ٣ ، ورقه ٥٩٩ أ . الحبيد ، "المماليك الجراكسة فى اليمن" ، ص ١٧٠ .

وعلى كل فقد قدم الفقيه عبد الحق في منتصف شهر صفر سنة ٩٢٢ هـ بجميع كبير من الجنود وفيهم الفقهاء والمشايخ الصوفية والضعفاء الذين لا يستطيعون القتال ، وهذا انتقاء غريب من جانب الفقيه المذكور لهؤلاء المحاربين ، ولعل ذلك يكون مقصودا حتى تتحصل الدولة على مصدر جديد للمال ، وذلك عندما قاموا بأخذ مبالغ معينة من الفقهاء والمشايخ الصوفية مقابل اعفائهم من الخدمة العسكرية .(٩٤)

معركة المزحف ـ ربيع الثاني سنة ٩٢٢ هـ

لم يكن ما جمعه الفقيه عبد الحق النظارى من جنود هو نهاية المطاف للسلطان عامر المستقر أنذاك في المقرانة فقد كان يجهز جمعا آخر بقيادة أخيه الشيخ عبد الملك بن الملك المنصور عبد الوهاب ، وحينما تم اعداده أمر أخاه بالنزول الى زبيد لمعالجة الموقف في هذه المنطقة فنزل الشيخ المذكور الى زبيد فوصلها في الحادى عشر من ربيع الأول سنة ٩٢٢ هـ ، ومكث بها مدة من الزمن ينسق أموره فيها ،ثم غادرها في السابع من ربيع الآخر ، متوجها الى شمال زبيد ،اذ عسكر في موضع يسمى المزحف ـ ولعله قريبا من الزبيدية اتخذه موقعا للمعركة المقبلة . ومن جانب آخر وصلت أخبار الشيخ عبد الملك الى مسامع الأمير حسين

---

(٩٤) الفضل المزيد ، ص ٢٧٧ ،قرة العيون ،ق ٢ ،ص ٢٢٣ ،قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٩ أ ، روح الروح ,رقه ١١ب ،غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٤٢ .

الكردى الذى بادر بالتوجه اليه لنزاله ومعه ألف مقاتل مزودين بالبنادق التى يفتقر اليها الجيش الطاهرى (٩٥)، اضافة الى الجند المصاحب للشريف عز الدين بن أحمد بن دريب من المماليك والمعازبه (٩٦)، والتقى ابن دريب والكردى فى الزيدية ثم تقدم الجميع الى المزحف حيث يرابط الشيخ عبد الملك بن عبد الوهاب ، وهنا التقت جموع الطرفين وحدثت معركة كبيرة بينهما أبدى فيها الشيخ عبد الملك من ضروب الشجاعة الفائقة والثبات فى الحرب ثبات من يدرك مصير الهزيمة ، ولذلك كانت لديه من قوة الروح المعنوية بحيث أنه استبدلت له ثلاثة خيول سقطت صريعة فى المعركة (٩٧)، ورغم وقوع هذا القتال الضارى بين المماليك والجند الطاهرى الا أنها لم تنته بنتيجة حاسمه رغم رجحان كفة المماليك بما يملكونه من أسلحة نارية حديثة آنذاك ، كما يبدو أن الشيخ عبد الملك

---

(٩٥) الفضل المزيد ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٢٥- ٢٢٦ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٩ أ - ٥٩٩ ب ، روح الروح ، ورقه ١٤ ب ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٤٥

(٩٦) الفضل المزيد ، ص ٢٨٠ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٢٦ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٩ ب ، روح الروح ، ورقه ١٤ ب

(٩٧) الفضل المزيد ، ص ٢٨٠ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٢٦ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٩ ب ، روح الروح ، ورقه ١٤ ب ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٤٥ ، تاريخ الشحر ، ورقه ٦٠ ب - ٦١ أ

رأى من جنده عدم الاخلاص ، ولذلك آثر الانسحاب الى زبيد فوصلها في العاشر من جمادى الأولى سنة ٩٢٢ هـ ، ومعه رؤوس القتلى من جند المماليك ولكي يستعد من جديد للمعركة المقبلة .

وقد روى معاصر كيفية تفادى الشيخ عبد الملك الاصابة بالبنادق ، وذلك باضافة طبقة من الشمع خلف الدرع الذى يرتديه ، فاذا ما أصابته احدى طلقات البنادق واخترقت درعه فان الشمع يقوم باطفائها ، ولذلك فانه حينما خلع هذه السترة من الشمع وجد فيها ثماني عشرة ما بين بندقه وجليلة (٩٨) .

معركة باب النخل - جمادى سنة ٩٢٢ هـ

بعد أن لجأ الشيخ عبد الملك الى زبيد ، حرضت القبائل الأمير حسين الكردى على متابعة القوة الطاهرية الى هناك وعدم ترك الفرصة لها للاستراحة والاستعداد له من جديد ، ورغم ذلك فان الأمير حسين لم يتعجل في اتخاذ مثل هذا القرار وحده وآثر أن يعلم رفيقه في الأسطول الأمير سلمان العثماني - الريس - بالموقف وطلب نزول قوة اضافية الى القوة التى معه حتى يستطيع أن يحسم المعركة المقبلة مع الشيخ عبد الملك المتركز في زبيد ، وعلى ذلك اتفق الأمير حسين مع سلمان الريس بأن يسير

---

(٩٨) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٩ ب .

بقواته في البحر وتنزل الامدادات العسكرية الاضافية عن طريق ميناء المتينة -القريب من زبيد - وتلتقي به بالقرب من هذه المدينة ،بينما يسير الأمير حسين عن طريق البر كي يجمع القبائل القاطنة فيما بين الحديدة وزبيد ويكسب ولائها ، وذلك حتى يضمن خط الرجعة اذا وقع في مأزق غير متوقع ، وبذلك يكون قد أمن غدر هذه القبائل به ، ولذلك ما أن وصل الأخير بيت الفقيه ابن عجيل حتى قدم عليه زعماء المعازبه فأظهر من الترحيب بهم واكرامهم حتى آنسهم منه ،(٩٩) ثم بعد ذلك استحلفهم على الاخلاص له فغعلوا ذلك ، ومن بيت الفقيه توجه بالقوات التي معه الى قرب زبيد حيث عسكر في نخل وادي زبيد منتظرا وصول القوة القادمة من لدن الأمير سلمان وبعد ثلاثة أيام من الانتظار وصلت هذه القوة المنتظرة عن طريق ميناء المتينة ،فلما وصلت توجه الأمير الكردي بما معه من جنود من المماليك والتركمان والمغاربة والشوام عدا من انضم اليهم من أهل جازان والزيديين والمعازبه والقرشيين وزعماء العرب كالشريف عز الدين بن دريب وأبو بكر بن المقبول الزيلعي (١٠٠) ، الى أبواب المدينة التي أغلقت أبواب أسوارها تحسبا لمثل هذا الموقف من جانب الأمير حسين

---

(٩٩) الفضل المزيد ، ص ٢٨٠ - ٢٨١ ، قرة العيون ،ق ٢ ،ص ٢٢٦ - ٢٢٧ ، قلادة النحر ،ج ٣ ، ورقه ٥٩٩ ب ، روح الروح ،ورقه ١٥ أ ، غاية الأماني ،ق ٢ ،ص ٦٤٦

(١٠٠) الفضل المزيد ، ص ٢٨٠ -٢٨١ ، قرة العيون ،ق ٢ ،ص ٢٢٦- ٢٢٧ ، قلادة النحر ،ج ٣ ، ٥٩٩ ب

وقواته . ويكمن الخطأ الكبير الذى ارتكبه الشيخ عبد الملك هو انتظاره للقوات المعاديه له حتى تستكمل استعدادها ثم بعد ذلك يخرج للقائها ولو أنه بادر بالهجوم عليهم قبل أن تصل اليهم الامدادات لربما تغيرت المعركة لصالحه ، غير أنه يبدو أن هذا التلكؤ يعنى أنه لم يكن واثقا من جنوده الذين تحت امرته والذين ملئوا رعبا من أعدائهم .

ولما رأى الشيخ المحاصر داخل أسوار زبيد القوات المملوكية ومن يصاحبها تحدق به من خارجها ، خرج اليهم من باب النخل بقواته واصطدم بهم ، وأبدى أيضا هذه المرة من الشجاعة والمهارة فى القتال مثلما عهد منه فى المرة الأولى ، وقد عضده فى هذه المعركة الأمير الشجاع الشيخ عبدالوهاب بن السلطان عامر ، ولكن الأخير أصيب ببندقه خرج على أثرها من المعركة منسحبا الى زبيد (١٠١) ، ويبدو أن انسحابه هذا أثر على معنويات الجند الطاهرى الذى سرعان ما أنهزم أيضا وولى الأدبار الى المدينة ، وازاء هذا الوضع أصبحت القوات المملوكية منتصرة وتمكنت من زبيد التى أصبحت أبوابها مفتوحة لهم ، أما الشيخ عبد الملك فانه لم يفكر الا فى ابن أخيه المصاب والذى ينزل فى الدار الكبير - مقر الحكم فى زبيد -

---

(١٠١) الفضل المزيد ، ص ٢٨١ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ٥٩٩ ب ، روح الروح ، ورقه ١٥ أ ، تاريخ الشحر ، ورقه ٦١ ب - ٦٢ أ ، الشرفى : شمس الدين أحمد بن محمد صلاح ، اللآلئ المضيئة الملتقطه من اللواحق الندية فى أخبار الأئمة الزيدية ، ورقه ٤ ب ، مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم ٥٨٣١ ، اللطائف السنية ، ورقه ٥٩ أ

ولذلك فانه حينما رأى أن الخطر يحدق به سارع الى انقاذه قبل أن يقع في الأسر ، وتمكن من أخذه الى خارج المدينة بنفسه من باب الشبارق ، بالرغم من اعداد المهاجمين للمدينة كمينا لأسره ، غير أن شجاعته وقوة شكيمته فاقت مما كان يعده له هؤلاء ، وتمكن من الهرب والوصول الى حيث كان ينتظره بقايا من جنده على الطريق المتجه الى مدينة تعز والتي وصلوها جميعا ، غير أن الفرحة بهذه النجاة لم تدم طويلا وذلك لموت ولي عهد الدولة الطاهرية الشيخ عبد الوهاب بن عامر متأثرا بجراحه يوم الأربعاء الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة ٩٢٢هـ، (١٠٢) وقد لحقه الشرف الموزعي الذى كان مستوفى مدينة زبيد ، والى الأخير تتجه الاتهامات بأنه هو أساس الفتنة وزوال الدولة الطاهرية ، وذلك بسبب ما كان يطبقه من أعمال تعسفية بحكم وظيفته من الاستيلاء على أموال الناس بحجة انها من أموال الدولة ، (١٠٣) ولعل هذا يعطى تفسيرا لعدم مقاومة أهالي

---

(١٠٢) الفضل المزيد ،ص ٢٨١ ، قرة العيون ، ق ٢ ،ص ٢٢٧ ، قلادة النحر ،ج ٣ ، ورقه ٥٩٩ ب وباب الشبارق هو أحد أبواب زبيد الأربعة وهي باب القرتب ،وباب النخل وباب سهام ، والشبارق نسبة الى قرية الشبارق الواقعة شرقي زبيد .

المقحفي : ابراهيم بن أحمد ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، ص ١٩٠ ، صنعاء ١٩٨٥م.

(١٠٣) الفضل المزيد ،ص ٢٨١ ،قرة العيون ،ق ٢ ،ص ٢٢٧، قلادة النحر ،ج ٣ ، ورقه ٥٩٩ ب ، روح الروح ، ١٥٠ أ ،غاية الأماني ، ق٢ ،ص ٦٤٦ .

المدينة للغزاة بقيادة الأمير حسين الكردى ، وذلك لربما لحسن الظن بأن القوة القادمة الى اليمن ستنصفهم من الاجحافات التى كانت تطبقها الدولة الطاهرية ، غير أن الواقع لم يكن ما كان يدور بخلدهم اذ أن المماليك ومن معهم حينما دخلوا هذه المدينة يوم الجمعة ١٨ جمادى الأولى سنة ٩٢٢ هـ كان شغلهم الشاغل هو السلب والنهب ، وعاثوا فى أرجائها فسادا ، وقد تخلف الأمير حسين فى الدخول الى المدينة المفتوحه ، ولعله لم يرد أن يشهد ما يقوم به رجال حملته ومن تبعهم من القبائل المنطويه تحت لوائه ، وبالرغم من دخوله عصر ذلك اليوم وأمره بالكف عن السلب والنهب الا أن أوامره هذه لم تجد أذنا صاغية وزاد فهمهم واستمروا على طريقتهم هذه ثلاثة أيام وألحقوا أبلـــغ الأذى بالساكنين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ليستوطن فيها هؤلاء الفاتحون ، وجعلوها كدار حرب - كما تقول المصادر -(١٠٤) ولم يكتف الأمير حسين الكردى بما حصل من النهـب لأهالى هذه المدينة لمدة ثلاثة أيام ، اذ قام بعدها بالقاء القبض على التجار والمتسببين واهانهم وصادر أموالهم ، كما أهان علماء هذه المدينة وذلك بوضع القيـــود فى أعناقهم لاستخراج ما لديهم من أموال وأسند مهمة متابعة ذوى اليسار من الناس الى رجلين من أهل مصر كانا قد سكنا مدينة زبيد منذ فترة

---

(١٠٤) الفضل المزيد ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٢٧- ٢٢٨ ، السناء الباهر ، ورقه ١٠٧ ب

طويلة ، ويدعى أحدهما بالجميل والثاني دوغان ، فكتبوا أسماء بيوت أهل زبيد ، وقاموا بمصادرة أكثر من مبلغ عشرة آلاف دينار أشرفي ، هذا بعد النهب والحريق الذى أصاب المدينة وقاموا بتسليمها الى الأمير الكردى ، (١٠٥) وبعد أن تمكنت قبضة المماليك على المدينة أقام قائدها حسين الكردى سبعة وعشرون يوما ، ثم غادرها الى بندر البقعة ، فرارا من جنوده الذين طالبوه بتسليم مبلغ مائة أشرفي لكل فرد منهم ، بناء على وعد منه لهم قبل دخول زبيد ، فلما طالبوه بها وهددوه تظاهر بأنه أودعها في ميناء البقعة ، ومن ثم توجه الى هذا الميناء لجلب المال لهم ، ولم يكن صادقا معهم في ذلك ، اذ أنه قبل خروجه من هذه البلدة استخلف على قيادة المماليك الأمير برسباى ، وجعل الشريف عز الدين بن أحمد بن دريب مساعدا له ، تاركا لهم اكمال ما بدأه من غزو اليمن ، وفي ميناء البقعة واجه رفيقه سلمان الريس ، ومن ثم توجه الاثنان باسطولهما الى عدن للاستيلاء عليها . (١٠٦)

---

(١٠٥) الفضل المزيد ، ص ٢٨٣ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٢٨ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٠٠ أ ، السناء الباهر ، ورقه ١٠٨ أ

(١٠٦) الحميد ، المماليك الجراكسة في اليمن ، ص ١٧١

الهجوم المملوكي على عدن ـ رجب سنة ٩٢٢ هـ

بعد خروج الأسطول المملوكي من ميناء البقعة توجه الى ميناء زيلع وذلك للتزود بالماء والمؤن واصلاح بعض المراكب ، وبعد أن أكملوا الاستعدادات واصلوا سيرهم الى ثغر عدن للاستيلاء عليه (١٠٧) ، والذى يعتبر لهم من الأهمية بمكان لموقعه الاستراتيجي ، فوصلت اليه مراكب الحملة وهى مكونة من برشتين وتسعة عشر غرابا ، وبما أن كثيرا من القوات التى كانت مع الأمير حسين قد تركها فى زبيد ، فان الأخير قد استعان بأعداء الطاهريين القدامى فى عدن وهم قبائل يافع الذين جند كثيرا (١٠٨) منهم فى أسطوله كي يستفيد من معلوماتهم عن المدينة ليسهل عليه مهاجمتها والتى يعرفونها حق المعرفة وكان وصوله الى ميناء عدن فى يوم الثلاثاء الثالث عشر من رجب سنة ٩٢٢ هـ ، وقد صادف وصولهم أيضا خروج المراكب التجارية من هذا الميناء متوجهة الى الهند ، ومن ثم فقد انفصل سلمان الريس بجزء من المراكب للحاق بها والاستيلاء عليها ، ولكنه لم يدرك الا المركب الخاص بالسلطان عامر والمسمى بالهاشمي اذ تمكن من اللحاق به والاستيلاء عليه ، وبالتالى غير قيادة هذا المركب

---

(١٠٧) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٠٠ أ ، روح الروح ، ورقه ١٦ أ

(١٠٨) الفضل المزيد ، ص ٢٨٣

وجعل فيه ناخوذة وكراني ومعلم من قبله[109] ، وأرسل مع هؤلاء رسالة الى حلفاء الدولة المملوكيه في الهند يخبرهم بما آلت اليه الحملة من دخول اليمن ، ولعله أيضا أرسل اليهم بأنه فور الانتهاء من مهمتهم هنا فانهم سيتوجهون لنجدتهم[110] . أما حسين الكردى فقد تفرغ للعمـل على الاستيلاء على عدن ، ولذلك أمطر المدينة بوابل من مدافع سفنه دون النزول الى الأرض ، وقد ردت عليهم الحامية الطاهرية برميهـم بالمجانيق ، غير أنها لم تؤثر على سفن المهاجمين[111] كما يبدو أن مدافع الأسطول المهاجم لم تصب أهدافا حيوية تؤثر على نفسيات السكان بداخل مدينة عدن ، وبعد يومين من الرمى المتبادل بين الطرفـين رأى المهاجمون أن خير وسيلة لفتح هذه المدينة هو النزول الى البر ، وخاصة على الطريق الموصل بين المدينة وجبل صيرة[112] وتمكنوا من النزول في هذا الموقع في الثامن عشر من شهر رجب سنة ٩٢٢ هـ ، ومعهـم مدافعهم وبنادقهم ، ولكن الأهالي والجنود الطاهريين لم يعطـوا المهاجمين فرصة تثبيت أقدامهم في تلك المنطقة ، اذ قاموا بهجوم سريع

---

(١٠٩) الفضل المزيد ، ص ٢٨٣- ٢٨٤ ، قلادة النحر ، جـ٣ ، ورقه ٦٠٠ أ - ٦٠٠ ب ، روح الروح ، ورقه ١٦ أ ، البرق اليماني ، ص ٢٣

(١١٠) الفضل المزيد ، ص ٢٨٤ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٠٠ ب

(١١١) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٠٠ ب

(١١٢) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٠٠ ب



وسبق هذا الهجوم الرماية المركزة على المماليك بالمدافع ـ المجانيق ـ والسهام ، ثم أتبع ذلك الهجوم عليهم ، ونتيجة لذلك تمكن الظاهريون من هزيمة المماليك الذين اضطروا الى الانسحاب من ذلك الموقع والعودة الى مراكبهم فى الميناء بعد خسارة جسيمة فى الأرواح ، وكان على رأس القتلى ابن أخت الأمير سلمان الريس.(١١٣)

أما الجند الظاهرى فقد أسرعوا الى جبل صيرة والتحصن بحصنه، وبالرغم من أن المماليك قد تقهقروا من البر بعد هزيمتهم فقد ظلت مراكبهم تطلق مدافعها من الميناء على المتحصنين بهذا الحصن وتمكنت طلقات المدافع أن تخرب الطريق الموصل بين عدن وجبل صيرة ، مما مكن المهاجمين من المحاولة مرة أخرى للاستيلاء عليه وعلى رأس المهاجمين الأمير حسين الكردى وبهذا العمل فقد أصبحوا يهددون المدينة ، غير أن تقديراتهم جاءت عكسية وفى هذه المرة وقع المماليك ومن يناصرهم بين فكى الكماشة ، اذ أن الجنود الظاهرية المستقرة فى الحصن المنيع بصيرة قد أمطروهم بالحجارة التى أصابتهم بأبلغ الضرر ، أما الجنود والأهالى فى عدن فقد استغلوا فرصة انحسار المد البحرى عن المنطقة الواقعة قرب جبل النوبة ، وقاموا بالهجوم على المماليك وتمكنوا من أن يهزموهم للمرة الثانية ، ولم يسع هؤلاء الا الفرار من أرض المعركة(١١٤)

---

(١١٣) الفضل المزيد ، ص ٢٨٤ ، روح الروح ، ورقه ١٦ب ، هدية الزمن ، ص ٩٣

(١١٤) الفضل المزيد ، ص ٢٨٤

وعلى رأسهم قائدهم الكردى [١١٥] ، الذى بادر بالهرب الى سفنه خوفا من القاء القبض عليه تاركا خلفه كثيرا من الخسائر فى أرواح جنوده ، ونتيجة لهذا الفشل المتواصل فى الاستيلاء على عدن أثر الانسحاب عنها ، ولعله أراد أن يترك مهمة فتحها لقواته البرية المتمركزة فى زبيد . ولم تفت هذه الهزيمة فى عضد المماليك ولم تثنهم عن معاودة الهجوم مرة أخرى للاستيلاء على مدينة عدن ، وذلك أنه فى أثناء انسحاب الأمير حسين الكردى من المعركة قابله الأمير سلمان الريس الذى عاد من مطاردة السفن التجارية السابق ذكرها ، وقد عنف الأخير الأمير على ترك الحصار وتقهقره [١١٦] ، وقد أثمر هذا اللقاء بأن عاد الجميع لمهاجمة المدينة ، وتركز هجومهم على حصن صيرة الذى تركته الحامية الطاهرية وتوجهت الى مدينة عدن بسبب تخيلات الأمير مرجان الظافرى الذى ظن أن المماليك قد لقنوا درسا ، فلن يعاودوا الهجوم ، ونتيجة لتصرفاته هذه فقد قطع المعونات عن جنوده خلافا لرأى كثير من أهالى المدينة الذين كانوا يتوقعون عودة الغزاة اليهم [١١٧] ، وكان هذا الانسحاب

---

(١١٥) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٠٠ ب

(١١٦) الفضل المزيد ، ص ٢٨٤ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٠٠ ب ، هدية الزمن ، ص ٩٣

(١١٧) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٠٠ ب

فرصة ثمينة للأمير سلمان الذى أسرع بالتوجه اليه والتحكم فيه ، ومن ثم أصبحت المدينة تحت رحمة مدافعه التى جلبها معه الى هنا .(١١٨)

وبالرغم من شدة الهجوم المملوكي الجديد على عدن الا أنها لم تؤد الى نتيجة ايجابية تحسم الموقف لصالحهم (١١٩) ، ولذلك قرر الأمير سلمان النزول من حصن صيرة والتمركز فى المسشى الواقع بين الحصن وسور عدن ومعه المدافع وذلك حتى يتمكن من فتح ثغرة يستطيع من خلالها الدخول الى المدينة ، وبدأت هذه المدافع تدك سورها من قريب وتمكنت أن تفتح ثغرة بهذا السور ، ولكن تكاتف الموجودين بداخل المدينة حال من الاستفادة من هذه الثغرة ، اذ بادروا الى سدها بقطع القوّة والخيش مما فوت على المهاجمين الاستفادة وبالتالى فشل الأمير سلمان وجنوده من اختراق السور والنفوذ الى داخل المدينة (١٢٠)

---

(١١٨) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٠٠ ب .

(١١٩) الفضل المزيد ، ص ٢٨٤ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٠٠ب ، روح الروح ، ورقه ١٦ ب ، البرق اليمانى ، ص ٢٣ ، هدية الزمن ، ص ٩٣

(١٢٠) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٠٠ ب - ٦٠١ أ

ونتيجة لهذا الفشل قرر الأمير سلمان أن يتقدم خطوة أخرى ، وذلك بمهاجمة المدينة على حين غفلة من أهلها ، واختار الثلث الأخير من ليلة الأربعاء التاسع عشر من رجب سنة ٩٢٢ هـ ، (١٢١) وتقدم اليها ولكن الأهالي كانوا على يقظة تامة في الحراسة وتلقوهم بالمقاومة العنيفة التي استمرت الى طلوع شمس يوم الأربعاء ، وكان لاستبسال الأهالي والجند الظاهري في المقاومة أثره الفعال فيهزيمة المهاجمين هزيمة ساحقة اضطروا من أجلها الى الانسحاب متكبدين خسائر فادحة في الأرواح ، بل ان زعيمهم الأمير سلمان لم ينجح الا بصعوبة بالغة (١٢٢) ،ولاذ الجميع بالفرار عائدين الى سفنهم ومعهم مدافعهم خوفا عليها من أن تقع في يد السلطات الظاهرية فتستفيد منها ضدهم . (١٢٣)

ومما زاد من يأس الأسطول المملوكي وقادته وصول الشيخ عبد الملك بن عبد الوهاب بجند كثيف لمساعدة من بها من الحامية الظاهرية والأهالي وكان وصوله الى عدن يوم السبت الحادى والعشرين من رجب سنة ٩٢٢هـ، فلما علم بوصوله المماليك خفت أملهم في الاستيلاء عليها ، وانصرفوا من أمام المدينة مهزومين ، (١٢٤) وكانت وجهتهم الى رباك للتزود بالماء ،ولكنهم

---

(١٢١) الفضل المزيد ،ص ٢٨٥ ،قلادة النحر،جـ ٣ ،ورقه ٦٠٠ ب ، روح الروح ، ١٦٠ ب ، هدية الزمن ،ص ٩٣

(١٢٢) الفضل المزيد ،ص ٢٨٥ ، قلادة النحر، جـ ٣ ، ورقه ٦٠٠ ب ، روح الروح ، ١٦٠ ب .

(١٢٣) الفضل المزيد ،ص ٢٨٥

(١٢٤) بنو رسول ،ص ٥١٦

لم يستطيعوا أن يأخذوا منه بغيتهم للكمين الذى أعده هناك الأمير مرجان الظافرى ، وقد خسروا كثيرا من رجالهم فى هذه المحاولة ، ووقع الأمير سلمان فى مأزق كبير كاد أن يعرضه للخطر لولا أن رجاله قاموا باطلاق نيران بنادقهم على محاصريه مما فرق شمل المحيطين به ثم انصرفوا من رباك دون الحصول على بغيتهم/ من البلاد بعد أن استولوا على بعض المراكب الراسية هناك (١٢٥) .

ويبدو أن سلوك المماليك فى زبيد ونهبهما نهبا فظيعا كان له أثره فى عدن وأدى الى تعاون أهالى هذه المدينة مع السلطات الطاهرية تعاونا قويا والوقوف بصلابة أمام هؤلاء الذين فعلوا تلك الأفعال فى تلك المدينة ، وربما أنه لو سلكت الحملة المملوكية سلوكا حسنا فى اليمن لتغيرت كثير من الوقائع الا أنها بأسلوبها السالف الذكر كان أكبر عامل للفشل فى عدن .

ومما يجدر ذكره أن خلافا نشب بين الأمير سلمان والأمير حسين فكان عاملا مؤثرا أيضا فى سير الحملة وفشلها فى تحقيق الهدف الأصلى وهو الوصول الى الهند ونزال البرتغاليين ، وافترق الأميران بقواتهما حيث توجه الأمير سلمان الى زيلع ومنها الى جده ، أما حسين الكردى فقد تجول فى بعض الموانئ اليمنية ليلتقى مع الأمير برسباى كما سنرى وبعدها أن يتوجه الى جده (١٢٦) .

(١٢٥) بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٥١٦
(١٢٦) بنو رسول وبنو طاهر، ص ٥١٦

ونعود الى برسباى فى زبيد الذى قام المماليك فى هذه المدينة باقامة احتفال له بمناسبة توليته أميرا عليهم وشاركه فى هذه الاحتفالات الأمير عز الدين بن أحمد بن دريب ، وذلك يوم السبت ١٨ جمادى الثانية سنة ٩٢٢ هـ ، واستمرت هذه الاحتفالات الى يوم الأحد ، وبعد الانتهاء من هذه المناسبة ، التفت الأمير المذكور الى الاصلاح والتنظيم ، وترتيب أموره وأمور جنده ، ومكث هو وقواته داخل زبيد الى الثانى من شهر شعبان سنة ٩٢٢ هـ ، ثم توجه الى خارج البلد من باب الشبارق ، وأقام مخيما بخارجها لمدة خمسة أيام يجمع عساكره الذين توافدوا اليه هناك ، (١٢٧) وفى أثناء اقامته خارج زبيد بلغه أن الفقيه أبابكر بن المقبول الزيلعى حليفهم السابق قد قتل ومعه اثنا عشر جنديا من المماليك على أيدى زعماء الواعظات (١٢٨) وربما كان قتلهم فى مواجهة مع أهل هذه المنطقة بسبب نشر النفوذ المملوكى أو لسبب الخراج ، الا أن هذه الأنباء لم تؤثر على المسيرة التى كان ينوى القيام بها ، وحين أتم استعداداته توجه الى حيس بقواته ،

---

(١٢٧) الفضل المزيد ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٢٩ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٠٠ أ ، روح الروح ، ورقه ١٧ أ ، غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٦٤٨

(١٢٨) الفضل المزيد ، ص ٢٨٦ ، روح الروح ، ورقه ١٧ أ

وأخذ معه عددا من المدافع الكبار والصغار ، وكانت المدافع الكبيرة تمثل عرقلة لمسيرته بسبب وعورة الطريق فآثر أن يرجعها الى زبيد ،(١٢٩) وربما كان هدفه من هذه المسيرة هو دعم الأمير حسين الكردى في حصار عدن برا ، ولكنه حين وصل الى حيس وصلته أخبار الفشل الذى منى به الأمير السالف الذكر في عدن ، وأنه قد وصل الى ميناء المخا ،(١٣٠) مما اضطره الى أن يلحق به هناك ، وقد أدركه في ميناء المخا واجتمع به ، وبعد هذا الاجتماع سار كل الى وجهته ، فالكردى توجه الى جده ، بينما قصد برسباى موزع (١٣١) وقبل أن يدخلها برسباى خرج اليه زعيمها الشيخ عبد الله بن سلامة ودفع له مبلغا من المال حتى يأمن على أهالي موزع وأموالهم من برسباى وجنوده ، غير أنه لما دخلها الأخير علم أن كثيرا من أموال الأهالى مودعة عند هذا الشيخ ، وأن ما أقدم عليه من دفع المال كان خدعة لم تنطل على برسباى الذى أمر بمصادرتها ونقلها من بيته ، وقد رمى القائد المملوكى بوعده الذى قطعه على نفسه في تأمين الأهالى عرض الحائط.(١٣٢)

وبعد دخول القوات المملوكية الى المدينة حدث ما لم يكن في حسبان قائدها الذى نازعه أحد كبار أعوانه في هذه الحملة ، ولم تعطنا

(١٢٩) الفضل المزيد ، ص ٢٨٦.
(١٣٠) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٠١ أ
(١٣١) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٠١ أ
(١٣٢) الفضل المزيد ، ص ٢٨٦ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٢٩ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٠١ أ ، روح الروح ، ورقه ١٧ أ .

المصادر أى معلومات عن طبيعة هذا النزاع غير أنه انتهى بقتل القائد برسباى لخصمه ، ويبدو أن عمله هذا قد آثار غضب بعض الجنود الموالين للمقتول ، فأسرع برسباى بالرجوع الى مدينة زبيد خوفا من انقلاب الجنود عليه فوصلها فى رمضان سنة ٩٢٢ هـ . (١٣٣)

أما السلطان عامر فانه لم يبدأ تحركه لمقاومة المماليك المستقرين فى زبيد قبل أن يطمئن على عدن التى هوجمت من قبلهم ،وآثر أن يدخر قواه لحماية هذه المدينة التجارية والاستراتيجية فى نفس الوقت ، فلما اطمأن على مصيرها بعد فشل المهاجمين لها ، أخذ فى الاستعداد لمواجهة بقيتهم فى زبيد ، وفى طريقه من المقرانة الى مدينة اب والتى دخلها فى أوائل شهر رجب يبدو أنه كان يحشد مزيدا من القوات الجبلية استعدادا للمعركة المقبله ، اذ أنه مكث فى المدينة الأخيرة الى بعض من شهر شعبان ، وبعد أن أكمل جهوده توجه الى منطقة تدعى القويزين - ولعلها بين تعز وزبيد - صام فيها شهر رمضان وقضى بها أيام العيد وبعدها توجه مباشرة الى هدفه وهو لقاء المماليك فى زبيد ، (١٣٤) ويبدو أن الأخيرين كانوا على علم بتحركاته ومسيره اليهم ،فلما قرب من

---

(١٣٣) الفضل المزيد ، ص ٢٨٦ ، قرة العيون ،ق٢ ،ص ٢٢٩ ، قلادة النحر ،جـ ٣ ،ورقه ١٠٦ أ ، روح الروح ، ورقه ١٧ أ

(١٣٤) الفضل المزيد ، ص ٢٨٦

هذه المدينة أرسلوا اليه وفدا فيهم قاضي زبيد في دولته القاضي أحمد بن عمر المزجد ويطلب هذا الوفد على لسانهم الصلح بينهم وبين السلطان ، وتشير بعض المصادر الى أن السلطان قد مال الى هذا الطلب لولا أن بعض خواص وزراءه خوّفه من غدر المماليك ، أو أن هذا الطلب مكيدة منهم لكسب الوقت للايقاع به فاستحسن رأيهم ورفض هذا العرض منهم ،(١٣٥) لكن ما أوردته هذه المصادر بشأن تعثر محاولة الصلح بين السلطان عامر والمماليك غير مقنع ولعل ما أورده الشرفي في اللآلىء المضيئة يلقي الضوء على بعض الجوانب الغامضة في هذا الموضوع ، فقد ذكر أن السبب في عدم الصلح يرجع الى المطالب التي اشترطها الظافر الثاني في مقابل الصلح وأهم هذه المطالب هي : -

١ - تسليم المماليك الأمير عز الدين بن أحمد بن دريب اليه لمعاقبته على غدره بالدولة الطاهرية .

٢ - أن يسلم المماليك جميع ما نهبوه أو استولوا عليه من مدينة زبيد .

وفي مقابل هذين المطلبين لهم الأمان(١٣٦) ، وكأنه أراد أن يظهر

---

(١٣٥) الفضل المزيد ، ص ٢٨٧ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ١٠٦ أ ، روح الروح ، ورقه ١٧ أ - ١٧ ب ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٤٩ ، اللطائف السنية ، ورقه ٥٩ ب ، السناء الباهر ، ورقه ١٠٨ أ

(١٣٦) الشرفي : شمس الدين أحمد بن محمد صلاح ، اللآلىء المضيئة الملتقطة من اللواحق الندية في أخبار الأئمة الزيدية ، ورقه ٥ أ مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم ٥٨٣١ .

أمام نفسه وجنده بمظهر من استرد شرف دولته التى لقيت الهزائم المتكررة على أيديهم ، وفى المقابل كانت وجهة نظر المماليك فيما يبدو أنه من الصعب التخلى عن كل من تعاون معهم ضد الدولة الطاهرية ، وفى نفس الوقت كان من الصعب التنازل عن المكاسب التى حصلوا عليها فى اليمن ولذا فقد انتهى الموقف بينهم الى الاستعداد للمعركة المقبلة بينهم اذ تقدم السلطان عامر الى موقع قرب التريبة فى غربها انتظارا للقاء المماليك هناك .(١٣٧)

معركة التريبة ٩ شوال سنة ٩٢٢ هـ :

خرج المماليك للقاء المعسكر الطاهرى يوم الأربعاء ٩ شوال سنة ٩٢٢ هـ وحدثت هناك معركة كبيرة بين الجانبين ، واستمر القتال الى آخر نهار ذلك اليوم ولم يفصل بين المعسكرين الا ظلام الليل ، فاضطر المماليك الى العودة الى زبيد لقضاء الليل بها(١٣٨) ، أما الجند الطاهرى فقد ظلوا فى المكان الذى اختاره السلطان عامر الذى أصابه الشح على جنوده ولم يجد بما عنده من مؤونه لقواته التى نالها الجوع بعد انتهاء معركة يومهم هذا رغم نصح كثير من قادته له باعطائهم من

---

(١٣٧) الفضل المزيد ،ص ٢٨٦ .

(١٣٨) الفضل المزيد ،ص ٢٨٧ ،قرة العيون ،ق ٢ ،ص ٢٣٠ ، قلادة النحر ،جـ ٣ ،ورقه ٦٠٠ أ ، روح الروح ،ورقه ١٧ أ

مخزون الزبيب والدقيق الذى يحمله معه ، ولكنه رفض بشدة هذا الرجاء منهم[١٣٩]، وفى اليوم التالى وهو يوم الخميس ١٠ شوال وفى الصباح الباكر خرج برسباى بجنوده لحسم المعركة ، ورغم شجاعة السلطان وبعض خواصه فى القتال الا أنه تسبب ببخله على جنوده فى الهزيمة وكانت مكافأة له على موقفه منهم ، اذ سرعان ما تخلوا عنه فى أحرج الأوقات التى يحتاجهم فيها ، وتخاذلوا عنه بالهزيمة أمام المماليك والسلطان فى معمعة القتال ، فلما وجد أن جنوده قد لاذوا بالفرار أراد العودة الى معسكره وخزائنه التى تحتوى على عدده وأمواله ليأخذها منه ، وجد المماليك قد سبقوه اليها ووقعت غنيمة سهلة فى أيديهم فاضطر الى الانسحاب من أرض المعركة تاركا كل شيء خلفه ، ولم يتعقبه المماليك لانشغالهم فى جمع الغنائم فوصل الى تعز فى السادس عشر من شوال سنة ٩٢٢ هـ[١٤٠] ومعه بقية من جنوده الذين خسر كثيرا منهم فى المعركة كما يحمل معه جرحا فى يده أصيب به أثناء القتال[١٤١].

---

(١٣٩) قلادة النحر، جـ ٣ ، ورقه ٦٠١ أ - ٦٠٢ ب.

(١٤٠) الفضل المزيد ،ص ٢٨٧ ، قرة العيون ،ق ٢ ،ص ٢٣٠ ، قلادة النحر، جـ ٣ ،ورقه ٦٠١ ب ، روح الروح ، ورقه ١٧ ب، غاية الأماني ،ق ٢ ،ص ٦٤٩ ،اللالىء المضيئة ورقه ٥ أ ، السناء الباهر، ورقه ١٠٨ أ

(١٤١) النسبة الى المواضع والبلدان ، ورقه ٨٥ أ

وتعتبر معركة التربية هي المعركة الفاصلة والحاسمة بالنسبة للموقف بين السلطان عامر بن عبد الوهاب والقوى المملوكية المستقرة في زبيد ، وذلك أن السلطان عامر لم يستطع أن يواجه الجند المعادى له مواجهة جدية بعدها سواء في تعز أو المقرانة عاصمة ملكه ، اذ أن برسباى لم يعطه الفرصة الكافية لاسترداد أنفاسه لمواجهتهم ، ولأن رجال القبائل الجبليه لم يعودوا محل ثقته ،مما اضطره الى أن يستخدم جندا من المهرة ،ليحلوا محل هذه القبائل الجبلية ، (١٤٢) وبالتالي فقد أخر ما كان لديهم من ولاء كانوا يعطونه اياه بسبب هذا الاجراء الذى اتخذه وأصبح بين معسكر اما مرتزقة لا تهمهم النتائج الحربية اذا سارت في غير صالحهم أو جند لا ولاء لهم البتة للدولة الطاهرية ، وهذا ما حصل عندما توجه برسباى الى تعز في آخر شهر محرم سنة ٩٢٣هـ للاستيلاء عليها ، وكان السلطان عامر متواجدا فيها ، اذ وصل المماليك الى تعز في يوم الجمعة السادس من صفر سنة ٩٢٣ هـ فاضطر الملك الظاهرى الى الفرار من مواجهتهم وأخلى المدينة لهم منسحبا الى اب (١٤٣) بعد أن فرت كثير من

---

(١٤٢) قلادة النحر ،جـ ٣ ،ورقه ٦٠١ ب .

(١٤٣) الفضل المزيد ،ص ٢٨٨ ،قرة العيون ،ق ٢ ،ص ٢٣٠ - ٢٣١ ، قلادة النحر ،جـ ٣ ،ورقه ٦٠١ ب ، روح الروح ،ورقه ١٨ أ ، غاية الأماني ،ق٢ ،ص ٦٥٠ ،جامع المتون ،ورقه ٦٦ أ ، اللطائف السنية ، ورقه ٦٠ أ ،اللالئ المضيئة ، ٥ أ

القبائل المقاتلة معه الى موطنها تاركيه وشأنه ولم يبق معه الا جنده من المهرة وخواص عبيده (١٤٤) ، ولم يستطع السلطان القتال بهؤلاء البقية التي بقيت معه فآثر أن ينسحب الى اب كما قدمنا ، ودخل هؤلاء المنتصرون بغير حرب الى تعز التي اضطرت الى استقبالهم ، ولكن هؤلاء الفاتحين كانت أعمالهم أعظم وأنكى مما عملوه في زبيد من نهب ومصادرة لأموال السكان والتجار وغيرهم بدون جناية (١٤٥) ولم يشتركوا مع السلطان عامر في حرب ضدهم ، وبعد أن أحكموا سيطرتهم عليها كانت وجهة برسباى القادمة هي حاضرة الدولة الطاهرية أنذاك المقرانة مستغلا بعده عنها ، ولذلك استخلف في تعز الأمير أقباى وتوجه بمن معه من قوات الى تلك المدينة .

وقد هرع السلطان عامر الى المقرانه حينما طرقت مسامعه نوايا برسباى وسبقهم اليها فأخذ منها ما يستطيع حمله من الأموال المخزونة فيها والذخائر اضافة الى اخراج أهله منها قبل أن يقعوا في أسر القوات المملوكية وكان وصوله الى هذه العاصمة قبل وصول المماليك بليلة

---

(١٤٤) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٠١ ب .

(١٤٥) الفضل المزيد ، ص ٢٨٨ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٣١ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٠١ ب ، روح الروح ، ورقه ١٨ أ ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٥٠ ، جامع المتون ، ورقه ٦٦ أ ، اللطائف السنية ، ورقه ٦٠ أ

واحدة ثم غادرها بما خف حمله وغلى ثمنه ، ولم يترك ما بقى من الأموال والمتاع سالما لاعدائه بل عمد الى احراق هذه البقية بحيث أنه لما أحرقت الفوط المقصبة بقصب الذهب سال منها كالسواقى وأصبحت سبائك (١٤٦)، وتوجه بعدها الى منطقة تدعى الخلقه مخليا لهم المدينة (١٤٧)، فلما وصلوا اليها فى أواخر صفر سنة ٩٢٣ هـ لم يستطيعوا أن يدخلوها ظنا منهم أن السلطان ما زال متواجدا فيها ، فلما علموا بأنه قد خرج منها قبلهم ، دخلوا المقرانة ووضعوا أيديهم على ما فيها من أموال وذخائر عديدة لبنى طاهر ، وحرص برسباى وهو فى المقرانة أن يلقى القبض على كل من له علاقة بالسلطان الهارب لاستخراج الأموال المودعة عندهم من قبل سلطانهم ، وتمكن من أن يجبرهم تحت التعذيب على تسليمها له (١٤٨).

---

(١٤٦) الفضل المزيد ، ص ٢٨٨ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٣١ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٠١ ب ، روح الروح ، ورقه ١٨ أ ، غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٦٥٠ ، جامع المتون ، ورقه ٦٦ أ ، اللطائف السنية ، ورقه ٦٠ أ ، البرق اليمانى ، ص ٢٨ - ٢٩

(١٤٧) البرق اليمانى ، ص ٢٩

(١٤٨) الفضل المزيد ، ص ٢٨٨ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٣١ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٠١ ب ، روح الروح ، ورقه ١٨ أ ، غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٦٥٠ ، جامع المتون ، ورقه ٦٦ أ اللطائف السنية ، ورقه ٦٠ أ

وعند ما أضيفت المقرانه الى سلطة المماليك كغيرها من المدن التى فتحوها ، وفد على برسباى عدد من آل عمار اليه وبايعون على السمع والطاعة ،كما طلبوا منه أن يسير معهم الى بلادهم حتى يستولى عليها ، وتلبية لطلبهم هذا فقد سار معهم يصحبه من جنده نحو المائتين (١٤٩) غير أنه يبدو أن هؤلاء القادمين لم يكونوا من زعمائهم الذين لم يرضوا عن التوسع المملوكى ، وذلك عند ما وصلت القوات المملوكية الى وسط منطقة آل عمار خرج عليهم كمين قد أعده زعماء آل عمار وتمكنوا من هزيمة هذه القوة وقتل قائدها برسباى وجميع من معه ولم ينجح منهم الا المخبر عنهم (١٥٠) وأصيب المماليك المتواجدون فى المقرانة باضطراب من جراء ما حدث لقائدهم وأعوانه على أيدى آل عمار ، ولكنهم سرعان ما تداركوا الموقف قبل أن يستفحل الخطر ، واختاروا قائدا محنكا منهم وولوه عليهم ويدعى الاسكندر بن محمد (١٥١) ، وبعد هذا الاختيار عمد القائد الجديد على متابعة واكمال ما بدأه سلفه برسباى من تتبع بقية رجال الدولة الطاهرية القاطنين هناك ، ومن ضمن هؤلاء الفقيه عمر الجبرتى ، ونتيجة لقربه الشديد من السلطان الهارب وخوفا على نفسه من الموت فقد دلهم على مال كان السلطان عامر قد بنى عليه فى جدار ضمن

---

(١٤٩) قرة العيون ،ق٢ ،ص٢٣١

(١٥٠) قرة العيون ،ق٢ ،ص٢٣١ ،قلادة النحر،ج ٣ ، ورقه ٦٠١ ب

(١٥١) غاية الأمانى ،ق ٢ ،ص٦٥٠

قصره ، وقدر هذا المبلغ بخمسة لكوك من النقد القديم ، وبعد أن حصلوا على هذا المال قاموا بخنقه (١٥٢) ، والغريب أن الفقيه عمر الجبرتي هو الذى أشارت اليه احدى الروايات بأنه هو الذى نصح السلطان عامر بعدم مساعدة الحملة المملوكية ، وعلل ذلك بقوله وحدهم البحر لا يسوون شيئا ، وهو الذى يشير الآن الى أموال سلطانه الذى ائتمنه عليه ولا يعرف مكانه من قبل الا الظافر نفسه والأمير مرجان الظافرى (١٥٣) .

وبعد أن قضى الأمير اسكندر مأربه من المقرانة توجه بجنوده ووجهته هذه المرة عاصمة المنطقه الجبليه الشمالية ـ صنعاء ـ والملاحظ أن الأمير اسكندر لم يضع حامية مملوكيه فى المقرانة لتقوم بحمايتها (١٥٤) ووضعها تحت السلطة المباشرة له ، وانما توجه فورا الى صنعاء ، وهذا يدلنا على أن المماليك كانوا فى تناقص خاصة بعد مقتل برسباى والعدد الكبير منهم معه مما فرض عليه أن يستغل بقيتهم فى هدف أكبر ، وفى قرارة نفسه أن السلطان عامر لا يستطيع أن يفعل شيئا ازاءه ، ولذلك توجه نحو صنعاء مباشرة للاستيلاء عليها لأنها تمثل آخر معاقل الدولة القوية فى تلك المنطقة ، وقبل أن يصلوا اليها ظهر لهم كمين من الجنود الظاهريين فى موضع يسمى غفره، قتل فيها كثير من المماليك والمصاحبين

---

(١٥٢) الفضل المزيد ، ص ٢٨٨ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٣٢ ، روح الروح ، ورقه ١٨ أ - ١٨ ب ، غاية الأمانى ، ق ٢ ، ص ٦٥١

(١٥٣) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٠٢ أ

(١٥٤) قلادة النحر جـ٣ ورقه ٦٠٢ أ

لهم من جازان وغيرهم ، وكاد المعسكر المملوكي أن يفنى لولا أن الخيانة (١٥٥) لعبت دورها ، اذ أن أحد قادتهم ويدعى عبد النبي بن سعيد قد أفسح لهم المجال من جانبه للخروج من هذا الكمين المحكم والذى كاد أن يؤدى بهم جميعا ـ كما حدث لبرسباى فى بلاد آل عمار ـ وكل ذلك مقابل مبلغ جزيل من المال/دفع له لقاء خيانته هذه (١٥٦) ، ويبدو أن الجيش الطاهرى استفاد مما حدث لبرسباى لولا أن الخيانة فوتت عليهم الاستفادة من هذه التجربة ، كما يبدو أنه بعد أن خرج اسكندر من هذا المأزق ـ الحرج فكر فى أن ينطلق بسرعة لا يلوى على شىء ويتوجه مباشرة الى صنعاء ويضرب حصاره عليها .

مقتل السلطان عامر بن عبد الوهاب ٢٣ ربيع الثانى سنة ٩٢٣ هـ

وصلت أخبار الهزيمة التى لحقت بالمماليك فى الغفرة الى مسامع السلطان عامر بن عبد الوهاب وهو فى الخلقه ، وانتشى لهذه الأخبار وبادر مسرعا الى المقرانة عاصمة ملكه المنهوبة ، ورتب أموره فيها ثم خرج منها بعد أن ترك بها ابنه أحمد ، وصحبه فى خروجه أخوه الشيخ

---

(١٥٥) الفضل المزيد ، ص ٢٨٨ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٣٢ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٠٢ أ ، روح الروح ، ورقه ١٨ ب ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٥١ ، جامع المتون ، ورقه ٦٦ أ ، اللطائف السنية ، ورقه ٦٠ أ

(١٥٦) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٠٢ أ

عبد الملك وابنه الشيخ أبو بكر بن عامر ، وابن أخيه الشيخ عامر بن عبد الملك، ورغم نصيحة أخيه الشيخ عبد الملك بن عبد الوهاب بعدم ملاحقة الجند المملوكي لكي لا يقع بين فكي الرحى قوات الزيدية من جهة وقوات المماليك من ناحية ثانية الا أنه اتهم أخاه بالجبن والخور ، وتحت ضغط هذه التهمة انصاع الشيخ عبد الملك لرغبة أخيه السلطان (١٥٧)، وتوجه الجميع الى حيث يرابط المحاصرون لصنعاء يحدوهم الأمل في أن يستطيعوا أن يفعلوا شيئا ازاءهم (١٥٨)، ولكن أحلام السلطان ذهبت أدراج الرياح اذ أنه ما أن وصل الى أعدائه ترك المماليك حصار صنعاء وتوجهوا اليه قبل أن تحط أحماله وعساكره (١٥٩)، واشتبكوا معه مباشرة مما أفقد السلطان والجند الطاهري القدرة على المواجهة ، وعلى رأسهم أخوه الشيخ عبد الملك الذي أصيب بجليلة في وجهه وهو بعد لم يلبس لباس الحرب ، وذلك يوم الخميس ٢٢ ربيع الثاني سنة ٩٢٣ هـ (١٦٠)، ونتيجة لهذه المفاجئة ومقتل الشيخ عبد الملك فقد

---

(١٥٧) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٠٢ أ .

(١٥٨) الشماحي : عبد الله بن عبد الوهاب ، اليمن الانسان والحضارة ، ص ١٣١ ، القاهرة ١٩٧٢م.

(١٥٩) الفضل المزيد ، ص ٢٨٨ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٣٢ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٠٢ أ ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٥١ ، البرق اليماني ، ص ٢٩ .

(١٦٠) قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٣٢ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٠٢ أ

لحقت الهزيمة بمعسكر السلطان الذى اضطر الى الفرار من أرض المعركة والتوجه الى جبل نقم القريب من صنعاء للاحتماء به ، فلاحقه المماليك الى هناك وحاصروه طوال ليل ذلك اليوم الا أنه تمكن فى صباح يوم الجمعه الهروب من هذا الحصن على أقدامه متوجها الى حصن ذى مرمر ليتحصن به أيضا ، وتنبه المماليك الى فراره مبكرا فلحقوا به وأدركوه قبل أن يصل الى وجهته وهو يمشي وقد أعياه التعب والارهاق ، ولأول وهلة لم يعرفوه فقاموا بقتله وذلك يوم الجمعة المذكور الموافق ٢٣ ربيع الثانى سنة ٩٢٣هـ (١٦١) ثم تبين لهم بعد ذلك أنه السلطان عامر نفسه ، فكان ذلك مدعاة لهم لاستغلال هذا الحدث فى اقناع والى صنعاء من قبل السلطان المقتول وهو على بن محمد البعدانى بالاستسلام لهم ، ولم يقتنع هذا الأمير الا بعد أن رأى رأس سلطانه ورأس أخيه عبد الملك بن عبد الوهاب ، فدب الخوف

---

(١٦١) الفضل المزيد ، ص ٢٨٨ ، روح الروح ، ورقه ١٨ أ ، ١٨ ب ، غاية الأماني ، ق٢ ، ص ٦٥١ ، البرق اليمانى ، ص ٢٩ ، النور السافر ، ص ١١٨ ، بينما يذكر ابن الديبع فى قرة العيون : أنه قتل يوم الجمعه ٢٥ ربيع الثانى ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٣٢ وكذلك أبو مخرمة فى قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٢٠٦ أ ، وبالرجوع الى التوفيقات الالهامية أثبتنا ما هو الأصح فى المتن أعلاه . محمد مختار باشا ، التوفيقات الالهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الأفرنكية والقبطية ، المجلد الثانى ، ص ٩٥٩ ، ط . الأولى سنة ١٤٠٠ هـ .

والذعر في نفسه وانهار أمام هذا المنظر فطلب منهم الأمان فأعطوه الذمة على ذلك ، ثم فتحت لهم أبواب المدينة بناء على هذا العهد ، فلما دخلوها تناسوا وعدهم كما هو شأنهم في كل مرة ، وعملوا على تصفية الحساب مع أهلها وخاصة آل عمار الذين يسكنون بداخلها فقتلوا ما يزيد على الخمسمائة شخص غالبهم من آل عمار ولم ينسى الغالبون عادتهم القديمة ، وهي سلب أموال الناس ومصادرتها ، كما وضعوا أيديهم على كل ما يتعلق بأموال الأمير البعداني .(١٦٢)

وبمقتل السلطان عامر ودخول المماليك صنعاء ، بدأت نقطة تحول جديدة في تاريخ اليمن ، وانتقل هذا الصراع بين الدولة الطاهرية الى صراع بين القوى الزيدية بقيادة الامام شرف الدين يحي بن المتوكل على الله الذى ظهر في وقت تلاشت فيه كل القوى اليمنية القوة ، وأصبح هو الذى يقود الصراع مع المماليك ومن بعدهم الدولة العثمانية ، وبالتالي كان مقتل الظافر عامر بن عبد الوهاب هو بمثابة نهاية آخر دولة سنية محلية حكمت معظم أجزاء اليمن ، وتولت الزعامة الزيدية من بعدها حكم معظم اليمن وفي فترات متقطعة الى قيام الجمهورية اليمنية .

---

(١٦٢) قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٣٢ ، قلادة النحر ، ج ٣ ، ورقه ٦٠٢ أ

الباب الثاني

الباب الثاني

----

*

الفصـــل الأول

المظاهـر العمرانيـة في عصر السلطان عامر بن عبد الوهاب

حرص حكام اليمن الذين تعاقبوا على حكمها أن تكون لهم مآثر تخلد ذكرهم على مدى الأيام وكر العصور .

ولذلك حفلت معظم المدن اليمنية بالكثير من هذه الآثار ، ولقد توسع بنو رسول فى بناء الكثير من المدارس والجوامع وخاصة فى تعز وزبيد التى لقيت عناية خاصة من هذه الأسرة ورجالاتها حتى كادت أن تصطبغ هذه المدن بطابعهم دون غيرهم ممن حكموا اليمن ، فلما خلفهم فى حكم اليمن بنو طاهر وجدوا أنفسهم أمام هذه الآثار الهائلة ، فلم يكن منهم الا أن يطرقوا هذا الباب ، وكان الدافع الى ذلك هو طبيعة المجتمع اليمنى آنذاك وكغيره من المجتمعات الاسلامية فى شتى الانحاء ، والذى كان ينظر الى صلاح الحاكم بمدى ما يبنيه من مساجد ومدارس اضافة الى مدى تقربه من العلماء وحرصه على الانفاق على طلبة العلم . ولقد شمر بنو طاهر عن ساعد الجد فى البناء وتوسعوا فيه الى درجة كبيرة رغم الفتن والاضطرابات المنتشرة فى عهدهم ، ولم تشغلهم هذه الشواغل الكثيرة عن الانصراف عن هذا الجانب المهم .

ويعتبر السلطان عامر بن عبد الوهاب من أنشطهم فى هذا الباب بسبب طول فترة حكمه التى استمرت ما يزيد على الثمانية والعشرين عاما قضاها فى حكم اليمن ولقد ساعدته فى بداية حكمه الموارد المالية الهائلة

التى كانت تأتيه من جراء التجارة الخارجية ورسومها التى تجبى فى عدن ، فاستغل هذه الأموال الطائلة فى تصريف شؤون بلاده ومنها العمران .

ويمكن أن نقسم اهتمامات البناء فى الدولة الطاهرية فى عهد السلطان عامر الى ثلاثة جوانب رئيسية هى :

١ - المساجد والمدارس

٢ - الاصلاحات العامة من بناء القصور والحصون وأسوار المدن .

٣ - المشاريع المساعدة على نمو الزراعة .

غير أن الجانب الأول هو الذى كان محل عناية خاصة من السلطان عامر اذ توسع فى بناء المساجد والمدارس، وصرف أموالا طائلة فى سبيل هذه الغاية ، وقد حظيت مدينة زبيد دون سائر المدن اليمنية بهذه العناية وذلك لمركزها العلمى الذى كانت تتمتع به آنذاك ، وكان لا بد أن تجد من السلطان الرعاية الخاصة والمتميزة عن غيرها من المناطق .

ومن أعظم ما خلفه الملك الظافر الثانى فى زبيد الجامع الأعظم ، وبالرغم من مرور ما يزيد على أربعة قرون من بنائه فانه ينبئ على مدى المهارة والاتقان فى البناء والعمارة فى تلك الفترة .

وهذا المسجد كان يدعى فى السابق مسجد المناخ وهو من

مخلفات ابن منقذ [١] ، ونتيجة للعوامل الزمنية فقد شارف المسجد المذكور على الخراب والتهدم فأمر السلطان عامر بهدمه وبنائه من جديد ، وأسند عملية الاشراف على عمارته الى الفقيه عبد الله بن حسين الشرعبي [٢] الذى استعان بأمهر البنائين في اتمام هذا المسجد على أروع ما يكون وعلى رأسهم رجل من المناطق الجبلية يدعى المعلم على بن حسن المعمار [٣] (العكباز) [٤] وقد حرص العمارون على أن يأخذ الطابع الجديد للمسجد نفس الأسلوب السابق مع زيادة للشكليات الجمالية في داخله وخارجه ، اضافة الى الزيادة التى أحدثت في الجانب الشرقي والغربي والجنوبي ، وذلك حتى يتسع المسجد لأكبر عدد ممكن للمصلين في أوقات الصلاة ، ولطلبة العلم في

---

(١) بغية المستفيد ، ص ٧٠ ، ابن منقذ : هو الأمير المبارك بن كامل بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى الشهير بسيف الدولة أحد أمراء الدولة الأيوبية في اليمن قدم اليها بصحبة الملك المعظم توران شاه بن الملك الأفضل أبى أشكر أيوب سنة ٥٦٩ هـ ، له عدة مآثر دينيه في زبيد ، بغية المستفيد ، ص ٦٩

(٢) توجد هذه المعلومات في النقش الموجود على يسار الواقف أمام المحراب في المسجد المذكور .

(٣) بغية المستفيد ، ص ٧١ .

(٤) قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٨٨ .

وقت دراستهم وقد اشتمل المسجد المذكور بعد الانتهاء من بنائه على مائتين وسبعين عقدا على دعائم من الآجر والنورة وقدرت أعداد الدعائم بمائة وأربعين دعامة (٥) ، كما سقف المسجد بأساطين الخشب والتى بلغ عددها تسعين اسطوان ، مع عناية خاصة بالمقدمة القبلية لسقف المسجد الذى زخرف بالنقوش الجميلة حتى يتلاءم الطابع الجمالى للسقف مع الجدار القبلى الذى زخرف أيضا بأنواع النقوشات وخاصة الآيات الكريمة التى ازدانت بها الواجهة القبلية والتى نقشت بالذهب واللازورد ، اضافة الى نقوشات المحراب كذلك (٦) ، وللمسجد خمسة أبواب كبيرة كمداخل رئيسية ، عدا الأبواب الثنائيه الصغيرة وعددها ثمانية أبواب ، أما النوافذ فقد بلغت أربعين شباكا ، ثم ألحق بالمسجد وفى الجانب الخلفى ـ الجنوبى ـ دورة للمياه فى وسطها بركة للوضوء ، وذلك حتى يتمكن المصلون من الاستفادة منها اذا حانت أوقات الصلوات (٧) .

---

(٥) بغية المستفيد ، ص ٧١

(٦) بغية المستفيد ، ص ٧١

(٧) بغية المستفيد ، ص ٧٢

وقد تسنى للباحث أن يزور زبيد ويقف على هذا المعلم الحضارى الذى خلفه السلطان عامر فيها وهو يفوق بكثير وصف ابن الديبع رغم مرور السنين وامتداد الأيدى اليه بالاصلاح .

والمسجد عبارة عن بناء مستطيل الشكل واجهته الشمالية والجنوبية أطول من الجانب الشرقى والغربى ، وللمسجد منارة واحدة فى الجهة الجنوبية الشرقيه ويبدو أن هناك منارة فى الجهة الجنوبية =

وللمسجد قبتين غربية وشرقية وهما في الواجهة الشمالية وزخرفت بالذهب والازود مع عناية خاصة بالقبة الشرقية وهي أكبر من الأخرى وتقع مقصورة السلطان تحتها ليصلي فيها السلطان اذا كان متواجدا في زبيد .(٨)

وتتوسط المسجد شمسية تستخدم كاضاءة طبيعية للمسجد وقت النهار ويبدو أنها تستعمل أيضا للصلاة في صلاتي المغربوالعشاء .

ومما يجدر ذكره أن على جانبي المحراب لوحتان تأسيسيتان احداهما على يمين الواقف للقبلة والأخرى عن يساره ، ونقش على اللوحة الأولى والتي ظهر منها بعد تكسر أجزاءها :

١ - (ا . . . هذا الجامع المبارك مونا السلطان ا

٢ - ا . . . الظافر صلاح الدين عامر بن عبد الوهاب ا

٣ - ا . . . . . لجميع المسلمين في شهر شوال سنة سبع وتسعين وثمانمايه ا)

أما اللوحة الثانية فنصها :

١ - وكان ذلك بأمر مولانا السلطان صلاح الدين ناشر ظل العدل على

٢ - كافة العالمين القائم بأمر الله الودود عامر بن عبد الوهاب بن داود أجل الله أيامه .

٣ - وأعلى في الخافقين أعلامه ، وكان ذلك بفضل الله بنـــه(١)

المجتبى الطاهر على يد العربي عبدالله بن حسين الشرعبي

وفي السطر الطولي الموازي السطور العرضية يوجد تهشم في الحروف ولم يتبين منها الا :

= الغربية قد سقطت لأن آثار التهدم واضحة في تحت تلك الجهة ، وفي الواجهة القبلية ـ الشمالية ـ مدخل واحد فقط يبدو وأنه مخصص لدخول الامام في أوقات الجمع ، وفي الجانب الشرقي أيضا مدخـــل رئيسي واحد وهو كما يبدو كان مخصصا لدخول السلطان عامر الى مقصورته المبني عليها قبة أكبر من القبة الغربية . وتوجد في الجانب الجنوبي للمسجد ما يشبه الغرف الصغيرة ربما كانت لاستعمال طلاب العلم .

(٨) بغية المستفيد ، ص ٧١

(*)
تقبل الله أهل الحمد وذلك في غرة ذو (القعدة ؟ الحجة ؟ ...)

وبعد الانتهاء من عمارته على ما تقدم أوقف السلطان عامر بن عبد الوهاب جميع مواد البناء التي استخدمت في بنائه من خشب وأجر وحديد وغير ذلك وأشهد على هذا الوقف الفقيه كمال الدين موسى الرداد ، والفقيه شهاب الدين أحمد بن عمر المزجد وذلك في جمادى الأولى سنة ٨٩٩ (٩) ،

ولكي يكون للمسجد موارد ثابتة تصرف عليه فقد أوقف حصاد الأرض التي تعرف بأم الرزق وكان نتاجها مائة مد زبيدي في السنة (١٠) .

كما أمر أن يفرش الجامع ولا تطوى فرشه ، ووظف فيه من يقوم على خدمته اضافة الى المقرئين الذين يقرأون عقب كل صلاة ، ولما كان المسجد آنذاك من أهم دور العلم أسند التدريس فيه في علوم الفقه الى أحد العلماء المبرزين في زبيد وهو الفقيه عمر بن محمد جعمان كما أسند الى الفقيه أحمد الزبيدي بتدريس القراءات (١١) .

(*) تفضل بقراءة هذا النص الزميل الاستاذ هشام عجيمي ـ المحاضر بقسم الحضارة والنظم الاسلامية بجامعة أم القرى جزاه الله خيرا .

(٩) بغية المستفيد ، ص ٢٠١ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٩٠

(١٠) بغية المستفيد ، ص ٢٠٧ ، ص ٢٠٨ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٩٠

(١١) بغية المستفيد ، ص ٢٠٧

ولم يقتصر الملك الظافر بانشاء هذا الجامع فقط فقد أولى المدارس أيضا عنايته الخاصة ،ففي سنة ٩٠٠ هـ أمر بانشاء المدرسة الظافريـــة على أنقاض مسجد السابق في زبيد ووصفت هذه المدرسة بأنها عمرت عمارة عظيمة بديعة الشكل كاملة الوصف (١٢) ، كما أمر في محرم سنـــة ٩٠٩هـ بانشاء مدرسة الشيخ شرف الدين اسماعيل بن ابراهيم الجبرتي التي يبدو أن عوامل الزمن قد أثرت عليها ، مما استدعى المبادرة باصلاحهـــــا وبنيت بأمر من الظافر فامتثل أمره وكان بناؤها على أحسن شكل (١٣) .

وكان الاشراف على المساجد والمدارس التي لها أوقاف وخاصة فـي زبيـد ينفق عليها من ريع هذه الأوقاف ، فكان القائمون عليها يقصرون في القيام بواجبهم في العناية بها ويستولون على أموالها وصرفها علـــى مصالحـهم الخاصة ، مما جعل كثير من هذه المنشآت تشرف على الخراب، وقد وجد هؤلاء النظار متابعة شديدة من الملك الظافر ، وألزمهم بتجديد ما كلفوا النظر فيه ، ففي سنة ٩٠٠ هـ لاحظ السلطان عامر أن مسجـــد

---

(١٢) بغية المستفيد ،ص ٢١٢ ،قرة العيون ،ق ٢ ،ص ١٩٢ ، المدارس الاسلامية في اليمن ،ص ٢٥٣

(١٣) الفضل المزيد ،ص ١٧٢ ،قرة العيون ،ق ٢ ،ص ٢٠٦ ،النور السافر، ص ١١٨ المدارس الاسلامية في اليمن ،ص ٢١٢

ابن خراج فى زبيد قد أوشك على الانهيار وكان القائم على مصالحه ويدعى عمر الهجام قد استولى على وقفه ، فلم يكن من السلطان الا أن ألزمه ببناء هذا المسجد وعمارته من جديد عقابا على ذلك الاستيلاء (١٤) ولم تكن هذه هى المرة الأولى والأخيرة التى يتابع فيها السلطان أنظار الأوقاف على اختلاساتهم ، فقد كانت أوامره فى هذا الجانب شديدة اذ نجد أن هذه المتابعات منه عليهم تمت فى أعوام متفرقه وهى سنة ٩١٣ ، سنة ٩١٤ ، سنة ٩١٤ ، (١٥) مما يؤكد الاهتمام الشديد من جانب السلطان عامر بن عبد الوهاب على عنايته الخاصة بهذه المنشآت الدينية الهامة فى زبيد وهناك منشآت أخرى له فى هذه المدينة اذ قام بعمارة مشهد الفقيه أبو بكر بن على الحداد بمقبرة باب القرتب، وصفت بأنها عمرت عمارة حسنة ومتقنة وذلك فى رمضان سنة ٩٠٨ هـ . (١٦)

كما يبدو أن مصلى العيد فى زبيد قد ضاق بالمصلين فيه مما استدعى الأمر الى انشاء مصلى آخر فأمر الملك الظافر ببناء مصلى جديد واستبدال مكانه الأول وذلك فى رمضان سنة ٩١٨ هـ وصلى فيه فى عيد الفطر من السنة ذاتها ولم ينتهى العمل منه وخاصة الجبانة والمنبر ،

---

(١٤) بغية المستفيد ،ص ٢١٢

(١٥) الفضل المزيد ،ص٢١٠ - ٢٢٠ ،ص ٢٥٨

(١٦) الفضل المزيد ،ص ١٦٩ .

ولكن ما أن أتى عيد الأضحى الا وقد فرغ من عمارته وصلى فيه عيد النحر .(١٧)

ولم تكن عنايته قاصرة على زبيد وحدها فقد حظيت كثير من مدن اليمن باهتمامه في هذا المجال ، ولعل أفضل مآثره بعد عمارة الجامع الأعظم في زبيد هو المدرسة العامرية في رداع ، ولقد أشار اليها ابن الديبع اشارة عابره وذلك في معرض حديثه عقب مقتل السلطان عامر ولم يولها العناية التي حظى بها مسجد الجامع في زبيد .

وقد بنيت المدرسة العامرية في سنة ٨٩٤ هـ ، وأشرف على بنائها الأمير على بن محمد البعداني (١٨) ، وتتكون هذه المدرسة من ثلاثة أدوار كل دور له غرض مخصص يقوم به كما يرى ذلك الاستاذ اسماعيل الأكوع ، فالدور الأول كان يستعمل لسكنى طلبة العلم ولحلقات الدرس ، أما الدور الثاني ففيه ما يطلق عليه جمنون الذى بداخله مصلى وفى الايوان الشمالي مقصورات للوضوء والاغتسال ، أما الدور الثالث فهو مسجد تعلوه

---

(١٧) الفضل المزيد ، ص ٢٥٩

(١٨) المدارس الاسلامية في اليمن ، ص ٢٥٠

قبة كبيرة وحولها قباب صغيره متناسقة وأمامه من جهة القبلة فسقيه كانت تندفع المياه اليها (١٩)، ويقول عنها القاضي محمد بن علي الأكوع .. وهي من العظمة ودقة الفن وسعتها ما يدهش اللب" (٢٠) وقد كتب في جدار القبة من الداخل :

" بسم الله الرحمن الرحيم " انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين "

أمر بعمارة هذه المدرسة المباركة السعيدة مولانا ومالكنا ومالك أمرنا مولانا الامام الأعظم والملك المعظم مصباح الأفاق ومالك سرير الخلافة باستحقاق ظل الله على الأنام ملك الشام واليمن ، وارث ملك تبع وابن سيف بزن ذو المفاخر والمناقب سلطان المشارق والمغارب مالك رقاب الأمم ، وحاوى فضيلتي السيف والقلم ، مولى الحلم والرأفة مالك دستور الخلافة وطيب العناصر ، فخر الأوائل والأواخر ، بهاء الملة والدين ، سيد الملوك والسلاطين ، حجة الله على الاسلام ، ومحيي شريعة محمد عليه الصلاة والسلام أمير المؤمنين ، خليفة رسول رب العالمين ، صلاح الدنيا والدين السلطان ابن السلطان الملك الظافر

---

(١٩) المدارس في اليمن ، ص ٢٥١

(٢٠) قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٣٤ ، حاشية رقم ٢

مولانا عامر ابن مولانا السلطان الملك المنصور عبد الوهاب بن داود".(٢١)

كما بنى السلطان عامر بن عبد الوهاب مدرسة في تعز لم يعرف تاريخ بناءها(٢٢) ولكي يضمن استمرارية هذه المدارس في عملها أوقف عليها أوقافا كثيرة لها دخل ثابت تستطيع أن تنفق منها على تصريف شئون المدرسين والطلبه ، اضافة الى صيانة هذه المباني ومن هذه الأوقاف ، وقف صافيه دمت وصافيه جبن وصافيه الحبيشيه وصافيه رداع(٢٣) كما أن له مآثر في عدن اذ قام بترميم مسجد العباءة القديم(٢٤) وجدد عمارته وجعله مسجدا جامعا وعين له اماما ومؤذنا وخطيبا للجمعة.(٢٥)

كما أن نشاطه في بناء المساجد ليس داخل مملكته فحسب ، بل كان يستجيب للعلماء المترددين على عدن من حضرموت والذين يطلبون منه مساعدتهم على انشاء المساجد في بلادهم ، ومن ذلك أن الفقيه عفيف الدين عبد الله بن عبد الرحمن بافضل السعدى أرسل رسالة الى

---

(٢١) المدارس الاسلامية في اليمن ،ص٢٥١

(٢٢) الفضل المزيد ، ص ٢٩٠

(٢٣) المدارس الاسلامية في اليمن ،ص ٢٥٢

(٢٤) أبو مخرمه : الطيب بن عبد الله ، تاريخ ثغر عدن ،ج ١ ، ص ١٨ ، ط ليدن سنة ١٩٣٦م ، هدية الزمن ،في أخبار ملوك لحج وعدن ،ص ٧

(٢٥) تاريخ ثغر عدن ،ج ١ ، ص١٠

السلطان عامر يطلب منه المساعدة على ترميم وتوسعة جامع تريم ، فاستجاب له الملك الظافر وأرسل اليه مبلغا كبيرا لتوسعته وأسند مهمة العمارة الى الشيخ محمد بن أحمد باسكوته فعمرت على أحسن وجه (٢٦).

ولما قدم عليه رسول من شيخ الاسلام أبو السعود ابراهيم بن ظهيره قاضي مكة بكتاب صحيح البخارى أرسل اليه السلطان عامر رسولا وأمر باعانته في اقامة رباط البعدانى بمكه المشرفه وعمارته ، كما أمره أن يشترى له في المدينة ضياع تكون وقفا على مقدمة للقرآن التى بعثها الى المدينة المنورة (٢٧)

وقد حذا حذو السلطان فى بناء المدارس أخوه الشيخ عبد الملك بن عبد الوهاب الذى بنى مدرستين عظيمتين احداهما فى رداع أما الأخرى فى عاصمة الدولة المقرانه (٢٨).

كما أن الفقيه محمد بن محمد النظارى والذى يعتبر أهم شخصية فى الدولة الطاهريه قد بنى مدرسة فى اب يطلق عليها المدرسة النظارية وأوقف عليها وقفا جليلا وعدد من الكتب ليستعين بها الطلبة فى دراستهم (٢٩).

---

(٢٦) السناء الباهر ، ورقه ٧٣ أ - ٧٣ ب

(٢٧) الفضل المزيد ، ص ١٠٣ - ١٠٤

(٢٨) الفضل المزيد ، ص ٢٩١ ، المدارس الاسلامية ، ص ٢٤٩

(٢٩) المدارس الاسلامية فى اليمن ، ص ٢٥٥

وقد كتب على حجر فوق باب المسجد الصغير في المدرسة :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بعمارة هذه المدرسة المباركة الفقيه الأجل جمال الدين محمد بن محمد النظاري تقبل الله منه ". (٣٠)

كما أن له مآثر في بيت الفقيه ابن عجيل اذ بنى جامعها وعمر عمارة متقنة . (٣١)

٢ - الاصلاحات العمرانية المدنية والعسكرية :

قبل أن نتطرق الى آثار الملك الظافر المدنية والعسكرية وجب علينا أن نذكر ملاحظتين هامتين .

أولا : أن ابن الديبع وهو المؤرخ الوحيد للدولة الطاهرية ، لم يستقص كل الاصلاحات التي قام بها السلطان عامر في شتى أنحاء اليمن ، وخصوصا في حاضرة الدولة الطاهرية وعاصمتها المقرانه ، وذلك أن المؤرخ المذكور التزم في كتاباته بكل ما له علاقة بمدينته زبيد ، أما أخباره في الجوانب الأخرى فذلك فيما له علاقه بالنواحي السياسية والحربية وأما ما عداها فلم يلتفت اليه ودليلنا على ذلك أنه لم يصف كثيرا من هذه المنشآت العمرانية التي خلفها السلطان

---

(٢٩) المدارس الاسلامية في اليمن ، ص ٢٥٥

(٣٠) المدارس الاسلامية ، ص ٢٥٥

(٣١) الفضل المزيد ، ص ٢٧٤

عامر ومن أبرزها المدرسة العامرية في رداع ، والتي ذكرها لنا ما ، ولولا بقاء هذه الآثار الى الآن لمحيت كثير من الجوانب الحضارية للدولة الطاهرية وكذلك المؤرخ المعاصر له وهو أبو مخرمه فانما هو ناقل من ابن الديبع حرفا بحرف اللهم في بعض ما يتعلق بحوادث عدن فهو المتفرد فيها .

ثانيـــا : الأحداث الكبيرة التي أعقبت مقتل الظافر الثاني ومن تحول السلطة الى المماليك ثم الصراع السياسي بين المماليك والقوة الزيدية الناشئة ثم بين العثمانيين والقوى المحلية اليمنية طغت على كل شيء، فلم تدع فرصة للمؤرخين اللاحقين من تتبع آثار هذه الدولة المنتهية في أوج عزها وقوتها .

ولذا فان ما لدينا من نصوص ضئيلة لتثبت أن السلطان عامـــر كان يولي العمران عناية هامة في دولته وعلى مختلف أنواعها ســـواء المدنية أو العسكرية ، ففي سنة ٨٩٨ هـ أمر الملك الظافر بعمـارة ما خرب من سور زبيد خاصة في هذه الفترة الحرجة من ولايته ، والتي كانت الخلافات بين الأسرة الطاهرية على أشدها ، مما حتم عليه أن يبادر باصلاح سور هذه المدينة حماية لها من أي محاولة للاستيلاء عليها ، فبدأ في عمارته في ذي القعدة من نفس السنة . (٣٢)

(٣٢) بغية المستفيد ، ص ٢٠٤ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٨ أ

كما كان لموقع حصن حب أهمية خاصة وموقعه الاستراتيجي في منطقة اب وهو الحصن المشهور بالمنعه وتبعا لموقعه هذا وسيطرته على المنطقة التي يشرف عليها فقد أصدر أوامره بعمارته وتحصينه سنة ٩٠٠. (٣٣)

ونتيجة لما سببه حصن الشريف ولجوء بني الشكاعي أثناء ثورتهم على الدولة كما ذكرنا سابقا وتكبدها كثير من الخسائر المادية والبشرية في سبيل استرداده من الثائرين ، كان لزاما على الدولة بعد أن أعادته الى حوزتها من عمارته وتحصينه ليكون أقوى مما كان عليه سابقا ثم وضع فيه من يقوم على حمايته حتى لا يقع في أيدي الخارجين على الدولة وذلك في سنة ٩١٨ هـ. (٣٤)

أما اهتماماته في الجوانب الأخرى فاننا نجد أن السلطان عامر ربما لمس الحاجة الى انشاء قصر جديد له في زبيد فتم انشاؤه على باب الشبارق (٣٥) وأطلق عليه اسم دار السلام وذلك في سنة ٨٩٦ هـ (٣٦)

كما اهتم بالدار الناصري وهو من القصور التي خلفها بنو رسول في زبيد ، وبما أن الزمان تقادم عليه فقد أمر الملك الظافر بترميمه

---

(٣٣) بغية المستفيد ، ص ٢١٥ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٩٢ .

(٣٤) قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢١٦

(٣٥) غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦١٨

(٣٦) بغية المستفيد ، ص ١٩٦ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٨٤ ب

فى محرم سنة ٩٠٠ هـ وأسند هذه المهمة الى المعلم على بن حسن المعمار[٣٧]، غير أن عوامل التعرية أخذت من هذا الدار، مما استدعى تعميره مرة أخرى خاصة الجانب الشمالى منه لأنه آل الى الخراب فأصدر السلطان أوامره فى صفر سنة ٩٠٥ هـ لعمارته وقد بنى بناءا محكما وعملت جميع الترميمات للجوانب الأخرى، ويبدو أنه أضيفت الى الدار الناصرى شمسة فى وسطه لكى تعطى اضاءة طبيعية للدور الأرضى فى النهار وتعطيه ما تحتاجه من ضوء الشمس، وقد استغرق هذا العمل حوالى ستة أشهر، اذ انتهى العمل من هذه الاصلاحات فى شهر جمادى الآخر من نفس السنة[٣٨].

وقد أضيفت الى هذه المبانى كثير من الزيادات فى الجانب الشمالى الشرقى سنة ٩١٨ هـ كما انشئت بعض البساتين فى هذا القصر لتزيد من جمال الطبيعة ولتضفى عليه رونقا وجمالا[٣٩].

غير أن عدن لها ميزتها أيضا لموقعها التجارى ولذلك فان اهتمامه انصب على الاصلاحات المساعدة على تنمية التجارة، ولجلب المزيد من الأرباح العائدة منها، ومن هذه الاصلاحات ما زاده السلطان عامر

---

(٣٧) بغية المستفيد، ص ٢١١، قرة العيون، ق ٢، ص ١٩١

(٣٨) الفضل المزيد، ص ١٣١

(٣٩) الفضل المزيد، ص ٢٥٩

الى دار الصلاح - التى بناها بدء صلاح بن على الطائى - وظل كما هو عليه الى أيام الدولة الطاهرية ، ويبدو أن الاقبال المتزايد من أصحاب السفن شجعت المجاهد على بن طاهر على احداث زيادة فى المخازن لتستوعب أكبر عدد ممكن من البضائع ، غير أن هذه المخازن لم تعد تستوعب المزيد من الواردات التجارية ، مما شجع الظافر عامر بن عبد الوهاب على احداث زيادة كبيرة فيها من الجهة الشرقية لهذه الدار .(٤٠)

كذلك أحدث زيادة فى دار السعادة فى عدن مما جعلها تشرف على البحر وتمتد الى جهة الفرضة .(٤١)

٣ - الأعمال المساعدة على الزراعة والرى :

اكتسب الغيث والمطر أهمية خاصة لدى المزارع اليمنى خصوصا أنه يعتمد عليها اعتمادا كليا بعد الله سبحانه وتعالى ، ولذلك فان أسعار الغذاء خاصة مرتبطة بانتظام الأمطار فى الهطول ، ولكن أحيانا تكون أيضا كارثه على المزارع وغيرها وخصوصا فى وادى زبيد الذى يعتبر من الأودية الكبيرة فى اليمن ، فعندما تهطل بكثرة فان هذا الوادى

---

(٤٠) أبو مخرمه ، تاريخ ثغر عدن ، جـ ١ ، ص ١١

(٤١) تاريخ ثغر عدن ، جـ ١ ، ص ١١

يصبح نقمة على أصحاب الأراضي الذين يروونها منه وتصبح الفائدة تأتي متأخره ولذلك فان الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب عندما رأى ما حدث لأصحاب الأراضي الزراعيه من أضرار خلفتها لهم الأمطار الخريفية التي نزلت على زبيد سنة ٩١٨ هـ وما أحدثه واديها من الأضرار التي لحقت بالمزارعين ، ومدى ما أتلفه لهم من محاصيل وخاصة النخل الذى تجبى منه الدولة الطاهرية الأموال الطائلة من زكاته .

أمر عند ذلك السلطان عامر بانشاء سد تكون فائدته مزدوجة أولها حفظ الماء لأطول مدة ممكنة ، وثانيا ، الحفاظ على غلات المزارع التي تقوم على جانبيه ، وبنى هذا السد بالآجر والنورة ، وانفق في ذلك مالا كثيرا كما يذكر المصدر (٤٢) وعرف بسد المحرق ، ولكن هذا البناء لم يستطع الصمود أمام تيار السيول الكبيرة التي صبت فيه من العام المقبل مما استلزم بناءه مرة أخرى ، بشكل محكم ، وابتدى في بناءه في ذي القعدة سنة ٩١٩ هـ وبنى بالآجر والنورة أيضا وبلغت أطواله ستة وستون ذراعا وعرضه خمسة عشر ذراعا ، وبلغ ارتفاعه نحوا من خمسين ذراع ، ولكي لا يتلف السيل هذا البناء كما حدث في البناء السابق ، فقد ردم من جانبي السد بالتراب (٤٣) وذلك حتى ييسر الاندفاع للسيول المقبله فيها لو جاءت ، وبذلك سلم أهل وادي زبيد من غائلة واديهم .

---

(٤٢) قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢١٥

(٤٣) الفضل المزيد ، ص ٢٦٠

وقد استعان أهل الشحر بالسلطان عامر في بناء سد وادي بني المشهور الذي ألحق بهم أضرارا كبيرة فيما يبدو ، ولم يجدوا عونا من حكامها آل كثير وقد استجاب السلطان لطلبهم وأرسل اليهم مبلغ ثلاثة آلاف دينار على يد الفقيه محمد بن أحمد بما سكوته للاشراف على بنائه ، اضافة الى بناء جامع تريم ، وقد بني هذا السد بالآجر والحجارة وعمر عمارة قوية سنة ٩٠٤ هـ (٤٤)

أما عدن رغم مكانتها الهامة وهي محط نشاط كثير من التجار واهتمام أرباب السفن ، فانها كانت تفتقر الى الماء العذب ، وبسبب هذا النقص في الماء العذب ، وبسبب هذا النقص في الماء فانه كان يجلب أحيانا من أماكن بعيدة (٤٥) ولذلك اضطر أهل عدن منذ زمن بعيد الى ابتكار وسائل تفيدهم في تخزين الماء لأطول مدة ممكنة ، والاستفادة منها الى أقصى حد ، ولذلك لجأوا الى حفر أحواض في مضيق منحدر بين جبلين حفرا محكما في الصخر ، الواحد فوق الآخر ، فاذا جاء الغيث يمتلىء الحوض الأول ثم يصب مياهه في الذي يليه وهكذا حتى تنتهي المياه الى خزان أخير قائم عند سفح الجبل ، وهذه الأحواض من أجل الأعمال الهندسية في العالم (٤٦) ، وهذا البناء هو ما يعرف

---

(٤٤) السناء الباهر ، ورقه ٧٣ أ - ٧٣ ب

(٤٥) البحراوي : محمد عبد اللطيف ، فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر الى البحر ، ص١٠ الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م

(٤٦) فتح العثمانيين عدن ، ص ١١

بالصهاريج (٤٧)، وقد بنى السلطان عامر في عدن صهريج عظيم فيهـــا وذلك حتى يمكن الاستفادة من مياه الأمطار بالنسبة لسكان هـــذه المدينة الحيويه ، ولم يكتف به ، بل انه جلب المياه من خارج عـدن ومن مسافات بعيدة لينتفع بها الناس على الدوام ودون ما مشقة (٤٨).

واضافة الى اعماله تلك ، فانه قد عمل جسرا يكون كتصريف للمياه التي تنساب من أماكن الوضوء الملحقه بمدرسة والده الملك المنصور في مدينة زبيد فتأذى الناس من هذه المياه مما اضطرهم الى رفع شكواهـــم الى السلطان عامر ما يعانونه منها فأمر بانشاء هذا الجسر في ربيع الأول سنة ٩٠٠ هـ (٤٩)

كذلك قام الأمير شمس الدين على بن محمد الهمدانى ، بانشاء عين في ناحية بئر قطلول وجر مياهها الى قريب من زبيد ، وتقـــدر المسافة بنحو ألف وخمسمائة ذراع ، وجعل لها حوضا تتجمع فيه المياه المجلوبه زيادة على صنع طرق لتصريف هذه المياه من هذا الحوض فـي سنة ٩١٥ هـ (٥٠)

---

(٤٧) قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٣٤ ، الفضل المزيد ، ص ٢٩٠ - ٢٩١

(٤٨) قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٣٤ ، الفضل المزيد ، ص ٢٩١

(٤٩) بغية المستفيد ، ص ٢١٢ - ٢١٣ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٩٢

(٥٠) الفضل المزيد ، ص ٢٢٤

وختاما فان ما ذكر في الأعمال العمرانية يمثل في رأيي قليل من كثير تغاضت عنه المصادر ، فقد ذكر الاستاذ محمد بن علي الأكوع أن هناك زيادة في جامع مدينة رداع فيما بين الصرح والجامع ، وذكر ان اسم السلطان عامر مكتوب على الأخشاب بخط جميل كبير .(٥١)

وما زالت رداع وجبن تغص بكثير من آثارهم التي لحق بها الخراب وطالتها يد التخريب .

. . . .

---

(٥١) قرة العيون ، ق٢ ، ص ٢٣٤ ، ح ٥

الفصـــــــــــل الثانـــــــــى

التنظـــيم الادارى

*

أ - السلطان :

يعتبر الاختيار للتولية على سلطنة اليمن في الدولة الطاهرية تعتمد على الوراثة وقد بدأ هذا الأمر في عهد المنصور عبد الوهاب بن داود الذي أوصى بأن يكون خلفه في الحكم ابنه عامر بن عبد الوهاب وقد اتخذ السلطان عامر لنفسه ألقابا تعتبر في ذلك العصر من اختصاص الخليفة العباسي فقد تلقب بأمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين ، كما هو موجود على نقش مدرسته في رداع العرش.(١)

وقد لقب بالسلطان كما لقب بالملك فيقال عنه الملك الظافر ، أو السلطان صلاح الدين ، وان كان اللقب الثاني أعم وأشمل من الأول.(٢) ولذلك فقد كانت هذه الألقاب هي الصفة الغالبة ، في آثاره كما هو موجود أيضا على النقشين الموجودين على يمين ويسار الواقف أمام المحراب في الجامع الذي بناه في زبيد ، ويعرف الآن بالجامع الكبير.

وقد باشر السلطان جميع الأمور بنفسه فهو صاحب السلطة العليا في البلاد سواء منها العسكرية أو المدنية ، بحيث نستطيع القول أن الادارة في عهده بأنها ادارة مركزية قوية يشرف عليها اشرافا تاما من تعيين الأمراء ، وعقد الألوية الحربية اذا لم يكن على رأسها ، وتعيين

---

(١) المدارس الاسلامية في اليمن ، ص٢١٥

(٢) عبد المنعم ماجد ، نظم سلاطين المماليك ورسومهم في مصر ، ص ٢٩ ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٧٩م.

القضاة فى كل مدينة .

كما أنه يشرف على أمراء المناطق وموظفيهم من الديوان ، ويحاسبهم على كل كبيرة وصغيرة وخاصة فى أوقات قبض الخراج ـ الزكاة ـ والتى تأتى من أنحاء اليمن المختلفة ، فيتوافد عليه الأمراء والكتاب لأداء ما جمعوه أو ضمنوه عن مكان وظيفتهم .

وبالرغم من أنه يشرف بنفسه على كل نواحى الحياة من دولته ، الا أنه يحيط نفسه بمجموعة من المستشارين ، الذين يكونون محل ثقته ، ويستعرض آراءهم فى أى أمر يريده منهم ويتخذ لنفسه حق القرار الأخير الذى يراه مناسبا فى حل الأمر المطروح للرأى (٣) ثم يأتى بعده فى المكانة أفراد أسرته من بنى طاهر ، وكان كل واحد منهم يلقب بلقب شيخ ، ولم يكن لهؤلاء الشيوخ أى نشاط ، سوى الارتباط بالسلطان عامر والتنقل معه والاستقرار حيث يحط رحله (٤) ، اذا استثنينا منهم من كان مودعا بالسجون من أبناء الملك الظافر الأول ، والذين خرجوا عن طاعته ، ولم يكن أحد فى محل ثقته منهم الا أخاه الشيخ عبد الملك بن عبد الوهاب ، والذى يعتبر ساعده الأول فى كل الحروب التى يخوضها ضد مناوئيه . ومن عداه منهم كحاشية حول سلطانهم . يحدد لهم أماكن اقامتهم ، وهدفه من ذلك الحد من تحركاتهم ضده .

---

(٣) قلادة النحر ، جـ ٣ ورقه ٥٩٩ ب .

(٤) الفضل المزيد ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ ، ص ١٧٧ ، ص ٢٥٣ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢١٤ - ٢١٥ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٧ أ

والجدير بالذكر أن لقب الشيخ لم يكن قاصرا على بني طاهر فقط ، فان هناك زعماء محليون يعتبرون رؤساء في قومهم ، ومهمة شيوخ القبائل بالدرجة الأولى المحافظة على الأمن في مناطق نفوذهم ، وهم مسئولون مسئولية مباشرة أمام الدولة ازاء كل ما يحدث من قبائلهم ، وفي مقابل ذلك تصرف لهم رواتب محدده يتقاضونها من الدولة .(٥)

ب ـ الـوزارة :

لم تكن الوزارة ومنصبها واضحة المعالم من الدولة الطاهرية ، اذ أن لشخصية السلطان عامر بروز واضح في التأثير على هذا المنصب وصاحبه ، وذلك بحكم سيطرته الكامله على ادارة شئون بلاده ، ولم نجد لكلمة الوزارة ، الا اشارتين وفي سياق ترجمة اثنين من رجال الدولة الطاهرية هما على الترتيب :

١ ـ بدر الدين حسن بن عبد الرحمن الصباحي " فبعد قيام دولة مولانا السلطان صلاح الدين ترك التدريس ونشر العلم لاشتغاله الوزارة مع السلطان عامر الى أن توفي وهو على الحال المذكور سنة ثمان وتسعين وثمانمائة " (٦) " وكان قد اتحد بالملك الظافر ولزم بابه " .(٧)

---

(٥) الفضل المزيد ، ص ١٠٥ - ١٠٦

(٦) طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٤٨

(٧) بغية المستفيد ، ص ٢٠٤

٢ - أما الشخصية الثانية فهو العلامة شمس الدين يوسف بن يونس الجبائي المعروف بالمقرئ - ت ٩٠٤ هـ - " فاستقام بدرجة الوزارة واستمر بقضاء الأقضية من قطر اليمن "(٨) وهذا النص يفيدنا على وجود هذا المنصب في دولة السلطان عامر ، ويبدو أن مهمة صاحبه هو مساعدة السلطان ، على ادارة البلاد وفي حدود السلطات التي يمنحه اياها .

كما أنه من النادر أن يلي أحد من الفقهاء منصب قاضي القضاء ومنصب الوزارة في آن واحد ، الا اذا كان على درجة عالية من الكفاءة وفي رأي السلطان أنه تستحق هذه الشخصية أن تصل الى هذا المستوى من المسئولية .

وعلى كل فان منصب الوزارة بعد وفاة المقرئ ظل شاغرا الى أن تولاها الفقيه محمد بن محمد النظاري ، وليس هناك تاريخ محدد لولايته لهذا المنصب ، اذ أن بداية ظهور هذه الشخصية في دولة السلطان عامر كان سنة ٨٩٧ هـ كمشارك في حملة الملك الظافر ضد قبيلة يافع وحصاره لهم في بيضا حصي ، ولكن فيما يبدو أنه تولاها بعد وفاة الجبائي بفترة وجيزة ، واستمر في منصبه هذا الى أن توفي في جمادى الأولى سنة ٩٢١ هـ ، وليس هناك تصريح من المصادر بتوليه هذه الوظيفة ، ولكنه استنتاجا من خلال ترجمتهم له اذ قالوا عنه

---

(٨) طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

" وكان قطب رحى المملكة السلطانية الظافرية وعين الأعيان في الجهة اليمنية " (٩).

كما أن تقدير الظافر له أكد هذا الاستنتاج الذى لم نلاحظ تقديرا يشابه مع رجالات الدولة الطاهرية ، ففي الرابع عشر من رجب سنة ٩١١ هـ توجه الفقيه محمد بن محمد النظارى من صنعاء الى المقرانة فى موكب حافل ، فأمر السلطان عامر ابنه عبد الوهاب بتلقيه فى الطريق ، فلما وصل الى المقرانة وتوجه الى قصر الحكم فيها وجد الظافر عامر بن عبد الوهاب فى انتظاره على باب القصر (١٠) ، وهذه منزلة رفيعة لا تهبها الملوك الا لشخصية لها وزنها وأهميتها فى الدولة.

وكما تدل الوقائع فى دولة السلطان عامر أن صاحب الوزارة فى دولته هو وزير تنفيذ لا وزير تفويض ، ومرجع ذلك كما سبق الى الشخصية القوية التى يتمتع بها السلطان عامر فى حكم اليمن آنذاك .

---

(٩) الفضل المزيد ، ص ٢٧٤ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢١ ، النور السافر ، ص ١٠٥ ، السناء الباهر ، ورقه ٨ أ

(١٠) الفضل المزيد ، ص ١٩١ .

٣ - الادارة المحليـة :

وبعد مرتبة الوزارة تأتى تولية أمراء المناطق ، اذ أن لكل مدينة أمير ، وتعتبر مدن المقرانة وجبن وزبيد وتعز وعدن ولحج واب وجبلة ورداع وذمار ثم صنعاء بعد فتحها سنة ٩١٠ هـ هى المدن الرئيسية ، ولكل مدينة من هذه المدن توابع تتبعها من القرى والبوادى ، وتكون تحت اشراف أميرها ، ولكل من هذه التوابع من هذه القرى والبوادى شيوخ للقبائل التى تقطنها ، ولهم مرتبات خاصة بهم يتقاضونها نظير حفظ الأمن فى قبائلهم (١١) ويعين أمراء المناطق السلطان مباشرة ، ويطلق عليه حينئذ أمير ، أو متولى الأحكام السلطانية ، (١٢) أو حاكم السياسة ، (١٣) وتأتى وظيفة هذا الأمير شاملة لكل ما يتعلق بحدود امارته ، من الاشراف على الأمن فيها ، والتصدى لما يتعرض لها من اخطار سواء من داخلها أو خارجها ، اضافة الى ذلك الاشراف على الأمور المالية سواء الداخل والمنصرف منها ويكون مسئولا مسئولية مباشرة أمام السلطان عامر عن هذه الأموال فى معظم الأحيان اذ يقوم كل أمير بجباية الأموال بنفسه

---

(١١) قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٩٦ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٩٩٥ أ

(١٢) بغية المستفيد ، ص ٢٠٨ ، الفضل المزيد ، ص ١٤٣ ، قرة العيون ق ٢ ، ص ٢٠٢ .

(١٣) الفضل المزيد ، ص ٢٤٩ .

وخاصة أمير زبيد الذى يتولى كل سنة تقريبا جمعا من الجند ويتوجه بهم الى المناطق الشمالية ، ويقوم بجمع الخراج المفروض على القبائل التهامية المنتشره فى نواحى كثيرة ، وبعد الانتهاء من مهمته ، يعود الى زبيد ، ومنها يتوجه الى مكان اقامة السلطان وغالبا ما يكون الأخير متواجدا فى هذه الفترة فى مدينة تعز ويسلم اليه ما جمعه من القبائل . (١٤)

وللأمير سلطات واسعة فى منطقته الى درجة تنفيذ حكم الاعدام دون الرجوع الى السلطان فى ذلك ، وانما يكتفى فقط بحكم القاضى على المتهم ، ففى سنة ٩١٢ هـ ، قام شخص يدعى بابن على بن الحاج بقتل آخر يعرف بالصديق بن أحمد بن هاشم ، وبعد أن ألقى القبض عليه قدم به الى القاضى عبد الرحمن بن الطيب الحنفى ، واعترف القاتل بجريمته أمامه ، وعندئذ رفع الأمر بواقع المحاكمة الى أمير زبيد الشريف عبد الله بن على بن سفيان ، فأمر الأخير بشنقه خارج باب الشبارق قصاصا (١٥) كما يتولى توقيع العقوبات على المجرمين ليس فى حدود التعزير فقط ، ولكن يتعدى ذلك الى اقامة بعض الحدود ، وخاصة ما يتعلق منهـا بالأمن ،دون اللجوء الى القضاء الشرعى فى ذلك مثل حد الحرابة ، اذ

---

(١٤) الفضل المزيد ،ص ٩٣ ،قرة العيون ،ق٢ ، ص ١٩٤، وليس ذلك مقصورا على صفحة معينة ،ففى كل سنة تقريبا يتوجه أمير زبيد الـى السلطان بمحصول ما جمعه من القبائل ،كما أنه ليس قاصرا على سنة بعينها .

(١٥) الفضـل المزيد ، ص ٢٠٥

أن من يقع فى أيديهم من المفسدين سرعان ما يأمر الأمير بقطع يده ورجله من خلاف ، ومثال ذلك ما حدث سنة ٩١٥ هـ اذ ألقى القبض على رجل يدعى بابن الضلع ، كان يعيث فسادا فى مدينة زبيد ليلا ، ثم يلتجىء نهارا الى احدى زوايا الصوفية ، والتى لها من الحرمة عند الناس وعند الدولة بحيث لا يستطيع أحد من رجال الدولة أن ينالوه بسوء طالما أنه بداخلها ، فترصدوا له حتى تمكنوا من القاء القبض عليه خارج الزاوية ، وبعد سجنه ، أرسل خبر القبض عليه الى أمير زبيد الشريف عبد الله بن سفيان ، فأصدر أمره بقطع يده ورجله من خلاف ،(١٦) وطبق عليه الأمير المذكور حد الحرابة المنصوص عليها فى القرآن الكريم وهى : (انما جزاؤا الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم)(١٧).

وبحكم الظروف التى كانت تعيشها اليمن آنذاك من فتن واضطرابات حول المدن بسبب ثورات القبائل ، فقد أنشىء لكل مدينة أسوار تحيط بها ، ولها أبواب تفتح فى النهار ثم تغلق فى الليل ، وهو اجراء

---

(١٦) الفضل المزيد ، ص٢٢١.

(١٧) سورة المائدة ، آية ٣٣

ظل متبعا حتى قيام الدولة الطاهرية ومن ثم سارت عليه الدولة ، ومن مهام الأمير أن يشرف بنفسه على هذه الأبواب والتى لها جند مخصصون يقومون بحراستها ، ويساعده فى ذلك النقيب ومهمته الحفاظ على الأمن وتسيير الجند الى المشتبه فيهم للقبض عليهم ، ووضعهم فى السجن ، واذا حدث وأن تمكن أحد المسجونين من الهرب فان النقيب ينال عقابا رادعا على اهماله ،فقد حدث سنة ٩١٩ هـ أن هرب موسى بن المساوى شيخ المخارشة من سجن زبيد ، وكان النقيب اسماعيل بن الوجيه اقبال مكلفا بسجنه وعندما علم السلطان بهربه ، استدعى النقيب وسأله عنه فحاول النقيب المذكور تبرير هروبه ، ولكن ذلك لم يجد ،فغضب عليه السلطان وأمر بسجنه ، وعندما توجه السلطان الى تعز سار به معه ، وسجنه هناك حتى مات عقابا له على اهماله .(١٨)

كما أن مهمة بوابى الأسوار مراقبة دخول وخروج رجال الدولة الموجودين فى داخل البلد ، واذا حدث وأن كان أحدهم مقيما اقامة جبرية فى المدينة لأى سبب أراده الأمير ، فان البوابين لا يسمحون لهذا الشخص بمغادرة البلدة الا بأمر من الأمير ، ولكنه فى بعض الأحيان يتمكن أحدهم من مغادرة الأبواب بأية حيلة لا يفطن لها

---

(١٨) الفضل المزيد ، ص ١٦٥ .

المسئولون عن الأبواب ، فيلجأ الأمير الى معاقبة هؤلاء البوابين وقد تصل الى حد الضرب لهم جزاء لاهمالهم[١٩] .

وفي بعض الأحيان يقوم الأمير بتعيين رجال الحسبة في البلد ، وهذه الوظيفة ربما تكون من اختصاص قاضي المدينة في الدرجة الأولى ، الا أنها من ضمن صلاحيات الأمير يعين فيها من يراه مناسبا للقيام بواجبها ، اذا لم يكن متوليها السابق قائما بعمله خير قيام ، ففي شوال من سنة ٩٠٤ هـ عزل أمير زبيد الفقيه أبا القاسم بن أبي بكر المصري من الحسبة وحبسه لعدة أيام لتقصيره في أداء واجبه ، وعين بدلا منه الفقيه يوسف بن أحمد الحوائجي[٢٠] .

ولم تكن مسئولية ولاة المناطق مقصورة على المدينة فقط ، بل تتعداها الى القرى والأماكن التي تتبع محل ولايته ، اذ عرف عن القبائل المحيطة بالمدن كثرة تمردها على الدولة لأي سبب كان ، ومهمة هؤلاء الولاة القضاء على هذه التمردات ، وفي بعض الأحيان يعجز أمير المدينة عن كبح جماح القبائل المتمردة نتيجة نقص الجند لديه فيضطر الى طلب العون من السلطان ، فاذا عجز مرة أخرى ، ففي هذه الحالة تسقط قيادته على الجيش ويتولاها بعض

---

(١٩) الفضل المزيد ، ص ١٢٢

(٢٠) الفضل المزيد ، ص ١٢٨

الأمراء الكبار والذين لهم كفاءة ومهارة في ادارة المعارك الحربية ضد خصوم الدولة ، وعند وصول هذا القائد الى حيث كلف بالمهمة فانه يحل محل الوالي السابق ، ويصبح المسئول الأول الى أن تنتهي مهمته ، ومثال ذلك ما حدث سنة ٩١٥ هـ عندما كانت فتنة الخواص في أوج شدتها ، فان أمير زبيد ابن سفيان لم يستطع أن يقضي عليها ، فأرسل السلطان قائده الأمير علي بن محمد البعداني بدلا منه ليقوم بالقضاء على الخواص ، وتمكن البعداني من القضاء على القبائل المناوأة له .(٢١)

ولمن يبذل جهدا من هؤلاء الأمراء ويظهر كفاءة ادارية في منطقته فان السلطان يعمد الى مكافأته وتشجيعه على ذلك ، ففي سنة ٩٠٠ هـ قام السلطان باكرام الأمير عبد الله بن علي بن سفيان وخلع عليه خلعة نفيسة ، وضرب له مركوبا من مراكبيه ، ورمحين جيدين من رماحه ، وأعطاه مالا جزيلا ،(٢٢) وذلك عندما كان متوليا للجهات الشامية . وفي السنة التاليه نراه يكافئ الأمير شمس الدين علي بن شجاع العنسي ، اذ أرسل اليه وهو في بيت الفقيه بخلع ثمينه ، وصرف له محملا نفيسا ورمحين جيدين من رماحه ورايات كتب عليها الألقاب الشريفه وأعطاه

---

(٢١) الفضل المزيد ، ص ٢٢١ - ٢٢٢

(٢٢) بغية المستفيد ، ص ٢١٢

مالا جزيلا ،[٢٣]

ويدلنا هذا النص أيضا على أنه كانت هناك ألقابا تطلق على هؤلاء الأمراء ، ولكن المصادر لم تسعفنا بشيء منها أو المراتب المختلفه لكل أمير . وبجانب الثواب كان هناك العقاب ، اذ أنه في بعض الأحيان يلقى السلطان اللوم على بعض الأمراء ، وينسب اليهم التساهل في حراسة بعض المواقع العسكرية المهمة فعندما تمكن بنو الشكاعي من الاستيلاء على حصن الشريف غضب السلطان عامر ،ولذلك اتهم الشريف عبد الله بن علي بن سفيان أمير زبيد ، والأمير عبد الوهاب ابن محرم العنسي أمير المناطق الشاميه ، بالاهمال في حراستها وشدد عليهم في استردادها ، كما كلفهم بتحمل كافة النفقات المتعلقة بجمع الجند وأرزاقهم من أموالهم الخاصة ، مما أنزل بهم أبلغ الضرر وأفدحه ، وربما كان موت الشريف ابن سفيان كمدا مما لحق به من جراء الخسائر المادية الكبيرة التي أنفقها على الحملة العسكرية لاسترداد حصن الشريف من رمضان سنة ٩١٧ الى أوائل سنة ٩١٨ هـ .[٢٤]

وبالرغم من كل السلطات الواسعة التي أعطيت للأمراء في ادارة المناطق التي يتولونها ،فانها لا تعطيهم الحق في تجاوز حدودهم مع الرعية وسلب أموالهم بالباطل اعتمادا على مراكزهم فعندما عمد الأمير

---

(٢٣) الفضل المزيد ،ص ٩٣ ، قرة العيون ،ق ٢ ،ص ١٩٤ .

(٢٤) قلادة النحر ،جـ ٣ ، ورقه ٥٩١ أ .

أحمد بن عمر الجبني الى أخذ مبلغ يتجاوز الألفي دينار من أهل قرية الهرمة ظلما وعدوانا ، صعد بعض أهالي القرية الى السلطان عامر في المقرانة ، وشكوا الأمير وما عمله معهم ، فما كان منه الا أن استدعى الأمير المذكور للمحاسبة أمامهم ، ثم أمر برد ما أخذه منهم كاملا (٢٥) .

ولكل أمير منطقة حق اختيار من ينوب عنه في أداء الواجب عنه في حكمها ، ومهمة النائب هي مساعدة الأمير على ادارة شئون المدينة وخلافته في غيبته لأي أمر من الأمور ، وقد يكون النائب أحيانا ابنا للأمير أو أحد أقربائه (٢٦) .

ويلاحظ أن السلطان عامر بن عبد الوهاب ضم ولاية تعز وزبيد والمناطق الشامية تحت ادارة موحدة ، وجعل ابنه الشيخ عبد الوهاب بن عامر حاكما عليها وذلك سنة ٩١٩ هـ ، (٢٨) ويبدو أنه كان يهدف من هذا الاجراء ، هو احكام القبضة على هذه المنطقة وأيضا على تهيئة ابنه على تحمل أعباء الحكم وتهيئته لخلافته بعده ، ولكن الأجل به وبدولته كان أسبق مما كان يفكر فيه .

---

(٢٥) الفضل المزيد ، ص ١٤٩ .

(٢٦) بغية المستفيد ، ص ٢١١ ، الفضل المزيد ، ص ١٨٩ ، ص ٢٠٠

(٢٧) الفضل المزيد ، ص ٢٦٥ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢١٨ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٨ أ

٤ - الديـــوان :

ويلى الأمراء المستوفون والكتاب أو من يطلق عليهم موظفى الديـــوان السلطانى ، ويصعب الفصل بين وظيفة المستوفى والكاتب فى هذه الفترة ، وذلك أن المصادر لم تسعفنا بكثير من التفاصيل حول الكتاب ومهامهـــم الرئيسية فى الديوان ، ولكنه من خلال النصوص يتضح أن الكتاب كانـــت مهمتهم الرئيسية تسجيل وتدوين كل ما يرد الى خزينة الدولة من أمـــوال الضرائب التى يقوم بجمعها الجباه من الرعية ، ثم رفع ما دونوه منهـــا الى السلطان عند تسليم هذه الأموال اليه تمهيدا لوضعها فى الخزانـة السلطانية العامة فى المقرانة (٢٨) ، وغالبا ما يكون السلطان هو الذى يستدعيهم عقب وصول أمراء المناطق لأداء ما جمعوه من أموال ، فيستدعى الكتـــاب اليه ربما ليطابق ما وصل اليه وما هو مدون عند هؤلاء الموظفين (٢٩) ويرأس هؤلاء الكتاب : الناظر : الذى هو فى نفس الوقت مستوفى المدينـــة (٣٠) ، ويطلق عليه أيضا عامل الديوان السلطانى (٣١) ، والناظر هو من ينظر فـــي الأموال ويرفع اليه حسابها فيمضى ما يمضى ويرد ما يرد ، وهو لفظ امّـــا مأخوذ من النظر الذى هو رأى العين لأنه يدير نظره فى أمور ما ينظر فيه ،

---

(٢٨) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٢ ب

(٢٩) الفضل المزيد ، ص ١٥٣

(٣٠) الفضل المزيد ، ص ١٧٥

(٣١) الفضل المزيد ، ص ١٨٨ - ١٨٩

وامّا من النظر الذى هو بمعنى الفكر لأنه فيما فيه المصلحة.(٣٢)

أما المستوفى : فهو الرجل يبعثه السلطان ليقبض المال من العمال ويستخلصه منهم ، كما يضبط الديوان وينبه على ما فيه المصلحة من استخراج أمواله ونحو ذلك (٣٣) ، وبهذين التعرفين يتضح لنا أن رؤساء الديوان فى الدولة الطاهرية يباشرون الاشراف على الكتاب وعلى الديوان عموما وكذلك يقومون بجمع الأموال من الرعية باشرافهم وهم بذلك يؤدون عملية مزدوجة الاشراف والاستيفاء وغالبا ما يلى هذه الوظيفة ممن لهم خبرة ودراية سابقة فى الأمور المالية ، ولذلك كانت تعتبر هذه الوظايف تكاد تكون قاصرة على أسر معينة تتوارثها أبا عن جد ، ومن هذه الأسر بيت الجلاد ، والأحمر ، والحرازى ، والذيح ، فعندما توفى القاضى شرف الدين أبو القاسم بن محمد بن الجلاد ، مستوفى مدينة زبيد وناظرها فى ربيع الآخر سنة ٩٠٥ هـ ، ولى مكانه فى وظيفته ابنه محمد وهو فتى يافع لم يتجاوز عمره آنذاك خمسة عشر عاما ، (٣٤)
فلما توفى الأخير سنة ٩١١ هـ خلفه أيضا أخوه القاضى فخر الدين أبوبكر بن أبى القاسم فى وظيفته.(٣٥)

---

(٣٢) الشرباصى : أحمد ، المعجم الاقتصادى الاسلامى ، ص ٤٧٢ ، بيروت ، ١٤٠١ هـ

(٣٣) المعجم الاقتصادى الاسلامى ، ص ٤١٨ ، ص ٤١٩

(٣٤) الفضل المزيد ، ص ١٣٣.

(٣٥) الفضل المزيد ، ص ١٨٨ ، ص ٢١٠.

وهؤلاء المستوفون هم أكثر رجال الدولة احتكاكا بالرعية ، وبحكم علمهم الذى يستدعى منهم أن يكونوا أكثر معرفة بأحوال الرعية الاقتصادية ، ومعرفة الأراضى الانتاجية لجمع العشور منها ، ويبدو أن هؤلاء العمال فى الديوان يتبعون الاجحاف بحق المزارعين فى جمع الزكاة منهم ، اذ أنهم يحاسبونهم بأسعار مرتفعة بصرف النظر عن أسعارها وقت الحصاد مما يلحق خسائر فادحة بهم ، وضياع جهد أصحاب الأراضى الزراعية الذين أمضوا فترة طويلة فى زراعة محاصيلهم للكسب ، فيأتى عمال الدولة فى النهاية فيفرضون عليهم ما يشاؤون من أموال ، واذا عجز المزارع عن تسديد ما عليه ، فانه يؤخر الى السنة التالية ، ويسمى هذا من البواقى [(٣٦)] وتستمر هذه البواقى الى مالا نهاية ، ففى سنة ٩٠٥ هـ ،أمر السلطان عامر بن عبد الوهاب باسقاطها وهى المتبقية من سنة ٨٩٣ هـ الى التاريخ المذكور ، وكان ذلك منه بعد القبض على خاله الشيخ عبد الله ابن عامر ، كما أنه أمر عماله من تلك السنة بعدم الزيادة فى الأسعار للأشياء المقبوضة من الرعية وألزمهم تقدير سعرها يوم قبضها لا على أساس الأسعار السابقة . [(٣٧)] ولعل الدولة لجأت الى أسلوب البواقى

---

(٣٦) الفضل المزيد ، ص ١٣٨ (والباقى كما عرفه الخوارزمى ما هو باق على الرعيه لم يستخرج بعد) ،الخوارزمى : محمد بن أحمد بن يوسف ، مفاتيح العلوم ،ص٤٠ ، ط٢ ،القاهرة ، (١٤٠١ هـ - ١٩٨١م) .

(٣٧) الفضل المزيد ، ص ١٣٨ .

هو ضمان الدخل الثابت للخزانة السلطانية ، بصرف النظر عن الانتاج الحقيقي للأرض ، وتحميل أصحاب المزارع فوق ما يطيقونه ، ومن المعروف أن كثيرا من هذه المزارع تعتمد بالدرجة الأولى على الغيث ، ويتوقف نمو النبات عليه كثيرا ، ويحدث أن تتأخر الأمطار عن موعدها فيقل الانتاج منها ، وفي بعض الأحيان يكون المطر شديدا ، ويتلف لهم ما كان مزروعا ، وهنا أيضا يقل الانتاج ، والمقصود من هذا الايضاح هو بيان أن الدولة ممثلة في المستوفي أو الضامن ،كانت لا تنظر الى المنتوج الحقيقي للأرض على أنه مورد متغير ، وانما هو انتاج ثابت وفي كل الظروف ، وعليه فان على المزارع أداء ما قرر عليه ، وان كان قد قل انتاجه ، فانه يؤخر الباقي عليه الى المحصول القادم وتستمر هكذا الى أن يصدر بشأنها السلطان أي قرار.(٣٨)

أما مناطق الخراج أو العشور : فهي كل مدينة فيها أمير ، فان فيها مستوفون ، ولم نجد تفاصيل كثيرة عن مناطق عملهم ، وبالرجوع الى ما كانت عليه الدولة الرسولية وحسب التقسيم الاداري الذي كانت تتبعه فاننا نلحظ أنها كانت مقسمة الى مناطق هي :

١ - قسم البلاد الجبلية وتحوي على جهتين :

أ - الجهة الأولى وهي الجبل الأعلى وتسمى البلاد العليا وهي طولا من شرقي حضرموت الى بلاد الطويلة ، وشرقا ملحان وعرضا حقل قتاب وجنوبا الى بلد بيشه .

---

(٣٨) الفضل المزيد ،ص ١٣٨ .

ب ـ الجهة الثانية وهى المعروفة باليمن الأخضر وهى مدورة الشكل ولها من الأعمال الجهة اليحصبية وريمان وبنى سيف ، وبنى شرجه .

٢ ـ القسم الثانى البلاد السهلية وهى تهامه وتوابعها .

٣ ـ القسم الثالث المناطق الساحلية والتى توجد فيها الموانىء (٣٩) .

وهذا التقسيم الذى نراه فى الدولة الرسولية ، وهو ان كان يدل على الشمولية فى التقسيم ، فان الدولة الطاهرية فى عصر السلطان عامر ابن عبد الوهاب قد جزأت هذه الأقسام الى وحدات كثيره ، بحيث جعلت لكل مدينة من المدن الرئيسية مستوفيها الخاص ، وكتابه ، وكلهم يخضعون لأمير المدينة فعدن وزبيد وتعز وصنعاء (٤٠) ، هى المناطق التى ذكرت المصادر أن السلطان عامر جعل لكل منها مستوفيا ، وليس من شك أن المناطق الأخرى كاب وجبله وذمار ورداع وجبن والمقرانه وبقية المدن اليمنية الأخرى ، كانت لها نفس التنظيم الذى للمدن الأولى ، ومعنى هذا التحكم فى الموارد المالية للدولة بشكل أدق ، وفصل الايرادات عن بعضها لمعرفة ما تغله كل مدينة وتوابعها على حده ، ومعرفة النقص والزيادة من الموارد لكل منها ، ولم يكن الديوان قاصرا

---

(٣٩) الحبشى : عبدالله بن محمد ، حياة الأدب اليمنى فى عصر بنى رسول ، ص ٣٣ ، ٨٤ ، دمشق ١٩٨٠م .

(٤٠) الفضل المزيد ، ص ١٧٥ ، ص ١٩٦ ، ص ٢٢٥ .

على الناظر والمستوفى والكاتب ، فهناك المشارف (٤١) ، ومن مهام أعماله أن يكتب على الوصولات وعلى الحساب (٤٢) ، وهو الذى يحفظ الحواصل من فضة وذهب وعدد وآلات وصنج القبار ، كما يقوم بختم الأقداح وتحرير عيارى الذهب والفضة والمقابلة بالحساب مع التوقيع بخطه على ذلك (٤٣) ، وينفرد عمله عن الناظر بأنه مطلوب بالحاصل ومخاطب عليه ، ومما يجدر ذكره أن هذه الوظيفة لم يرد ذكرها الا مرة واحدة فى المصدر المعاصر وهو ابن الديبع وفى وقت متأخر ، اذ أنه وليها القاضى عفيف الدين عبد الله بن على الحرازى وذلك فى جمادى الأولى سنة ٩١٣ هـ ، وبعدها ينقل القاضى المذكور ليتولى وظيفة الاستيفاء فى مدينة تعز (٤٤) . ولم نجد لها ذكر ، وهو يفسر أن السلطة المطلقة فى الديوان هى لمتولى الاستيفاء العام فى كل مدينة ، وان وظيفة الشارف كانت وظيفة طارئة ثم انتهت .

والى جانب هؤلاء السابق ذكرهم ، توجد وظيفة الضمان : ويطلق على متوليها الضامن وهم على نوعين :

---

(٤١) الفضل المزيد ، ص ٢١٠

(٤٢) لاشين : محمود المرسى ، التنظيم المحاسبى للأموال العامة فى الدولة الاسلامية ، ص ٩٠ ، بيروت ١٩٧٧ .

(٤٣) الشرباصى ، المعجم الاقتصادى الاسلامى ، ص ٤٢٤

(٤٤) الفضل المزيد ، ص ٢١٠ ، ص ٢٢٥ .

١ - ضامن عشور الزكاة للثمار .(٤٥)
٢ - ضامن عشور التجـــــارة .(٤٦)

ويعين الضامن من قبل السلطان مباشرة مقابل التعهد بدفع مبلغ معين لخزينة الدولة .

وليس لدينا مبالغ محدده للضمان ، كما أنه يلاحظ أن المصدر لم يبين الا مكانين يكون فيهما مثل هذا الضمان أولهما ضامن القيصارية فى زبيـــد ، وتعتبر هذه المدينة بوابة التجارة البرية القادمة من شمال البلاد سواء الحجاز أو ميناء الحديدة أو غيرها من المناطق اليمنية ، وكان المتولى عليها هـــو محمد بن نوح اذ أنه وليها منذ سنة ٩٠٥ هـ ثم عزل عنها بابن عمـــــه الأشرف بن سعيد بن نوح فى نفس السنة المذكورة ،(٤٧) ولكن الأول رجـــع الى وظيفته هذه وليس لدينا تاريخ محدد لرجوعه الا أن المصدر ذكـره فى حوادث سنة ٩١٧ هـ عندما قدم الشيخ اسماعيل بن محمد الجبرتـى الى زبيد بتجارة جلبها معه من مكه فترصد له الضامن المذكور ، وأغـــرى أمير البلد باغلاق أبواب المدينة حتى يستوفى منه عشور التجارة ، لـــولا أن الأخير رفض هذا الاجراء ولجأ الى السلطان الذى أمر بتخفيض ما عليه من عشور ومسامحته فى خمسمائة دينار .(٤٨)

---

(٤٥) الفضل المزيد ، ص ١٣٥ ،ص ٢٥٤ ، ص ٢٥٥

(٤٦) الفضل المزيد ، ص ١٣٩ ، ص ١٤٠ ، وما بعدها .

(٤٧) الفضل المزيد ،ص ١٣٥

(٤٨) الفضل المزيد ،ص ٢٤٠ - ٢٤١

أما الجهة الأخرى لمنطقة الضمان التجارى فهى البلاد الجنوبية ، والمقصود من هذا الاصطلاح هى المناطق التى تقع جنوب زبيد وتمتد الى موزع وتشمل أيضا الموانىء المطلة عليها بما فيها ميناء البقعة الذى يعتبر فى نفس الوقت ميناءا لزبيد (٤٩) ، وقد تولى هذه الجهة موسى بن معوضة قرماد ، ويبدو أنه وليها منذ وقت مبكر الى حين وفاته سنة ٩١٧هـ بقرية الحلبوبى بعد جمعه للأموال فى هذه الجهة ، فما كان من رجال الدولة المصاحبين له الا أن أخفوا موته وساروا به الى موزع وسلمت أموال الدولة الى المسئولين هناك (٥٠) .

أما القسم الآخر وهو ضمان زكاة الثمار فقد كانت مناطق عملهم متعددة ولكل ضامن مناطق محدودة يتولى ضمانها ، وفى طليعة هذه الأماكـــن نخل وادى زبيد الذى أصبح يمثل دخلا هائلا للدولة الطاهرية ، وقد عد النخل فى زمن الملك المجاهد سنة ٨٦٠ هـ ، فكانت تعداده ١٢٠ ألف نخله ، والذى تستخرج منه الدولة الزكاة نحو مائة ألف نخلة .

أما البقية فقد كانت معفية منها خمسة عشر ألف نخله لبنى عجيل ، والباقى للصوفية (٥١) ، والسبب فى هذا الاعفاء أن فقهاء بنى عجيل والمشايخ

---

(٤٩) الفضل المزيد ، ص ٢٤١

(٥٠) الفضل المزيد ، ص ٢٤٢

(٥١) بغية المستفيد ، ص ١٢٥

الصوفية كانت لهم زعامة على أتباعهم ويحتاجون الى الأموال الضخمة للانفاق عليهم من ريع النخل فيصرفونه على فقرائهم المرابطين معهم فى المساجد والزوايا الخاصة بهم وهم أعداد كبيرة اذ أن لكل شيخ طريقة صوفية خاصة مثل الطريقة القادرية ، والطريقة الشاذلية والطريقة المغربية والطريقة الرفاعية وغيرها من الطرق الصوفية الكثيرة المنتشرة فى اليمن آنذاك (٥٢) ، وقد عرف عن الدولة الطاهرية احترامها وتقديرها للصوفية ومشايخها ولذلك اثرت الا يضايقهم رجالها بطلب الزكاة منهم ، وانما تركوها لهم يصرفونها كيفما شاؤوا (٥٣) ، أما النخل المفروض عليه الزكاة فقد كان يتولى جمعه فى البداية أمراء زبيد وهناك نص أورده ابن الديبع يقول : " وأعلم أن الملوك بنى طاهر مدة ولا يتهم أدامها الله تعالى فى كل سنة يجعلون مخرجا الى نخل المدنى نخل المعازبة سواء كان المعازبة مخالفين أو مؤالفين ويقطعون من ثمره ، وربما قطعوا بعض أصولها فى بعض السنين فلا نشغل به التاريخ اذ ليس فيه فائدة أكثر من العلم به " (٥٤) .

---

(٥٢) الحبشى ، الصوفية والفقهاء فى اليمن ، ص ٣٣ ، ٣٤ ، صنعاء ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م .

(٥٣) الأهدل : بدر الدين حسين بن أبى القاسم بن أبى بكر ، كشاف القناع فى معرفة أحكام الزراع ، ورقه ٢٣ ب - ٢٤ أ ، مكتبة الأحقاف بتريم ، مجموعة آل يحى .

(٥٤) بغية المستفيد ، ص ١٢٥ .

وقد تولى جمع زكاة النخل فى بداية تولى السلطان عامر بن عبد الوهاب الحكم أمراء زبيد من سنة ٨٩٧ - ٩٠١ هـ ويلاحظ أنه فى فترة المحصول يصطحب هو والمسئولون جموعا كثيرة من الجند خوفا من حدوث ما يعرقل هذه المهمة (٥٥) من المعازبة المستوطنين هناك .

ثم بعد ذلك أصبحت هذه المسئولية تناط برجال الضمان الذين يتعهدون بدفع مبالغ كبيرة فى مقابل هذه العشور التى تؤخذ من نخل وادى زبيد ، ويبدو أن مبالغ ضمان النخل كانت ثابته ، ففى سنة ٩١١ هـ ضمن أحمد بن على مقترعات عاشرة نخل وادى زبيد بأربعين ألف دينار وفى سنة ٩١٦ هـ ضمنها الصديق بن اسماعيل الهرمى أيضا بنفس المبلغ المذكور (٥٦) ، والفرق بين التاريخين هو خمس سنوات مما يدلنا أن مبلغ الضمان لهذه الناحية هو مبلغ ثابت تقريبا ، ولضخامة هذا المبلغ فان الضّمان كانوا لا يتورعون عن الظلم الفادح لأصحاب النخل ، بل بعضهم يتجاوز المسامحات التى يعطيها السلطان لبعض الفقهاء والصوفية ، ويطالبهم بالعشور وذلك لسد النقص الذى يعانيه الضامن عن استيفاء حقوقه ، ففى سنة ٩١١ هـ ضمن أحمد بن على هذه الجهه بالمبلغ السابق ذكره ، ومن سوء حظه صادف أن هطلت

---

(٥٥) بغية المستفيد ، ص ٢٠٠ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٧٦ ب

(٥٦) الفضل المزيد ، ص ١٨٩ ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩

أمطار غزيرة على زبيد وتسببت فى اتلاف التمور قبل حصادها ، فما كان من الضامن المذكور الا أن أخذ يمعن فى الظلم لملاك هذا النوع من الشجر حتى يستخرج منهم مبلغ ما ضمنه اضافة الى ما كان يتوقعه من مكاسب (٥٧)، ولم تزودنا المصادر برد الفعل من جانب الدولة ، مما يدلنا أنه لا يهمنا فى النهاية الا المبلغ المطلوب سواء بالقوة أو الظلم أم بعكسه .

أما المنطقة الثانية من مناطق الضمان فهى وادى زبيد وقد تولاها أشخاص متعددون ما بين سنتى ٩٠٥ هـ - ٩١٤ هـ (٥٨) ، ولم تسعفنا المصادر بأية مبالغ للضمان عن هذه الجهة والمعروف أن وادى زبيد كانت أهم انتاجه الحبوب ، وهو ما يعبر عنه فى المصادر اليمنية بالطعام الذى يمثل الغذاء الرئيسى لأهل هذه المنطقة ، وله ثلاثة مواسم فى السنة وكما يطلق عليه صيفى وخريفى ، وربيعى (٥٩) ، مما يستدعى الولاة أو الضمان أن يكون خروجهم متكررا فى السنة الواحدة لجبى الزكاة من هذه المزارع الممتدة على وادى زبيد . ثم يأتى بعد منطقة وادى زبيد عدة مناطق تكون مجالا لعمل الضمان ، وهى المنطقة الشامية أو المناطق التى تقع شمال زبيد ، ويمكن أن نقسمها الى ثلاث جهات رئيسية هى :

---

(٥٧) الفضل المزيد ، ص ١٨٩

(٥٨) الفضل المزيد ، ص ١٤٠ ، ص ٢١٦

(٥٩) أبو مخرمة ، عبد الله بن أحمد ، فتاوى أبو مخرمة ، ورقه ٥٧ أ ، مكتبة الأحقاف بتريم مجموعة آل يحى .

١ - وادى فشال وذؤال وهما بين بيت الفقيه ابن عجيل وزبيد .(٦٠)

٢ - منطقة بيت الفقيه ابن عجيل وما يتبعها .(٦١)

٣ - المناطق التى تلى بيت الفقيه من الشمال وتمتد لتشمل كل القرى والأودية حتى حرض ومن بينها وادى مور .(٦٢)

وقد تعاقب على هذه الأماكن ضمان كثيرون فيما بين سنتى ٩٠٥هـ - ٩١٨ هـ - وفى بعض الأحيان يكون أمير المناطق الشامية هو الضامن لها ، مثلما حدث للأمير محمد بن عبد العزيز الحبيشى سنة ٩١٢ هـ ، اذ تولى ضمان هذه الولاية وهو فى نفس الوقت أميرها ،(٦٣) مع ملاحظة أن الضمان فى هذه الجهات يكون على الزروع فقط ، أما المواشى وعلى رأسها الخيول فقد كانت الدولة ممثلة فى الأمير بنفسها تشرف على جمعها وهى من المهام الرئيسية لأمير زبيد .

---

(٦٠) الفضل المزيد ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ ، وفشال أم قرى وادى رمع وبينها وبين زبيد نصف يوم ، معجم البلدان ، المجلد الرابع، ص ٢٢٦ ، أما ذؤال أم بلاد القحمة بليده شمال زبيد بينها فشال ، معجم البلدان ، المجلد الثالث ، ص ٨ .

(٦١) الفضل المزيد ، ص ١٤٠

(٦٢) الفضل المزيد ، ص ١٣٩ ، ومور أحد مشارف اليمن الكبار وهو رأس تهامه الأعظم ، واليه يصب أكثر أودية اليمن ، معجم البلدان ، مجلد ٥ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٦٣) الفضل المزيد ، ص ١٩٤

كما يلاحظ أن الدولة الظاهرية كانت تعضد الضمان بالفرسان المدججين لمساعدتهم في جمع الزكاه ، ويكون هؤلاء الفرسان معهم لمعاقبة كل من يمتنع عن أداء ما عليه ،(٦٤) أما من يهرب من مكانه كي لا يناله رجال الدولة ، فقد كانت تعمد الى أقربائه ، وخاصة أولاده ونساءه فتقبض عليهم حتى يأتي بنفسه ، ويسلم كل ما هو مطلوب منه(٦٥)

والضامن حينما يتعهد بدفع مبالغ معينة لخزينة الدولة عن جهة من الجهات ، لا يعني ذلك أنه يستطيع أن يستخرج كل ما ضمنه من المنطقة المضمونة ، بل قد تأتي بنتائج عكسية وأحيانا يضطر الى بيع كل ما يملكه ليفي بمال الضمان ، ففي سنة ٩٠٩ هـ ، قام الأمير ريحان الظافري والي زبيد بتقييد الضمان وهم عمر العقد ، ويحي النجم وابن قرماد ، والصديق بن أحمد بن سعيد وغيرهم ، وطالبهم بأموال الضمان ، فاضطر يحي النجم لبيع بيته كما رهن الصديق بن أحمد هو الآخر منزله مقابل قرض اقترضه من أناس ، ليسلم ما عليه لأمير زبيد(٦٦) ، ولولا ذلك لربما أن الأمير صادر عليهم أموالا جمه في مقابل الضمان .
كما أن هناك نوع آخر من الضمان ، وهو ضمان دار الضرب ، ويبدو أن

---

(٦٤) الفضل المزيد ، ص ١٣٩ .

(٦٥) الفضل المزيد ، ص ١٤٥ .

(٦٦) الفضل المزيد ، ص ١٧٦ .

الدولة الطاهرية كانت تعتمد على دار ضرب واحدة ومقرها زبيد ، وقد كان يتولى هذه الدار شخص يطلق عليه شيخ دار الضرب [(٦٧)] ، ومهمته سك العملة الطاهرية من دنانير ودراهم [(٦٨)] ، وفي البداية كان السلطان عامر يعين على دار الضرب من يقوم بالاشراف على شئونها وهو شيخ دار الضرب كما سبق ، الا أنه في سنة ٩١٦ هـ ، تولى ضمانها ابن عين الغزال بثلاثة آلاف دينار [(٦٩)] ، ولم تعد بعدها نسمع عن دار الضرب وموظفيها .

ومما يجدر ذكره أن شيخ دار الضرب ، أو ضامن دار الضرب كثيرا ما يتعرض للعقاب بسبب نقص العملة السلطانية في زبيد ، وكما سنوضح ذلك في الفصل الرابع الحياة الاقتصادية .

والى جانب الموظفين الذين يجمعون الايرادات العامة للدولة يوجد هناك موظفون خاصون للاشراف على الأملاك السلطانية وهم على قسمين :

١ - قسم يدير التجارة الخاصة بالسلطان ومركزها عدن .

٢ - وقسم يدير الأراضي الزراعية وما يتعلق بها ومركزها زبيد .

---

(٦٧) بغية المستفيد ، ص ١٨٩ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٨٢ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٨٤ ب .

(٦٨) الفضل المزيد ، ص ١٣٥ .

(٦٩) الفضل المزيد ، ص ٢٣٢ .

ولكل من هذين القسمين نشاطه الخاص فى مجال عمله ، فبالنسبة للقسم الأول يطلق على المتولى للأعمال التجارية الخاصة بالسلطان عامر بن عبد الوهاب ، ناظر مدينة عدن (٧٠) ، أو وكيلا لدار صلاح (٧١) ، ومن المعروف أن أسرة بنى طاهر أسرة تجارية قبل أن تستولى على حكم اليمن ، وقد دعمت سيطرتها على التجارة بعد ولايتها ، وقد كان للسلطان عامر مراكب تجارية تجوب بحار المحيط الهندى (٧٢) تبيع وتشترى فى شتى أنواع البضائع (٧٣) المعروفة آنذاك ، وكان لا بد من تسويقها حين تصل الى اليمن وفى دار صلاح بالذات، فيقوم الوكلاء ببيعها للتجار من شتى أنحاء اليمن الذين يتوافدون الى هذا المكان ، ويأخذون منه ما يشاؤون من بضائع بالنقد أو بالأجل وهذه تخضع لاجتهاد من الوكلاء فى دار صلاح فى تصريف أكبر قدر ممكن من عروض التجارة الموجودة لديهم ، وهذا التصرف قد يؤدى الى نتائج عكسية على هؤلاء المتصرفين فى الدار وربما تؤدى الى عزلهم من مناصبهم نتيجة لوجود كثير من أموال المتجر السلطانى فى ذمة الناس الذين استدانوا منه (٧٤) .

(٧٠) الفضل المزيد ، ص ١٢٧

(٧١) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٨٧ أ .

(٧٢) الفضل المزيد ، ص ٢٨٣ - ٢٨٤ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٠٠ أ - ٦٠١ ب ، روح الروح ، ورقه ١٦ أ .

(٧٣) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٨٧ أ

(٧٤) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٨٧ أ

أما القسم الثاني فيتعلق بادارة الأملاك السلطانية العقارية وحصر عائداتها كأموال خاصة للسلطان ، ويتولى هذا القسم ناظر الأموال السلطانية " الأمور السلطانية أو مباشر الحلال (٧٥) ، (٧٦) ومهمته فيما بيد و الاشراف المباشر على الأملاك السلطانية وحصر عائداتها وبيع غلالها ان كانت من المزروعات ، وتسلم للسلطان الأموال نقدا بعد ذلك (٧٧) ، وفي بعض الأحيان يقوم الناظر على الأموال السلطانية بشراء جميع منتوجات الأراضي الزراعية العائدة للسلطان ، ومن ثم يقوم هو ببيعها في الأسواق ليحصل على بعض الأرباح الخاصه به (٧٨) .

وقد ولى ولاية النظر في بداية عهد السلطان عامر القاضي شرف الدين الأحمر ومن بعده أبناءه ولكنهم فصلوا بالشهاب أحمد الذيح بن عبد القادر السباك سنة ٩٠٨ هـ ، (٧٩) غير أن الأخير توفي في مدينة تعز سنة ٩١٢ هـ ، ويبدو أنه مكث هناك تحت الاقامة الجبرية من قبل السلطان ، فلما توفي أرسل والي تعز الفقيه عبد الكريم بن علوان الى أمير زبيد وكتابها يعلمهم بوفاته ، فبادر المسئولون في زبيد وبمشهد

---

(٧٥) الفضل المزيد ، ص ١٦٧

(٧٦) الفضل المزيد ، ص ١٢١

(٧٧) الفضل المزيد ، ص ١٥٣

(٧٨) الفضل المزيد ، ص ١٣٩

(٧٩) الفضل المزيد ، ص ١٦٧ .

من قاضيها أحمد بن عمر المزجد الى منزل المستوفى وعومل أهلـــه معاملة سيئة من قبل كتاب الديوان وهجموا على بيوته قبل اعلام أهلـه بموته ، وأحصيت جميع ممتلكاته سواء فى المنزل أو فى متاجره التى يملكها ، وختمت بختم الدولة حتى لا يتصرف فيها ورثته قبل تحصيل المبالغ التى للسلطان على الميت ، ولم يرضى هذا التصرف ابن شهاب الذبـــح المدعو سليمان ، فتوجه الى السلطان عامر الذى كان يقيم فيما يبدو فى المقرانة ، وأطلعه على ما جرى لهم من الكتابه فأمر السلطان ولاتــه ، برفع الحظر عن أموال الذبح وتركها لورثته ، بعد أن ضمن سليمـــان ابن الشهاب أحمد الذبح مبلغ ستين ألف دينار كانت على والـــده للسلطان. (٨٠)

وبعد وفاة الذبح ولى المباشرة فى أمور الحلال أحد ماليـك السلطان ويدعى عبد القادر فرج النجاشى الذى استمر الى سنة ٩١٥ هـ ولكن الأخير عزل عنها وتولى بدلا منه محمد بن عمر عرمش الذى اكتشف فيما يبدو اختلاسات قام بها سلفه ، ورسم على كاتب النجاشى محمد بن ابى بكر المصرى ، وطالبه بدفع ثمانية آلاف دينار نتيجة لهذه الاختلاسات (٨١)

---

(٨٠) الفضل المزيد ، ص ٢٢٢

(٨١) الفضل المزيد ، ص ٢٢١

٥ - الجنـــــد

سلكت الدولة الطاهرية منذ عهد الظافر عامر الأول وأخيه المجاهد منذ البداية على الاستعانة بالقبائل العربية ، وتجنيدها لصالحهم ، واستمرت هذه سياسة لكل من يلى الحكم فى الدولة الطاهرية. (٨٢)

وكان التركيز على القبائل المستوطنة فى المناطق العليا ، خاصة القبائل القاطنة فيما يلى تعز واب ورداع ، وتشكل هذه عماد الجيش الطاهرى ، وعليها المعول فى كثير من الحملات التى كانت تشنها على أعدائها ، وذلك فاننا نجد أسماء الأمراء الذين يتولون القيادة على الجيش تنتهى أنسابهم الى احدى هذه القبائل أمثال الأمير محمد بن عيسى البعدانى ثم من بعده ابنه على بن محمد ، وعلى بن شجاع العنسى والشجاع بن محرم العنسى ، وعبد الحق النظارى وعمر بن مفتاح الجبنى والشريف عبد الله بن سفيان وغيرهم كثير ، ولعل هذه الدولة أرادت أن تجنب نفسها مأزق الاستعانة بالجند المماليك كجنود رئيسيين فى الدولة ، لقد شهد مؤسسوها تلك النتائج التى آلت اليها الدولة الرسولية وما يشكله هؤلاء من عبء ثقيل على الدولة التى كانت تستعين بهم ، فآثرت أن تعتمد بالدرجة الأولى على السواعد اليمنية القوية فى المناطق الجبلية ، (٨٣)

(٨٢) الفضل المزيد ، ص ٢٧٧ ، قرة العيون ، ورقه ٢ ، ص ٢٢٣

(٨٣) الفضل المزيد ، ص ٢٧٧ ، قرة العيون ، ورقه ٢ ، ص ٢٢٣

والاستعانة أيضا بقبائل تهامة عند الضرورة أيضا [(٨٤)]، ويبدو أن هناك أعداد قليلة من هذه القبائل مجندة على الدوام ولها مرتباتها الخاصة بها فاذا ما دعت ضرورة الى جمع أكبر عدد ممكن ، فان السلطان عامر يصدر أوامره لقادته يجمعهم لكي تكون تحت أهبة الاستعدادات لخوض المعارك المهمة التي يضطر اليها ، وأبرز مثال على ذلك هو ما حدث سنة ٨٩٤ هـ ، حينما تمرد عليه أخواله أبناء الظافر عامر الأول ، فتمكن السلطان عامر أن يجمع حوله قرابة عشرين ألف مقاتل [(٨٥)] ، وأن يضرب بهم خصومه السياسيين ،كما يستنتج في ذلك أيضا أن هذه القبائل لا يصرح لها بأعمال السلب والنهب مقابل انتصارهم على أعدائهم، فعندما انتصر على أخواله في جبن ، منع جنده من النهب ، وكلفهم برد ما نهبوه ، كما أمر باحصاء الأموال الخاصة بقرابته الثائرين وتسليمها له [(٨٦)].

ومن هذا يتضح أن الدولة الطاهرية كانت تعطيهم الأموال الجزيلة لقاء خدماتهم كما أن هناك مثال آخر ، كدليل لما سبق أن ذكرناه ،فعندما أراد السلطان عامر أن يوسع نفوذه في المناطق

---

(٨٤) الفضل المزيد ،ص ١٨٠ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٠٧

(٨٥) بغية المستفيد ، ص ١٨٦ ، قلادة النحر ،جـ ٣ ،ورقه ٨٤ أ ، اليمن عبر التاريخ ، ص ٢٣٧

(٨٦) الفضل المزيد ، ص ١٨٧ .

الزيدية وخاصة صنعاء ، انتشر قادته في القبائل وعبئت جموعا كبيرة منها ، بحيث ذكرت المصادر مع مبالغتها أن مجموع الجند عند حصاره سنة ٩١٠ هـ (٨٧) ، بلغ مائة وسبعين ألفا من المحاربين ، فلما فرغ من فتحها أذن السلطان للقبائل بالرجوع الى أوطانهم وأعطاهم الجوائز السنية مقابل اشتراكهم معه في فتح صنعاء (٨٨).

ومما يجدر ذكره أنه صادف أثناء حصار صنعاء سنة ٩١٠ هـ وجود أحد الرحالة الغربيين في الأسر وهو دي فارثيما ، وقد قدر هذا الرحالة تعداد الجيش المصاحب للسلطان بأنه بلغ ثمانين ألفا ومن بينهم ثلاثة آلاف مملوك من الأحباش يكونون كحرس خاص للسلطان (٨٩).

الا أن ما ذكره فارثيما عن مماليك السلطان ربما فيه بعض اللبس، اذ لم نجد ما يؤيد قوله في المصادر اليمنية ، ومرد ذلك ، أن هؤلاء المماليك قد يكونون من بقايا الدولة الرسولية ، انضموا الى الجيش الطاهري مع من انضم اليه في القبائل وليس هذا نفيا لوجود حرس خاص للسلطان من الأحباش ، ولكن هذا التعداد لا يمكن أن يصل الى الواقع،

---

(٨٧) الفضل المزيد ، ص١٨٢ ، قرة العيون ، ق٢ ، ص ٢٠٨ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٦ أ ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص٦٣٣ ، جامع المتون ، ٦٦ ب ، ٦٧ أ ، اللطائف السنية ، ورقه٥٦ أ

(٨٨) الفضل المزيد ، ص١٨٧

(٨٩) المحامي : محمود كامل ، اليمن شماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية ، ص ١٩٨ ، بيروت ، سنة ١٩٦٨م ،
بيرين : جاكلين ، اكتشاف جزيرة العرب ، ص ٤٩ ، بيروت بدون تاريخ .

والا لاعتمد عليهم السلطان عامر بن عبد الوهاب في حروبه ضد الحملة المملوكية سنة ٩٢٢ هـ ، بدلا من اعتماده على القبائل اليمنية التي أظهرت بوادر التخاذل من جانبهم في مواجهة مماليك مصر ، ولما استبدل بهذه القبائل أيضا بمقاتلين من المهرة (٩٠) لتحل محل قواته المعتمد عليها سابق الأيام ، مما يؤيد ما ذكرناه آنفا .

وهناك تقسيمات بسيطة لقادة الجيش ويأتي في مقدمتهم الأمير وهو الذي يقود الحملات الكبيرة سواء كقائد مرسل من قبل السلطان أو أمير لمدينة ما . ثم يأتي بعده النقيب (٩١) ومهمته حماية الحصون سواء في المدن أو في القرى الثانية ، ويرأس عددا محدودا من الجند لا يعرف عددهم بالتحديد (٩٢) .

أما المقدم فهي رتبة عسكرية مؤقتة يستخدم هذا اللفظ على من يتولى القيادة لطائفة من الجند سواء كان أميرا أو نقيبا أو شيخا ، وحينئذ يطلق عليه مقدم العساكر (٩٣) .

---

(٩٠) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٠٢ أ

(٩١) بغية المستفيد ، ص ٢٠٤ ، الفضل المزيد ، ص ١٩٢ .

(٩٢) الفضل المزيد ، ص ٢٤٧

(٩٣) بغية المستفيد ، ص ١٢٢ ، ص ١٩٧ ، ص ٢٠٤

أما أنواع الأسلحة التي تستخدم في الجيش الطاهري فهي كغيرها من الدول التي تستخدم آلات القتال في العصور الوسيطة من سيوف ونشاب ودروع ورماح [(٩٤)] ، اضافة الى عدد آلات الحصار من مجانيق وليس لدينا وصف لهذه الآلة الأخيرة ، ولكن يطلق عليها في اليمن لفظ مدافع - أي التي تدفع الحجارة على الحصون لدكها [(٩٥)] ، ويبدو أن السلطان عامر بن عبد الوهاب قد بدأ بداية بسيطة في استخدام بعض الأسلحة الحديثة وأهمها البندق الذي ربما جلبه من المماليك ، وقد أدخله بشكل محدود ، وكان يطلق على حامله بندقاني [(٩٦)] ، وقد ورد لفظ البندق لأول مرة في حوادث سنة ٩١٦ هـ في حملة الشيخ عبد الوهاب بن محرم العنسي في حملته على حصن المنقم في البلاد الشامية حيث ذكر أنه قتل منهم جماعة بالبندق والسيف [(٩٧)] ، ثم تأكد هذا في حوادث سنة ٩١٨ هـ عندما هرب جماعة من البندقانيين وعددهم احد عشر شخصا ، وكان هدفهم من هذا الهروب مغادرة اليمن نهائيا وهذا يدلنا على أن هناك محاولة متواضعة

---

(٩٤) بيرين ، اكتشاف جزيرة العرب، ص ٤٩

(٩٥) ابن مظفر : بدر الدين محمد بن أحمد، الترجمان المفتح لثمرات كمائم البستان ، ورقه ١٠١ ب ، المتحف البريطاني رقم Add. 18,513

(٩٦) الفضل المزيد ، ص ٢٣٨

(٩٧) الفضل المزيد ، ص ٢٣٨

لادخال الأسلحة الحديثة الى اليمن ، ويبدو أنها كانت قبل سنة ٩١٦ هـ بقليل ، كما أن محاولة الهرب من قبل البندقانيين تعطي انطباعا بأن هؤلاء الجند لم يجدوا ما يعزيهم على البقاء في اليمن والاختلاف مع بقية الجيش الطاهرى فأرادوا أن يغادروها الى حيث تعرف مكانتهم ، ولكن محاولتهم باءت بالفشل اذ القى القبض عليهم في ميناء المدينة وأعيدوا الى زبيد حيث سجنوا بها[٩٨] ، ولم يعلم بعد ذلك مصيرهم ، وأن استخدام البندقية قد توقف بعد هذه الحادثة تقريبا .

أما عن تموين الجيش الطاهرى أثناء الحملات فكل مسئول عن الحملة هو المسئول عن تموين جنده ويطلق على ما يصطحبه من تموين سواء السلاح أو الغذاء - المحمل -[٩٩] أما اذا كان السلطان على رأس الحملة فانها تصرف تحت اشرافه المباشر ، ودون أن يتصرف أحد في هذا التموين سواه .[١٠٠]

وبالنسبة للحصون المنتشرة في اليمن ، فانه كان على كل أهل ناحية فيها حصن للدولة أن تقوم بتموين رجال الدولة بداخله مما يحتاجونه من غذاء وماء وتفتح هذه الحصون للأهالى وقت التموين ثم تغلق بعد الانتهاء من مهمتهم .[١٠١]

(٩٨) الفضل المزيد ، ص ١٢٠

(٩٩) الفضل المزيد ، ص ١٢٠

(١٠٠) الفضل المزيد ، ص ١٦٤ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٦٠٠ ب - ٦٠١ أ

(١٠١) الفضل المزيد ، ص ٢٤٧ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢١٤ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٧ أ

ثانيا - الوظائف الدينية

١ - القضاء

وهو من أهم المناصب الدينية وأخطرها فيه تنتظم أمور الناس وتحل مشاكلهم الاجتماعية التى تنشأ بينهم ، وقد أولته الدولة الطاهرية كامل عنايتها وأعطته من الرعاية ما تستحقه من الاهتمام ، ولذلك فاننا لم نجد أية مشاكل بين السلطة الحاكمة وبين القضاة وأية خصومة لأى سبب من الأسباب وهذا ما يؤكد لنا على انتظام عمل القاضى وعلى خير الوجوه.
ويأتى فى مقدمة مناصب القضاة ، منصب قاضى القضاة ، وقد كان يلى هذه الوظيفة منذ فترة طويلة بنو الناشرى بزبيد ، فقد ولى هذا المنصب منهم فى الدولة الطاهرية شيخ الاسلام عفيف الدين عبد الله بن الطيب الناشرى ت - ٨٨٢ هـ - وقد ولى المذكور هذا المنصب بعد والده الطيب الناشرى واستمرت الى وفاته سنة ٨٨٢ هـ . ثم ولى مكانه فيها أخوه شيخ الاسلام وجيه الدين عبد الرحمن بن الطيب الناشرى - ت ٨٩٤ هـ -(١٠٢) وقد ورد فى ترجمته أنه قد شغرت الوظيفة من بعده فلم يلها أحد(١٠٣) ، ولكنه يبدو أن المقصود بقول المصدر أنه لم يلها من بنى الناشرى بعد وفاة شيخ الاسلام المذكور أحد منهم ، وانتقلت وظيفة قاضى القضاة الى

---

(١٠٢) بغية المستفيد ، ص ١٥٥

(١٠٣) بغية المستفيد ، ص ١٩٢ .

الفقيه العلامة يوسف بن يونس الجبائي المقرئ الى تاريخ وفاته سنة ٩٠٤هـ (١٠٤)
وبعد هذا التاريخ شغرت الوظيفة حقيقه فلم يولى السلطان عامرا أحدا
من القضاه في هذا المنصب الى نهاية الدولة الطاهرية بمقتل الظافر
عامر سنة ٩٢٣ هـ .

ومن مهام قاضي القضاه تعيين قضاة المناطق والاشراف عليهم (١٠٥) ،
كما أن وظيفته لم تكن بالصورة التي عليها مثيله في مصر والحجاز ، اذ لم
نجد له فيما لدينا من مصادر اختصاصاته الكثيرة التي كانت لزملائه في
البلدان المذكورة والتي تتضمن الى جانب القضاء الاشراف على الأوقاف
ونظر الجوالي ونظر الخزانة وغير ذلك من الوظائف (١٠٦) .

وبعد وفاة قاضي القضاة يوسف بن المقرئ أصبح السلطان هو
المعول الأول في تعيين القضاه في مختلف المدن اليمنية ، وقد اتخذت
المدن العلمية الرئيسية الثلاث زبيد وتعز وعدن مكانة خاصة فكان ،
السلطان يحرص على أن يجعل فيها أحسن فقهاء تلك الفترة وأعلمهم ،
وقد تفوقت زبيد على سائر المدن اليمنية بهذا الاهتمام ، فبعد وفاة
يوسف المقرئ سنة ٩٠٤ هـ تولى قضاء زبيد القاضي محمد عبد السلام

---

(١٠٤) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٤٢ - ٢٤٥

(١٠٥) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٦٧ أ

(١٠٦) ماجد : عبد المنعم ، نظم سلاطين المماليك ورسولهم في مصر ، ص ٩٨ .

الناشرى من بعده ، فلما توفى المذكور سنة ٩٠٦ هـ أرسل السلطان الى القاضى أحمد بن عمر المزجد الذى كان قد ولاه قضاء مدينة عدن سنة ٨٩٩ هـ (١٠٧) ، فنقله الى زبيد (١٠٨) حيث ظل بها قاضيا طيلة عهد السلطان عامر بن عبد الوهاب.

وليس معنى هذا أن بقية المناطق لم تكن فى محل الرعاية القضائية ، بل أننا نجد أن السلطان يستدعى من يراه صالحا لهذا المنصب ويوليهم القضاء في المناطق التى يريد (١٠٩) . ولكل قاضى من هؤلاء حق اختيار نائبه ويطلق عليه نائب الأحكام الشرعية (١١٠) أو نائب الشريعة (١١١) ، وبما أن مذهب الدولة هو المذهب الشافعى لذلك جرت تعيينات السلطان لهؤلاء القضاة لكونهم من اتباع هذا المذهب ، ولم نجد من خلال النصوص المتوفرة لدينا من تعيين على المذهب الحنفى أو غيره من المذهب ، ويبدو أن من نواب القاضى الشافعى من يتمذهب الحنفى الذى يتقبل دعاوى المدعين من أتباع هذا المذهب، ففى حوادث سنة ٩١٧ هـ قتل شخص على يد آخر فاحضر المتهم الى

---

(١٠٧) بغية المستفيد ، ص ٢٠٧ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص١٩٠-١٩١.

(١٠٨) الفضل المزيد ، ص ١٤٢ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص٢٠٢ ، قلادة النحر ، ج ٣ ، ورقه ٥٩٤ أ

(١٠٩) الفضل المزيد ، ص ١٤٢ - ١٤٣ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٠٢ ، قلادة النحر ، ج ٣ ، ورقة ٥٩٤ أ

(١١٠) بغية المستفيد ، ص ١٥٣

(١١١) الفضل المزيد ، ص ٢٥٨

القاضي أحمد بن عمر المزجد بواسطة الشرطة ، ولكن الأخير رفض النظر في قضيته طالما أنه لم يحضر أحد للادعاء على القاتل وقال : " كيف أحبس من لم يثبت عليه حق عندي " (١١٢) وكان أولياء المقتول في اليوم التالي أقاموا دعواهم عند القاضي الحنفي عبد الرحمن بن المطيب الحنفي فنظر فيها برأيه (١١٣) .

ويجلس القاضي للحكم في أوقات معينة في اليوم وهي من شروق الشمس الى صلاة الظهر ثم يأخذ راحة وقت القيلوله الى صلاة العصر، وبعدها يستأنف عمله الى وقت صلاة المغرب وهكذا كل يوم (١١٤) .

وبجانب عمله القضائي ، فانه يشرف على المواريث وتوزيعها على وجهها الشرعي ومن كان قاصرا من الورثة فان القاضي هو الذي يتولى عملية الاشراف على أمواله (١١٥) ، كما أنه يقوم بتعيين المحتسبين في المدينة التي هو فيها ويولي من يراه صالحا لهذه المهمة (١١٦) لكن أحيانا يتدخل أمير البلد اذا رأى المحتسب تهاونا في أداء عمله فيعزله ويولي بدلا منه (١١٧) ، وللقاضي أن يلزم الناس بالصيام حينما يقل المطر ويعلن ذلك على الملأ ثلاثة أيام ثم يخرج بهم في اليوم الرابع الى خارج المدينة

(١١٢) الفضل المزيد ، ص ٢٤٩
(١١٣) الفضل المزيد ، ص ٢٥٠
(١١٤) النور السافر ، ص ١٤٢
(١١٥) الفضل المزيد ، ص ١٤٥
(١١٦) الفضل المزيد ، ص ١١٠
(١١٧) الفضل المزيد ، ص ١٢٨

لأداء صلاة الاستسقاء[118] ومن حق الرعية أن يطعنوا فى قاضى بلدهم أمام السلطان ، فقد قدم أهل موزع شكوى الى الملك الظافر ضد قاضيهم محفوظ المصرى ولكن السلطان عامر لم يتعجل في الحكم عليه بل استدعاه الى تعز وواجهه بالخصوم ، وربما رأى القاضى أن عمل السلطان هذا تدخلا في قضاءه مما دعاه الى عزل نفسه من منصبه وأمام السلطان وخصومه ، ولكن الأخير تدارك الموقف ورفض قبول استقالة القاضى المذكور وأمره بسحبها[119] .

وهذا العمل يعطى صورة واضحة لمدى احترام السلطة الحاكمة لسلطة القضاء طالما أن القضاة يتقون الله فى عملهم وزهدهم عما فى أيدى الناس.

---

(١١٨) قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٩٨ .

(١١٩) الفضل المزيد ، ص ١٣٩ .

٢ - الحسبة :

عرفت الحسبة بأنها أمر بالمعروف اذا ظهر تركته ، ونهى عن المنكر اذا ظهر فعله.(١٢٠) قال تعالى : (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)(١٢١) .

ولذا وجب أن يكون المحتسب فقيها عارفا بأحكام الشريعة ليعلم ما يأمر به وينهى عنه .(١٢٢)

أما الحسبة ووظائفها فى الدولة الطاهرية ، فليس هناك من تجديد لنوع العمل الذى يقوم به رجال الحسبة فى هذه الدولة ، كما أنه لم يرد ذكر الحسبة الا عن مدينة زبيد التى كان قاضيها هو الذى يولى رجل الاحتساب ففى سنة ٩٠٣ هـ قلد القاضى محمد بن عبد السلام الناشرى أبا القاسم بن أبى بكر المصرى أمور الحسبة ، وعزل عنها محمد بن أحمد الواشعى ،(١٢٣) ويبدو أن الدور السلبى لرجال الحسبة فى الدولة الطاهرية كان عاملا مشجعا لانتشار كثير من الأمراض الاجتماعية فى مدينة زبيد آنذاك ، فالخمر وكثير من الفواحش أصبحت تمارس

---

(١٢٠) الماوردى : على بن محمد بن حبيب المصرى ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ص ٢٠٧ ، ط١ ، القاهرة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م

(١٢١) آل عمران ، الآية ١٠٤

(١٢٢) الشيزرى : عبد الرحمن بن نصر ، كتاب نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، ص ٦ ، تحقيق السيد الباز العرينى ، بيروت ، بدون .

(١٢٣) الفضل المزيد ، ص ١١٠

علنـــا ،[١٢٤] ونتيجة لذلك لم يجد الأمير علي بن عمر العنسي أمير هـذه المدينة بدا من عزل المحتسب الذي عينه قاضي البلد - ابو القاسم بـن أبي بكر المصري - وحبسه عدة أيام لتقصيره في أداء واجباته المنوطه به ، وهي ردع الناس عن المعاصي والتي تعتبر من أساس مهماته ، وولى بدلا منه يوسف بن أحمد الحوائجي ،[١٢٥] غير أن الأخير لم يستمر في عمله هـذا طويلا اذ أنه سرعان ما عزل عنه ، وتولى بدلا منه الحاج حسين الدقومي، ويبدو أن تعيينه جاء من قبل السلطان عامر وذلك في ربيع الأول سـنة ٩٠٦ هـ ،[١٢٦] ويبـــدو أن المحتسب الأخير/ غير كفء في عمله مما حــدا بقاضي مدينة زبيد أحمد بن عمر المزجد الى عزله في رمضان من نفـس السنة وتولية الفقيه عثمان بن أبي القاسم الجبيلي ، بناء على رغبة الأخير في هذا العمل ، وتقدم الى القاضي في رغبته هذه فولاه اياها .[١٢٧]

وكثرة التعيينات وفي فترات متقاربه تعطي صورة واضحة عن تقاعس رجال الحسبة في أداء واجباتهم ، وعدم نهي المفسدين وذوي الجرائم وايقافهم عند حدهم ، بل ان ابن الديبع يذكر في حوادث سنة ٩٠٩ هـ انتشار المفاسد والمنكرات في زبيد فيقول (وفي هذا الوقت وما قبلـــه وما بعده ظهر بمدينة زبيد من الفسق والمعاصي والفجور وشرب الخمـــور

---

(١٢٤) الفضل المزيد ، ص ١١١ - ١١٢

(١٢٥) الفضل المزيد ،ص ١٢٨

(١٢٦) الفضل المزيد ، ص ١٤٣

(١٢٧) الفضل المزيد ،ص ١٤٧

وشهادة الزور ما لم يكن يعهد بها قبل ذلك ، حتى وجد فى شهر رمضان جماعة يشربون الخمر بالنهار ، وحكى بعضهم أنه باع بنته .... وفشا بين الناس صحبة الأحداث وتظاهروا بذلك ، وحمل بعض الصبيان من السوق ليلا ، ودخل به الى الأماكن المظلمة من السوق وفعل به ما فعل ولم ينتطح فى ذلك عنزان ولا أنكر عليه انسان (١٢٨) ويبدو أنه لانتشار هذه المفاسد أن انتشرت بعض الأمراض الموبئة فى اليمن وسماها المصدر بالنار الفارسى الذى ظهر قبل سنة ٩٠٦ هـ ثم تلاشى ، ولكنه ازداد انتشارا بعد هذا التاريخ انتشارا ذريعا وأضر بالناس ضررا بليغا مما الجأ خطباء المساجد الى التضرع الى الله عز وجل فى كشف ما حل بهم من بلاء عنهم (١٢٩).

وأحيانا يتدخل السلطان فى ردع المفسدين من مدينة زبيد بسبب الجرائم التى ترتكب فيها ، وخاصة جرائم القتل التى تتم بسبب شرب الخمور التى يبدو أنها توزع على نطاق واسع ،وحين تدور الرؤوس من شربها ترتكب جرائم مما يضطر المتضررين أن يرفعوا أمرهم مباشرة الى السلطان ، ففى سنة ٩١٦ هـ أمر الملك الظافر واليه على زبيد الشريف

---

(١٢٨) الفضل المزيد ، ص ١٧٧ .

(١٢٩) الفضل المزيد ،ص ١٧٧ - ١٧٨ .

عبد الله بن علي بن سفيان بالقاء القبض على المخنثين في مدينة زبيد ونفيهم عن المدينة بعد تعزيرهم واراقة خمورهم ، فامتثل ابن سفيان الأمر ، وقام بما طلب منه (١٣٠) .

وانتشار أمثال هؤلاء في هذه المدينة التي تعتبر المدينة العلمية الشهيرة في اليمن يعطينا الصورة الحقيقية عن الدور السلبي الشديد لرجال الحسبة في الدولة الطاهرية ويدل أيضا على تهاون علمائها أيضا في القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو ركيزة أساسية في الاسلام وتغاضي عن أمر الله سبحانه وتعالى : (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ..) (١٣١) .

٣ - الوقف

لم يكن الوقف وأنظمته وأنواعه واضح المعالم في الدولة الطاهرية ولكن الغالب فيما جاء في الوقف هو الذي يختص بالأوقاف الدينية سواء المساجد أو المدارس، ومعظمها في زبيد التي كانت تضم هذه المنشآت.

وقد امتاز مسجدى الأشاعر والجامع الظافرى بأهمية خاصة لما يمثله هذين المسجدين من صرحين علميين في هذه المدينة ويطلق على

---

(١٣٠) الفضل المزيد ،ص ٢٢٩ ، غاية الأماني ، ق ٢ ،ص ١٣٨

(١٣١) سورة آل عمران : آية ١٠٤

متولى أمورهما ناظر ، ففى شهر ذى القعدة سنة ٩٠٤ هـ فصل عبد الله ابن حسين الشرعبى عن ولاية نظر الجامع الظافرى بزبيد وتولى بدلا منه الصديق بن عبد الله الهبى[١٣٢] ، ويبدو أن عبد الله الشرعبى رجع الى وظيفته السابقة بعد ذلك مضافا اليها نظر الوقف العام بما فيهـا مسجد الأشاعر ، واستمر الى سنة ٩٠٨ هـ حيث يصل الفقيه على بن محمد بن عبد السلام الناشرى الى زبيد ومعه أمر بمشاركته فى تولى مسئولية الوقف والنظر فى مسجد الأشاعر[١٣٣] ، وكان للتنافس على هذه الوظيفـة دور كبير فى التعاقب عليها والعزل منها ، ففى شوال سنة ٩٠٩ هـ يصبح أحمد الذبح ناظرا على مسجدى الأشاعر والجامع الظافرى وقام الأخـير بمحاسبة الناظر المعزول وهو عبد الله بن حسين الشرعبى مما اضطره الـى التوجه الى السلطان عامر بن عبد الوهاب ويطلب منه أن يحاسب عنـده ، ولكنه وجد من الملك الظافر الرعاية والتقدير واستبقاه عنده مجللا محترمـا الى أن يعود فى شهر ذى القعدة سنة ٩١٠ هـ متوليا نظر الوقف العام ما عدا الجامع الظافرى ومسجد الأشاعر[١٣٤] ، ويبدو أنه لكل منشأة دينية ناظر يتولى الاشراف عليها ومجموع هذه الأوقاف يشرف عليها شخص واحـد يكون مسئولا أمام السلطان مباشرة ، وليس هناك من تفصيل عن هـــذه

---

(١٣٢) الفضل المزيد ، ص ١٢٩

(١٣٣) الفضل المزيد ،ص ١٦٩

(١٣٤) الفضل المزيد ، ص ١٧٨ ، ١٨٧ .

المنشآت ، ولكنه من خلال تراجم الوفيات نلحظ أن هناك اشـــارات الى هذا التقسيم ففى وفيات سنة ٩١٤ هـ يشير المصدر الى وفـاة الشريف عبد الحفيظ ابن عمر البزاز ناظر المدرسة الوهابية في زبيد ، واستمرار ولده الشريف عبد الرحمن في وظيفة أبيه مما يعطى انطباعا بامكانية توارث المناصب في الوقف أيضا بعد رضى مسؤول الوقف أو السلطان (١٣٥) .

وكما يوجد في زبيد ناظر للأوقاف توجد فى المدن اليمنيـــة الأخرى نظار فيها (١٣٦) يقومون بالاشراف عليها ، ومن مهمة نظار الأوقاف العامة هو مراقبة كل مسؤول على وقفه ومحاسبته على ما تدره ناحيتـــه وطرق صرفها ، الا أنه من خلال متابعة السلطان المتكررة لنظار الأوقاف وأمره باصلاح ما تحت مسؤليتهم من أوقاف وعدم امتثالهم لهذه الأوامـــر وصرف مستغلاتها لصالحهم جعلته يصدر قرارا سنة ٩١٨ هـ للديـــوان السلطاني يجعل من مهمته الاشراف على هذا المرفق الهام وادخـــال نصف ما تغله الى الديوان ليقوم بدورة بالاصلاحات اللازمة لكل وقف باشراف الدولة ، ويبدو أن هذا القرار كان شاملا لكافة المدن اليمنية وليـــس قاصرا على زبيد وحدها (١٣٧) .

(١٣٥) الفضل المزيد ، ص ٢١٤

(١٣٦) بغية المستفيد ، ص ٢١٢ ، الفضل المزيد ،ص٢١٠ - ٢١١ ، ص ٢٢٠ ،ص ٢٥٨ .

(١٣٧) الفضل المزيد ،ص ٢٥٨ ، قرة العيون ،ق ٢ ،ص ٢١٦ ، غاية الأماني ،ق ٢ ،ص ٦٣٩ ، هدية الزمن ،ص ٩٢

وقد حاول بعض المؤرخين ربط هذا القرار بالضعف الاقتصادى للدولة الطاهرية ، ولكن من خلال هذه النصوص التى بين أيدينا أظهرت أن هذا القرار كان نتيجة لما كان يقوم به نظار الأوقاف على صرف عائدات الوقف فى مصالحهم الشخصية ولذلك كانت ردة الفعل عندهم قوية " وحصل على أكثر الفقهاء بذلك الضرر العظيم والحزن الدائم والمقيم " (١٣٨).

والى جانب الوقف فان الدولة الطاهرية كانت تشرف أيضا على تعيين الأئمة والخطباء فى مسجدى الأشاعر ، وجامع زبيد (١٣٩) ،كما أن هناك أئمة لأوقات محددة وهذا يعنى أنه يوجد أكثر من امام لمسجد الأشاعر يتناوبون فى الامامه (١٤٠) ، وكذلك الخطباء يوجد لهم نواب فى أداء الخطبة اذا تخلف الخطيب الأصلى (١٤١) .

ويبدو أن للأحناف أيضا امام خاص بهم سواء فى الجامع الظافرى أو الأشاعر يصلى باتباع مذهبه فى هذين المسجدين ، ولكل امام يوجد

---

(١٣٨) الفضل المزيد ، ص ٢٥٨ ، قرة العيون ،ق ٢ ،ص ٢١٦

(١٣٩) بغية المستفيد ،ص ٢٠٦ ، ص ١٨٧ ،قرة العيون ،ق ٢ ،ص ١٩٠.

(١٤٠) الفضل المزيد ،ص ١١٧

(١٤١) الفضل المزيد ،ص ١٦٠

نائب عنه يقوم مقامه لأى ظرف طارىء.(١٤٢)

والى جانب الخطباء والأئمة فان المدرسين أيضا يعينون من قبل السلطان كل فى فنه الذى يبرز فيه(١٤٣)/ وليس هناك من تحديد معين لرواتب من سبق ذكرهم اذ لم تذكر المصادر شيئا عن ذلك .

....

---

(١٤٢) الفضل المزيد ، ص ١٦٢.

(١٤٣) بغية المستفيد ،ص ٢٠٧



الفصل الثالث

الحركة العلمية

*

حظيت الحركة العلمية في اليمن في عصر السلطان عامر بن عبد الوهاب بالعناية والرعاية الشديدة من قبله ، ولم يكن عهده حربا دائمة بل تميز عهده ببعض الأعمال والاصلاحات التي أصبحت محل تقدير معاصريه الى ما بعد مقتله بسنوات طويله ، اذ أنه وجه اهتمامه الى بناء المدارس والمساجد ووقف الأراضي عليها (١) .

ولم يكن اهتمامه موجها الى اقامة العمائر العلمية فقط ، بل انه كان متمتعا بثقافة عصره ، ولذلك حرص على جلب الكتب الغير موجودة في اليمن ، ومن ذلك أنه أرسل الى مكة سنة ٩٠٠ هـ من يشترى له كتاب الخادم للزركشي (٢) ، وقد دفع فيه تسعين دينارا ذهبا ثمنا له وقد أرسل الكتاب اليه حين وجوده في زبيد فأظهر من السرور والاغتباط بوصوله اليه الشيئ الكثير (٣) ، وقد سارع بطلب النساخ من مدينة زبيد لنسخه له ، والكتاب

---

(١) الفتح العثماني الأول لليمن ،ص ٣٩ .

(٢) بغية المستفيد ،ص ٢١٣ ،قرة العيون ،ق ٢ ،ص ١٩٢ ، وكتاب الخادم ، هو خادم الرافعي والروضة في الفروع شرح فيه مشكلات الروضة وفتح مقفلات العزيز وهو على أسلوب التوسط للاذرعي ،ومؤلفه هو محمد بن بهادر الزركشي الشافعي المتوفي سنة ٧٤٩ هـ ، أنظر حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ص ٦٩٨ ، بيروت بدون تاريخ .

(٣) بغية المستفيد ، ص ٢١٤

ليس بالحجم الصغير بل كان في أربعة عشر مجلدا كل مجلد منهـــا خمسة وعشرون كراسة خماسيات ، ووعد النساخ بالجزاء الحسن عند اكمال نسخه (٤).

كما وصل في السنة التالية الى زبيد كتاب فتح البارى بشرح صحيح البخارى للحافظ ابن حجر العسقلاني ، ومن زبيد أرسل هذا الكتـــاب الى مدينة تعز حيث يوجد السلطان عامر أنذاك (٥) ، وكان الملك الظافـــر هو الذى طلب جلبه من مكة الى اليمن ، ويعتبر وصول هذا الكتاب فـــى التاريخ المذكور هو أول عهد اليمن به ، والذى يبدو أنه تلقفته الأيدى بشغف ونهم للاطلاع على المزيد من المعرفة ، وقد دفع فيه السلطان عامر مبلغ مائة وخمسين دينارا أشرفيا لشرائه (٦) ، كما يبدو أن الكتاب وزع على النساخ لتحصيل عدة نسخ منه وتوزيعها في المدن اليمنيه ، وحصلت زبيد على نسخة بخطوط جيدة وأوقفت على الجامع الظافرى فيها (٧).

---

(٤) بغية المستفيد ، ص ٢١٤ ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٢٢ ، ويذكر أن الكتاب في أربعة وعشرين مجلدا .

(٥) الفضل المزيد ، ص ٩٤ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٩٣ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩١ ب ، روح الروح ، ورقه ٤ أ ، غايـــة الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٢٢ - ٦٢٣ ، جامع المتون ، ورقه ٦١ أ

(٦) قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٩٤ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩١ ب

(٧) الفضل المزيد ، ص ٩٤ - ٩٥ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٩٤ .

ومن المعروف أن السلطان عامر هو الذى أمر ببناء الجامع الكبير (الظافرى) بزبيد وقد زود بمكتبة حافلة وضعت تحت تصرف العلماء والطلاب للتزود بالمعرفة المتاحة لهم آنذاك ، وفى شهر ربيع الآخر سنة ٩٠٣ هـ امتدت يد عابثه الى خزانة الكتب بالجامع المذكور ، والتقطت الجزء الأول من كتاب خادم العزيز والروضة للزركشى ، وقام بتقطيعه الى أجزاء صغيرة ثم رماه فى أحد الآبار ،[٨] وبالرغم من تحرى السلطات الطاهرية عن الفاعل الا أنها لم تتوصل اليه ، ولأهمية هذا الموضوع كان لابد من رفع الأمر الى السلطان واخباره بما حدث ، فجاء جوابه بتكليف الناظر على المسجد أن يبذل الجهد لتحصيل ما فقد من كتاب الزركشى ، وأفاد السلطان فى جوابه أن خزانته أيضا نالتها يد السرقه وفقد منها الجزء التاسع من كتاب فتح البارى ، وأمر أيضا بنسخ ما فقد من مكتبته من ماله الخاص لوضعها عوضا عن المفقودة ،[٩] كما يبدو أنه كان على مراسلة مع علماء مكة المكرمة للاستفادة منهم ومن علومهم ، وقد طلب منهم ارسال بعض الكتب التى لا توجد فى بلاده ، ومن ذلك أنه فى سنة ٩٠٢ هـ وصل اليه رسول من قاضى مكة شيخ الاسلام أبو السعود بن ابراهيم بن ظهيره وبصحبته كتاب صحيح البخارى فى مجلد واحد ، وكانت المكافأة على هذا الصنيع أن أثابه ثوابا عظيما ، كما

---

(٨) الفضل المزيد ، ص ١١٢ - ١١٣

(٩) الفضل المزيد ، ص ١١٣

يقول المصدر[10] - كدلالة شكر وعرفان على هذا العمل ، كما أرسل اليه السلطان عامر أيضا يطلب منه اعانته على بعض الأعمال الخيرية فى مكة والمدينة[11] ، وكانت لهذه الأعمال التشجيعية للعلم وأهله أن بدأ بعض علماء اليمن يتقربون اليه ببعض انتاجهم العلمى والفكرى ، وقد ألف ابن الديبع أول كتبه التاريخيه وهو كتاب بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد كأول مؤرخ للدولة الطاهرية وقدمه الى السلطان عامر الذى رحب بالكتاب ومؤلفه بل وأبدى ملاحظاته عليه[12] مما كان حافزا قويا لابن الديبع أن يضع مؤلفه الثانى فى تاريخ هذه الدولة وهو كتاب العقد الباهر فى تاريخ دولة بنى طاهر وقدمه الى السلطان ونال المؤلف بسبب هذين الكتابين مكافأة مجزية منه اضافة الى منحه قطعة سكنيه وأرض زراعية فى زبيد كانت سببا فى غناه عن البحث فى طلب الرزق وتفرغه للتدريس فى علوم الحديث فى الجامع الكبير بأمر من الملك الظافر[13] .

وقد عرف عن السلطان عامر حبه للصيد فألف له الفقيه حمزة بن عبد الله الناشرى المتوفى سنة ٩٢٦ هـ كتابا فى الصيد أسماه ـ

---

(١٠) الفضل المزيد ، ص ١٠٣ - ١٠٤ !

(١١) الفضل المزيد ، ص ١٠٤

(١٢) بغية المستفيد ، ص ٢٢١

(١٣) بغية المستفيد ، ص ٢٢٢

انتهاز الفرص في الصيد والقنص ، وأرسل به الى السلطان عامر في ربيع الأول سنة ٩١٦ هـ (١٤) في المقرانه ، ويبدو أن هذا الكتاب حاز استحسانه خاصة وأنه لقى اعجاب بعض علماء زبيد كالفقيه عمر بن محمد جعمان وقاضي زبيد أحمد بن عمر المزجد والفقيه موسى بن الزين الرداد (١٥) .
كما وفد عبد الوهاب بن محمد الكرماني على الملك الظافر من مكة وألف باسمه رسالة في التعبير فيغدق عليه بألف دينار ذهبا مكافأة له على هذا الصنيع ، ولم يكتف بالمكافأة بل أجرى له النفقة طيلة فترة مكوثه في اليمن الى أن غادرها عائدا الى مكة (١٦) .

ولم تكن اهتمامات سلطان اليمن آنذاك منصبة على النواحي الدينية والأدبية فقط بل أولى النواحي الأخرى التي تفيد في استغلال الموارد الطبيعية لليمن والاستفادة منها كل الاستفادة ، ولذلك نراه يستعين بأهل الخبرة في هذا المجال أمثال علاء بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٩٠٧ هـ ، (١٧) وهو ممن يعمل في الكيمياء فألف له كتاب :

---

(١٤) الفضل المزيد ، ص ٢٢٩ ، روح الروح ، ورقه ٨ أ ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٣٧ .

(١٥) الفضل المزيد ، ص ٢٢٩

(١٦) الشلي ، السناء الباهر ، ورقه ١٠٨ أ - ١٠٨ ب ، النهروالي ، البرق اليماني ، ص ٣٠

(١٧) كشف الظنون ، ص ١٧٥٧ ، كحاله : عمر رضا ، معجم المؤلفين ، جـ ٦ ، ص ٢٩١ ، بيروت ، طبعه مصورة عن طبعة سنة ١٩٥٧م .

معدن النوادر في معرفة الجواهر ، وأهداه اليه[18] .

وعندما بدأ السلطان عامر يوسع نفوذه في المناطق الزيدية ، فان أعماله لم تكن مجرد فتوحات وتوسيع نفوذ فقط ، بل كان يعمد الى مكتبات الأوقاف في المناطق المفتوحة ويأمر النساخ بنسخ الكتب التي يراها صالحة للنسخ دون أن يتلف شيئا من محتويات هذه المكتبات المنسوخة منها ، ولذلك فان المطهر بن الامام شرف الدين عندما فتح جبن وجد من نفائس الكتب الشيء الكثير في خزائن السلطان عامر في هذه المنطقة[19] .

ولما كان الملك الظافر سلطانا على دولة سنية شافعية المذهب فانه كان يرى من واجباته الأساسية في الدولة هو حماية معتقدات أهل

---

(١٨) البيهقي ، علاء بن الحسين ، معدن النوادر في معرفة الجواهر ، ورقه ١ ب - ٢ أ ، مكتبة آيا صوفيا السليمانية رقم ٣٧٤٣ ، وهذه المخطوطة قيد الطباعه والنشر بتحقيق الدكتور محمد عيسى صالحيه ، وقد أطلعني مشكورا مسودة التحقيق أثناء زيارتي العلميه للكويت .

(١٩) الكبسي ، اللطائف السنية ، ورقه ٦٤ ب - ٦٥ أ

السنة الشوافع من تأثير معتقدات الطوائف الأخرى عليهم ، ولذلك حينما بدأ رئيس الاسماعيلية بنشر آراءه بين الناس في تعز لم يمهله السلطان عامر بل عمد الى سجنه وتأديبه ، كما أمر باحضار كتبه الاسماعيلية وأتلفها عليه .(٢٠)

وفي ظل هذا الجو العلمي الذي أتاحه سلطان الدولة الطاهرية آنذاك فقد أصبحت اليمن مقرا للعلم يقصده العلماء والطلبة على حد سواء للافادة والاستفادة من علمائها ، وكانت الكتب النفيسة تهدى الى الملك الظافر ، وأصبح العلماء يفدون عليه من الحرمين والشام ومصر وغيرها ، فيجدون عنده كل سبل الحياة الكريمة والمكافأة المجزية(٢١)

وأضحت زبيد ذات شهرة علمية لها مكانتها بين المدن العلمية الاسلامية مثل مكة والمدينة والقاهرة ودمشق والقدس وغيرها من المدن الاسلامية مما جعلها محط أنظار طلاب العلم الذين يرحلون في سبيله ، ففي سنة ٩١٤هـ قدم الشيخ جار الله محمد بن محب الدين بن فهد الهاشمي الى زبيد من مدينة عدن التي تلقى بعض العلوم من شيوخها ، واستزاد من علماء

---

(٢٠) الفضل المزيد ، ص ١٠٦ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٩٦ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٢ ب ، النور السافر ، ص ٢١ - ٢٢ ، غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٢٤ ، روح الروح ، ورقه ٥ أ .

(٢١) السناء الباهر ، ورقه ١٠٦ ب ، الشوكاني ، البدر الطالع ، جـ١ ، ص ٣٠٩

زبيد وعلى رأسهم محدث الديار اليمنية آنذاك الفقيه الحافظ ابـــن الديـبع وقد لازمه الشيخ جار الله طوال فترة اقامته فيها ، ثم رجع الى مكة فى شعبان سنة ٩١٤ .(٢٢)

---

(٢٢) الفضل المزيد ، ص ٢١٥ ، الغزى : نجم الدين ، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، جـ ٢ ،ص ١٥٨ - ١٥٩ ، بيروت ١٩٧٩ .

القــرآن الكريـم وعلومـــه

اهتم علماء اليمن بالقرآن الكريم إقراءً وحفظا بدءاً من طفولتهم وحياتهم العلمية ، وبلغ من إهتمامهم أنهم كانوا يلقنون طلبتهم القراءات السبع للقرآن منذ وقت مبكر .(٢٣)

وقد حرصت الدولة الطاهرية على أن تسند مهمة تدريسه الى علمائهم في القراءات ومن بين الذين تولوا تدريسه بزبيد الفقيه أحمد الزبيدى في الجامع الكبير ،(٢٤) كما اشتهر من علماء هذا الفن أيضا القاضي يوسف بن يونس الجبائي الشهير بالمقرئ ،(٢٥) ويبدو أن علماء اليمن كانت عنايتهم بمطالعة كتب القراءات أكثر من عنايتهم بالتأليف فيه ، وكأنهم استغنوا بما ألفه أهل الاسلام في هذا العلم ،(٢٦) ولهذا السبب لم تظهر كتب معتمدة في هذا الفن أو تفسير للقرآن ، ومن أجل ذلك فاننا نجد مؤلفات ضئيلة أغلبها اختصارات أو نقولات ممن سبقهم في التأليف .

ومن أبرز هذه المختصرات تلك التي اختصرها الفقيه محمد بن عمر مبارك بحرق المتوفى سنة ٩٣٠ هـ ومنها :

---

(٢٣) بغية المستفيد ، ص ٢١٨

(٢٤) بغية المستفيد ، ص ٢٠٧

(٢٥) طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٤٤

(٢٦) الحبشي ، حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول ، ص ١٠٤

١ - مختصر الهداية في علم القراءة للناشري .

٢ - ذخيرة الاخوان المختصر من كتاب الاستغناء بالقرآن (للسهيلي)

٣ - ايضاح المستفيد لمعاني مقدمة التجويد (٢٧) (شرح الجزرية في القراءات)

أما التفسير فيمكن أن نطبق عليه ما ذكرناه سابقا ولم أجد فيما بين يدي من مصادر سوى اسم مؤلفين للفقيه محمد بن عمر مبارك بحرق وهما :

١ - تفسير آية الكرسي (٢٨) .

٢ - ملخص كتاب التعريف والاعلام لما أبهم في القرآن من أسماء الأعلام (٢٩)

علوم الحديث

أما حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اهتم به علماء هذا القطر ، وكان اعتمادهم على الكتب المعتمدة في الحديث ككتاب صحيح البخاري وصحيح مسلم وموطأ الامام مالك وسنن أبي داود وسنن الترمذي ، وابن ماجه وغيرها من كتب الحديث (٣٠) ، وولعوا بها ، وكانوا يتنقلون لطلبه

---

(٢٧) النور السافر ، ص ١٤٧ ، الحبشي : عبد الله بن محمد ، مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن ، ص ٢٥ ، صنعاء ، بدون تاريخ .

(٢٨) مصادر الفكر ، ص ٢٥

(٢٩) الحبشي: عبد الله بن محمد ، فهرست المخطوطات اليمنية في حضرموت المحافظة الخامسة ، ص ٣٨ ، عدن ١٩٧٥ ، وذكر أنه محفوظ في وقف آل بن يحي بتريم وقد خط سنة ١٠٦٤ هـ .

(٣٠) بغية المستفيد ، ص ٢١٩

ودراسته على أيدى مشايخ الحديث الى الأماكن المختلفة فى اليمن (٣١) والى الحجاز سيما فى أوقات الحج وخاصة فى حياة الحافظ شمس الدين السخاوى الذى يعتبر شيخ المحدثين بعد وفاة الحافظ ابن حجر العسقلانى ، والذى تتلمذ على يديه الكثير من علماء اليمن فى علوم الحديث (٣٢) .

ولقد ظهرت شخصيات كثيرة برزت فى هذا العلم اشتهر منهم : الفقيه محمد بن عمر بن مبارك بحرق وله فى علم الحديث عدة اختصارات هى : -

١ - الأسرار النبوية من مختصر الأذكار النووية .

٢ - مختصر الترغيب والترهيب .

٣ - تجريد المقاصد عن الأسانيد والشواهد (٣٣) .

---

(٣١) بغية المستفيد ، ص ٢١٩ - ٢٢٠

(٣٢) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٤ ، ص ١٠٤

(٣٣) النور السافر ، ص١٦٠ ، ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، جـ ٨ ، ص ١٧٦ - ١٧٧ ، ط٢ ، بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، البغدادى : اسماعيل باشا ، ايضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، جـ ١ ، ص ٧٦ ، بيروت بدون تاريخ ، البغدادى : اسماعيل باشا ، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، جـ ٢ ، ص ٢٢٠ ، بيروت بدون تاريخ ، مصادر الفكر العربى الاسلامى فى اليمن ، ص ٢٢٨

ومنهم الفقيه الطيب بن عبد الله بن أحمد أبو مخرمة العدني المتوفى سنة ٩٤٧ هـ ، والذى أصبح آخر عمره عمدة الفتوى بعدن ومن أحسنهم تدريسا فى الفقه وله :

١ - شرح صحيح مسلم ، ويقول عنه صاحب النور السافر : " أغلبه مستمد من شرح صحيح مسلم للامام النووى بل هو فى الحقيقة شرح النووى مع زيادات فى بعض المواضع " .

٢ - أسماء رجال مسلم .(٣٤)

ولمحمد بن أحمد بافضل المتوفى سنة ٩٠٣ هـ مؤلف فى شرح تراجم صحيح البخارى(٣٥) ، كما أن للفقيه حمزة بن عبد الله الناشرى المتوفى سنة ٩٢٦ هـ كتاب أسماه :

١ - الأربعون التهليلية .(٣٦)

وقد حاز الفقيه المؤرخ المحدث الشيخ وجيه الدين عبد الرحمن بن على المعروف بابن الديبع قصب السبق فى هذا التخصص العظيم وأضحت له مكانة مرموقة فى اليمن وغيرها ، وتخصيصنا له فى هذا الباب لا يعنى خلو

---

(٣٤) النور السافر ، ص ٢٢٨ ، شذرات الذهب ، جـ ٨ ، ص ٢٦٨ ، معجم المؤلفين ، جـ ٥ ، ص ٤٨ ، مصادر الفكر ، ص ٥٢

(٣٥) النور السافر ، ص ٢٦ ، شذرات الذهب ، جـ ٨ ، ص ٢٠ ، مصادر الفكر ، ص ٥٠

(٣٦) النور السافر ، ص ١٣٠ ، شذرات الذهب ، جـ ٨ ، ص ١٤٣ ، مصادر الفكر ، ص ٥٠

يده من العلوم الأخرى ، بل كانت له مشاركات في غيره من العلـــوم الاسلامية ، ولكن غلب عليه علم الحديث ، كما سنرى من خلال استعراضنا لترجمته التي وضعها بنفسه في آخر كتابه بغية المستفيد في أخبار مدينــة زبيـد :

نسـبه : هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن علي ابن يوسف بن أحمد بن عمر الشيباني الزبيدي الشافعي المعروف بابن الديبع وهو لقب لجده الأعلى علي بن يوسف ومعناه بلغة النوبة الأبيض.(٣٧)

كان مولده بمدينة زبيد في يوم الخميس الرابع من محرم سنة ٨٦٦ هـ بمنزل والده(٣٨) ، ويبدو أنه نشأ في أسرة متوسطة الحال ولذلك سافر الى الهند قبل أن يبلغ ابنه السنة الأولى من عمره بحثا عن الرزق وطلب العيش ، وانقطعت أخباره عن أهله فترة من الزمن.(٣٩)

ونتيجة لغياب والده فقد نشأ ابن الديبع في حجر جده لأمـه العلامة شرف الدين اسماعيل بن محمد بن مبارز وقد لقي المترجم له من جده الرعاية التامة والحرص منه على تربية ابن بنته تربية صالحه(٤٠) ، فنشـــأ

---

(٣٧) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ ٤ ، ص ١٠٤ ، البدر الطالع ، جـ ١ ، ص ٣٣٥

(٣٨) ابن الديبع ، بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ، ص ٢١٧ ، بيروت، ١٩٨٣.

(٣٩) بغية المستفيد ، ص ٢١٧ - ٢١٨ بيروت ١٩٨٣م

(٤٠) بغية المستفيد ، ص ٢١٨ بيروت ١٩٨٣م

على طلب العلم وبدأ بحفظ القرآن الكريم وأتم حفظه عند بلوغه العاشرة من العمر على يد خاله الفقيه جمال الدين محمد الطيب بن اسماعيل بن مبارز (٤١)، وفي هذه المرحلة توفي والده في بندر الديو أواخر سنة ٨٧٦ هـ ، وتحصل ابن الديبع من ميراث أبيه على ثمانية دنانير ذهبا (٤٢).

وبعد أن حفظ القرآن اتجه لدراسة علم القراءات على يد خاله المذكور فنقل الشاطبية (٤٣)، وقرأ القراءات عنده مفردة ومجموعة ،ثم انتقل الى علوم العربية على يد خاله وعلى غيره وبعد اكمال دراستها انتقل الى أنواع أخرى من العلوم كالحساب والجبر والمقابلة والمساحة والفرائض والفقه حيث قرأ كتاب الزبد للامام شرف الدين البارزى على شيخه ابن حفص عمر بن محمد بن معيبد الأشعرى (٤٤) المتوفى سنة ٨٨٣ هـ ثم هيأ الله له أداء فريضة الحج في آخر السنة المذكورة ، وانفق ما ورثه من والده في هذه الحجة ، وبعد أن أتم نسكه قفل راجعا الى بلاده في محرم سنة ٨٨٤ هـ ، فوجد أن جده لأمه توفي قبل قدومه الى زبيد بأربعة أيام ، فانتقل الى بيت خاله محمد الطيب ابن اسماعيل بن مبارز ، فظل عنده

---

(٤١) بغية المستفيد ،ص ٢١٨ بيروت ١٩٨٣م.

(٤٢) بغية المستفيد ،ص ٢١٨ بيروت ١٩٨٣م.

(٤٣) بغية المستفيد ، ص ٢١٨ بيروت ١٩٨٣م.

(٤٤) بغية المستفيد ،ص ٢١٨ بيروت ١٩٨٣م.

الى أن حج حجته الثانية سنة ٨٨٥ هـ (٤٥) ، وبعد رجوعه منها صحب محدث الديار اليمنية أنذاك أبا العباس أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي ، فأخذ عليه علوم الحديث فقرأ عليه صحيحي البخارى ومسلم وسنن ابى داود والترمذى والنسائى ، وموطأ الامام مالك ، وكتاب الشفا للقاضى عياض ، وعمل اليوم والليلة لابن السنى والشمائل للترمذى ، والرسالة للقشيرى اضافة الى مؤلفات الشرجى نفسه ومنه تعلم أيضا صنعة التأليف والتصنيف والترصيف والتصفيف (٤٦) ، وألف فى حياته أول انتاجه العلمى كتابه المسمى "غاية المطلوب وأعظم المنه فيما يغفر الله به الذنوب ويوجب الجنة" (٤٧) .

ثم ارتحل من زبيد الى بيت الفقيه ابن عجيل بتوجيه من شيخه الشرجى فقرأ فيها على الفقيه محمد الطاهر بن أحمد بن عمر جعمان كتاب منهاج الطالبين للنووى وكتاب الحاوى الصغير وتفسيره للبارزى ونظمه لابن الوردى ، ثم انتقل للقراءة على الشيخ ابراهيم بن أبى القاسم بن جعمان فقرأ كتاب الأذكار للنووى والشمائل للترمذى وعدة الحصن الحصين للجزرى وغيرها من الكتب (٤٨) ثم حج حجته الثالثة سنة ٨٩٦ هـ وزار المدينة

---

(٤٥) بغية المستفيد ، ص ٢١٨ . بيروت ١٩٨٣م

(٤٦) بغية المستفيد ، ص ٢١٩ بيروت ١٩٨٣م

(٤٧) بغية المستفيد ، ص ٢١٩ بيروت ١٩٨٣م

(٤٨) بغية المستفيد ، ص ٢١٩ بيروت ١٩٨٣م

المنورة وعاد الى مكة ، وهنا التقى بالمحدث الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى ، فصحبه وسمع عليه من صحيحى البخارى ومسلم ، ومن كتاب مشكاة المصابيح للإمام التبريزى ، وألفيه الحافظ أبى الفضل العراقى ، كما قرأ عليه كتاب بلوغ المرام من أدلة الأحكام للحافظ ابن حجر العسقلانى وغير ذلك من كتب الحديث (٤٩) ، وقد ترجم له السخاوى فى الضوء اللامع ومدح المترجم له بقوله : " وهو فاضل يقظ راغب فى التحصيل والإفادة نفع الله به " (٥٠) وعند تتلمذه على رجال الحديث فى عصره يبدو أنه تأثر بهم مما جعله يميل الى حب هذا الفن من العلوم الاسلامية ، ولذلك فلا غرابة أن يكون محدث الديار اليمنية ويشار إليه فيها بالبنان لتفرده فى تلك الديار بهذا العلم العظيم وهو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وثانى مصادر التشريع الاسلامى ، ولقد إستشهد أمام شيخه السخاوى بهذه الأبيات يبين فيها له ميوله فقال :

إلى علم الحديث لى ارتياح　　　وها أنا فيه مجتهد وراوى
لعلى أكون به إماما　　　أرويه على قدم السخاوى (٥١)

ثم عن له الرجوع الى وطنه ومسقط رأسه زبيد وشرع فى تأليف كتابه

---

(٤٩) بغية المستفيد ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ بيروت ١٩٨٣م.
(٥٠) الضوء اللامع ، جـ ٤ ، ص ١٠٥
(٥١) الضوء اللامع ، جـ ٤ ، ص ١٠٥

الثاني ويسمى " كشف الكربه في شرح دعاء الامام أبي حربه " (٥٢) ثم وبعده انتقل إلى تأليف أول كتبه التاريخيه ،فانتهى من كتابه " بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد " وتقدم بكتابه هذا إلى السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهرى كأول مؤرخ يستعرض تاريخ دولة بني طاهر ،وبعد اطلاع الملك الظافر على هذا الكتاب أبدى عليه ملاحظاته ، وكان لموقف السلطان عامر وتشجيعه لابن الديبع دافعا إلى إختصار كتابه بغية المستفيد بكتاب آخر خاص بالدولة الطاهرية ويسمى " العقد الباهر في تاريخ دولة بني طاهر ، وقدمه الى السلطان في المقرانه ، فأفاضى الأخير على المترجم الجوائز السنية ، وظل عنده في المقرانه الى أن أذن له في الرجوع إلى زبيد بعد أن أهداه دمنة سلطانية للسكن كما أعطى له قطعة أرض زراعية بوادى زبيد وأسند اليه اقراء الحديث بجامع زبيد على المنبر (٥٣) .

ويبدو أنه تقدم بكتبه التاريخيه بعد سنة ٩٠٦ هـ لأنه ذكر أنه فرغ من تأليف كتابه بغية المستفيد في شهر صفر سنة ٩٠٦ هـ وعلى ذلك يكون اختصاره للعقد الباهر بعد ذلك بفترة وجيزة (٥٤) .

---

(٥٢) بغية المستفيد ،ص ٢٢٠ بيروت ١٩٨٣م

(٥٣) بغية المستفيد ،ص ٢٢٠ بيروت ١٩٨٣م

(٥٤) بغية المستفيد ،ص ٢٢١ بيروت ١٩٨٣م

وقد توقفت بنا ترجمته لنفسه عند هذا التاريخ ، وربما شكلت الأعطيات السلطانية لابن الديبع نقطة تحول في تاريخ حياته واستقراره في زبيد ولم نعد نسمع أنه غادرها ، وقد ارتضى حياة السكون والاستقرار وإفادة الطلاب في علم الحديث الى جانب إهتماماته في تدوين التاريخ الى أن توفى الى رحمة الله في ضحى يوم الجمعه السادس والعشرين من شهر رجب سنة ٩٤٤ هـ ، وقد أثنى عليه كل من ترجم له (٥٥) ووصفه بالصلاح والتقوى والثقة (٥٦) . رحمه الله .

مؤلفاته :

تعددت مؤلفات ابن الديبع وسنقتصرها على مؤلفاته في علم الحديث ونعددها فمن مؤلفاتـه :

١ - تمييز الطيب من الخبيث مما يدور على ألسنة الناس من الحديث. (٥٧)

وهو تجريد لكتاب شيخه السخاوى المسمى المقاصد الحسنة في كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة (٥٨) .

---

(٥٥) النور السافر ، ص ٢١٢ ، السناء الباهر ، ورقه ٢١٦ ب ، شذرات الذهب ، جـ ٨ ، ص ٢٥٦ .

(٥٦) النور السافر ، ص ٢٢١ ، السناء الباهر ، ورقه ٢١٧ أ ، الكواكب السائرة ، جـ ٢ ، ص ١٥٨ ، شذرات الذهب ، جـ ٨ ، ص ٢٥٥ ، جامع المتون ، ورقه ٥٦ ب - ٥٧ أ

(٥٧) كشف الظنون ، ص ١٧٨٠ ، معجم المؤلفين ، جـ ٥ ، ص ١٥٩ ، السناء الباهر ، ورقه ٢١٧ أ ، مصادر الفكر العربي الاسلامي في =

مع بعض زيادات فى بعض المواضع ، وقد طبع هذا الكتاب فى القاهرة (٥٩) سنة ١٣٢٤ هـ وتكررت طبعاته . (٦٠)

٢ - تسهيل المرتقى لتناول المنتقى (٦١) ، وهناك كتب كثيرة باسم المنتقى ولعله كتاب المنتقى فى الأحكام لابن تيمية . (٦٢)

٣ - التأييد مختصر التقييد فى رواة السنن والمسانيد . (٦٣)

٤ - مصباح مشكاة الأنوار من صحياح أحاديث النبى المختار (٦٤) ، ويبدو أنه شر لكتاب مشكاة المصابيح . (٦٥)

٥ - تنقيح الوصول وجامع الأصول لأحاديث الرسول . (٦٦)

٦ - مؤلف جمع فيه الأحاديث القدسية . (٦٧)

٧ - معجم الحافظ ابن الديبع . (٦٨)

= اليمن ، ص ٥١

= (٥٨) كشف الظنون ، ص ١٧٧٩ - ١٧٨٠

(٥٩) كشف الظنون ، ص ١٧٨٠

(٦٠) البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية ، ص ٣٠

(٦١) مصادر الفكر ، ص ٥١

(٦٢) كشف الظنون ، ص ١٨٥١ ، مصادر الفكر ، ص ٥١

(٦٣) مصادر الفكر ، ص ٥١

(٦٤) مصادر الفكر ، ص ٥١ ، وقد ذكر الحبشى أنه مخطوط فى المكتبة المحمودية بالمدينة رقم ٨٢ حديث .

(٦٥) البحر الأحمر ، والمحاولات البرتغالية ، ص ٣٠

(٦٦) مصادر الفكر ، ص ٥١

(٦٧) ايضاح المكنون ، جـ ١ ، ص ٢٢٢ ، مصادر الفكر ، ص ٥١ .

(٦٨) مصادر الفكر ، ص ٥١

٩ - وكتاب تيسير الوصول الى جامع الأصول من أحاديث الرسول .(٦٩)

ومؤلف جامع الأصول هو أبو السعادات مبارك بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٠٦ هـ (٧٠)، وقد شرح هذا الكتاب شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم بن البارزي المتوفى سنة ٧٣٨ هـ وجرده وسماه تجريد الأصول (٧١)، واختصر جامع الأصول أيضا صلاح الدين خليل بن كليكدي العلائي الدمشقي المتوفى سنة ٧٦١ هـ وسماه تهذيب الأصول (٧٢)، ثم رتب جامع الأصول ابن الديبع وكان السبب الباعث له على ذلك هو قوله : " ... وقد نظرت في كل من الجامع وتجريده وشاهدت حسن وضع كل منهما تمهيده ، فرأيت كلا من المؤلفين قد رسم اسم الصحابي الراوي للحديث في حاشية الكتاب ، فحصل فيها التقديم والتأخير ، والنقصان والتكرير حتى كثر في ذلك العناء ... فعزمت بعد استخارة الله تعالى على تيسيره للمنتفعين ... رغبة في احياء السنة النبوية ومحبة لاقتفاء الآثار الشريفة المحمدية " (٧٣)

---

(٦٩) النور السافر ، ص٢٢٠ ، شذرات الذهب ، جـ ٨ ، ص ٢٥٦ ، الكواكب السائرة ، جـ ٢ ، ص ١٥٨ ، البدر الطالع ، جـ ١ ، ص٣٣٦ ، مصادر الفكر ، ص ٥١ ، كشف الظنون ، ص ٥٣٧ ، معجم المؤلفين ، جـ ٥ ، ص ١٥٩ ، البحر الأحمر ، ص ٢٨ .

(٧٠) كشف الظنون ، ص ٥٣٥

(٧١) كشف الظنون ، ص ٥٣٦

(٧٢) كشف الظنون ، ص ٥٣٦ - ٥٣٧

(٧٣) ابن الديبع ، تيسير الوصول الى جامع الأصول من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، جـ ١ ، ص ٣ ، بيروت ١٩٧٧ م - ١٣٩٧ هـ

وبعد ذكره للأسباب التي جعلته يعيد تنظيم كتاب جامع الأصول انتقل الى بيان منهجه في تأليف الكتاب ليكون المطلع عليه على بيّنة من أسلوبه في الكتابة فقال : " وصدرت كل حديث منه باسم صحابيه الذى رواه ، وختمته بمن خرجه من الأئمة الستة وحواه ودمجت بين ذلك وبين متون الأحاديث ليؤمن به من الغلط والاشتباه . . . فإن اتفق الستة على إخراجه قلت أخرجه الستة ،وان انفرد منهم مالك بعدم اخراجه قلت أخرجه الخمسة ، وان انفرد واحد من الستة أو من الخمسة بعدم اخراجه إستثبته باسمه فقلت أخرجه الستة أو الخمسة إلا فلانا ، وإن إتفق البخارى ومسلم على إخراجه قلت أخرجه الشيخان فإن وافقهما مالك على إخراجه قلت أخرجه الثلاثة وإن وافقهما غيره قلت أخرجه الشيخان وفلان باسمه . . . . " (٧٤)

وذكر أنه إعتمد على تجريد قاضى القضاة هبة الله بن البارزى وزاد من أصله شيئا كثيرا من غريب الحديث ومعناه وتصحيح ما وقع فيه الغلط والاشتباه (٧٥) ثم أورد إجازته لكتاب هبة الله البارزى من شيخه الشرجي وساق الإجازات شيخاً عن شيخ إلى هبة البارزى . (٧٦)

وانتقل بعدها إلى ترجمة الأئمة الستة فى الحديث إعترافا بفضلهم

---

(٧٤) تيسير الوصول ، جـ ١ ، ص ٣ - ٤

(٧٥) تيسير الوصول ، جـ ١ ، ص ٤ - ٥

(٧٦) تيسير الوصول ، جـ ١ ، ص ٥ - ٦

على الأمة فى هذا المجال وهم :

١ - أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحى المتوفى سنة ١٧٩ هـ .(٧٧)

٢ - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى المتوفى سنة ٢٥٦ هـ(٧٨)

٣ - أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى المتوفى سنة ٢٦١هـ(٧٩)

٤ - أبو داود : سليمان بن الأشعث المتوفى سنة ٢٧٥ .(٨٠)

٥ - أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى المتوفى سنة ٢٧٩ هـ(٨١)

٦ - أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على بن بحر النسائى المتوفى سنة ٣٠٣ هـ .(٨٢)

ثم انتقل الى صلب الموضوع ، وقد جعل الكتاب على حروف المعجم فبدأ بحرف الهمزة ثم حرف الباء والتاء والثاء وهكذا ، ثم يدرج تحتهما المواضيع الأصولية التى تناسب الحرف الى نهاية كتابه ، فبدأ بالهمزة وفيه عشرة كتب هى :

الايمان ، الاعتصام ، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، الاعتكاف ، احياء الموات ، الايلاء ، الأسماء والكنى ، الآنيه ، الأمل والأجل ، وهكذا الخ .(٨٣)

---

(٧٧) تيسير الوصول ، جـ ١ ، ص ٦ -٧

(٧٨) تيسير الوصول ، جـ ١ ، ص ٧ - ٨

(٧٩) تيسير الوصول ، جـ ١ ، ص ٨

(٨٠) تيسير الوصول ، جـ ١ ، ص ٨ - ٩

(٨١) تيسير الوصول ، جـ ١ ، ص ٩

(٨٢) تيسير الوصول ، جـ ١ ، ص ١٠

(٨٣) تيسير الوصول ، جـ ١ ، ص ١٠

وختم الكتاب بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى رواه أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن ، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم " . (٨٤)

وقبلها ساق اجازته فى هذا الحديث عن مشايخه ومشائخهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر أنه فرغ من اختصاره فى يوم الجمعة مستهل ذى القعدة سنة ٩١٦ هـ ومن تصحيحه ومقابلته فى شهر محرم سنة ٩١٧ هـ . (٨٥)

ثم أجاز لم أدرك حياته من المسلمين روايته فقال : " وقد أجزت روايته عنى لمن أدرك حياتى من المسلمين جعل الله ذلك خالصا لوجهه الكريم ومقربا من جنات النعيم ، ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم" . (٨٦)

الفقه وعلومه

غير أن العلوم الفقهية هى التى حازت قصب السبق فى الحياة العلمية فى اليمن ، ويبدو أن الوضع الاجتماعى للفقهاء فى هذا القطر كان حافزا الى اتجاه الكثرة منهم لطلب العلم فى هذا الفن والتخصص فيه ، خاصة وأن معظم وظائف الدولة الطاهرية كانت خاصة بالفقهاء وفى طليعتها

---

(٨٤) تيسير الوصول ، جـ ٤ ، ص ٣٣٦

(٨٥) تيسير الوصول ، جـ ٤ ، ص ٣٣٦

(٨٦) تيسير الوصول ، جـ ٤ ، ص ٣٣٧

القضاء ، والإمامة والخطابة والحسبة وغير ذلك .

إضافة الى ذلك حاجة الناس إلى مثل هؤلاء المتخصصين فى الفقه وأصوله للإسترشاد بهم فى حياتهم العامة ، ومعرفة أمور دينهم بواسطة هؤلاء الفقهاء . الا أنه يجب أن نلاحظ أن فترة القرن التاسع والعاشر الهجريين تعتبر من الفترات التى أعقبت سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ وهذه الفترة جنح فيها الفقهاء الى التقليد لعدة أسباب أهمها كما بينها الدكتور عبد الكريم زيدان :

١ ـ أن المذاهب الاسلامية قد دونت تدوينا كاملا مع تشذيب مسائلها وتنظيمها وتبويب مسائلها الواقعيه ، مما جعل النفوس تستروح الى هذه الثروة الفقهية الهائلة والاستغناء بها عن البحث والاستنباط .

٢ ـ ضعف الثقة بالنفس والتهيب من الاجتهاد ، فقد اتهم الفقهاء أنفسهم بالضعف والعجز والتقصير ، وظنوا أنهم غير قادرين على تلقى الأحكام من منابعها الأصلية ، وأن الخير لهم واللائق بهم التقيد بمذهب معروف والدوران فى فلكه والتفقه بأصوله وعدم الخروج عليه .(٨٧)

وكانت الأسباب الداعية الى سد باب الاجتهاد ، كما يذكر الدكتور عبد الكريم زيدان : أنه لما كثرت ادعاءات الاجتهاد ممن ليسوا بأهله

---

(٨٧) عبد الكريم زيدان ، المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ، ص ١٤٧ ، ط ٥ ، بغداد ، ١٣٩٦ هـ .

وخشى الفقهاء من عبث هؤلاء الأدعياء وافسادهم دين الناس بالفتاوى الباطلة التي لا تقوم على علم أو فقه أفتوا بسد باب الاجتهاد دفعا لهذا الفساد وحفظا لدين الناس.(٨٨)

ولذلك اتجه فقهاء هذا الدور الى المتون والشروح والحواشي وصل الى درجة الاخلال بالمعنى وخفاء المقصود ، وصارت العبارات أشبه شيء بالألغاز ، هذه المختصرات التي سميت بالمتون احتاجت الى الشروح توضح معانيها وتزيل الابهام والغموض عن عباراتها فقام مؤلفوها أو غيرهم بشرحها ،فظهرت الشروح بجانب المتون ، ثم ظهرت بجانب الشروح الحواشي وهي تعليقات وملاحظات على الشروح والواقع أن الشروح والحواشي إهتمت بالمناقشات اللفظية والاعتراضات على الجمل والتراكيب حتى أصبح القارئ يتيه في هذه المناقشات والعبارات المغلقة والاختلافات حول الألفاظ والعبارات .(٨٩) وقد سادت هذه الفترة نفس الأسلوب السابق ولذلك فاننا نجد التأليف في الفقه اتجه الى قسمين :

١ - النكت والاختصارات على الكتب الفقهية المؤلفة قبلهم سواء اليمنية أو غيرها .

٢ - الفتاوى .

---

(٨٨) المدخل لدراسة الشريعة ، ص ١٤٨

(٨٩) المدخل لدراسة الشريعة ،ص ١٥١

وقد اشتهر من فقهاء هذا العصر كثير من علمائهم من أبرزهم :

الفقيه يحيى بن محمد بن أحمد الناشرى المتوفى سنة ٨٩٧ هـ وله :

١ - شرح الارشاد . (٩٠)

والفقيه عبد الله بن أحمد بامخرمه المتوفى سنة ٩٠٣ هـ له :

١ - نكت على جامع المختصرات .

٢ - فتاوى مرتبة على أبواب الفقه . (٩١)

أما الفقيه محمد بن أحمد بن عبد الله بافضل السعدى - ٨٤٠ - ٩٠٣هـ

فله فى الفقه كثير من المؤلفات التى تناولها من بعده من الفقهاء بالشـروح

ومن هذه المؤلفات :

١ - المقدمة الحضرمية فى فقه السادة الشافعية .

٢ - مختصر الأنوار للأردبيلى ، ويسمى نور الأبصار .

٣ - شرح البرماويه - فى الأصول .

٤ - العدة والسلاح لمتولى عقود النكاح .

٥ - حلية البررة فى الحج والعمرة . (٩٢)

---

(٩٠) الضوء اللامع ، جـ ١ ، ص ٢٤٣ ، مصادر الفكر ، ص ٢٠٥ ، وكتـاب الارشاد هو ارشاد الغاوى الى مسالك الحاوى ، لاسماعيل بن أبى بكر المقرى المتوفى سنة ٨٣٧ هـ ، مصادر الفكر ، ص ١٩٨ .

(٩١) الضوء اللامع ، جـ ٥ ، ص ٨ - ٩ ، النور السافر ، ص ٣٢ ، هدية العارفين جـ ١ ، ص ٤٧١ ، مصادر الفكر ، ص ٢٠٧

(٩٢) النور السافر ، ص ٢٦ ، مصادر الفكر ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧

أما الفقيه كمال الدين موسى بن أحمد بن الزين الرداد المتوفى سنة ٩٢٣ هـ فكان فقيه وقته أخذ عنه الكثير من علماء اليمن لشهرته فيها ومن آثاره في الفقه .

١ - الكواكب الوقاد شرح الارشاد ، قال عنه العيدروس في النور السافر أنه في أربعة وعشرين مجلدا ، وهو كتاب جليل لم يصنف مثله في الجمع والفوائد .

٢ - وله شرح صغير على الارشاد .

٣ - فتاوى . (٩٣)

وللفقيه الأديب المعمر حمزة بن عبد الله الناشري - ٨٣٣ - ٩٢٦ هـ مصنفات في الفقه وهي :

١ - مسالك التحبير في مسائل التكبير .

٢ - مختصر مسالك التحبير .

٣ - مجموع حمزة في الفتاوى الفقهية ، ويقول عنه العيدروس والشلي : أنه جمعه من فتاوى علماء اليمن وغالبه من فتيا أهل زبيد . (٩٤)

وللفقيه أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بافضل الذي استشهد في احدى المعارك مع البرتغاليين أثناء هجومهم على الشحر سنة ٩٢٩هـ عدة

---

(٩٣) النور السافر ، ص ١١٦ ، مصادر الفكر ، ص ٢٠٨ ، ايضاح المكنون ، جـ ٢ ، ص ٢٩٥

(٩٤) السناء الباهر ، ورقه ١١٦ ، النور السافر ، ص ١٣٠-١٣١ ، البدر الطالع ، جـ ١ ، ص ٣٨ ، شذرات الذهب ، جـ ٨ ، ص ١٤٣ ، ايضاح المكنون ، جـ ١ ، ص ٢٢٩ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٢-٤٧٣ ، مصادر الفكر ، ص ٤٠

مؤلفات في الفقه أهمها :

١ - نكت على روض ابن المقرى في مجلدين .

٢ - ونكت على الارشاد لابن المقرى في مجلدين .(٩٥)

كما أن للفقيه محمد بن عمر بن مبارك بحرق مصنفات في الفقه أهمها :

١ - حلية البنات والبنين فيما يحتاج اليه من أمر الدين .(٩٦)

٢ - كتاب ضياء الاصباح في شرح العدة والسلاح لمتولى عقد النكاح .(٩٧)

وللقاضي أحمد بن عمر المزجد شهرة تعدت نطاق اليمن بسبب مؤلفاته الفقهية أبرزها كتاب العباب في الفقه ، وهو ذو مكانة علمية في بلاده أهلته لأن يكون واحدا من رؤساء القوم تلقى على يديه الكثير من طلاب العلم في اليمن ، واشتهروا بعده ولذلك فانها شخصية تستحق أن تفرد بالترجمة والتعريف به .

نسبه : هو القاضي العلامة صفي الدين أبو السرور أحمد بن عمر بن محمد ابن عبد الرحمن بن القاضي يوسف بن محمد بن علي بن محمد بن حسان ابن الملك سيف بن ذي يزن المذحجي السيفي المرادي الشهير بالمزجد

---

(٩٥) النور السافر ، ص ١٣٦ ، شذرات الذهب ، جـ ٨ ، ص ١٦٢ ، معجم المؤلفين ، جـ ١ ، ص ٢٩٥ ، مصادر الفكر ، ص ٢٠٨ .

(٩٦) النور السافر ، ص ١٤٧ ، مصادر الفكر ، ص ٢٠٩

(٩٧) الحبشي ، فهرست المخطوطات اليمنية في حضرموت ، ص ٩٤ .

الشافعي الزبيدي .(٩٨)

ولد سنة ٨٤٧ هـ في قرية الزيدية ونشأ بها طالبا للعلم منذ صغره ،

وبعد أن أخذ على مشايخ قريته انتقل الى بلدة بيت الفقيه ابن عجيل

ودرس فيها على يد شيخ الاسلام ابراهيم بن أبي القاسم جغمان ، والشيخ

الطاهر بن أحمد جغمان كما أخذ عن القاضي عبد الله بن الطيب الناشري ،(٩٩)

ولما أكمل تعلمه على فقهاء بيت الفقيه اتجه الى مدينة العلم الأولى في اليمن

وهي زبيد ، فتتلمذ في الفقه على يد العلامه أبي حفص عمر الفتى ، وشيخ

الاسلام يوسف بن يونس الجبائي المقرئ الذي درس علم الأصول كما درسه

على السيفكي ،(١٠٠) كما أخذ الحديث عن الحافظ يحي العامري ، وعن

الصديق الطيب بن المطيب الناشري ، ثم انتقل الى تعز حيث أخذ عن

علمائها وخاصة موفق الدين الناشري والعلامة بدر الدين الحسن الصباحي

علم الحساب والفرائض وغيرها من العلوم.(١٠١)

وبعد أن أخذ من العلوم فنونها وأتقن على أيدي العلماء مكنونها ،

ظهر نبوغه المبكر وأخذ مكانه بين مصاف العلماء الأفذاذ ، ويبدو أن

---

(٩٨) النور السافر ، ص ١٣٧ ، شذرات الذهب ، جـ ٨ ، ص ١٦٩ .

(٩٩) النور السافر ، ص ١٣٧ ، شذرات الذهب ، جـ ٨ ، ص ١٧٠

(١٠٠) النور السافر ، ص ١٣٧ .

(١٠١) النور السافر ، ص ١٣٨ .

القاضي المزجد كان يميل الى العزلة لاصطباغ حياته بالحياة الصوفية السائدة في عصره ، الا أنها كانت عزلة علمية ، يشغل أوقاته بمطالعة الكتب التي يأخذ منها بفهم شديد فتنتاب نفسه أحيانا الملل والضجر من فن ما ، فيتحول الى فن آخر وهو الأدب والفكاهة فيستدعي بكتاب مقامات الحريري ، وكان يطلق عليها طبق الحلوى ، وبعد أن يفرغ منه يعاود نشاطه في القراءة.(١٠٢)

وقد تقلد المزجد منصب القضاء أولا في مدينة عدن سنة ٨٩٩ هـ (١٠٣) واستمر قاضيا فيها الى سنة ٩٠٤ هـ ثم نقل الى زبيد بعد وفاة قاضيها محمد بن عبد السلام الناشري وكان تعيينه هنا لمكانة هذه المدينة لدى السلطة الطاهرية ، وبالرغم من انشغاله بمنصب القضاء فانه لم يترك التدريس وكان ينظم أوقات يومه بين القضاء والتدريس، قال تلميذه صالح النمازي : " شيخنا المذكور أوقاته مرتبة يجعل أواخر الليل وأول النهار لدرس القرآن ، ثم يشتغل من أوراده ثم بالتفسير ثم بالفقه ثم يخرج الى الحكم الى وقت الظهر ، ثم يقيل ثم يشتغل بالاحياء للغزالي ونحوه من كتب الرقائق وفي آخر النهار ينظر في التاريخ الى أن يخرج لمجلس الحكم بعد صلاة العصر ".(١٠٤)

(١٠٢) النور السافر ، ص ١٤١ .

(١٠٣) بغية المستفيد ، ص ٢٠٧

(١٠٤) النور السافر ، ص ١٤٢ .

وقد وصف بأنه كان يحب العزلة ويفضل الابتعاد عن رجال الدولة رغم أنه كان قاضيا في زبيد ، ويبدو أنه كان يريد حرية نفسه وحرية قراراته في القضاء بعيدا عن تدخلهم ، وكان يستشهد بقوله في تحبيب العزلة :

فلازم كسر بيتك فهو أدعى — لبعدك عن قبيح الاعتياد
وسامح أهل عصرك وأعف عنهم — وعش مستأنسا بالانفراد
وقل أقرضتكم عرضي جميعا — وقد أبرأتكم يوم المعاد
لكم حق علي ولا أرى لي — حقوقا عندكم هذا اعتقادي
لأنني عبد سوء ذو عيوب — يصاح علي في سوق الكساد (١٠٥)

كما كان يتمثل بهذه الأبيات :

لا تصحب المرء الا في استكانته — تلقاه سهلا أديبا لين العود
واحذره ان كانت الأيام دولته — لعل يوليك خلقا غير محمود
فانه من مهاوٍ من تفطرسه — لا يرعوى لك ان عادى وان عودى
وقل لأيامه اللائي قد انصرمت — بالله عودى علينا مرة عودى (١٠٦)

ولذلك فقد كان محل ثقة في منصبه واستمر فيه الى مقتل السلطان عامر ، وعندما دخل المماليك تعرض القاضي المذكور لاهانة المماليك طمعا في أمواله بحكم منصبه ولكنه كان فقيرا ، فلما تحقق الكردى فقره أطلقه . (١٠٧)

---

(١٠٥) النور السافر ، ص ١٤١ - ١٤٢
(١٠٦) النور السافر ، ص ١٤١
(١٠٧) النور السافر ، ص ١٤٠

ويبدو أنه آثر الابتعاد عن ظل الحياة القضائية بعد السلطان عامر ، وبدأ يلتفت الى مصنفاته التى لم يكملها ، فاتمها قبل أن يوافيه الأجل فى فجر يوم الأحد أحد أيام شهر ربيع الآخر سنة ٩٣٠ هـ ،(١٠٨) عن عمر يناهز الثمانين .

مؤلفاته :

برع المزجد فى علوم كثيره ، الا أنه تميز فى الفقه حتى كان فيه أوحد وقته ، (١٠٩) ولذلك فان معظم انتاجه كان فى الفقه وأهمها :

١ - تجريد الزوائد وتقريب الفوائد ، وهو فى مجلدين جمع فيه الفروع الزائدة على الروضة غالبا .

٢ - كتاب تحفة الطلاب منظومة فى مسائل الارشاد فى الفقه .

٣ - منظومة الارشاد وهى فى خمسة آلاف وثمانمائة وأربعين بيتا ، وزاد على الارشاد كثيرا من المسائل والقيود .

٤ - فتاوى جمعها ولده القاضى حسين بن أحمد المزجد .(١١٠)

---

(١٠٨) النور السافر ، ص ١٢٧

(١٠٩) النور السافر ، ص ١٢٧

(١١٠) النور السافر ،ص ١٣٨ ، السناء الباهر ،ورقه ١٢٧ أ ، شذرات الذهب ، جـ ٨ ، ص ١٧٠ ، ايضاح المكنون ،جـ ١ ، ص ٢٢٧ - ٢٥٣ ، معجم المؤلفين ،جـ ٢ ،ص ٣٤، مصادر الفكر ،ص ٢٠٩

٥ - العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعي والأصحاب (١١١) ، وهو من أهم مصنفاته جمع فيه أكثر أقوال الشافعي وأصحابه وأبحاث المتأخرين ، وقد رتبه على أبواب الفقه ، فبدأ بباب الطهارة ، وباب الصلاة ، وباب الزكاة وهكذا ، (١١٢) وقد لقي هذا الكتاب استحسانا كبيرا لدى علماء الشافعية وامتدحوا صاحبه على تأليفه . قال العلامه وحيد الدين الزبيدي يقرض الكتاب:

جزى ربنا عنا الذي هو أهله	شهاب الدنا والدين أعني أباالحسن
بتصنيفه هذا العباب الذي له	تقلد ذو العلم الجسيم من المنن
غنينا به عن كل أصل وفرعه	وروض وارشاد وشرحهما معا
فيا طالبا للعلم حسبك درسه	اذا شئت تدعى عالم الشام واليمن (١١٣)

---

(١١١) النور السافر ، ص ١٣٨ ، السناء الباهر ، ورقه ١٣٧ أ ، شذرات الذهب ، جـ ٨ ، ص ١٧٠ ، ايضاح المكنون ، جـ ٢ ، ص ٩١ معجم المؤلفين ، جـ ٢ ، ص ٣٤ ، مصادر الفكر ، ص ٢٠٩ ، الكواكب السائرة ، جـ ٢ ، ص ١١٤ ، فهرست المخطوطات اليمنية في حضرموت ، ص ٧٦ ، "مجلة معهد المخطوطات العربية" ، المجلد السابع والعشرين ، جـ ٢ ، ص ٧٢١ ، الكويت سنة ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .

(١١٢) المزجد : أحمد بن عمر ، العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعي والأصحاب ، ورقه ٣ أ - ٤ ب ، مكتبة الأحقاف بتريم - مجموعة آل سهل ، ومما يجدر ذكره أن مقدمة الكتاب ناقصة منها .

(١١٣) الكواكب السائرة ، جـ ٢ ، ص ١١٤ .

وشرحه جماعة من علماء القرن العاشر منهم ابن حجر الهيثمي في كتابه : " الايعاب بشرح العباب " وعلى بن محمد بن عراق المتوفى سنة ٩٦٧ هـ .(١١٤)

---

(١١٤) مصادر الفكر ،ص ٢٠٩ ، ايضاح المكنون ،جـ ٢ ، ص٩١ .

علم الكــــــلام

أما علم الكلام فيبدو أن أهل اليمن الشافعية لم يرق لهم تعلمه ، ويعزو الاستاذ عبدالله محمد الحبشي عدم اهتمام علماء اليمن الشافعية بهذا العلم هو نجاح حملة الغزالي على الفلسفه وما يتعلق بعلوم أهل الكلام.(١١٥)

ولذلك فاني لم أجد فيما لدى من مصادر سوى مؤلفات الفقيـــــه محمد بن عمر مبارك بحرق الذى وجدناه يؤلف في هذا الفن ومن كتبه هذه :

١ - عقد الدرر في الايمان بالقضاء والقدر .

٢ - العقد الثمين في ابطال القول بالتحسين والتقبيح

٣ - العقيدة الشافعية في شرح القصيدة اليافعيه .

٤ - الحواشي المفيدة في أبيات اليافعي في العقيدة .

٥ - الحسام المسلول على منتقص أصحاب الرسول .(١١٦)

---

(١١٥) حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول ، ص ٩٥

(١١٦) النور السافر ، ص ١٤٧ ، شذرات الذهب ، جـ ٨ ، ص ١٧٦ ، هدية العارفين ، جـ ٢ ، ص ٢٣٠ ، معجم المؤلفين ، جـ ١١ ، ص ٩٠ ، مصادر الفكر ، ص ١٢٣ ، فهرست المخطوطات اليمنية في حضرموت ، ص ١٩ ، ص ٣١ ، ص ٣٣ .

علوم اللغة العربية وآدابها

وللغة العربية اهتمامها الذى لا يقل شأنا عن بقية العلوم فهى المفتاح الى فهم كتاب الله الكريم وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والتسليم ، وبواسطتها تعرف الأحكام الشرعية ومقصودها ، ولذلك كان لها دور فى حياة طلاب اليمن آنذاك يتلقونها مع سائر العلوم حتى يتقنوا فنونها ، ولذلك فان لهم مشاركات فى هذه العلوم ، وان كان أغلبها شروح واختصارات لمؤلفات من سبقهم وقد اشتهرت مؤلفات كل من :

الفقيه عبد الله بن أحمد با مخرمه المتوفى سنة ٩٠٣ هـ وله :

١ - نكت على الألفيه فى النحو.
(١١٧)
٢ - شرحة ملحة الاعراب للحريرى .

ومنهم الفقيه محمد بن عمر مبارك بحرق ت ٩٣٠ هـ ، وربما يكون هو أكثر من ألف فى النحو ومن مؤلفاته : -

١ - شرح لامية الأفعال لابن مالك .

٢ - أرجوزة فى معنى الحروف .

٣ - فتح الرؤوف فى معانى الحروف - شرح الأرجوزة السابقة .

٤ - فتح الاقفال فى شرح لامية الأفعال .

---

(١١٧) النور السافر ، ص ٣٢ ، الضوء اللامع ، جـ ٥ ، ص ٩ ، ايضاح المكنون ، جـ ٢ ، ص ٥٥٢ ، هدية العارفين ، جـ ١ ، ص ٤٧١ ، مصادر الفكر ، ص ٣٨١ ، معجم المؤلفين ، جـ ٦ ، ص ٢٨

٥ - البهجة في تقويم اللهجه .[118]

هذا عن المؤلفات النحوية أما المؤلفات الأدبية فتعتبر قليلة مثلها مثل المؤلفات النحويه . وهي أيضا شروحات لمؤلفات من سبقهم ومن هذه المؤلفات ما كتبه :

محمد بن أحمد بافضل .

١ - الغيث الهمل في شرح المدخل في المعاني والبيان ، وهو شرح لكتاب عضد الدين الايجي المسمى المدخل في المعاني والبيان .[119]

أما الفقيه حمزة بن عبدالله الناشري . ت ٩٢٦ هـ - فله :

١ - سالفة العذار في الشعر المذموم والمختار .

٢ - النعمه المشكورة في المسائل المنشوره .[120]

وللفقيه محمد بن عمر بحرق :

١ - نشر العلم في شرح لامية العجم ، وهو مختصر من شرح لامية العجم للصفدي .[21]

---

(١١٨) النور السافر ، ص ١٤٧ ، شذرات الذهب ، جـ ٨ ، ص ١٧٧ ، السناء الباهر ، ورقه ١٣٩ أ ، هدية العارفين ، جـ ٢ ، ص ٢٣١ ، مصادر الفكر ، ص ٣٨١

(١١٩) مصادر الفكر ، ص ٣٨٠

(١٢٠) النور السافر ، ص ١٣١ ، شذرات الذهب ، جـ ٨ ، ص ١٤٣ ، ايضاح المكنون ، جـ ٢ ، ص ١ ، معجم المؤلفين ، جـ ٤ ، ص ٧٩ ، مصادر الفكر ، ص ٣٣٠

(١٢١) النور السافر ، ص ١٤٧ ، شذرات الذهب ، جـ٨ ص ١٧٧ ، السناء الباهر ، ورقه ١٣٩ أ ، هدية العارفين ، جـ ٢ ، ص ٢٣١ ، مصادر الفكر ، ص ٣٣٠

وللقاضي أحمد بن عمر المزجد مؤلف في الأدب هو :

١ - درر الأخبار وزواهر الآثار في الأدب والحكايات . (١٢٢)

أما عن الأدب اليمني في هذه الفترة بشقيه النثر والنظم ، فاننا نجد صعوبة في الكشف الحقيقي عنه ، وذلك لعدم توفر كثير من الكتب التي خلفها أدباء تلك الفترة ، ولذلك كان الاعتماد بالدرجة الأولى على كتب التراجم التي استعرضت علماء هذه المدة الزمنية المحدودة ، وبالتالي فان الحكم على الأدب في عهد السلطان عامر لا يكون مقياسا صحيحا ما لم نعثر على الانتاج الحقيقي الذى زخرت بها فترته ، وكل ما وجدته هو ديوان أبي بكر بن عبد الله العيدروس المتوفى سنة ٩١٤ هـ وغالب ديوانه هذا هو من الشعر العامي ، كما سنستعرض فيما بعد نماذج من أشعاره وشيئا عن حياته ، وهناك صور مستعددة من أغراض الشعر قيلت تبعا لهوى قائلها وميوله فهذا الفقيه الأديب حمزة بن عبد الله الناشري . المتوفى سنة ٩٢٦ هـ - اشتهر بأنه أديب بارع بجانب شهرته باللطافة التي تميز بها ، (١٢٣) وقد انعكست لطافته هذه على أدبه ، وللأسف فان كثيرا مما نظمه الناشري لم يتبق منه الا ما دونه المؤرخون الذين استعرضوا ترجمته ، ومن شعره وقد أعجبه منظر الفل الأبيض وسحر رائحته هذا النوع منه والذى

---

(١٢٢) مصادر الفكر ، ص ٣٣

(١٢٣) النور السافر ، ص ١٣٠

اشتهرت به مدينة زبيد ، فلم يملك الا أن يبدى اعجابه فتمثل بهذين البيتين :

زهور الفل تنظرها ابتهاجا   نجوما زاهرات فى غياض
وما غربت نجوم الليل لكن   نقلت من السماء الى الرياض. (١٢٤)

فهذا الفل بمنظره البديع تمثل للشاعر بنجوم الليل التى تختفى بطلوع الشمس ولكن اذا غابت هذه النجوم بطلوع النهار فانها تنتقل من السماء الى البساتين النظره ، وقد أكد اعجابه هذا بالفل مرة أخرى حينما قال :

أنظر الى الفل فى الأغصان والورق   ونزه الطرف فى رؤياه بالحدق
تزهو حديقته فخرا ببهجتها   فى رفرف أخضر أو أبيض يفق
كأن خضرتها والفل حين بدا   صحن السماء وفيه أنجم الأفق (١٢٥)

ويبدو أن الفقيه حمزة كان شديد الرفاهية ورقيق الاحساس تجاه ما أودعه الله سبحانه وتعالى من عظيم ابداعه وصنعه فى الأرض من الطيبات، فلم يتمالك شاعرنا الا أن يعبر عن احساسه فى بديع صنع الله عز وجل ، فقال متمثلا يصف العنب :

ومصفرة الملاة قد جناني   رحيق الشهد من رشف المحاج
أشبه شامة حمرا عليه   بفضل الخمر فى كأس الزجاج

---

(١٢٤) النور السافر ، ص ١٣١

(١٢٥) النور السافر ، ص ١٣١

وله فيه أيضا :

اذا نظرت الى العنب أتحسبه　　جاما من التبر فيه فص ياقوت
أوخد غانية يحمر من خجـل　　أو قرص عاشقة أدماه كالتوت (١٢٦)

أما ابن الديبع فقد أعجبه نوع خاص من أنواع الزبيب التى اشتهرت بها صنعاء فتمثل بهذين البيتين يخاطب بها أهل هذه المدينة :

يا أهل صنعاء قد رزقتم جنـة　　أنهارها حفت بلطف الخالـق
ورزقتم زبيبـا أبيضـا　　وبلا نوى فتنعموا بالـرازق (١٢٧)

وللعلاقات الانسانية دورها فى الشعر اليمنى أنذاك فهذا القاضى أحمد بن عمر المزجد يرسل الى تلميذه السيد أبو بكر بن عبد الله العيدروس قصيدة الى عدن يعبر فيها عن مشاعره تجاه تلميذه ذو المكانة العالية فى اليمن أنذاك فقال :

سلام كروض باكرته غمائمـه　　وفتح عن زهر الأقاحى كمائمه
وأعشب وأخضرت أفانين دوحة　　وغنت على أغصانهن حمائمـه
سلام يبارى المندل الرطب نشره　　فتـعبق من تلك الربوع معالمه
على السيد السامى الذرى العلى　　وليسرله فى مثلها من يزاحمـه
أبى بكر الصديق أكرم بينعـه　　نمته فقد نيطت عليه تمائمـه
وهمته فى نيل كل فضيلـة　　وليس الى احراز ماهو طاعمـة
له من كتاب الله أعذب منهـل　　ومن سنة المختار شرب يلائمه (١٢٨)

---

(١٢٦) النور السافر ، ص ١٣٢
(١٢٧) النور السافر ،ص ٢١٩
(١٢٨) النور السافر ،ص ٨٢ - ٨٣

ويرد عليه العيدروس بقصيدة على منوالها يجدد فيها مشاعره الصادقة تجاه شيخه الذى خصه بتلك القصيدة :

سلام كوابل عم ساجمـــه تفتح عن نور الكمام مباسمــه
سلام يفوق المسك فى نشر عطره ويزرى بذوق الشهد فى في طاعمه
على السيد الحبر شهابنــا نواوى العلا مفتى الزمان وحاكمه
له فى سلوك الدين أوضح منهج له من فنون العلم أو فى مقاسمه
لكل زمان عالم يقتدى بــه وهذا الزمان لا شك أنت عالمه
بمجلسه تجلى العلوم ويهتدى بـه كل حبر ليت من هو ملازمه
يفك عويص المشكلات درايــة بديهته خفى مكارمـــه . (١٢٩)

وهناك شاعر فقيه لا يقل شأنا عن غيره من الفقهاء ، ويبدو أن شعره لم يجمع فلم يصل الينا منه الا القليل ، وهو نظم جيد يدل على تمكنه من القوافى وهو الفقيه محمد بن عمر بن مبارك بحرق المتوفى سنة ٩٣٠ هـ ، وقد كان معتدا بنفسه وقد أنشأ قصيدة تبين مدى اعتزازه بقوته فى النظم :

يا من أجاد غداة أنشد مقولا وأفاد من احسانه وتفضــلا
ان كنت ممتحنى بذاك فاننى لست الهيوبة حيث ما قيل أنزلا
واذا تبادرت الجياد بحلبة يوم النزال رأيت طرفى أولا
قسما بآيات البديع وما حوى من صنعتيه موشحا ومسلسلا
لو كنت مفتخرا بنظم قصيدة لبنيت فى هام المجرة منزلا

---

(١٢٩) النور السافر ، ص ١٤٢ - ١٤٣

من كل قافية تروق سماعهـــا | وتعيد سحبان فصاحة باقـلا
ويرى فيهـا لبيد بليد قلبــه | حصرا وينقلب الفرزدق أخطلا
وعلي جرير نجر طرف تيهنـا | ومهلهلا ينديه نسيج مهلهلا
ولئن تبنا ابن الحسين فانني | سأكون في تلك الصناعة مرسـلا
أظننت أن الشعر يصعب صوغه | عندي وقد أضحى لدى مذللا
أبدى العجاب لكنني رجل أصون | بضاعتي عمن يساوم بخسها مبتذلا
وأرى من الجرم العظيم خريده | حسنا تهدى للئيم وتجتـــــلا . (١٣٠)

كما أن له مدائح في السلطان عامر بن عبد الوهاب ، وذلك أنه توجه الـــى زبيد ليتلقى العلم فصادف أن السلطان عامر قد بدأ يشيد المــــدارس والجوامع في هذه المدينة ،فتحرك الفقيه المذكور لمدحه على أعماله الخيره فقال :

أبى الله الا أن تحوز المفاخرا | فسماك من بين البرية عامـــرا
عمرت رسوم الدين بعد دروسها | فاحييت آثار الاله الدواثـــرا
فأنت صلاح الدين لا شك هذه | شواهده تبدو عليك ظواهـرا . (١٣١)

وقال فيه أيضا :

أيدت دينك يارب العلا أبـدا | بناصر لملوك الأرض قد ضهدا
أعني به عامرا شمس الملوك فكن | نصيره أبدا في كل ما قصـدا
وناصرا ومعينا فهو شمس ضحى | أخفى نجوم ملوك الأرض منذ بدا
سميته عامرا لما أردت بــــه | صلاح دينك ارغاما لمن جحدا . (١٣٢)

---

(١٣٠) النور السافر ،ص ١٤٤ - ١٤٥
(١٣١) الضوء اللامع ،جـ ٨ ،ص ٢٥٣ - ٢٥٤ ، النور السافر ،ص ١٤٨ .
(١٣٢) الضوء اللامع ،جـ ٨ ، ص ٢٥٤ ، النور السافر ،ص ١٤٨ .

والى جانب مشاركته فى الشعر الفصيح فان له أيضا مشاركة فى الشعر العامى فهذه قصيدة مسمطه مدح فيها شيخه السيد أبوبكر بن عبد الله العيدروس قال فيها :

سابيح بالغرام   كم ذا تستر بعشيقى
وارفع ذى اللثام   أو خذ نصيبى ورزقى
زدنى فى الملام   يا عاذلى لا تتبقى

وأشهر ذا الكلام   فى كل غرب وشرق

ما للناس معى   اذا هويت كل رعنا
وأحنيت أضلعى   فى عشق سلمى ولبنا
واضغى مسمعى   لكل معنى ومغنا
وسأشرب من مدام   الحب يا صاح وأسقى

ما فى الحب عار   كلا ولا فيه من باس
سأخلع ذا العذار   وأحمله شهرى على الراس
وأعصى من أشار   وأترك رضا الناس للناس

من كان مستهام   مثلى فيأتى بشقى

وبعد مقدمة غزليه ينتقل الشاعر الى مدح المقصود فيقول :

سأنثر فى الجلـوس　　عقود در وعقيـــان

فى ابن العيدروس　　عالى المقامات والشأن

منفس النفـــوس　　ومنتهى كل انســان

طال عمره ودام　　لكل فتــق ورتــق . (١٣٣)

وهناك شاعر فقيه صوفى يعتبر من رواد الشعر العامى فى اليمن وتعتبر فترته من الفترات الانتقاليه فى الشعر العامى فى هذه المنطقة (١٣٤) ، وهو السيد أبو بكر بن عبد الله العيدروس بن أبى بكر بن عبد الرحمـن السقاف (١٣٥) ، ولد بمدينة تريم سنة ٨٥١ هـ ، ونشأ حياته الأولى فيها فـى ظل تربية والده ، وحفظ القرآن الكريم وهو صغير (١٣٦) ، وبعد أخــذه على علماء بلدته انتقل الى داخل اليمن وتتلمذ على شيخ المحدثين آنذاك يحى بن أبى بكر العامرى ، والفقيه أحمد بن عمر المزجد وغيرهم من علماء اليمن (١٣٧) ثم حج وفى مكة التقى بالمحدث الحافظ السخاوى وأخذ عنـــه ،

---

(١٣٣) النور السافر ، ص ١٤٩ - ١٥٠

(١٣٤) المقالح : عبد العزيز ، شعر العاميه فى اليمن ، ص ٣٤٢ ، بيروت ١٩٧٨م .

(١٣٥) الشلى : محمد بن أبى بكر ، المشرع الروى فى مناقب السادة الكرام بنى علوى ، جـ ٢ ، ص ٧٢ ، ط ٢ ، بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م

(١٣٦) المشرع الروى ، جـ ٢ ، ص ٧٢

(١٣٧) النور السافر ، ص ٨٢ ، شذرات الذهب ، جـ ٨ ، ص ٦٣

وبعد رجوعه من مكة الى اليمن صادف أن توفى السيد عمر بن عبد الرحمن العلوى صاحب الحمراء بتعز سنة ٨٨٩ هـ ، فذهب اليه علماء عدن وأعيانها للترحيب به والتعزية فى وفاة السيد عمر ، وألحوا عليه فى البقاء فى عدن ، وتحت هذه الرغبة ألقى ترحاله فيها (١٣٨) وأصبح ذو مكانة عاليه فى المجتمع العدنى وذو نفوذ قوى على أتباعه الصوفيه واشتهر بكرمه البالغ وخاصة فى شهر رمضان ينفق فيه مبالغ هائله من الأموال كصدقات على الفقراء والمساكين ، ورغم أنه شيخ طريقه فانه لم يمل الى العزلة كغيره من المشايخ الصوفية ، بل كان من المشاركين فى الحياة العامة والخاصة ، وذو نفوذ فى الدولة الطاهرية مسموع الكلمة لدى السلطان عامر بن عبد الوهاب (١٣٩) ، ولا عزو فقد تصدى لمدحه فى كثير من المناسبات بل ووقف شاعرنا بحزم ضد مناوئيه من بنى طاهر (١٤٠) ، كما أنه تصدى للأئمة الزيديه ووقف منهم موقفا عدائيا بما ينشره من قصائد بين أتباعه ضدهم (١٤١) . ورغم أنه كان ينتمى الى أسرة شريفه فانه كان يصرح بأن خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم أفضل من على رضى الله عنه وأن هذا هو

---

(١٣٨) السقاف : السيد عبد الله بن محمد بن حامد ، تاريخ الشعراء الحضرميين ، جـ ١ ، ص ١٠٦ ، الطائف ، بدون تاريخ .

(١٣٩) تاريخ الشعراء الحضرميين ، جـ ١ ، ص ١٠٨

(١٤٠) ديوان مهجة السالك وحجة الناسك ، ص ٨٧

(١٤١) ديوان مهجة السالك ، ص ٨٧

مذهبه الذى لا يحيد عنه (١٤٢)، وظل طوال حياته فى عدن الى أن توفاه الله ليلة الثلاثاء الرابع عشر من شوال سنة ٩١٤ هـ ودفن فيها (١٤٣).

ديوانـــه :

تطرق السيد أبو بكر بن عبد الله العيدروس الى كثير من أنواع الشعر سواء منها الفصيح أو العامى ، والنوع الأخير يقسم الى نوعين هما الموشحات والحمينيات ، ولذا فاننا سنورد نماذجا من كل نوع من ديوانه الذى طبع فى القاهرة سنة ١٣٥٥ هـ .

فمن شعره الفصيح هذه القصيدة والتى بعثها الى السلطـــان عامر بن عبد الوهاب يحرضه على تشديد الحصار على صنعاء سنة ٩٠٧ هـ ومنها :

عنايات وتيسير بيســـر ... ولطف شامل ودوام نصـــر

وتأييد من المولى تعالى ... وحفظ مانع من كل ضـــر

وفتح عن قريب فى علاء ... وعافية مؤبدة وســـتر

بتوفيق وتسديد وعـــز ... وقهر للعداء وطول عمـــر

لمولانا الامام ومن ترقى ... على كل الملوك بكل فخـــر

---

(١٤٢) النور السافر ، ص ٨٦

(١٤٣) النور السافر ، ص ٨١ ، شذرات الذهب ، جـ ٨ ، ص ٦٣ ، المشرع الروى ، جـ ٢ ، ص ٧٣ ، تاريخ الشعراء الحضرميين ، جـ ١ ، ص ١٠٧

بحمد الله مالك نظـــير ولا مشبهك في بـر وبحــــر

ولا مشبهك في دين وعقل ولا مشبهك في عدل وبــــر

فانت على الشريعة لا خلاف لما قلنا في ســـر وجهـــر

ود ينهم الروى وكل قــول لهم تحقيقه زور ونكـــــر

فانهم البغاة لا تبالــي بما ترميه من سهم وحجــر

وما تجمعه من خيـل ورجل وما أعددت من بيض وسمــر

فصنعاء العروس وليس يخفى مثل أن بعد العرس عطـــر

فقم بالثأر وانصر من تقدم من الأباء وخذ بالشزر شبر

فصبر سيدى فالنصر آت ولا تسأم لتأييد وصـــــبر

فلا لوم من طلب المعالى بما تبذله من ورق وتــــبر (١٤٤)

ومن شعره الغزلي :

أكاملة الحسن البديع تعطفي على مغرم مضنى عميد ومدنف

فكل مطول وفا بوعـــــوده لعاشقه وأنت العاشقك لم تف

متى يذهب العنا ببشيركم كما جاء يعقوب البشير بيوسف

شكوت الفنا الى غير سامع وبثيت شكوائي الى غير منصـف

ولا زمهرير وان تعاظم برده ولا برد ولا ثلج يطفي تلهفي (١٤٥)

---

(١٤٤) العيدروس ، ديوان محجة السالك وحجة الناسك ، ص ٨٧

(١٤٥) ديوان محجة السالك ، ص ٦٨

ومن شعره الموشح :

بأيمن السفح من زرود   عطبول تسبى كل من نظرها
هيفا مياسة القـــدود   يكاد يكسو جسمها شعرهـا
والزهر قد زين الخدود   وعينها قد زانها حورهــا
ان كان زان السما وقود   قمر فهذا فى أرضها قمرهـا
أقسم بها ما أعشق أحد سواها   وغاية المقصود لى رضاهــا

أنا الذى أهوى فى الهوى هواهـا

أحب رمانة النهـــود   وأحب من فوق الثرى أثرهـا
ولا أستمع زجرة الحسود   سيان عندى نفعها أو ضررها
بالله يا جيرة اللـــوى   لا تهدموا بالبعد ما بنيتم
انى على مقتضى الهوى   لم ينسكم قلبى وان نأيـــتم
وكل أحوالكم ســـــوى   ان شئتم وصلى وأن أبيـــتم (١٤٦)

ومن شعره الحمينى :

وجه الحبيب وجهتى ـ وجهت وجهى اليه ـ حسبى به قبلتى ـ مع التوكل عليه

لا حول لا قوتى   فقير ملقى لديـه   فهو سبب نعمتى وخيرنا من يديه

ان لم يكن لى فمن   أرجو كريما سواه   منه النعم والمنن وعم خلقه عطاه

---

(١٤٦) ديوان مهجة السالك ، ص ١٤١ .

له الثناء الحسن والقصد كله رضاه ما أنا وما زلتي عبده منه واليه

فياسريع الرضا حلمك سبق نقمتك أسألك حسن القضا مع دوام نعمتك

وعفو ما قد مضى تسع الذنوب رحمتك يا عالما نيتي قلبي وما حل فيه (١٤٧)

----

(١٤٧) ديوان محجة السالك ، ص ١٦٩ .

الكتابـــة التاريخيـــة

اشتهر عن الكتابة التاريخية اليمنية في الحقبة التي ندرسهـا بأنها مثال حي عن الكتابة التاريخية المحلية (١٤٨)، والسبب في ذلك هـو أن المؤرخ اليمني انصب اهتمامه على تدوين تاريخ اليمن وتتبع أخبـاره قدر الامكان، دون الالتفات الى أخبار من حوله من العالم الاسلامي الا بالقدر الذى يصل الى مسامعه من أخبار، ولكن هذا الميل الانعزالي له أسبابه فيما يبدو أجبر عليها، أولها موقع اليمن في الطرف الجنوبي لشبه جزيرة العرب وبعدها عن موقع الأحداث، وثانيها هو نشوء المراكز العلمية في كثير من مدن اليمن وخاصة زبيد وتعز وعدن وصنعاء جعلـت من طلب العلم ميسرا لطالبيه ولم تعد هناك حاجة ملحة لضرب أبـاط الابل لطلبه في المراكز الاسلامية الأخرى مثل القاهرة ودمشق وبيـت المقدس أو غيرها اضافة الى ذلك أن الكتابات التاريخية المحليـة وانتشارها قبل هذه الفترة بزمن طويل حتم على المؤرخين اليمنيين أن ينظروا الى بلادهم نظرة فخر واعتزاز وزاد من عزمهم على تدوين تاريخهم المحلي ليطلع عليه كل من يجهل هذه البلاد ليعرف شيئا من أخبارهـا وقد اتجهت الكتابة التاريخية في اليمن في هذه الفترة الى قسمين :

---

(١٤٨) روزنثـال : فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، ص٢١٨، ط ٢، بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي .

أ - المؤلفات التي عنيت بالتراجم والسير الذاتيه ومن أبرز المؤلفين في هذا المجال .

١ - عبدالوهاب بن عبدالرحمن البريهي المتوفى بعد سنة ٩٠٠ هـ وله : طبقات صلحاء اليمن (١٤٩) ، ويعرف بتاريخ البريهي ، وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق الاستاذ عبدالله بن محمد الحبشي .

٢ - كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي المعروف بالمكشكش المتوفى سنة ٩٠٤ هـ له كتاب طبقات الصالحين من أهل اليمن (١٥٠) ، وهو من الكتب التي استفاد منها السخاوي في كتابه الضوء اللامع عند استعراضه لتراجم اليمنيين .

٣ - حمزه الناشري المتوفى سنة ٩٢٦ هـ له : البستان الزاهر في طبقات علماء آل ناشر ، وهو ذيل على كتاب عثمان بن أبي بكر الناشري المتوفى سنة ٨٤٨ هـ ويسمى أيضا البستان الزاهر في طبقات بني ناشر (١٥١) .

٤ - محمد بن عمر مبارك بحرق وله :
مواهب القدوس في مناقب الشيخ أبي بكر بن عبدالله العيدروس (١٥٢) .

---

(١٤٩) مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن ، ص ٤٢٣

(١٥٠) مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن ، ص ٤٢٦

(١٥١) مصادر الفكر ، ص ٤٢٧ . ، أيمن فؤاد السيد ، مصادر تاريخ اليمن في العصر الاسلامي ، ص ١٩٨ ، القاهرة ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م
ايضاح المكنون جـ ١ ، ص ١٨٠ ، معجم المؤلفين جـ٤ ، ص ٧٩ .

(١٥٢) مصادر الفكر ، ص ٤٢٧ .

أما النوع الثانى من الكتابة التاريخية تلك التى عنيت بالتاريخ السياسى والحوادث وتسجيلها وممن عنى بمثل هذا النوع شيخ المحدثين والمؤرخين عبد الرحمن بن على الديبع المتوفى سنة ٩٤٤ هـ وقد مرت ترجمته فى علم الحديث فمن مؤلفاته التاريخية :

١ - بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد ، ويعتبر كتابه هذا من أول كتبه التاريخيه أما سبب تأليفه كما يقول أنه لم يجد من استعرض تاريخ الدولة الطاهرية فصمم على كتابة تاريخها فكان بذلك أول قادم عليه . (١٥٣)

وقد بدأ كتابه هذا بمقدمة ذكر فيها أهمية علم التاريخ وأنه من أجل العلوم مقدارا وبين أهميته وأنه مما يتعين على المحدثين خصوصا وسائر العلماء عموما معرفة هذا العلم ثم أنه ذكر مصادره التى اعتمد عليها فى كتابه بغية المستفيد (١٥٤) ومنها مؤلفات الفقيه عمارة اليمنى ، والبهاء الجندى ، وعبد الباقى بن عبد المجيد القرشى ، وعلى بن الحسن الخزرجى ، وشرف الدين اسماعيل بن أبى بكر المقرئ ، وعثمان بن عمر الناشرى وغيرهم . (١٥٥)

---

(١٥٣) ابن الديبع ، بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد ، ص ٢٩ ، بيروت ١٩٨٣م.

(١٥٤) بغية المستفيد ، ص ٢٧ - ٢٨ بيروت ١٩٨٣م

(١٥٥) بغية المستفيد ، ص ٢٩ بيروت ١٩٨٣م

وقد قسم المؤلف كتابه هذا الى مقدمة وعشرة أبواب :

أما المقدمة فقد تطرق فيها الى فضل اليمن واسلام أهله ، وبداية التاريخ الاسلامى وعمال رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليمن وولاة الخلفاء الراشدين ، ومن بعدهم ممن حكم اليمن زمن الأمويين والعباسيين الى تاريخ اختطاط مدينة زبيد على يد محمد بن عبد الله بن زياد .(١٥٦)

الباب الأول : ذكر فيه مدينة زبيد وفضلها وصفتها ومحلها وأشجارهــــا وأنهارها واختطاطها ثم ذكر أسوارها وأبوابها وساحتها وعدد أبراج سورها .

الباب الثانى : وذكر فيه دولة بنى زياد .

الباب الثالث : دولة بنى نجاح .

الباب الرابع : وزراء آل نجاح .

الباب الخامس : ذكر فيه دولة الصليحيين .

الباب السادس : ذكر فيه تملك بنى أيوب .

الباب السابع : تكلم فيه عن دولة بنى رسول .

الباب الثامن : وخصصه للدولة الطاهرية وكيفية قيامها .

الباب التاسع : ذكر فيه فترة حكم السلطان عبد الوهاب بن داود .

الباب العاشر : وهو خاص بفترة حكم السلطان عامر بن عبد الوهاب من سنة ٨٩٤ هـ - سنة ٩٠٠ هـ (١٥٧)

---

(١٥٦) بغية المستفيد ، ص ٣٠ بيروت ١٩٨٣م

(١٥٧) بغية المستفيد ، ص ٣٠ - ٣١ ، بيروت ١٩٨٣م

وقد قام بتحقيق الكتاب أول مرة الأستاذ عبد الله بن محمد الحبشي وطبع سنة ١٩٧٩م الا أن طبعة هذه النسخة جاءت كثيرة الأخطاء المطبعية وخاليه من الفهارس مما شوه القيمة العلمية للكتاب .

ثم تصدى لتحقيقه مرة أخرى الدكتور يوسف شلحد محققا معه كتاب الفضل المزيد على بغية المستفيد ، وقد طبع سنة ١٩٨٣م.

٢ - العقد الباهر في تاريخ دولة بني طاهر (١٥٨) : وقد ألفه السلطان عامر أيضا وخصصه لتاريخ الدولة الطاهرية فقط ويعتبر هذا الكتاب في حكم المفقود (١٥٩) .

٣ - الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ،

وهو من أهم الكتب التاريخية التي تحدثت عن فترة السلطان عامر بن عبد الوهاب بل هو المصدر الوحيد الى الآن للفترة الواقعه من سنة ٩٠١ هـ - ٩٢٣ هـ وعليه اعتماد معظم المؤرخين الذين تناولوا هذه الفترة ، وقد ألفه كما ذكر في المقدمة . أنه وضعه نزولا عند رغبة بعض الأصدقاء (١٦٠) ، وقد

---

(١٥٨) بغية المستفيد، ط٢، بيروت ١٩٨٣ ، كشف الظنون ، ص١١٥٠ ، هدية العارفين ، ج ٢ ، ص ٥٤٥ ، مصادر الفكر ، ص ٤٢٨ ، البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه ، ص ٣٥ ، مصادر تاريخ اليمن ، ص ٢٠٤

(١٥٩) البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الاولى للسيطرة عليه ، ص ٣٥

(١٦٠) الفضل المزيد ، ص ٩١

عاصر ابن الديبع أحداث هذه الفترة التى يؤرخ لها فى كتابه هذا ، وكونه قريبا من الشخصيات المؤثره فيها فيعطى له أهمية تزيد عن كل ما وضعه من مؤلفات تاريخيه ، والكتاب يستعرض التاريخ السياسى والاجتماعى والاقتصادى والطبيعى لليمن ، وبيان التراجم التى أرخ لوفياتها . وقد سلك ابن الديبع فى تأليفه طريقه الحوليات مبتدئا بذكر السنه ثم الشهر والأيام وفى ختام كل شهر يذكر فيه من توفى من الأعلام .

وقد حقق الكتاب الدكتور محمد عيسى الصالحيه كأطروحة لنيل درجة الماجستير من جامعة عين شمس سنة ١٩٧٠م. (١٦١) ثم طبع الكتاب فى الكويت سنة ١٩٨٢م .

كما أن الدكتور يوسف شلحد تصدى لتحقيقه مع كتاب بغية المستفيد ، وطبع فى بيروت سنة ١٩٨٣م الا أن التحقيق الذى قام به الصالحيه يفوق بكثير تحقيق شلحد من حيث ضبط الأماكن والتراجم الواردة فى الكتاب وعدد النسخ التى اعتمد عليها فى التحقيق .

٤ - قرة العيون فى أخبار اليمن الميمون :

وهو كتاب عام فى تاريخ اليمن منذ بداية الاسلام الى سنة ٩٢٣ هـ . (١٦٢)

---

(١٦١) الفضل المزيد ، ص ٥ ، مصادر تاريخ اليمن ، ص ٢٠٢

(١٦٢) البحر الأحمر ، ص ٤٠

ويبدو أن هذا الكتاب هو تلخيص لكتابيه السابقين بغيـــة المستفيد ، والفضل المزيد كما أنه ألفه بعد تأليفه للكتابين السابقين حيث أورد فيه ما أورده هناك من المواضيع ولا داعي هنا لتكرارها ، وقد نشر هذا الكتاب بتحقيق الاستاذ محمد بن على الأكوع الحوالى سنة١٩٧٧م وطبع في القاهرة .

٥ - تاريخ الدولتين الناصرية والظاهرية وما بينهما .

أي دولتي الناصر بن الأشرف المتوفى سنة ٨٢٧ هـ والظاهر بن الأشرف المتوفى سنة ٨٤٢ .(١٦٣)

٦ - مختصر العطايا السنية :

وهو اختصار لكتاب العطايا السنية للملك الأفضل الرسولي المتوفى سنة ٧٧٨ هـ (١٦٤) والى جانب التدوين التاريخي فان ابن الديبع اهتم أيضـــا بتدوين التاريخ نظما ومن منظماته التاريخيه .

٧ - قصيدة في تفضيل زبيد على تعز وبعض المدن الجبلية . ومنها :

اسكن زبيد تجد ما تشتهى فيها	فهى التى تذهب الاسوا وتنفيها
زبيد لا شك عندى أنها خلقـــت	من جنة الخلد ياطوبى لثاويها (١٦٥)

(١٦٣) البحر الاحمر والمحاولات البرتغاليه ،ص ٣٩ ، مصادر تاريخ اليمن ، ص ٢٠٥ .

(١٦٤) البحر الأحمر ، ص ٣٩ ، مصادر تاريخ اليمن ،ص ٢٠٥

(١٦٥) البحر الأحمر، ص٣٩ ، مصادر تاريخ اليمن ،ص ٢٠٣ ،زبارة : محمد بن محمد ، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف ، المجلد الأول ،ص٨٨ صنعاء ،بدون تاريخ .

٨ - أحسن السلوك في نظم من ولي مدينة زبيد من الملوك .

وهي أرجوزه مطلعها :

الحمد لله العلي الأمجد   وصلي يا رب على محمـــد

وبعد فالتاريخ علم نافـــع   فاعن به فكم له فوائـــد .(١٦٦)

وقد نشرت هذه القصيدة في نهاية كتاب بغية المستفيد ، تحقيق

الحبشي سنة ١٩٧٩م وبتحقيق يوسف شلحد سنة ١٩٨٣م.

٩ - منظومة في تاريخ مدينة زبيد .(١٦٧)

١٠ - فضائل اليمن وأهلـه :

رسالة صغيرة اشتملت على آيات من كتابه الكريم نزلت في معنى فضل

اليمن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن صلاح أهل اليمن وهي في

ثلاثة فصول .(١٦٨)

---

(١٦٦) البحر الأحمر ،ص ٣٧ ، مصادر تاريخ اليمن ،ص ٢٠٢ ، كشف الظنون ، ص ١٧ .

(١٦٧) مصادر تاريخ اليمن ، ص ٢٠٣ .

(١٦٨) مصادر تاريخ اليمن ،ص ٢٠٥

وهناك مؤرخ آخر معاصر لابن الديبع وهو الفقيه عفيف الدين عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد أبو مخرمة ولد بمدينة عدن سنة ٨٧٠هـ (١٦٩) تلقى العلم عن والده الفقيه عبد الله بن أحمد وعن الفقيه محمد بن أحمد بافضل والقاضي محمد بن حسين القماط والقاضي أحمد بن عمر المزجد وغيرهم (١٧٠)، وبرع في الفقه وفي غيره من العلوم وأصبح يشار اليه بالبنان في هذه المدينة وظل عمدة الفتوى فيها الى أن توفي فيها سنة ٩٤٧هـ بعد أن عانى من المرض مدة سنتين رحمه الله (١٧١).

مؤلفاته التاريخيه :

١ - التاريخ الكبيـــــر :

وهو كتاب مطول رتبه على الطبقات والسنين كترتيب الحافظ الذهبي وابتداه من أول الهجرة ويرى الدكتور محمد عبد العال أحمد أن هذا الكتاب غير كتابه قلادة النحر ويعتبر التاريخ الكبير في حكم المفقود (١٧٢).

---

(١٦٩) النور السافر ، ص ٢٢٦ ،

(١٧٠) النور السافر ، ص ٢٢٦ .

(١٧١) النور السافر ، ص ٢٢٦ ،ص ٢٢٧ .

(١٧٢) البحر الأحمر ، ص ١٩ - ٢٠

٢ - قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر (١٧٣) :

وهو مصنف ضخم في التاريخ والتراجم ، ذكر فيه تراجم ووفيات الأعيان والمشاهير مبتدئا بالسنة الأولى من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام مع ذكر الحوادث الشهيرة الى سنة ٩٢٧ هـ (١٧٤)

وقد قام أبو مخرمة بترتيب هذا الكتاب على طريقة الحوليات ، بحيث قسم كل قرن الى خمس طبقات أي أنه جعل كل عشرين عاما من القرن لها طبقه يبتدىء بذكر التراجم والأعلام ثم ينتقل الى الحوادث سنة بعد أخرى وهكذا (١٧٥) ،

أما مصادره التي اعتمد عليها كما ذكر في مقدمته لكتابه منها مرآة الجنان لعبدالله بن أسعد اليافعي وتاريخ أبو الحسن الخزرجي ، ومؤلفات الجندي وغيرهم (١٧٦) اضافة الى استفادته من تواريخ معاصره ابن الديبع حيث أشار الى أنه نقل منه بقوله " ومن تاريخه نقلت غالب ما ذكرته من أوائل المائة التاسعه " (١٧٧) ويقع قلادة النحر في ثلاثة أجزاء :

---

(١٧٣) النور السافر ، ص ٢٢٨ ، شذرات الذهب ، جـ ٨ ، ص ٢٦٨ ، هدية العارفين جـ ١ ، ص ٤٣٣ ، مصادر تاريخ اليمن ، ص ٢٠٦ ، البحر الأحمر والمحاولات البرتغاليه ، ص ٢٢ ، مصادر الفكر ، ص ٤٢٨ ،

(١٧٤) البحر الاحمر ، ص ٤٥

(١٧٥) البحر الأحمر ، ص ٤٥

(١٧٦) البحر الأحمر ، ٤٥-٤٦ ، مصادر تاريخ اليمن ، ص ٢٠٧

(١٧٧) البحر الأحمر ، ص ٤٦ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٦٢ أ

الجزء الأول : وفيه التراجم والحوادث من القرن الأول الى نهاية القرن الثالث الهجرى .

الجزء الثاني : تراجم وحوادث القرن الرابع الى نهاية القرن السادس .

الجزء الثالث : ويبدأ بتراجم وحوادث المائة السابعة من سنة ٦٠١ هـ الى سنة ٩٢٧ هـ (١٧٨)

٣ - تاريخ ثغر عدن (١٧٩) .

وهو على قسمين :

الأول : أورد فيه ما جاء في الآيات والأحاديث والأشعار في عدن .

الثاني : في ذكر من نشأ بها أو وردها من العلماء والصلحاء والملوك والأمراء والوزراء والتجار على ترتيب حروف المعجم وبلغت هذه التراجم ٢١٦ ترجمه (١٨٠) .

وقد نشره المستشرق السويدى أوسكار لوفجرين في سنة ١٩٣٦م مع نخب من تاريخ ابن المجاور والجندى والأهدل (١٨١) .

٤ - المختار من تاريخ ثغر عدن (١٨٢) .

---

(١٧٨) البحر الأحمر ، ص ٤٨

(١٧٩) مصادر تاريخ اليمن ، ص ٢٠٦ ، البحر الأحمر ، ص ٢٠ ، مصادر الفكر ، ص ٤٢٨ .

(١٨٠) مصادر تاريخ اليمن ، ص ٢٠٦ ، البحر الأحمر ، ص ٢٠ - ٢١

(١٨١) مصادر تاريخ اليمن ، ص ٢٠٦ ، البحر الأحمر ، ص ٢١

(١٨٢) مصادر تاريخ اليمن ، ص ٢٠٦ ،

٥ - النسبة الى المواضع والبلدان .

وهو فيمن نسب الى بلد ، بضبط العبارة وترجمته مع وصف لهذا البلد .(١٨٤)

العلوم الأخرى

واضافة الى ما تقدم فهناك مشاركات ضئيلة في بعض العلوم مثل الرياضيات والطب والفلك والملاحة وغيرها من العلوم .

فهذا محمد بن عمر مبارك بحرق له :

١ - أرجوزة في علم الحساب .(١٨٥)

وبرهان الدين ابراهيم بن علي ت. سنة ٩٢١ هـ له :

١- مفيد الحاسب .

٢ - برهان البرهان الرائض في الجبر والحساب والفرائض .(١٨٦)

ولبحرق أيضا رسالة في الطب .(١٨٧)

وله أيضا رسالة في علم الميقات .(١٨٨)

---

(١٨٣) مصادر تاريخ اليمن ، ص ٢٠٨ ، النور السافر ، ص ٢٢٨ ، البحر الأحمر ، ص ١٨ .

(١٨٤) مصادر تاريخ اليمن ، ص ٢٠٨

(١٨٥) مصادر الفكر ، ص ٤٩٣ ، النور السافر ، ص ١٤٨

(١٨٦) مصادر الفكر ، ص ٤٩٣ ، ويذكر أن مخطوط كتاب مفيد =

كما أن للفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بافضل المتوفى سنة ٩١٨ هـ

١ - رسالة في علم الفلك .

٢ - رسالة في معرفة سمت القبلة . (١٨٩)

وقد اشتهر مطلع القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي بازدهار علم الملاحة البحرية وذلك بفضل اثنين من البحارة العرب أحدهما الملاح العربي الشهير أحمد بن ماجد وهو من جلفار من عمان ورغم جهوده الواضحة في مجال الملاحة الا أن مصادرنا التاريخية لم تلق الضوء الكافي على حياته ومولده ونشأته وتاريخ وفاته على التحديد وان كان بعض الباحثين يرجحون وفاته بعد سنة ٩٠٦ هـ ، (١٩٠) بعد أن ترك بصمات

= الحاسب توجد نسخة منها بقلم المؤلف في الجامع الكبير بصنعاء فقه .

=(١٨٧) مصادر الفكر ، ص ٤٩٦ .

=(١٨٨) مصادر الفكر ، ص ٤٨٤ ، النور السافر ، ص ١٤٨

(١٨٩) مصادر الفكر ، ص ٤٨٤ ، النور السافر ، ص ٩٩

(١٩٠) أنور عبد العليم ، الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، ص ١٤١ ، الكويت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م ، شهاب : حسن صالح : فن الملاحة عند العرب ، ص ٦٩ ، بيروت ط١ ، ١٩٨٢م .

واضحة فى هذا الفن ، الا أن هناك آخر لا يقل عنه شهرة هو سليمان المهرى توفى سنة ٩١٧ هـ وهو من أهل مدينة الشحر الذى برع فى علم الملاحة العربية ووضع فيها مصنفات تعتمد فى أساسها على كتب ابن ماجد (١٩١) ، ويرى الأستاذ حسن صالح شهاب أن المهرى كان أوسع علما وثقافة من ابن ماجد لأنه كان موضوعيا فى منهجه سليما فى أسلوبه يتحاشى الحشو والاسترسال فى سرد تفاصيل أخبار وقصص لا تمت بصلة للموضوع الذى يتناوله ، ولم يحاول قط أن يعظم نفسه ويمدحها كابن ماجد (١٩٢) .

وللمهرى فى فن الملاحة عدة مؤلفات أهمها (١٩٣) :

١ - العمدة المهرية فى ضبط العلوم البحرية .

٢ - المنهاج الفاخر فى علم البحر الزاهر .

٣ - تحفة الفحول فى تمهيد الأصول فى أصول علم البحر .
٤ - شرح تحفة الفحول فى تمهيد الأصول فى أصول علم البحر .
٥ - رسالة قلادة الشموس واستخراج قواعد الأسوس .

---

(١٩١) مصادر الفكر ، ص ٥٠٣

(١٩٢) فن الملاحة عند العرب ، ص ٧١ .

(١٩٣) مصادر الفكر ، ص ٥٠٣ ، فن الملاحة عند العرب ، ص ٧٣

وقد حقق الدكتور ابراهيم خوري هذه الكتب وقام بطبعها مجمع اللغة العربية بدمشق .(١٩٤)

كما شارك العلماء اليمنيون في وضع بعض المؤلفات في المعــارف العامة منهم :

١ - ابن الديبع ت ٩٤٤ هـ وله :

- كتاب الدر المكنون في غرائب الفنون .(١٩٥)

وللفقيه حمزة بن عبد الله الناشري ت ٩٢٦ هـ - عدة مؤلفات منها :

١ - حدائق الرياض وغوضة الفياض .(١٩٦)

٢ - عجائب الغرائب وغرائب العجائب .(١٩٧)

٣ - انتهاز الفرص في الصيد والقنص ،(١٩٨)

---

(١٩٤) فن الملاحة عند العرب ، ص ٧٣ - ٧٤

(١٩٥) مصادر الفكر ،ص ٤٧٥

(١٩٦) النور السافر ،ص ١٣١ ، معجم المؤلفين ،جـ ٤ ،ص ٧٩ ، مصادر الفكر ،ص ٥٠٢

(١٩٧) النور السافر ،ص ١٣١ ، معجم المؤلفين ،جـ ٢ ،ص ٧٩

(١٩٨) الفضل المزيد ،ص ٢٢٩ ، النور السافر ،ص ١٣١ ،معجم المؤلفين ، جـ٤ ،ص ٧٩ ، مصادر الفكر ، ص ٥٠٢

وقد ألف الفقيه حمزة الناشرى هذا الكتاب خصيصا للسلطان عامر بن عبد الوهاب ، ويقول ابن الديبع فى حوادث سنة ٩١٦ هـ :

" وفى الشهر المذكور " ربيع الأول " أرسل شيخنا الفقيه تقى الدين حمزة بن عبد الله الناشرى بكتابه الذى ألفه فى الصيد المسمى بانتهاز الفرص فى الصيد والقنص الى الأبواب الشريفه بعد أن حصله تحصيلا عظيما بخط جيد ودبجه بالذهب وجلده بالأدم ، وكتب عليه جماعة من الأئمة بزبيد كالفقيه عمر بن محمد بن جعمان ، والقاضى صفى الدين أحمد بن عمر المزجد والفقيه موسى الرداد وغيرهم ، وهو كتاب لم يسبق الى مثله فى بابه ".(١٩٩)

أما الباعث له على تأليف هذا الكتاب هو قوله : " أما بعد فانه لما كان الامام الأعظم والسلطان المعظم الأسد والهزبر المعد ، ملك البسيطة وصاحب الدائرة المحيطة صلاح الدنيا والدين . . . .

. . . . ممن أحب الصيد والاصطياد ، واحتفل بالقنص فى كل ناد وواد وأخذ من ذلك بأوفر حظ وأوفا نصيب . . . . فأحببت أن أدون له تأليفا جامعا فى المصايد حافلا بالمطارد والمقاصد ، ليزيد من نشاطه ويمهد عذره فى انبساطه . . . . فيه من الأدب والتحف الصرايح يكون له نزهة فى حال السكون ومسامرا له بما حواه وتكفل به

---

(١٩٩) الفضل المزيد ، ص ٢٢٩

من الفنون ، فلا يزال الناظر فيه عامرا لوقته بالاصطياد في دعــــته وسكونه بما يديره بفكره حال نظره في غضونه . " الى أن يقـــــول : " أيد الله ملكه الذي صار للدين عامرا وللعدو المارق قاهرا وللدولة الطاهرية ناصرا وظافرا " (٢٠٠) .

وقد قسم المؤلف كتابه هذا الى سبعة أبواب :

١ - الباب الأول : في الآيات الشريفة المتضمنة للصيد وما يتعلـق بذلك .

٢ - الباب الثاني: في الأحاديث الواردة في الصيد .

٣ - الباب الثالث : وذكر فيه من صاد من الأنبياء عليهم السلام والخلفاء والقدماء والملوك .

٤ - الباب الرابع : في أسماء الجوارح التي يصاد بها .

٥ - الباب الخامس : وهو فقهي عرض فيه ما يحل ويحرم من الصيد .

٦ - الباب السادس : في الحكايات الواردة في الصيد .

٧ - الباب السابع فيما قيل في الجوارح من النظم . (٢٠١)

وقد طبع هذا الكتاب حديثا بتحقيق الأستاذ عبد الله بن محمد الحبشي ونشر سنة ١٤٠٥ هـ . (٢٠٢)

---

(٢٠٠) انتهاز الفرص ، ورقه ١ ب - ٢ أ

(٢٠١) انتهاز الفرص ، ورقه ٢ ب ، ٣ أ .

(٢٠٢) الناشري : حمزة بن عبد الله ، انتهاز الفرص في الصيد والقنص، صنعاء ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م .



الفصل الرابع

الحياة الاقتصادية

*

الحيـــاة الاقتصاديـــة

اعتمدت الدولة الطاهرية في اقتصادها على عدة موارد مختلفة شأنها في ذلك شأن أية دولة اسلاميـة وأهم هذه الموارد هـي :

١ - الموارد التجارية الخارجية المستخلصه من العشور التي تجبى من التجار سواء من الطرق البحرية أو البرية المارة في بلادها .

٢ - الزكـاة : وتشمل زكاة الزراعة أو زكاة المواشي .

٣ - وهناك موارد تجمع من الضرائب - المكوس - والمصادرات والجزية ، وبمجموعها تتكون مالية الدولة الطاهرية ، وعلى أساسها يكـون الانفاق على مختلف أجهزة الدولة سواء العسكرية أو المدنيـة ،

واضافة الى ذلك فقد كانت العملة الطاهرية هي المحك الحقيقي في مدى استقرار الحياة الاقتصادية في اليمن أنذاك ومدى سيطرة الدولة عليها حفاظا لها من التزييف والغش .

ولذا فاننا سنتحدث عن كل منها في الصفحات القادمة .

١ - التجـــارة الخارجيـــة

عرفت أسرة بنى طاهر قبل أن تلى الحكم بأنها أسرة تجاريـــة مارست هذه المهنة وعرفت فوائدها ، ولذلك كان تجار عدن يخشون من هذه الأسرة اذا وليت الحكم فى هذه المدينة أن تسيطر على موارد هذه المدينة وتحتكرها لنفسها دون سائر الناس ، ويعطينا المؤرخ أبو مخرمه فى قلادة النحر صورة هذا التخوف الذى كان الناس يتوقعونه فيقول :

(... اذا دخلوا عدن أبطلوا علينا المتجر وجعلوا عدن زريبة للغوّة لأنهم نشأوا على التكسب والتجارة وعرفوا ما فيها من المصالح فلا يتركـــوا ذلك ، والسلطان اذا تعلق بالمتجر أبطل متجر التجار وتعطل عليهـــم الكسب) (١) .

والواقع أن هذه الأسرة كانت عاملا مهما فى تشجيع التجارة والتجار على حد سواء ، ولذلك ارتبط ازدهار عدن فى هذه الفترة بفضل تشجيعهم ، وكان لتعاقب الحكام منهم على هذه المدينة كان بهدف تشجيع أصحـــاب المراكب على الرسو فى مينائها ، ولم يخرج عن هذا المنهج السلطـــان عامر بن عبدالوهاب ، اذ أنه ما أن يجد فرصة لزيارة عدن فانه لا يتوانـــى عن الاتيان اليها فى وقت موسم مغادرة السفن الى الهند ، ففى رمضـــان

---

(١) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٥٤ أ

سنة ٨٩٥ هـ نزل الى عدن وعيد بها ثم حضر بنفسه تجهيز المراكب استعدادا لابحارها الى الهند ، ثم غادرها الى عاصمته فى شوال من نفس السنة[٢] ، وكان لهذه الخطوة فيما يبدو أثرها على التجار الذين أصبحوا يتوافدون على هذه المدينة الهامة ، ويعرضون فيها ما تحمله سفنهم من بضائع ، وقد كرر الملك الظافر زيارته لعدن فى محرم سنة ٩٠٦هـ، وفى هذه المرة قدّم اليه التجار والنواخذ الهدايا النفيسة وهى عادة تقدم فى كل موسم فيما يبدو الى السلطات الطاهرية حتى تتوسع التسهيلات التى تمنح لهم[٣].

وليس من شك أن السلطات الطاهرية كانت تدرك تماما أن تشجيع التجار على التردد لهذا الثغر يرتبط بتوفير كل السبل المريحة لهم ، ولذلك فقد أصبحت هذه المدينة فى نمو مستمر ، ففى سنة ٩٠٩ هـ - (١٥٠٣م) وصل الى عدن رحالة برتغالى يدعى لودفيكودى فارثيما ، وسجل وصفا للحركة التجارية فى هذا الميناء ، وقد ذكر أنها كانت من أكثر بلدان العالم تجارة وبأن بها أكثر التجار ثراء[٤] ، كما ذكر أنه كانت

---

(٢) قرة العيون ،ق٢ ،ص ١٨٥ ، بغية المستفيد ،ص ١٩٥.

(٣) قلادة النحر ،ج ٣ ، ورقه ٥٩٢ ب ، بافقيه ، تاريخ الشحر ، ورقه ١٧ ب .

(٤) الفتح العثمانى الأول لليمن ،ص ٤٣

تفد على عدن السفن العديدة المختلفة الجنسيات وعلى مختلف أشكالها وأنواعها المتعددة الأحجام من جميع الأماكن ، فمن جدة تأتي السفن محملة بالبضائع الأوروبية والمصرية والسورية ، أما الساحل الشرقي لأفريقية مثل زيلع وبربرة وسوفالا وكيلوة وموزمبيق ، وممبسا فقد كانت تقبل الى عدن محملة بالمواد الغذائية وبالوفير من السبائك الفضية والذهبية (٥) ، أما الحبشة فقد كانت تصدر الى اليمن الزباد والعاج (٦) ، ولم يكن الساحل الغربي للهند مثل ديو وكاليكوت وغيرها من موانىء الهند ببعيدة سفنه من الرسو في ثغر عدن وتفريغ محتوياتها فيه (٧) ، وكذلك جزر الهند الشرقية التي كانت تسهم موانئها في حركة التبادل التجاري مع عدن وتصدر اليها العودة والكافور والقرنفل (٨) .

كما ذكر هذا الرحالة أيضا عن توافر السلع على مختلف أنواعها ، وذكر أنه من الصعب معرفة أنواع هذه البضائع أو تقدير أثمانها (٩) .

---

(٥) الفتح العثماني لليمن ، ص ٤٣

(٦) أبو مخرمه ، النسبة الى المواضع والبلدان ، ورقه ٢٣٦ أ

(٧) الفتح العثماني لليمن ، ص ٤٣

(٨) النسبة الى المواضع والبلدان ، ورقه ٩٧ أ - ٩٧ ب

(٩) الفتح العثماني لليمن ، ص ٤٣ ، وذكر الدكتور نعيم زكي في كتابه : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى) ص ١٣٧ ، أنواع هذه البضائع نقلا عن مصادر مختلفة =

أما الطريقة التى كانت تستوفى بها الرسوم فان أية سفينة تدخل الميناء يبادر اليها المسئولون الطاهريون يسألون عن نوع البضائع التى تحملها كما يسألون عن التجار الذين على ظهرها ، وبعد ذلك يعمدون الى أخذ أشرعة السفينة ودفتها ضمانا لعدم رحيلها حتى تستوفى منهم الرسوم المقررة عليها (١٠) .

ومما يجدر الاشارة اليه أنه من خلال النصوص التى بين أيدينا ، لم نعثر على أى معلومات تشير الى أن الدولة الطاهرية قد زادت من الرسوم على السفن أو البضائع التى كانت تجبى منهم ، وذلك بعكس المماليك الذين فرضوا ضرائب باهظة على التجار المترددين على موانئها (١١) ، مما يدل على أنه من عوامل ازدهار التجارة فى عدن كان مرده الى عدم تعسف السلطات الطاهرية معهم وشجع هؤلاء بالتالى على التردد الى هذا الميناء ،

= أنواع هذه البضائع فى عدن وهى : (ويتوافر فى أسواقها الحديد والنحاس والزئبق والمرجان والملابس الصوفية والقطنية والحريرية والعقاقير والتوابل والسكر والأرز وجوز الهند واللبان الجاوى وخشب السند وعود السند والراوند والمسك) طرق التجارة الدولية ، ص ١٣٩ ، القاهرة ١٩٧٣م .

(١٠) بيرين : جاكلين ، اكتشاف جزيرة العرب ، ص ٤٨ ، المحامى ، اليمن شماله وجنوبه ، ص ٤٤ .

(١١) دراج : أحمد ، المماليك والفرنج فى القرن التاسع الهجرى - الخامس عشر الميلادى ، ص ١٥٦ ، القاهرة ١٩٦١م .

ويكفي أن نشير الى أنه في خضم اشتداد حركة القرصنة البرتغالية على الشواطىء الهندية أو في مدخل البحر الأحمر أو الخليج العربي ، فان السفن التجارية كانت دائمة التواجد في عدن ، فعندما قام البرتغاليون بهجومهم على هذه المدينة سنة ٩١٩ هـ كانت ترسو في الميناء مجموعة كبيرة من سفن التجار ، فقام البرتغاليون باحراقها بعد أن نهبوا ما فيها (١٢) ، وكذلك عندما حاول المماليك الاستيلاء عليها سنة ٩٢٢ هـ كانت توجد أيضا سفن تجارية ترسو على شواطئها ، ومن خلال ذكر المصادر لأسماء أصحاب السفن التي استولى عليها حسين الكردي يتبين لنا اختلاف جنسيات أصحابها وتعدد مصادرها وهي : مراكب عيسى بن جزاف ، ومركب عيسى بن قينعه ومركب كتبا موشال ومركب رامه (١٣) مما يبين لنا أن الحصار البرتغالي لم يستطع بقوته النارية أن يلغي خبرة البحارة المسلمين وغيرهم في بحارهم التي استطاعوا من خلالها أن ينفذوا من هذا النطاق المفروض عليهم والوصول ببضائعهم الى أية منطقة يريدون من موانىء البحر الأحمر أو البحر العربي (١٤). وللسلطان

---

(١٢) الفضل المزيد ، ص ٢٦١ ، وقد ذكر أن البرتغاليين أحرقوا أكثر من أربعين مركبا كانت راسية في عدن .

(١٣) الفضل المزيد ، ص ٣٨٥

(١٤) بامطرف ، الشهداء السبعة ، ص ٤٨ - ٤٩

عامر تجارته ومراكبه التجارية الخاصة ، والتي يبدو أنها كانت كثيرة ، كما أن له أماكن محددة في عدن يصرف منها تجارته في أنحاء اليمن وهي دار صلاح وغيرها من الأماكن التي يكون له فيها وكلاء كما سبق في الفصل الثاني ، وقد تعرضت سفنه الخاصة الى عمليات قرصنة البرتغاليين سنة ٩١٥هـ ولم يسلم منه الا مركب واحد وطليعان عند جزيرة سوقطرى .(١٥)

أما العملية الثانية التي تعرضت لها سفنه ، فهو ما قام به الأمير سلمان الرومي من الاستيلاء على المركب الهاشمي الخاص بالسلطان أثناء توجهه الى الهند سنة ٩٢٢ هـ .(١٦)

واذا كان المثل القديم الذي يقول : " تعز قاعدة اليمن يأتي خراجها من عدن "(١٧) فان هذا المثل القديم ما يزال ساريا مفعوله في الدولة الطاهرية ، ففي شعبان من سنة ٩٠٢ هـ خرج من عدن العفيف بن أحمد بن منصور ومعه الأموال المتحصلة منها متوجها الى السلطان عامر المقيم أنذاك في تعز ، وكان يصحب معه حمولة خمسة وثلاثين جملا من

---

(١٥) الفضل المزيد ، ص ٢٢٦ ، ص ٢٣٣ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقة ٥٩٣ ب
غاية الأماني ، ق ٢ ، ص ٦٣٧

(١٦) الفضل المزيد ، ص ٢٨٣ - ٢٨٤ ، قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقة ، ٥٩٨ب - ٥٩٩ أ ، روح الروح ، ورقة ١٦ ع

(١٧) النسبة الى المواضع والبلدان ، ورقة ٨٧ أ - ٨٧ ب

الذهب والفضة عدا العروض وعند وصوله الى المدينة سلمها اليه (١٨)، وهذه هي الاشارة الوحيدة التي يشير فيها ابن الديبع الى هذا القدر من الأموال التي تستحصل من عدن ، ولكنه يبدو أن هذه السنة التي أشار فيها الى هذا الخراج كانت تمثل المرحلة الذهبية للتجارة في عدن ، وقبل هذا التاريخ تشير فيها المصادر الى التعهد الذى قدمه السلطان عامر لأخواله بتسليمهم أربعين ألف دينار كل سنة من خراجها (١٩)، مما يدل على أن هذه المدينة كانت تدر دخلا لا بأس به للدولة الطاهرية ، غير أنه بدأت هذه المكانة تتناقص عما كانت عليه بسبب الظروف الدولية التي يمر بها العالم الاسلامي عموما لظهور البرتغاليين في جنوبه ،وان لم تستطع أن تقضي على مكانة عدن التجارية . وكانت هناك طرق برية لتصريف البضائع في داخل اليمن من ميناء عدن ومن هذه الطرق التي تتصل بعدن :

١ - الطريق البرى الى صنعاء (٢٠).

٢ - طريق عدن تعز (٢١).

٣ - طريق عدن زبيد (٢٢).

---

(١٨) الفضل المزيد ، ص ١٠٣

(١٩) بغية المستفيد ، ص ١٨٧ ، قلادة النحر ، جـ٣ ، ورقه ٥٨٠ ب

(٢٠) الفضل المزيد ، ص ١٨٤

(٢١) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٩٢ ب

(٢٢) الفضل المزيد ، ص ١٠٥

ويتوافد التجار الى هذا الميناء من شتى الأنحاء ويقومون بشـــراء البضائع منها ثم يعودون الى مناطقهم لبيع ما جلبوه فيها .(٢٣)

واذا كانت هى البوابة البحرية التجارية للدولة الطاهرية ، فـــان هناك موانىء أخرى تكون مناطق عمل للتجار القادمين من مصر وغيرهـــا للاتجار مع هذه الدولة مثل ميناء المخا الذى يستقبل هؤلاء الذيـــن يبدو أنهم يتجولون فى عدد من الموانىء اليمنية بحثا عن البضائع التى تشتهر بها اليمن من لبان وغيره وتصديره الى مصر والشام .

كذلك ميناء الحديده الذى يتحكم فى السفن المتجهة الى الحجاز .(٢٥)

وهناك تنظيم خاص للتجار فيما بينهم اذ كان عليهم شيخ منهم ويطلــق عليه شاهبندر(٢٦) ولم يسعفنا المصدر بأى شىء من أعماله مع أبناء حرفتــه وما هى حدود سلطاته معهم فى هذه الفترة .

وتعتبر زبيد أيضا البوابة الرئيسية للطرق التجاريه البرية القادمة والمتجهة الى المناطق الشمالية ومنها الى الحجاز(٢٧) ، حيث يقوم التجـــار

---

(٢٣) قلادة النحر ، جـ ٣ ، ورقه ٥٨٧ ب

(٢٤) الفضل المزيد ، ص ٢٣٨

(٢٥) الفضل المزيد ، ص ٢٧٨

(٢٦) الفضل المزيد ، ص ٢٤٣

(٢٧) الفضل المزيد ، ص ٢٤٠

اليمنيون بتصريف تجارتهم في مكة المكرمه ، خاصة أوقات الحج ، وبعد الانتهاء من مناسكه يعود هؤلاء ببضائع جديدة يصرفونها في اليمن ، حيث تستقبلهم هذه المدينة - زبيد - ويستوفي المسئولون الطاهريون الرسوم المقررة عليهم ، ويبدو أن الدولة الطاهرية كانت تحسن استقبالهم وتشجيعهم (٢٨) واذا اختلفت معاملة الجباة فان التجار لا يترددون في رفع شكواهم الى السلطان عامر بن عبد الوهاب الذي يبادر باصلاح ما أفسده عماله في زبيد دعما للتجار ومساندة لهم ودفعا للحركة الاقتصادية في بلاده . (٢٩)

وبما أن هذه القوافل البرية كانت تسلك بتجارتها عبر أراضي تقطنها كثير من القبائل التي تطمع في الاستيلاء عليها ، فقد عملت الدولة الطاهرية على أن تجعل من هذه المسالك طرقا آمنة للتجار وغيرهم ، وخاضت حربا ضدها حتى رضخوا وزيادة في الحرص فقد دفعت لمشائخهم رواتب جارية ليكفوا أيديهم عن قطع الطرقات (٣٠) ومن هذه القبائل بنو أسد (٣١) ودثينة وبنو سليمان . (٣٢)

---

(٢٨) الفضل المزيد ، ص ٢٤٠ - ٢٤١

(٢٩) الفضل المزيد ، ص ٢٤١

(٣٠) الفضل المزيد ، ص ١٥٤ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤

(٣١) الفضل المزيد ، ص ١٠٨ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٩٦ ، قلادة النحر ، جـ٣ ، ورقه ٥٩٢ أ

(٣٢) الفضل المزيد ، ص ١٠٥ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٩٦

واذا كانت الشحر قد أخذت استقلالها الذاتي بعد وفاة الملك الظافر عامر بن طاهر فيما يبدو ، فان الدولة الطاهرية لم تفقد بذلك موارد ميناءها بل كان حكامها يرسلون الى السلطات الطاهرية في عدن كل سنة اتاوة سنوية مقدارها خمسة عشر ألف أشرفي ذهبا وكمية من القمح والتمر والأقمشة والمواشي يقدر ثمنها بعشرة آلاف أشرفي .(٣٣)

ويذكر الأستاذ بامطرف نقلا عن الربان باسباع أيضا أن آل كثير كانوا يدفعون سنويا للسلطات الطاهرية عشرين ألف أشرفي ذهبا .(٣٤)

---

(٣٣) بامطرف ، الشهداء السبعة ، ص ٩٩

(٣٤) الشهداء السبعة ،ص ٩٨

٢ ـ أما المورد الاقتصادى الثانى للدولة الطاهرية فهو الزكاة ويطلق عليه فى هذه الفترة الخراج ، والمقصود به غالبا الزكاة ، وذلك لأن أراضى اليمن ليست من أراضى الخراج بالمعنى المقصود به الأراضى التى فتحت عنوة تؤخذ منها خراج رقاب الأرض المزروعة .(٣٥)

وفى الاصطلاح الشرعى فان الزكاة تؤخذ مما بلغ النصاب من الأموال سواء النقدين أو الزروع ولكل نصابها .

فالنقدين اذا بلغت الدراهم مئتين ففيها خمسة دراهم .

والذهب إذا بلغ عشرون دينارا ففيها نصف مثقال .(٣٦)

أما الزروع فما بلغ خمسة أوسق فأكثر ففيه العشر إن كان سقي بماء السماء ، ونصف العشر إذا سقيت بالساقيه(٣٧)

وكما قدمنا فى الفصل الثانى من الباب الثانى ، فانه ليس هناك مبالغ محددة وعلى مدى سنوات حكم السلطان عامر تفيد فى البحث اللهم إلا عن مبلغ الضمان عن عاشرة نخل وادى زبيد وهو ٤٠ ألف دينار .(٣٨)

---

(٣٥) أبو يوسف : يعقوب بن ابراهيم ، كتاب الخراج ، ص ١٤٩ ، القاهرة ، بدون تاريخ .

(٣٦) الماوردى : على بن محمد ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ص ١٠٤ ، ط١ ، بيروت ١٤٠٤ هـ .

(٣٧) الأحكام السلطانية ، ص ١٠٤

(٣٨) الفضل المزيد ، ص ١٨٩ ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩

ومن الملاحظ أنه في سياق حوادث سنة ٩١٦ هـ يشير المصدر الى أن أمير زبيد عبد الله بن علي بن سفيان أرسل خزانة عظيمة من المال- كما يقول المصدر - ومبلغها مائة وأربعون ألف دينار (٣٩)، ولم يشر الى نوع جباية هذه الأموال وهل كان من الزكاة أو غيرها من مصادر أخرى.

وعلى كل فان هذا الجانب الشرعي وهو الزكاة كان يمثل مصدرا مهما من مصادر الدخل لخزينة الدولة الطاهرية لما تمثله أراضي اليمن الخصبة وانتشار الأودية فيها وتنوع طرقها جعلها تكتفي بما تنتجه أراضيها ولذلك ارتبط ارتفاع الأسعار وانخفاضها بمدى انتظام هطول الأمطار في أوقاتها (٤٠).

والى جانب زكاة الثمار هناك أيضا زكاة المواشي وهي الابل والبقر والغنم والتي حددت الشريعة أنصبتها كما هو موضح في كتب الفقه غير أن الخيل قد حظيت باهتمام الجباة الطاهريين خصوصا في المناطق التهامية وهي المنطقة التي تتفرع من منطقة زبيد، وخاصة الجهات الشامية، ولا تكاد تخلو سنة من السنوات الا وتذكر المصادر أن أمير زبيد قدم اليها

---

(٣٩) الفضل المزيد، ص ٢٣٤

(٤٠) الفضل المزيد، ص ٢١٣، ص ٢٣٦

من الجهات الشامية بعدد من خيل العرب المقبوضة منهم ، ولـــم تزودنا هذه المصادر بجباية غير الخيول والابل من هذه الأماكن ، ويبدو أن ما كان يأخذه أمراء زبيد أو أمراء المناطق الشامية مـــن إبل أهل هذه المنطقة انما كانت من نصاب الزكاة ، أما الخيـــول فقد كان مفروضا على هذه القبائل أن تؤديها الى الدولة كل سنة وفـى أوقات محددة أغلبها فى شهر ربيع الثانى أو جمادى الأولى وشعبـــان من كل سنة وتكون هذه الأشهر موعدا لقدوم هذه الخيل الى زبيـــد ثم السير بها الى تعز أو المقرانة .

ويطلق على ما تأخذه الدولة منهم من هذه الحيوانات خيل الأداء ، ولم يذكرها ابن الديبع بهذا اللفظ الا فى حوادث سنة ٩١٦ ، ٩١٨ ، ٩٢٠ هـ - مما يؤكد أنها كانت تؤخذ جبرا اذ أنه من المعروف أن زكاة الخيل مختلف فى زكاتها ومقدار ما يؤخذ منها[٤١] .

فالامام أبو حنيفة يرى أن فى الخيل الزكاة اذا كانت ذكورا أو إناثا وان كانت ذكور مفردة أو اناث مفردة ففيها روايتين ، وزكاتهـــا دينار عن كل فرس أو ربع عشر قيمته والخيرة فى ذلك الى أصحابها أيهما شاء أخرج واستدلوا بما روى عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى اللـــه عليه وسلم قال : " فى الخيل السائمة فى كل فرس دينار " كما روى عـــن

---

(٤١) الفضل المزيد ، ص ٢٣٥ ، ٢٥٠ ، ٢٦٦

عمر رضى الله عنه أنه كان يأخذ من الرأس عشرة ومن الفرس عشرة ومن البرذون خمسة لأنه حيوان يطلب نماؤه من جهة السوم أشبه بالنعم. (٤٢)

غير أن أبا يوسف فى كتابه - الخراج - استدل بحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم " تجاوزت لكم عن صدقة الخيل والرقيق ". (٤٣)

والغرض من سياق الاختلاف فى مسألة زكاة الخيل هو بيان الوجهة الشرعية فى جباية مثل هذه الخيول ، كما أنها تعطينا دلالة على مدى ما كان تكابده القبائل المستوطنة فى تلك المناطق من فقدان أهم كرائم أموالهم التى تؤخذ منهم كل سنة ، ويعطى أيضا إنطباعا عن سبب من أسباب ثورتهم على الدولة الظاهرية .

وليس هناك من تحديد معين لخيل الأداء فى كل سنة ، وما هو المقدار المفروض على كل قبيلة من تلك القبائل المنتشرة فى المناطق الشامية، وأعلى رقم كان هو ٢٢٠ فرسا فى سنة ٨٩٩ هـ . (٤٣) وأدنى رقم هو ٢٠ رأسا سنة ٩١٢ هـ (٤٤) وكما هو موضح فى الجدول . وتجدر الاشارة الى أنه فى

---

(٤٢) ابن قدامة : أبو محمد عبدالله بن أحمد ، المغنى ، جـ ٢ ، ص ٤٩١ ، بيروت ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م

(٤٣) أبو يوسف ، كتاب الخراج ، ص ١٧٠

(٤٣) بغية المستفيد ، ص ٢٠٥ ، قرة العيون ، ق ٢ ، ص ١٩٠

(٤٤) الفضل المزيد ، ص ٢٠١

سنتى ٩٠٧ هـ وسنة ٩١٠هـ لم نجد ما يشير الى أن الدولة الطاهرية قامت باستيفاء الخيول ، وذلك بسبب انشغال السلطان عامر بفتح صنعاء، وحاجته الى دعم هذه القبائل كجنود الى جانبه ، ثم استأنفت ما كانت تجبيه بعد ذلك .

وهناك اشارة فى عصر المجاهد على بن طاهر حينما فرض على أهل النخل تسليم ثمانين فرس قيمة الواحد منها ٦٢ أوقيه (٤٥)، الا أن المصدر لم يزودنا بأى معلومات عن استمرارية هذا النظام بعد المجاهد أم لا .

---

(٤٥) بغية المستفيد ، ص ١٢١ .

وهناك مصادر أخرى للدخل يأتي في طليعتها الضرائب -

المكس - وقد أشار ابن الديبع الى أن الملك المجاهد قد أبطل المكس سنة ٨٦٨ هـ عن بعض الأنواع مثل الليمون والموز والعسل والسمك، (٤٦) مما يدل على أن هناك ضرائب على المنتجات التي تنتجها اليمن وربما تكون شاملة لكل ما يتعلق بالمنتجات الصناعية أو الطبيعية، ولم يشر هذا المؤرخ الى استمرارية ما فعله المجاهد أو عدمه من ابطال المكس عن الأشياء المذكورة .

وفي سنة ٩١٤ هـ يشير الى أنه ابتدعت فرضة الاقيال على التجار والمتسببين (٤٧) ولعله يريد بها الاقتيال وهو الاستبدال ، والمقايلة المعاوضة والقيل يأتي أيضا بمعنى الملك ، (٤٨) وليس هناك من تفسير واضح لمقصوده من فرضة الأقيال ، ويبدو أنه يشير الى أن المكوس طالت كل ما يدخل في ملك الانسان وتؤخذ منه ضرائب عليها في البداية .

ويأتي بعد المكوس المصادرات وهي تكون على نوعين مصادرة المال أجمع لمن يراد مصادرته وغالبا ما تنال هذه العقوبة رجال الدولة (٤٩) ممن يغضب عليهم السلطان نتيجة لعمل مخالف له ،أو فرض مبالغ معينة على شخص ما

---

(٤٦) بغية المستفيد ،ص ١٣٣

(٤٧) الفضل المزيد ،ص ٢١٨

(٤٨) الزاوى : الطاهر أحمد ، ترتيب القاموس ،ج ٣ ،ص ٧٢٦ ،ط ٣

(٤٩) الفضل المزيد ،ص ١٠٦

يتعين عليه دفعها للدولة وربما يكون هذا المال بديلا عن السجن (٥٠)

وهناك أيضا الجزية ، ويطلق عليها أيضا الجوالى ، وهى ما تؤخذ من غير المسلمين نظير بقائهم داخل الدولة الاسلامية .

وليس هناك من تحديد للمبالغ التى كانت تجبى منهم ، خاصة اليهود الذين كانوا يقطنون فى عدن ، وقد أشار الكبسى الى أن الملك الظافر خصص لحاكم صنعاء الامام محمد بن الناصر جزية اليهود فى عدن وغيرها وكانت أموال عظيمة ـ كما يقول ـ (٥١)

ويشير سرجنت استدلالا من فتاوى أبى مخرمة عن الأموال التى تجبى من اليهود فى عدن وهى قرابة سبعة آلاف دينار فضة . (٥٢)

---

(٥٠) الفضل المزيد ، ص ٩٦ - ٩٧ ، ص ٩٨ ، ص ١٢٨ ، ص ٢٠٤

(٥١) الكبسى : اللطائف السنية ، ورقه ٥٤ ب

(٥٢) R.B. Serjeant. The Portuguese off The South Arabian Coast. P. 180 , Berot. 1974.

٤ - العملة - السكة الطاهرية

وفي ختام هذا الفصل لابد أن نتطرق الى العملة في الدولة الطاهرية لأنها مؤشر حقيقي عن أوضاعها الاقتصادية أومدى ضبط هذه الدولة لعملتها وانتظامها في أوزانها .

وقد تعددت أنواعها وخاصة في عهد السلطان عامر بن عبد الوهاب وأصبح لدينا عدد من المسميات لها ومن هذه الأنواع :

١ - الدينار الأشرفي (٥٣) : وليس هناك من تحديد واضح في نسبة هذا الدينار لأي من الحكام الرسوليين أو المماليك أو الطاهريين ، ولكنه يبدو أن هذا الدينار ينسب الى الأشرف برسباي المملوكي المتوفى سنة ٨٤١ هـ - نظرا لما كان تتمتع به العملة الذهبية التي ضربها والتي يقول عنها ابن اياس : " ولا سيما معاملته في الذهب الأشرفية التي هي من أجود الذهب ، والى الآن يرغبون فيها ، ويسمونها البرسبيهية وهي من أحسن المعاملات " (٥٤) .

٢ - دينار يمني (٥٥) : ويبدو أن الدينار اليمني مضروب من الفضة لأن في استفتاءات ابن حجر الهيثمي في الفتاوى الكبرى ما يشير الى ذلك

---

(٥٣) بغية المستفيد ، ص ٢١٦

(٥٤) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ١٨٨ ، عبد الرحمن فهمي ، النقود العربية ماضيها وحاضرها ، ص ١٠٠ ، القاهرة ١٩٦٤م .

(٥٥) الفضل المزيد ، ص ١٣٩ ، ص ٢٣٦ .

عن مسألة جزية اليهود التي كانت تأخذها منهم الدولة الطاهرية (٥٦)
وهي من الدنانير الفضة ووجود ذكرها عند ابن الديبع بدون ذكر
أهي من الفضة أو الذهب ، جعلنا نميل الى هذا الرأى ، اضافة
الى ذلك أن سرجنت نقل عن الملك الأفضل بن المجاهد الرسولي ـ
المتوفى سنة ٧٧٨ هـ ـ في كتابه بغية الفلاحين أن الدينار
اليمني يزن ٤٠ قيراطا بينما الدرهم يزن ١٠ قراريط (٥٧) ويذكر
الشرجي في كتابه طبقات الخواص . أن الدينار في اصطلاح أهل
اليمن يساوى ٤ دراهم (٥٨) ونسبة وزن الدرهم الى الدينار اليمني
الفضة تكون متساوية مما يؤكد ما ذكرناه أن الدينار اليمني مضروبا
من الفضة .

٣ - دينار دراهم (٥٩) : وهو مضروب من الفضة أيضا ، ويطلق عليها
الدراهم المحلقة (٦٠) ، وتعتبر وحدة الوزن للدينار الدراهم هي
القفلة ، وبالرجوع الى المعاجم اللغوية نجد تعريف القفلة في

---

(٥٦) The Portuguese. P. 180

(٥٧) The Portuguese. P. 144.

(٥٨) الشرجي : أحمد بن عبد اللطيف ، طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص ، ص٢٢ ، القاهرة ١٣٢١ هـ ،

(٥٩) بغية المستفيد ، ص ٢١٦ ، الفضل المزيد ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ ، النور السافر ، ص ٩١

(٦٠) الفضل المزيد ، ص ٢٣٠

القاموس المحيط هي : والقفلة القفا واعطائك شيئا بمرة والوازن من الدراهم [٦١] . أما في تاج العروس فيعرف القفلة بقوله : " والقفلة الوازن من الدراهم [٦٢] " وقد فسر الشرباصي الوازن بمعنى أنه ثقيل له وزن فهو تام لا نقص فيه ولا تزييف [٦٣].

أما وزن الدينار الدراهم بالنسبة الى القفلة فقد ذكر ابن الديبع في مؤلفه الفضل المزيد في حوادث سنة ٩١٦ هـ أنه : " تغيرت سكة الدراهم السلطانية بمدينة زبيد تغيرا عظيما وكثر زيفها ، وتلفت أموال الناس بسبب ذلك ، وبلغت عشر قفال ونصف قفلة باثني عشر دينار دراهم فضة محلقة مع أن وزنها أعني المحلقة الاثني عشر سبع قفال ونصف قفلة [٦٤] " .

وبهذا النص نستطيع أن نحدد وزن الدينار الدراهم أو الدرهم المحلق بالنسبة الى القفلة بأنه يساوي : ٧٫٥ ÷ ١٢ = ٦٢٥٫٠ من القفلة . أما نسبة النقص في هذه الوحدة النقدية التي أشار

---

(٦١) الفيروز آبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، جـ ٤ ، ص ٣٩ ، بدون مكان وتاريخ الطبع .

(٦٢) الزبيدي : محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس ، جـ ٨ ، ص ٨٢ بيروت بدون تاريخ .

(٦٣) الشرباصي : المعجم الاقتصادي ، ص ٣٦٧

(٦٤) الفضل المزيد ، ص ٢٣٠

اليها ابن الديبع فانه يبلغ : ٥ر١٠ ÷ ١٢ = ٨٧٥./٠ من القفلة أى ٨٧٥ - ٦٢٥ = ٢٥./٠ أى أن النقص بلغ ٢٥ بالمائة وهى نسبة ليست ضئيلة مما يدل على أنه كان فيها تلاعب فاحش أدت الى خسائر جسيمة بالنسبة للمتعاملين بها .

٤ - درهم (٦٥) : وهو يلى الدينار الدراهم ، وقد سبق أن أشرنا الى وزنه وهو عشرة قراريط .

٥ - درهم صغير (٦٦) : ويبدو أنه يلى الدرهم ، ولم نجد أى تعريف له أو وزن . ويبدو أن التعامل بالفلوس كان ضئيلا فى اليمن ولم يرد ذكرها الا مرة واحدة فى حوادث سنة ٩٠٤ هـ عند كثرة التزييف لها (٦٧) ، مما يدلنا على أن التعامل النقدى الغالب هو ما يضرب من الفضة فى الدرجة الأولى ، ويبدو أن ذلك بسبب نضوب معدن الذهب وقلة وروده الى اليمن شأنها فى ذلك شأن الدولة المملوكية (٦٨) .

---

(٦٥) الفضل المزيد ، ص ٢١٣

(٦٦) الفضل المزيد ، ص ٢١٣

(٦٧) الفضل المزيد ، ص ١٢٨

(٦٨) عبدالرحمن فهمى ، النقود العربية ، ص ١٠١ ، ١٠٢

أما سعر الصرف للدينار الأشرفي الذهب ،فاننا نجد فيما بين أيدينا من مصادر عن سعر صرفه مقابل الدرهم الا بصيغة استفتاء مقدم الى الفقيه عبدالله بن أحمد با مخرمه عن صرف عشرين دينارا ذهبا ثم صرفها قبل الحول بخمسمائة درهم وكيفية زكاتها (٦٩) ، ومعنى ذلك أن الدينار الذهب يساوى ٢٥ درهم فضه ، وهذا هو ما يساويه الدينار المملوكي بالنسبة الى الدراهم المملوكية في الغالب في مصر. (٧٠)

وقد أورد سرجنت في كتابه :

The Portuguese.

مجموعة لأوزان العملة في اليمن معتمدا في ذلك على كتاب : بغية الفلاحين السابق ذكره وهي :

١ - درهم يمني	١٠ قراريط
٢ - قفلة (غير عمله)	١٦ قيراط
٣ - دينار يمــــني	٤ دراهم (٤٠ قيراط)
٤ - المثقــــال	٢٤ قيراط
٥ - أوقية ذهبيــة	٦ ½ مثقال (١٠ قفلات)
٦ - رطل درهم	٩٢ درهم (٤٨ درهم يمني) . (٧١)

---

(٦٩) فتاوى أبو مخرمة ، ورقه ٥٠ أ

(٧٠) نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم ،ص ٨٥

(٧١) The Portuguese. P. 143

وقد لعب شيوخ دار الضرب في زبيد دورا مهما في زعزعـــــة استقرار العملة اليمنيه وعمدوا الى التزييف فيها وانقاص وزنها للاستفادة من الوزن المقتطع من الدينار أو الدرهم لصالحهم مما يسبب تضـررا للمتعاملين بها ، ولذلك كانت مصادرات السلطان عامر لشيوخ دار الضرب جاءت متكررة في عهده وأولهم الشيخ اسماعيل بن أبي الغيث السنبلـي الذى قام أمير زبيد في شعبان سنة ٩٠١ هـ بهدم بيته وبيع ما وجد فيه من أثاث وغيره ، وذلك بسبب وجود نقص في الأموال السلطانية بلغـت عشرة آلاف دينار لم يستطع شيخ دار الضرب المذكور من تسليمها الـى الدولة (٧٢) ، ففر الى احدى زوايا الصوفية في زبيد ولم يتمكن رجال الدولة الطاهرية إخراجه منها الا بحيلة في شهر ذى الحجة من نفس الســنة وسيق مقيدا الى السلطان (٧٣) .

وفي حوادث سنة ٩٠٤ هـ يذكر المصدر أن الفلوس بمدينة زبيـد تغيرت وكثر زيفها ، ولذلك فان السلطات الطاهرية ممثله في أمير زبيـد على بن عمر العنسي الذى أمر الناس بالتعامل بها على اعتبار سعرها الأصلي في المعامله وشدد عليهم في ذلك فانصاعوا لهذا الأمر المجحف (٧٤) ،

---

(٧٢) الفضل المزيد ، ص ٩٦ - ٩٧

(٧٣) الفضل المزيد ، ص ٩٩

(٧٤) الفضل المزيد ، ص ١٢٨

ولم تعمد الدولة الى معاقبة المتسببين فى هذا التلاعب بالعملة الا فى السنة التاليه حينما استدعى الملك الظافر الكتاب والضمان ومن ضمنهم شيخ دار الضرب الهادى بن منصور اليه ، وعند ذلك أمر السلطان بتقييده بسبب الغش الفاحش فى نقص دراهمه ـ كما يقول المصدر .(٧٥)

ويبدو أن هناك اجراءات إحتياطية قد اتخذته السلطات تجاه تزييف الصاغة وشيوخ دار الضرب للعملة الطاهرية وضعت حدا لأعمال التزييف ولم نعد نسمع بها الا بعد فترة طويلة ، وذلك فى سياق حوادث سنة ٩١٦ هـ عندما لحق بالدراهم السلطانية نقص فاحش أدت الى خسائر جسيمة بالنسبة لأصحاب الأموال، مما اضطر الدولة الطاهرية فى شخص السلطان أن يصدر أوامره لوالى مدينة زبيد بالقبض على الصاغة والصيارف المتواجدين فى هذه المدينة ، فألقى أميرها القبض عليهم وسجنهم ثم جاء أمر السلطان بتسييرهم اليه ومنهم أحمد بن عين الحموى ، وأحمد بن مفضل العصار ، وعمر المسحور ، وابن عين الغزال ، فلما واجهوه أنكروا التهم المنسوبة اليهم ، ويبدو أنه لم يقتنع بإنكارهم وأمر بحبسهم لديه بينما أفرج عن ابن عين الغزال الذى عاد الى زبيد فى شهر شعبان سنة ٩١٦هـ متوليا ضمان دار الضرب كل سنة بثلاثة آلاف دينار وهى المرة الوحيدة التى يشير فيها ابن الديبع الى تولى ضمان السكة فى الدولة الطاهرية .(٧٦)

---

(٧٥) الفضل المزيد ،ص ١٣٤ - ١٣٥

(٧٦) الفضل المزيد ،ص ٢٣٠ - ٢٣١

الخاتمة

الخاتمـــــــــــــــة

شكل اختيار الملك المجاهد على بن طاهر لابن أخيه عبدالوهاب بن داود كخلف له فى الحكم نقطة تحول فى تاريخ الدولة الطاهرية اذ أنـــه بهذا الاختيار قد دفع بأبناء الملك الظافر عامر بن طاهر الى التمرد والعصيان على السلطان عبدالوهاب لما يرونه فى أنفسهم من استحقاق لمنصب الملـــك للدور الذى قام به والدهم فى قيام الدولة الطاهرية ومقتله فى سبيل هـــذه الغاية ، وقد كان لنزعتهم هذه الأثر الكبير فى اثارة الحروب فيما بين هـذه الأسرة أتاحت من خلالها تدخل بعض القبائل اليمنيه فى هذا الصـــراع لكى تستفيد منه لصالحها فيما لو نجح أحد الخصوم فى الوصول الى هدفـــه ففى عهد المنصور تدخل بنو حفيص الى جانب الشيخ يوسف بن عامر ضـــد الملك المنصور عبدالوهاب ، الا أن السلطان عامر بن عبدالوهاب ،كان هـو المتضرر من أبناء الظافر الأول أكثر من أبيه للصراع المرير الذى خاضـــه ضدهم وفى نفس الوقت استغلت قبائل يافع هذه الأوضاع ودخلت فـــــى مواجهة معه بحجة مناصرة الشيخ عبدالله بن عامر وهدفها من ذلك الوصـول الى مكاسب سياسية مع السلطة الحاكمة ، ولكنها جوبهت بحزم منذ البدايـــة وتمكن السلطان عامر بن عبدالوهاب أن يفرض سيطرته عليهم فى النهاية .

أما قبائل دثينة فهى بحكم موقعها الجغرافى أرادت أن تكون عاملا معرقلا للحركة التجارية فيما بين عدن وبقية المناطق اليمنية التى تستفيد من القوافل المحملة بالبضائع ، ويبدو أن طبيعة منطقتهم الصحراوية وعدم عناية الدولة بها كان أحد العوامل التى دفعت بساكنى هذه المنطقة على سلوك هذا النهج مما أجبر الدولة فى النهاية أن تخصص لمشائخ هذه القبائل المرتبات المجزية حتى يكفوا عن قطع الطرقات وآتت هذه الخطوة من جانب الدولة الطاهرية ثمرتها بعض الوقت نعمت خلالها هذه الطرق بالأمن ثم لما بدأت الأخطار تحدق بالسلطان عامر بن عبدالوهاب من كل جانب استغل شيخ الطوالق هذه الظروف الحرجة مطالبا بزيادة المرتبات التى يقبضها من الدولة الطاهرية ، وكان أسلوب الرفض لهذه الزيادة من جانب الملك الظافر عودة قبائل هذه المنطقة الى الحرفة القديمة لهم وأفلت زمام السلطة عن كبح جماحهم ولم تجد الفرصة لكفهم عن عملهم هذا لانشغالها بما هو أهم منهم وهو الغزو المملوكى لليمن .

ويبدو أن المناطق النائية عن مركز الدولة الطاهرية كانت من الأماكن المفضلة لليهود بجانب المناطق التى يستطيعون من خلالها استغلال الحركة الاقتصادية لصالحهم فاذا ما كثر المنافسون انطلقوا الى حيث يجدون فرصتهم ، ويبدو أن لاعدادهم الكثيرة فى اليمن أنذاك جعلت الكثير منهم يفضلون تلك المناطق النائية يتخذون منها مواطن مفضلة لكى يستطعوا من

خلالها أن يكونوا تجمعات هدفها خلق وحدة بشرية فيما بينهم مما يشجعهم على الاطلال برؤوسهم بين المسلمين فى هذه الأماكن ، وان كانت المصادر سكتت عن كثير من أخبارهم الا أنها بذكر مقتل ابن مخارش وهروب بنى عبد كشف جزءا من هذا النشاط الذى وصل الى تحد للدولة الاسلامية التى يسكنون فى أراضيها مع أنهم ذميون لا يحق لهم حمل السلاح فضلا عن اشهاره فى وجه الدولة التى تظلهم ، وتزعم الحركات المناوئه لها وانضمام المسلمين الى اليهود ضد المسلمين يبين أيضا مدى الجهل الذى وصل اليه سكان تلك المناطق ، وكانت للحركة السريعة التى قام بها السلطان عامر بن عبد الوهاب أثرها فى وضع حد لهم وارجاعهم الى حجمهم الطبيعى الذى يجب أن يكون عليه هؤلاء من بنى يهود .

أما مناطق تهامة وثورات قبائلها المتواصلة ضد الحكومة المركزية أمر جدير بالدراسة وتتبع الجذور التاريخيه لنزعة التمرد هذه لدى سكان هذه المناطق لمعرفة الأسباب والمسببات لهذه الثورات الدائمة اذ لم تكن الدولة الطاهرية هى المنفردة بالمعاناة من هذه القبائل بل الدولة الرسولية كانت السابقه لها طوال تاريخها الذى يقارب القرنين من الزمان ويبدو أن هناك عدة عوامل وراء مشكلتهم مع الدول المتعاقبة أهمها النزعة

القبلية والتى يبدو أنها كانت متحكمة فى نفوسهم التى تأبى الخضوع لأية سلطة مهما كانت وتريد أن تظل فى اطارها القبلى الذى لاتحيد عنه ، ومما ساعد على نمو هذا الاتجاه نظم الخراج والاتاوات التى فرضت عليهم من قبل السلطة الحاكمة ومن بينها الدولة الطاهرية وخاصة فى عهد السلطان عامر بن عبد الوهاب حيث كان عماله يجوبون مناطق تهامة ولا يعودون الا بكميات هائلة من الخيول كل سنة تقريبا اضافة الى الأموال النقدية ، مما جعل المعازبة والزيدون ، والكعبيون وغيرهم من أبناء هذه الأماكن فى ثورات متجددة لا تكاد تهدأ فى مكان حتى تثور فى مكان آخر تعبيرا عن استيائهم من هذه النظم الجائرة التى فرضت عليهم دون وجه حق شرعى فيها ، ومن أجل هذه الأعمال التى كانت تقوم بها الدولة الطاهرية فى عهد السلطان عامر بن عبد الوهاب كانوا يتكاتفون أحيانا فيما بينهم للوقوف فى وجه الدولة الا أن حملاتها المتعاقبة والضربات القوية التى كانت تنزل بهم من قبل القوات الحكومية والخسائر المادية والبشرية أجبرت هذه القبائل على الخضوع والسكينة لفترات تسترد فيها أنفاسها مع عدم نسيان جروح الماضى ولذلك كان المحك لولاء قبائل هذه المنطقة هو ظهور المماليك على المسرح السياسى والحربى فى اليمن دفعت فيه الدولة الطاهرية الثمن من مستقبلها فى حكم هذه البلاد وأدت فى النهاية الى مقتل السلطان عامر دفاعا عن أرضه



وملكه تحت أبواب صنعاء على يد المماليك ، كما يبدو أن الاهمال فى تحسس المشاكل الاجتماعية والاقتصادية لكونها بعيدة عن المراكز الحضارية فى اليمن فى هذه الجهات من قبل الدولة عاملا آخر من عوامل ثوراتهم اذ أنها بأى مقابل تستحق ما تأخذه منهم ولذا كان قرارهم التمرد قدر الامكان ضد الدولة .

واضافة الى كل ما تقدم فقد لعب الاختلاف المذهبى دوره فى اليمن فى هذه الفترة ويبدو أنه قد اشتد فى فترة السلطان عامر بن عبدالوهاب لأن أئمة الزيدية شعروا بخطره عليهم خاصة عندما أعلن الامام محمد بن على الوشلى امامته سنة ٩٠٠ هـ والذى وجد أن ذمار وهى من المناطق الزيدية ستكون نقطة الانطلاق لاندفاع القوات الطاهرية منها نحو بقية المناطق التى يحكمها الزيديون ، بالرغم من أنه سعى جاهدا الى تأمين هذه المنطقة من التقدم الطاهرى الا أنه باء بالفشل رغم المحاولات التى قام بها لاثارة بقية طوائف الزيدية المتناثرة فى المنطقة الجبلية الشمالية وذلك بالتشنيع على السلطان عامر فى مذهبه الاعتقادى الأشعرى ووصمه بأنه ممن يقول بالجبرية ولم يغفر له السلطان عامر هذا الانتقاد وصمم على أن يتقدم الى عاصمتهم صنعاء وتمكن من فتحها سنة ٩١٠هـ وكان استيلاءه عليها بداية للاستيلاء على معظم أملاك الزيدية فى الشمال

وبلغت حدوده الى صعدة مركز الدعوة الزيدية فى اليمن ، ولعل مما ساعده فى ذلك هو قضاؤه على القيادات منهم مثل الامام محمد بن على الوشلى ، وأحمد بن الناصر والهادى ابراهيم بن الوزير وغيرهم من علماء هذا المذهب ، وقد أتاح له بعد موتهم حرية العمل الحربى فى مناطقهم دون وجود منافس خطير الا أن انتصاراته هذه لم تأت بسهولة بل قاد فيها حربا قوية ضدهم سقط فيها الكثير من القتلى بين الطرفين ، ولم يتبق له من حكم اليمن كاملا الا جزءا صغيرا يقع فى الشمال الغربى منه وهى حجة والتى يتواجد فيها الامام المتوكل على الله شرف الدين يحى ومن هذا الجزء الصغير بدأت انطلاقة زيدية جديدة لعبت دورا مهما فى تاريخ اليمن الحديث ، وذلك باستغلال الامام شرف الدين للحملة المملوكية ضد السلطان عامر ، ورغم أنه لم يشارك مع هذه الحملة حروبها ضد الدولة الطاهرية الا أنه استبقى قوته لحين الوقت الملائم له ونجح فى خطته هذه نجاحا أتاح له من لعب دور مهم فى الوقوف فى وجه المماليك بعد مقتل السلطان عامر بن عبد الوهاب كآخر شخصية قوية كانت تقف فى وجهه ، ومن بعد المماليك تصدى أيضا للعثمانيين وبمجموع هذه العوامل يتضح لدينا أن اليمن فى هذه الفترة شهدت حروبا مستمرة استنزفت كثيرا من

جهودها كان يمكن أن تصرفها الى أى مجال آخر يعود بالنفع على الجميع على أنه يجب أن يلاحظ أن هذا الوضع لم يكن قاصرا على هذا الجزء من شبه الجزيرة العربية بل يتعداها الى الحجاز بل مصر والشام أيضا وقد عانت هذه الأقطار من مثل هذه الأوضاع والتى كانت من أكبر العوامل التى شجعت أوربا وفى طليعتها البرتغال أن تنظر الى هذا الجانب المظلم من هذا الجزء من العالم الاسلامى فرأت أن هذا الوقت هو فرصتها الوحيدة للوثوب على جزء من العالم الاسلامى واستغلال خيراته وتدمير اقتصاده ونجحت فى هذا المجال نجاحا كبيرا ، ولولا تدخل العثمانيين فى الوقت المناسب لأضحى معظم الشرق الاسلامى فريسة سهلة لأوربا .

بدأت العلاقات الطاهرية المملوكية فى عصر السلطان عامر بن عبد الوهاب بداية طيبة سعى من خلالها كل طرف أن يكون علاقات وطيدة بالآخر ، لكن أوضاع البلدين الداخلية شغلتهما عن تنمية كثير من النواحى سواء السياسية والاقتصادية أو العسكرية اذ أن هذه الأحوال الداخلية وتمرد شعوبها عرقلت كثيرا من الجوانب الاصلاحية التى كان ما يجب اصلاحه ثم جاء الخطر البرتغالى فى بداية القرن العاشر الهجرى وتحكم فى السيطرة على الموارد التجارية التى كانت تستفيد منها مصر واليمن والحجاز

وغيرها من البلدان الاسلامية ، وقد بين البرتغاليون أهدافهم الصليبية الجديدة ومطامعهم فى العالم الاسلامى بهدف تحطيمه نهائيا والسيطرة عليه ، وقد بذلت الدولة المملوكية وخاصة السلطان قانصوه الغـــــورى ما بوسعه لدفع هذا الخطر الجديد الذى حل فى جنوب العالم الاسلامى ورغم محاولاته تلك الا أن جهوده الحربية انتهت فى اليمن بدلا ـــــن حرب البرتغاليين بحجة عدم تعاون الملك الظافر مع الحملة المملوكية ، ويبدو أن هناك جوانب أخرى لم نطلع عليها كانت وراء الدافع القـــوى لتورط حسين الكردى فيها ، مع أنه كان من المفروض تجاهل أيــــة عقبات جزئية لأن تصفية الحساب مع الدولة الطاهرية لا يبرر غزو اليمـن قبل تصفية الحساب مع البرتغاليين الأعداء الحقيقيين ، ورغم ذلك فعندما تمكن حسين الكردى من دخول زبيد لم يراع هو وجنده أصول الأخـــوة الاسلامية تجاه الأبرياء الذين لا دخل لهم فى الحرب بينه وبين السلطان عامر بن عبد الوهاب. وقد تكررت أعمالهم هذه فى كل المدن التى دخلوها مما يبدو أنها لم تكن أعمال عفوية بل كانت متعمدة هدفها السلب والنهب وجمع أكبر قدر ممكن من الأموال المنهوبة ، وقد أتاحت أعمالهم هـــــذه للقوى المنافسة ونعنى بها القوى الزيدية التى استغلت أعمالهم هـــــذه لصالحها وبدأت تظهر فى الساحة السياسية من جديد .

ويبدو أن أعمال المماليك الخالية من الرحمة والشفقة كانت أكبر عمل دعائي ضدهم في كل أرجاء اليمن وقد استغله الامام شرف الدين أحسن استغلال حينما تصدى لحربهم.

وتمثل مرحلة مقتل السلطان عامر بن عبد الوهاب نقطة تحول في تاريخ اليمن اذ أنه خليت من المنافسين وهم القوى السنيه التي تتجمع حوله ضد الزيدية .

ويبدو أنه لظهور العثمانيين في مصر والحجاز وانضمام بقية المماليك أثره الكبير في عدم تبني أي من القيادات السياسية السنية سواء خلفاء السلطان عامر أم غيرهم الحركات المناوئة للمماليك ثم للعثمانيين من بعدهم لأن هذه القوى أيضا تنتمي الى السنة ، ولكنها أعطت انطباعا سيئا عن ممثلي العثمانيين في اليمن .

وقد استفاد أعداء الاسلام من مثل هذه الأوضاع السيئة بين دول العالم الاسلامي وعرفت أن ضعف العالم الاسلامي ناتج عن كثرة الاختلاف فيما بينهم رغم الظروف التي يمرون بها ، وكأن المسلمين لم يقرؤوا قوله تعالى : " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا .." فدفعت شعوب هذه المنطقة ثمنا غاليا لا زالت تعاني منه الى وقتنا الحاضر ..

وبالرغم من انشغال السلطان عامر بن عبد الوهاب بمشاكله الداخلية المتعددة الأطراف فانه لم ينسى أن ينصرف الى أعمال أخرى بعيدة عن مجال الحرب وهو جانب العمران الذى أولاه عناية خاصة فبذل كثيرا من الأموال فى سبيلها حيث شيدت المساجد والمدارس والسدود والصهاريج ، فكانت المساجد والمدارس على غاية من الروعة والفن المعمارى ، ولا شك أنه استغل الموارد المالية الضخمة التى تدرها الضرائب على السفن القادمة الى ميناء عدن فى هذا الجانب المهم .

والى جانب العمران فقد أولى الحركة الثقافية عنايته أيضا ولم يبخل بالمال فى سبيل رقيها فى بلاده ، واشترى كثيرا من الكتب العلمية من شتى الأماكن لكى يؤمن لطلاب العلم المراجع التى يندر وجودها فى اليمن ، وأمر النساخ والكتبة بنقلها وتوزيعها على المكتبات فى زبيد وتعز اضافة الى حرصه أن تنال مكتبته الخاصة نصيبها من هذه الكتب .

ويبدو أن التعليم العام فى اليمن سار على وتيرة واحدة مدة قرون طويلة اضافة الى تقليد المذاهب وظهور التصوف والميل الى العزلة كانت من عوامل ركود الحركة الثقافية وعدم تطورها كى تلائم التطور الذى شهده القرن العاشر الهجرى خارج اليمن رغم أن الدولة الطاهرية فى عصر السلطان عامر بن عبد الوهاب كانت تشجع العلماء بالعطاء الجزيل عند تأليف أى

كتاب في أي فن ، وهذا الركود بالتالي أثر على عقليات العلماء اليمنيين بشكل كبير بحيث أنها لم تستطع أن تواكب علماء الأمصار الاسلامية الأخرى ، ولذلك كانت مؤلفاتهم في الغالب نقولات عن مؤلفات من سبقهم أو شروحات عليها وبالتالي خلت من صفة الابداع الذي تميز به العلماء اليمنيون السابقون وخاصة في عصر بني رسول الذين زخرت بهم هذه الدولة .

اضافة الى ذلك أن النظم الادارية في الدولة الطاهرية كانت غير واضحة المعالم بصورة مركزة ، ورغم ذلك فانه يتبين من خلال العرض السابق لهذه النظم دقة التنظيم الداخلي وعدم تضاربه ويهدف في النهاية الى تجميع عناصر المسئولية بشكل متوالي الى أن تصل الى السلطة العليا ممثلة في السلطان الذي يحرك هذا التنظيم لما يراه في صالح دولته ، والى جانب ذلك نرى أن المناصب الشرعية وخاصة القضاء نال نصيبه من الرعاية ولم نجد من خلال المصادر ما يشير الى احتكاك السلطة السياسية بالقضاء الشرعي على أي وجه من الوجوه ، مما يدلنا على احترام الدولة الطاهرية للقضاء الشرعي وعدم التدخل فيه وبالتالي تقدير القضاة أنفسهم حتى يقوموا بواجبهم خير قيام .

أما الحسبة وهي كما عرفت أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، فانه كان

للدور السلبى للقائمين عليها أثر كبير فى انتشار الأمراض الاجتماعية والمفاسد الأخلاقية فى اليمن آنذاك ، ذلك أنه فى غياب هؤلاء المحتسبين عن الحياة العامة وعدم مراقبتها كما كلفوا من قبل الدولة، شجع الناس على مثل هذه الأعمال وهذا يحدث فى أى مجتمع عندما يضعف الوازع الدينى وعدم تدخل رجال الحسبة الا أن للعلماء دور أيضا فى هذه المسئولية فلم تكن الحسبة الا وظيفة فقط انما الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهى من واجبات العلماء الأساسية لأنها امتثال لأمر الله سبحانه وتعالى " ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " فالقضية اذا قضية عامة لكل من حصل علما . ويبدو أن اعتزال كثير من العلماء فى اليمن عن الحياة العامة والحياة حياة صوفيه ساعد على خلق فجوة بينهم وبين العامة الذين ضعفت نفوسهم أمام مغريات المعاصى فانخرطوا فيها ، ورغم ذلك فقد حاولت الدولة الطاهرية جاهدة أن تقضى عليها قضاء مبرما لكن انتشارها بشكل واسع صعب المهمة أمامها .

وتميزت السنوات الأولى من حكم السلطان عامر بن عبد الوهاب بنهضة اقتصادية كبيرة معظمها كان من ضرائب - العشور - التى تجبى من السفن التجارية والتى ترسو فى ميناء عدن ، حتى لقد وصل هذا العشور

فى سنة ٩٠٣ هـ والذى وصل من ثغر عدن الى حمل سبعة وثلاثين جملا من الذهب والفضة عدا العروض ، وهذا يدلنا بطبيعة الحال الى مدى النهضة التى شهدها هذا الميناء ومدى نمو الحركة الاقتصادية فى هذه البلاد الا أن مجىء البرتغاليين وتهديدهم للبحر الأحمر والمحيط الهندى أضر كثيرا بالتبادل التجارى للدول الواقعة على البحر الأحمر وفى طليعتها اليمن . ويبدو أن الاعتماد الكلى على هذه الموارد من جانب الدول المطلة شواطئها على البحر الأحمر جعلها تحس وبشكل سريع بهذا الكم الناقص من هذه الموارد ذلك لأنها لم تعتمد على الموارد الطبيعية فى بلادها ومن ضمنها اليمن وان كانت الوطأة عليها أخف فيما يبدو لأن اعتماد أهالى اليمن كان كليا فى المجال الزراعى على ما ينتجونه من أراضيهم ، ولو اهتمت الدولة الطاهرية بانشاء كثير من السدود على الأودية المختلفة فى اليمن وخاصة تهامة وعملت على تنمية مواردها الطبيعية لأمكن أن تعتمد عليها ، ولكنها صرفت جل اهتمامها على كيفية استتباب الأمن وخوض المعارك الطويلة فى سبيل ذلك الأمر الذى كلفها كثيرا من الأموال والجهد ، وهو أمر يبدو طبيعى فى مثل هذه الأوضاع فيما لو كانت نظمها ملائمة فيما يبدو، وعملت على منع الكتاب والمستوفين عن تجاوز الحد الشرعى المقرر على الزكاة وفرض الحد المعقول من الضرائب اليسيرة ، ولكنها تمسكت بالحرص على

جمع الأموال وبأى طريقة فيما يبدو . مما ولد لها كثيرا من المشاكل كانت في غنى عنها .

والى جانب ذلك كانت العملات محل تلاعب شديد من قبل رجال دور الضرب لكن موقف السلطان عامر كان حازما قلل من كثرة التزييف فيها وكان له الأثر الفعال في دعم الاقتصاد المحلى بواسطة الحفاظ على مستوى جيد للعملة الطاهرية .

ورغم ما تميز به عصر السلطان عامر بن عبد الوهاب من فتن واضطرابات فانه يعتبر عصر استقرار ورخاء اذا ما قيس بالفترة التى أعقبته وهى فترة شهدت تناحر بقايا الطاهريين فى رداع وعدن على السلطة من جهة وصراع الطاهريين من جهة أخرى مع القوى الزيدية بزعامة الامام شرف الدين يحى وحروب الأخير ضد القوى المملوكية ثم العثمانيين من ناحية أخرى بحيث غدت أوضاع اليمن جحيما لا يطاق من جراء هذه الفتن الداخلية .

ولقد كان ابن الديبع صادقا فى مراثيه للسلطان عامر بن عبد الوهاب حينما قال :

خليلي ضاع الدين من بعد عامر

وبعد أخيه أعدل الناس فى الناس

فمذ فقدا والله اننا

من الأمن والسلوان فى غاية اليأس

وقولـه :

تحطم من ركـن الصلاح مشـيده

وقوض من بنيانه كـل عامـر

فما من صلاح فيه بعد صـلاحه

ولا عامر والله من بعد عامر . (١)

وهذا النهروالى يذكر عصر السلطان عامر فيقول :

" ولما انقرضت دولة عامر بن عبد الوهاب اسف الناس لفقده ورثاه جماعة من العلماء" . . . .

وفيه مراث كثيرة ، واستمر يرثى بعد تطاول زمان وفاته أيضـا بحيث أنني سمعت بعد سنة أربعين وتسعمائة وأهل اليمن ينعونـه بمراثي جعلوا لها طرائق يغنون بها ، مما يؤكد صدق مراثـي ابن الديبع فيه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

----

*

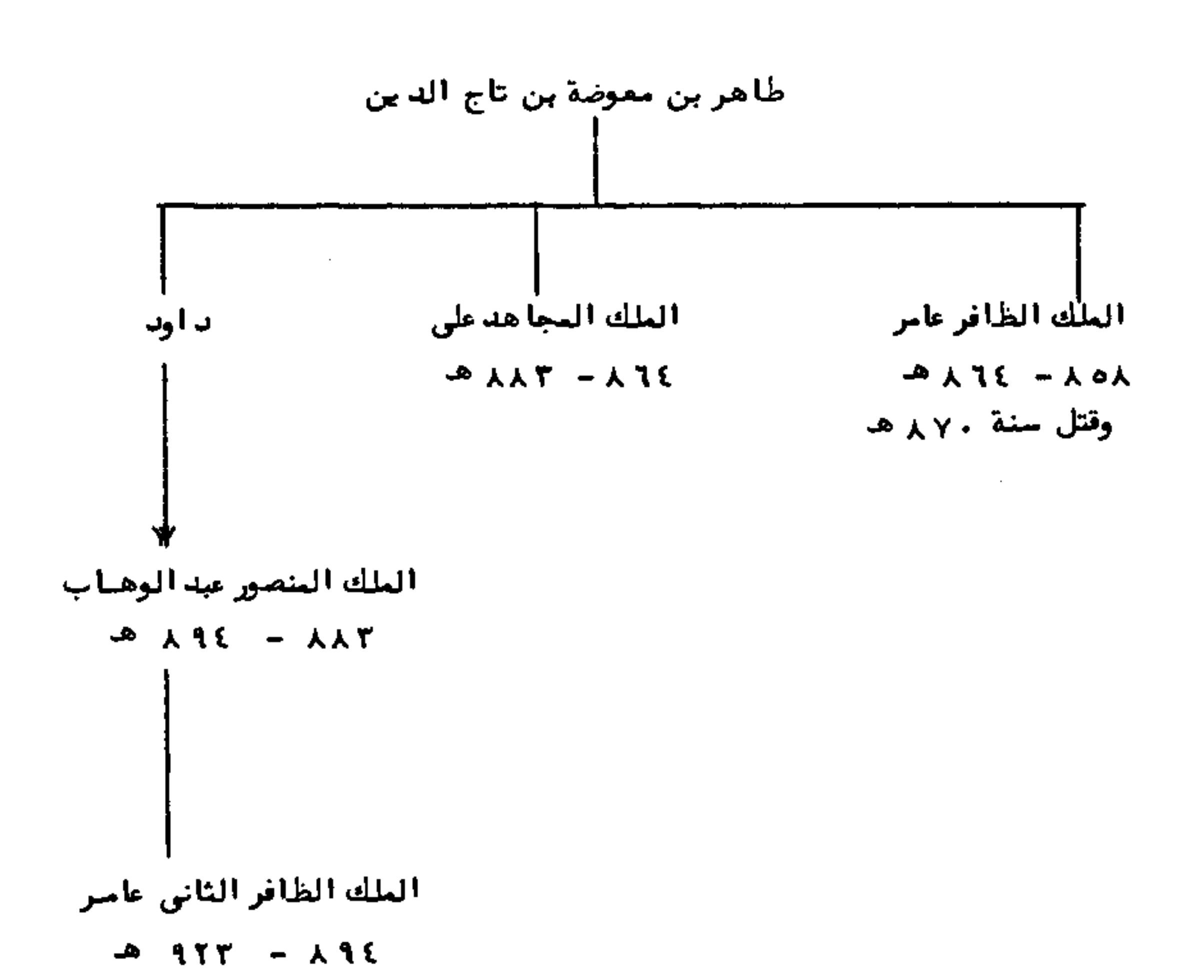
---

(١) الفضل المزيد ،ص ٢٨٩ .

الملاحق

ملحـــــــــق رقم (١)

ملوك الدولة الطاهرية الى مقتل السلطان عامر بن عبد الوهاب



ملحق رقم (٢)

" قائمة بجباية الخيل وغيرها في عصر السلطان عامر "

	المكان أو القبيلة	التاريخ	نوع الخراج وعدده	المصدر
١-	البلاد الشامية	جمادى الأولى سنة ٨٩٩ هـ	نيف على ٢٢٠ فرس وزيادة على ٣٠ جملا وأموال جمة	قرة العيون ، ق ٢ ص ١٩٠ ، بغية المستفيد ، ص ٢٠٥
٢-	البلاد الشامية	جمادى الثانية سنة ٩٠٠ هـ	أموال عظيمة وزيادة على ١٠٠ خيل وقريبا من ٢٠ جمال نفيسة .	بغية المستفيد ، ص ٢١٥
٣-	البلاد الشامية	ربيع الآخر سنة ٩٠١ هـ	أموال عظيمة وزيادة على ١٢٠ فرس و ٣٠ جملا	الفضل المزيد ، ص ٩٣ ، قرة العيون ، ق ٢ ص ١٩٤
٤-	البلاد الشامية	جمادى الأولى سنة ٩٠٣ هـ	أموال جليلة و ١٠٠ فرس و ١٤ جملا	الفضل المزيد ، ص ١٠٢ ، قرة العيون ، ق ٢ ص ١٩٦
٥-	البلاد الشامية	جمادى الثانية سنة ٩٠٣ هـ	زيادة على ٤٠ ألف دينار ، وما يزيد على ٨٠ فرس	الفضل المزيد ، ص ١١٦ - ١١٧
٦-	البلاد الشامية	جمادى الأولى سنة ٩٠٤ هـ	١١٠ فرس و ٢٠ جمل	الفضل المزيد ، ص ١٢٦

	المكان أو القبيلة	التاريخ	نوع الخراج وعدده	المصدر
٧-	البلاد الشامية	جمادى الأولى سنة ٩٠٥ هـ	أكثر من ١٠٠ خيل و ٩٧ من الابل و ٤ حمير نفيسه	الفضل المزيد ، ص ١٣٣-١٣٤
٨-	البلاد الشامية	جمادى الأولى سنة ٩٠٦ هـ	نيف وثمانون فرسا	الفضل المزيد ص ١٤٦
٩-	البلاد الشامية	شعبان سنة ٩٠٨ هـ	أموال عظيمة و ١١٠ من الخيل و ١٤ جملا	الفضل المزيد ، ص ١٦٨
١٠-	البلاد الشامية	شعبان سنة ٩٠٩ هـ	قريبا من ١٠٠ خيل وفوق ٢٠ من الجمال	الفضل المزيد ، ص ١٧٥.
١١-	البلاد الشامية	شعبان وذو القعدة سنة ٩١١ هـ	زيادة على ٧٠ فرس وأموال مستكثرة .	الفضل المزيد ، ص ١٩١.
١٢	؟	شعبان سنة ٩١٢ هـ	٢٠ رأسا من الخيل ولعلها غنائم	الفضل المزيد ، ص ٢٠١
١٣	البلاد الشامية	القعدة سنة ٩١٣ هـ	٥٠ رأسا من الخيل ولعلها غنائم من الكعبيين	الفضل المزيد ، ص ٢١١

	المكان أو القبيلة	التاريخ	نوع الخراج وعدده	المصدر
١٤	البلاد الشامية	ربيع الآخر سنة ٩١٥ هـ	زيادة على ١٢٠ رأسا من الخيل	الفضل المزيد ، ص ٢٢٢
١٥	البلاد الشامية	شوال سنة ٩١٦ هـ	خيل الأداء وعددها ٤١ فرسا	الفضل المزيد ، ص ٢٣٥
١٦	البلاد الشامية	محرم سنة ٩١٧ هـ	قرابة ١٥٠ فرسا	الفضل المزيد ، ص ٢٤٠ ، قرة العيون ، ق ٢ ص ٢١٣ - ٢١٤
١٧	البلاد الشامية	محرم سنة ٩١٨ هـ	خيل الأداء زيادة على ٥٠ خيلا	الفضل المزيد ، ص ٢٥٠
١٨	البلاد الشامية	محرم سنة ٩٢٠ هـ	خيل الأداء وعددها ٣٠ خيلا	الفضل المزيد ، ص ٢٦٦ ، قرة العيون ، ق ٢ ص ٢١٨ - ٢١٩

ملحق رقم (٣)

*

الموازين والمكاييل في عصر الدولة الطاهرية

من مخطوط كشاف القناع

قال شيخنا تقي الدين في الأحكام على تحديد الواجب في الفطرة بمكيال زبيد حيث شاع أن الاحتياط ؟ (الاحتياط) ست ربيعات قال : أحضر الشعير بين يدى مولانا شيخ الاسلام قاضى القضاة عبد الرحمن الناشرى وأحضر مكيال زبيدى طاهرى وهمانى وميزان وختوم ووزن من الشعير ستماية درهم وخمسة وثمانون وخمسة أسباع درهم بأوقية زبيد ، وأخرج من كل أوقية نصف قفلة ليوافق الوزن المصرى لأن أوقية زبيد تزيد على أوقية مصر بنصف أوقية ، فجاء مقدار ذلك المكيال الزبيدى الطاهرى خمس ربيعات ونصف ربيعه وحررت الربيعة بالشعير بالوزن بأوقية زبيد فكانت اثنى عشر أوقية الا اثنى عشر قيراطا ، وملأ الربيعة المذكورة بمكيال زبيد من الطعام الذرة البيضاء ستة عشر أوقية بأوقية زبيد اليوم والله أعلم.

ثم قال فايدة أخرى نصاب زكاة الحبوب مد ونصف الا ربع ثمن فالمد اصطلاحا بزبيد اثنان وثلاثون ثمنا ، والثمن عشرة أزبر.

هذا ما وجدته بخط القاضى محمد بن حسين القماط ، ثم بعد هذا قال الفقيه الصالح هذا التقدير الذى ذكر يقتضى أن نصاب الزكاة ثمانية وأربعون ثمنا الا ربع ثمن ، والذى تحرر لى أن نصابها خمسة وأربعون ثمنا

فقط ، لأن نصابها ثلثماية صاع ، وقد قالوا أن الصاع ست ربيعات وإذا ضربت سته في ثلثماية وجدت ذلك ألفا وثمانماية ربيعة وإذا أجملت ذلك وجدته أربعماية وخمسين (ربيعه) فصح من ذلك ما ذكرته فليتأمل والله أعلم . انتهى .

ثم قال : وإذا قلنا الصاع خمس ربيعات ونصف كما تقدم تحريره كان النصاب ألفا وستماية وخمسين ربيعة (1) .

وفي فتاوى المحقق ابن زياد ما لفظه سيل من العلامة السيد الطاهر الأهدل رحمه الله ونفع به عن مقدار نصاب الزكاة الطعام بمكيال زبيد في هذا الزمن بينوا لنا ذلك بيانا شافيا وكم الوسق ، وكم الصاع بأواق هذا الزمن أثابكم الله تعالى .

أجاب اعلم أن حصة الأوقية من أواقنا تسعة دراهم اسلامية وثلث درهم وقلت سبع درهم .

والرطل البغدادي الذي هو ماية درهم وثلثون درهما بأواقنا ثلاثة عشر أوقية ونصف أوقية وعشر أوقية ونصف عشر أوقيه ،بلغ ذلك ثمانية عشر وخمس أوقية وهو المد .

---

(1) الأهدل : بدر الدين حسين بن أبي القاسم ، كشاف القناع في معرفة أحكام الزراع ، ورقه ٢٠ ب

والصاع الذى هو أربعة أمداد اثنان وسبعون أوقية وأربعة أخماس أوقية وثلثماية صاع بأوقنا أحد وعشرون ألفا وثمانماية وأربعون .

والرطل الذى هو ماية درهم وثمانية وعشرون درهما وأربعة أسباع درهم بأواقنا ثلاثة عشر أوقية ونصف أوقية ، واذا ضمت اليه ثلثه وهو أربعة أواق ونصف أوقية بلغ ثمانية عشر أوقية .

هذا المد والصاع الذى هو أربعة أمداد اثنان وسبعون أوقية . وثلثماية صاع بأواقنا أحد وعشرون ألفا وستماية ، اذا علمت ذلك وعرفت أن المد على طريقة الشيخ محى الدين النووى رضى الله عنه ثمانية عشر أوقية بأواق بلدنا ، وعرفت أيضا أن الربيعة ثمانية عشر أوقية بأواق بلدنا أيضا ، وأن الصاع أربع ربيعات ، فالصاع بربيعة زبيد الآن أربع ربيعات وهو الزبدى في عرف أهل زبيد (٢) .

---

(٢) كشاف القناع ، ورقه ٢٠ ب - ٢١ أ

ملحـــــق رقم (٤)

توضيح أرقام صـور الملحق رقـــم (٢)

١ - صورة النقش التأسيسي على يسار المحراب بالجامع الكبير بزبيد .

٢ - صورة النقش التأسيسي على يمين المحراب بالجامع الكبير بزبيد .

٣ - محراب الجامع الكبير .

٤ - الجزء الشرقي من الواجهة القبلية من الداخل للجامع الكبير بزبيد .

٥ - الجزء الشرقي للواجهة القبلية الخارجية لجامع زبيد .

٦ - القبة الشرقية - وهي الكبرى - لجامع زبيد الكبير .

٧ - الجزء الجنوبي للجامع الكبير وتظهر فيه المنارة الوحيدة ، والقبـة الجنوبية .

٨ - جزء من الواجهة الشرقية الخارجية ويظهر فيها المدخل الوحيـــد لهذه الجهة .

٩ - جزء من الجدار الغربي من الخارج للجامع الكبير .

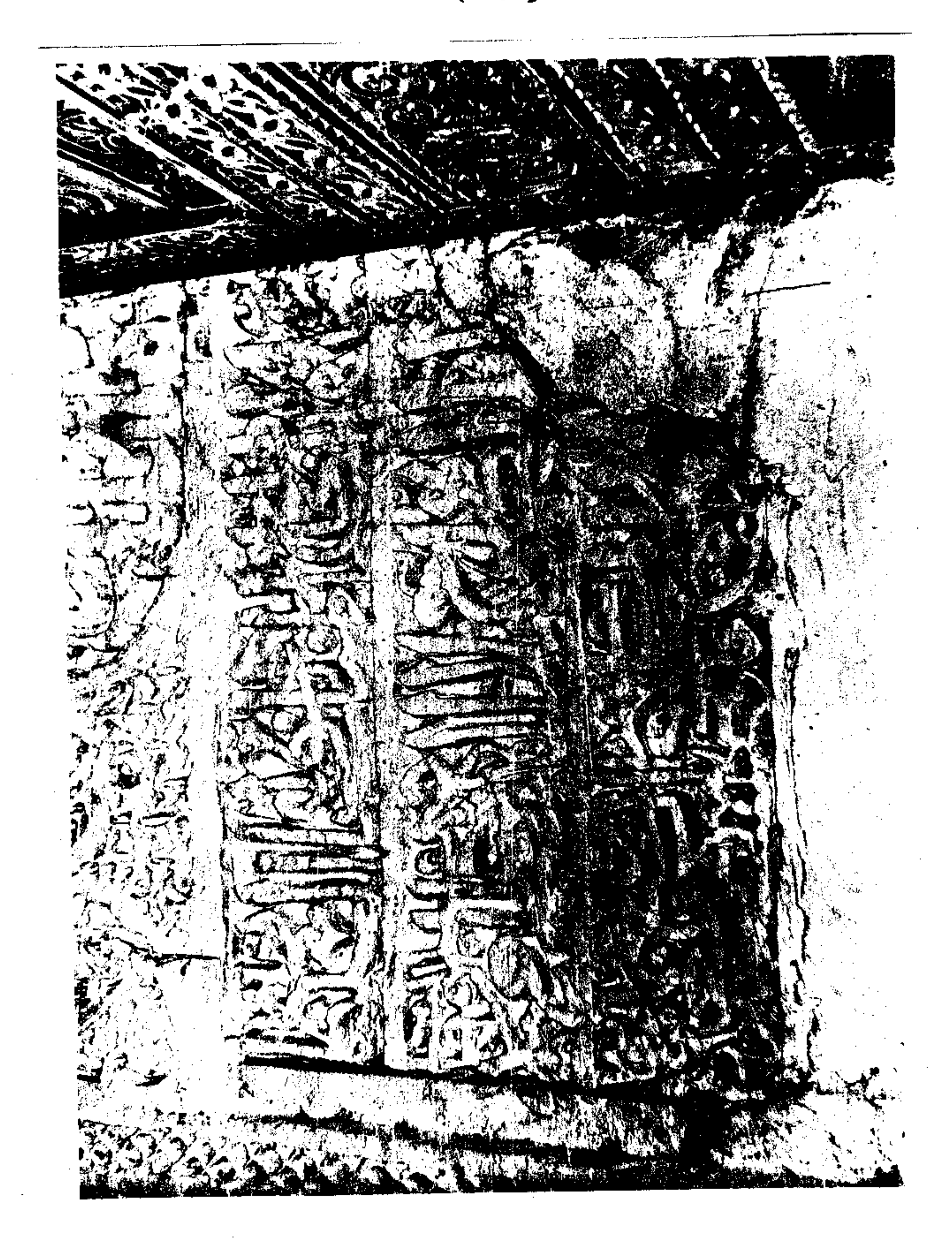
١٠ - جزء من السقف الأمامي للجامع وتظهر كتابة تدل على آثار التجديد له .

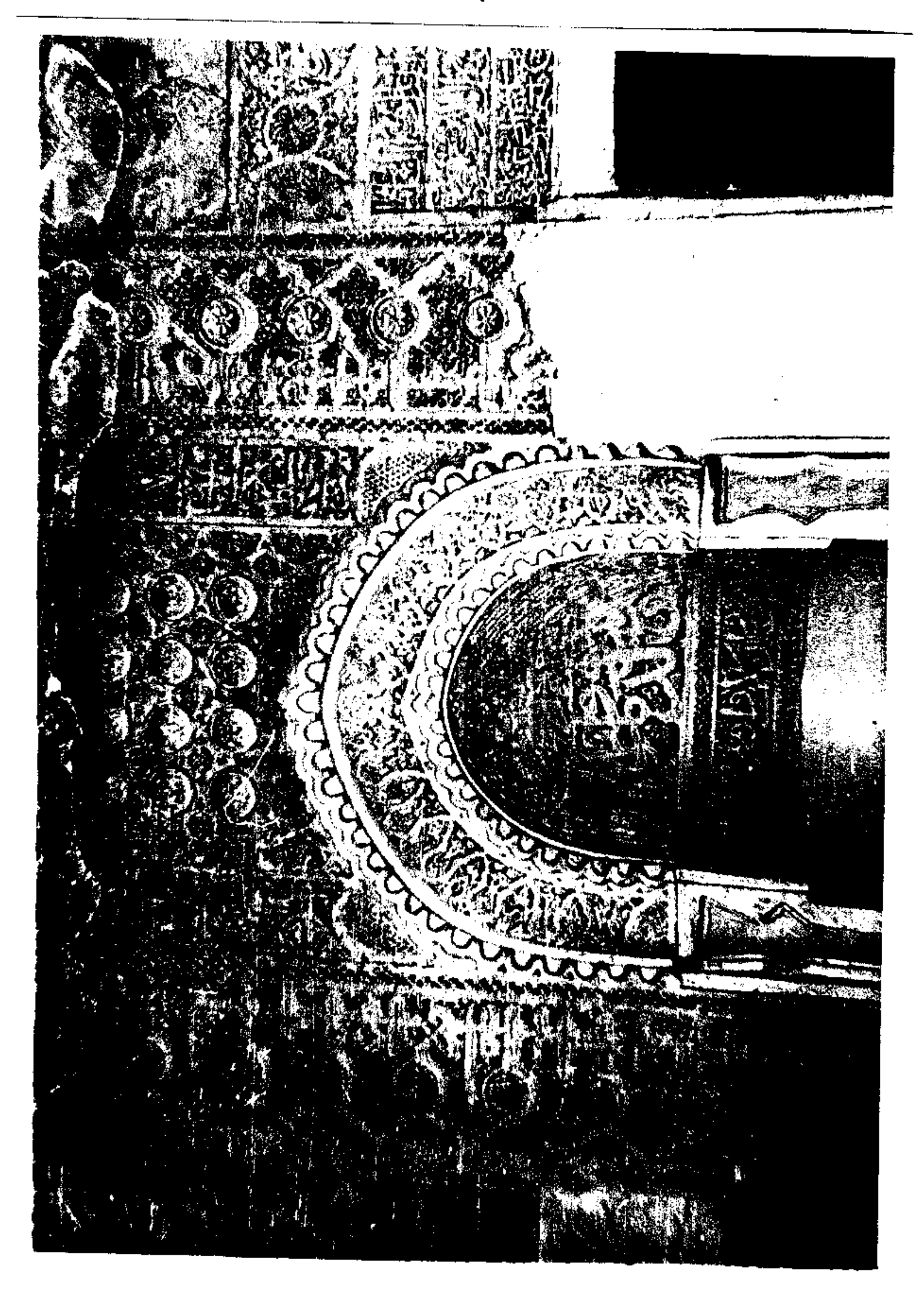
١١ - المدرسة النظارية بزبيـد .

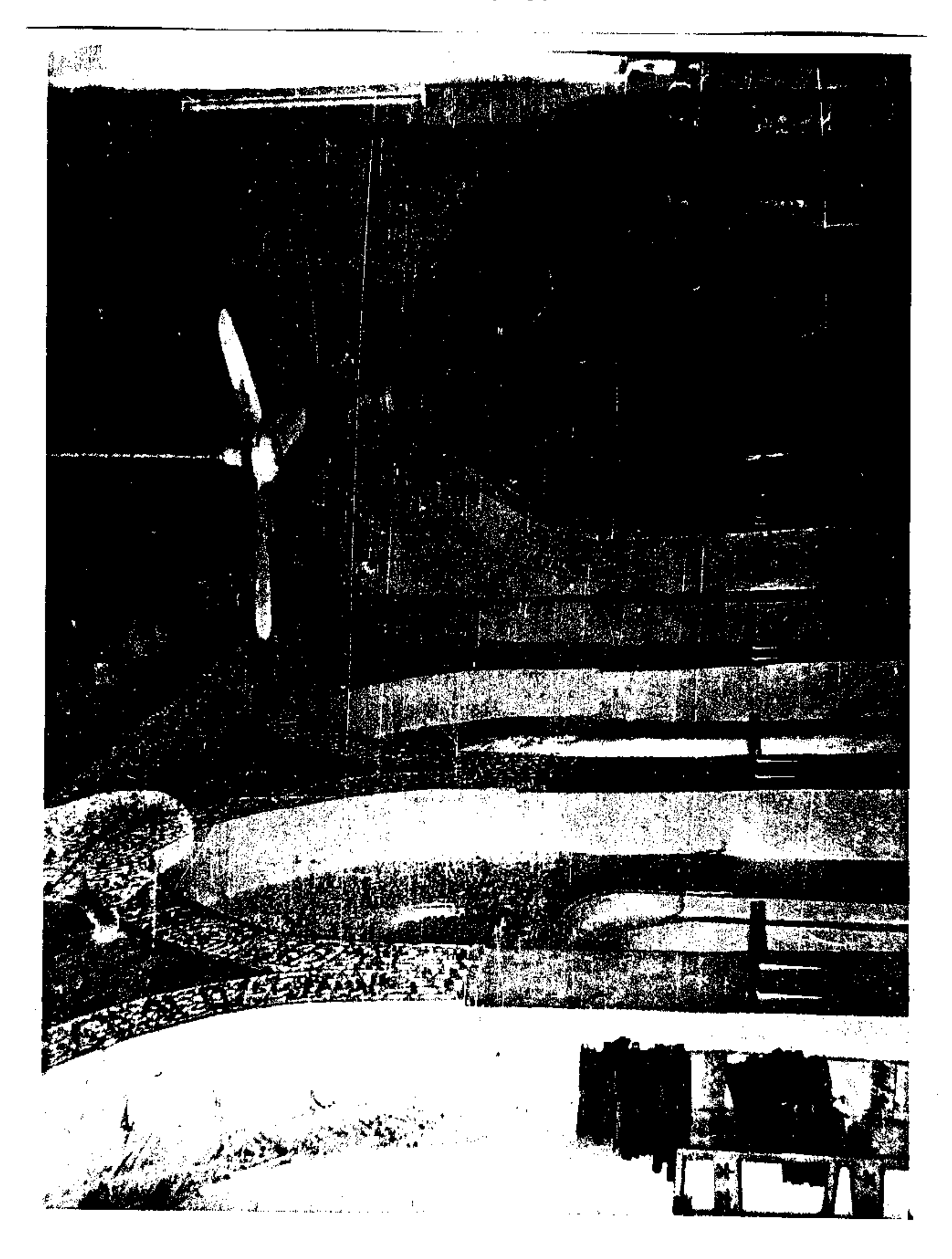
١٢ - نقش المدرسة النظارية على حجر بأعلى الباب الداخلي للمسجد .

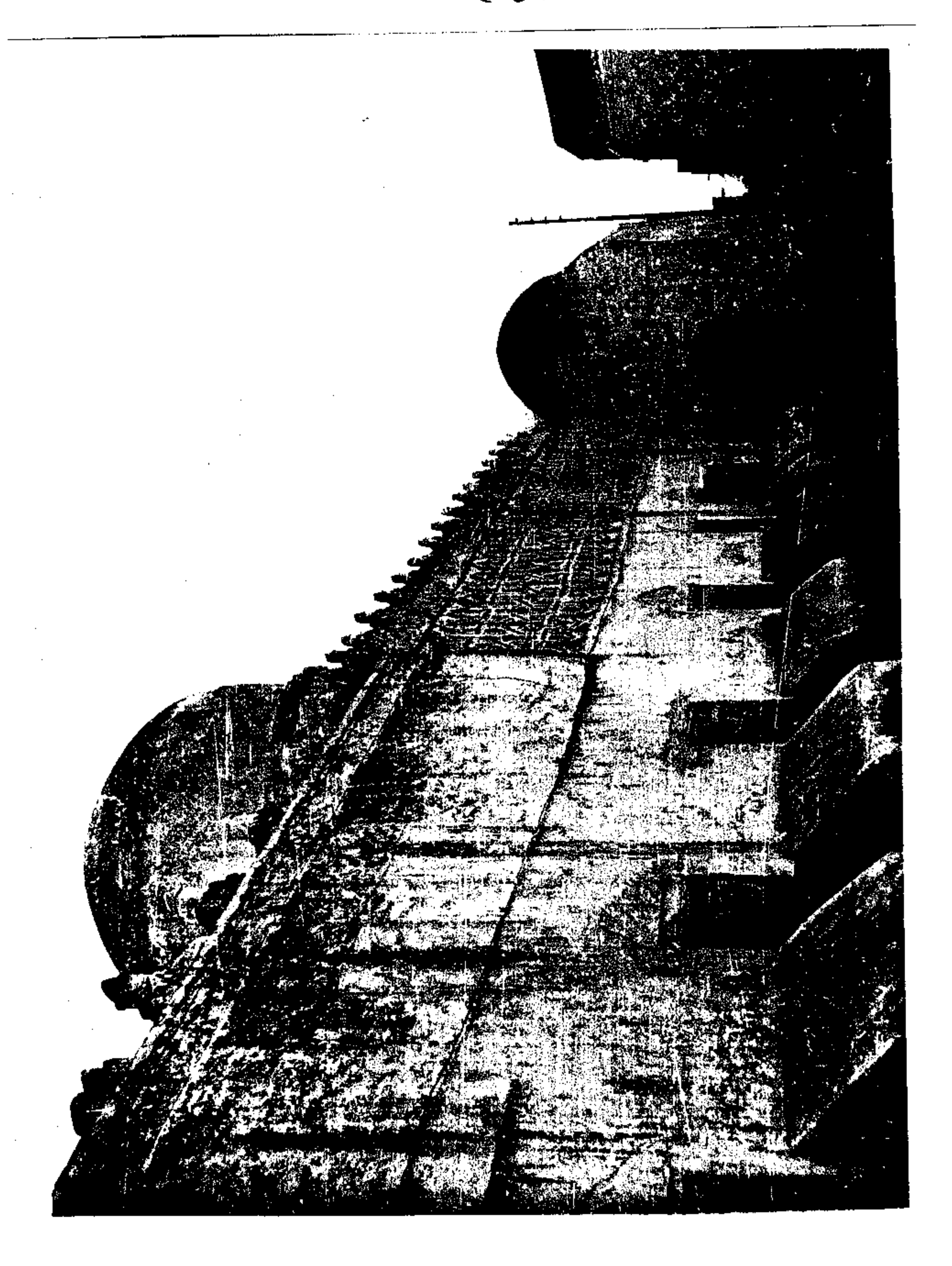
١٣ - المدخل الغربي للمدرسة النظارية .

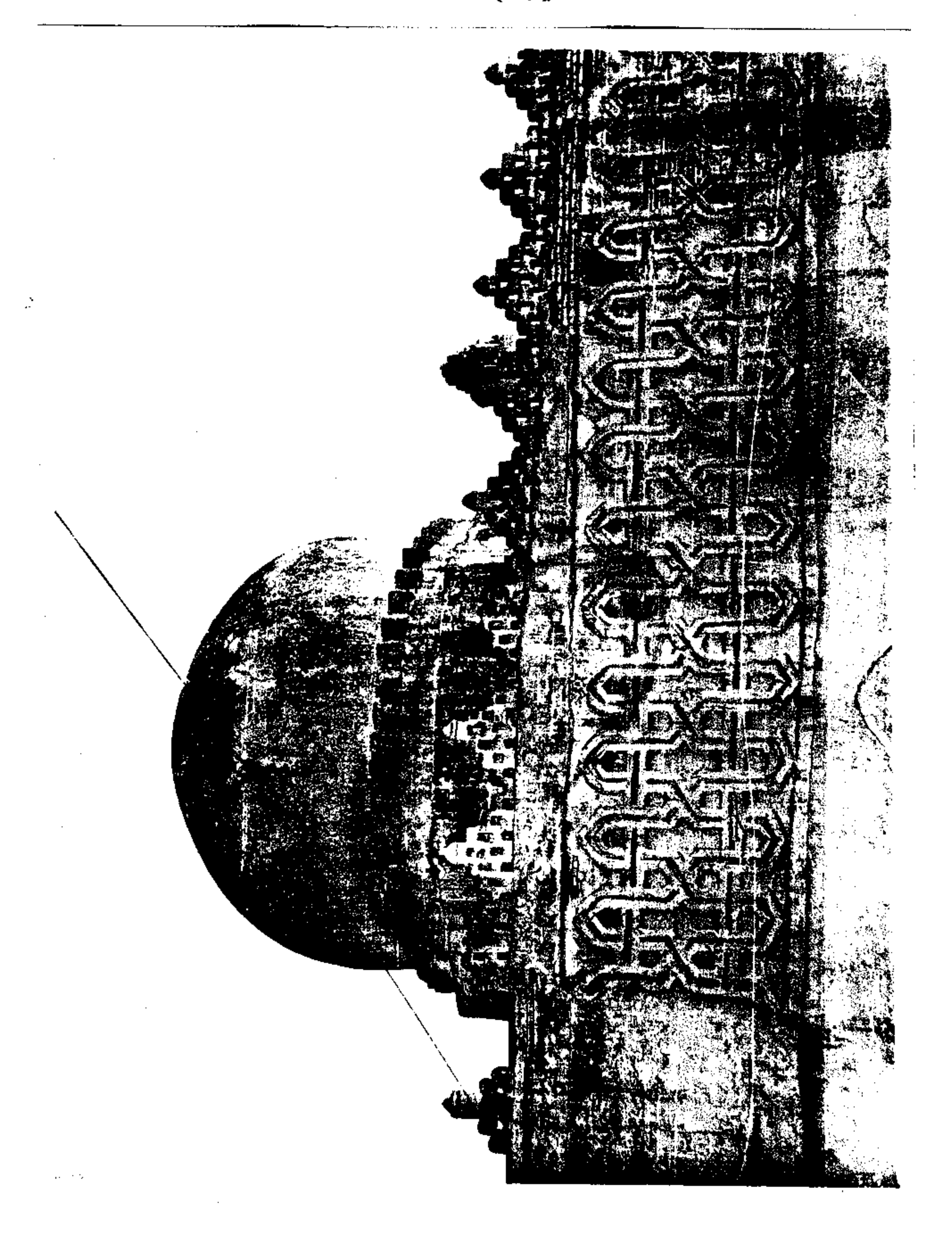


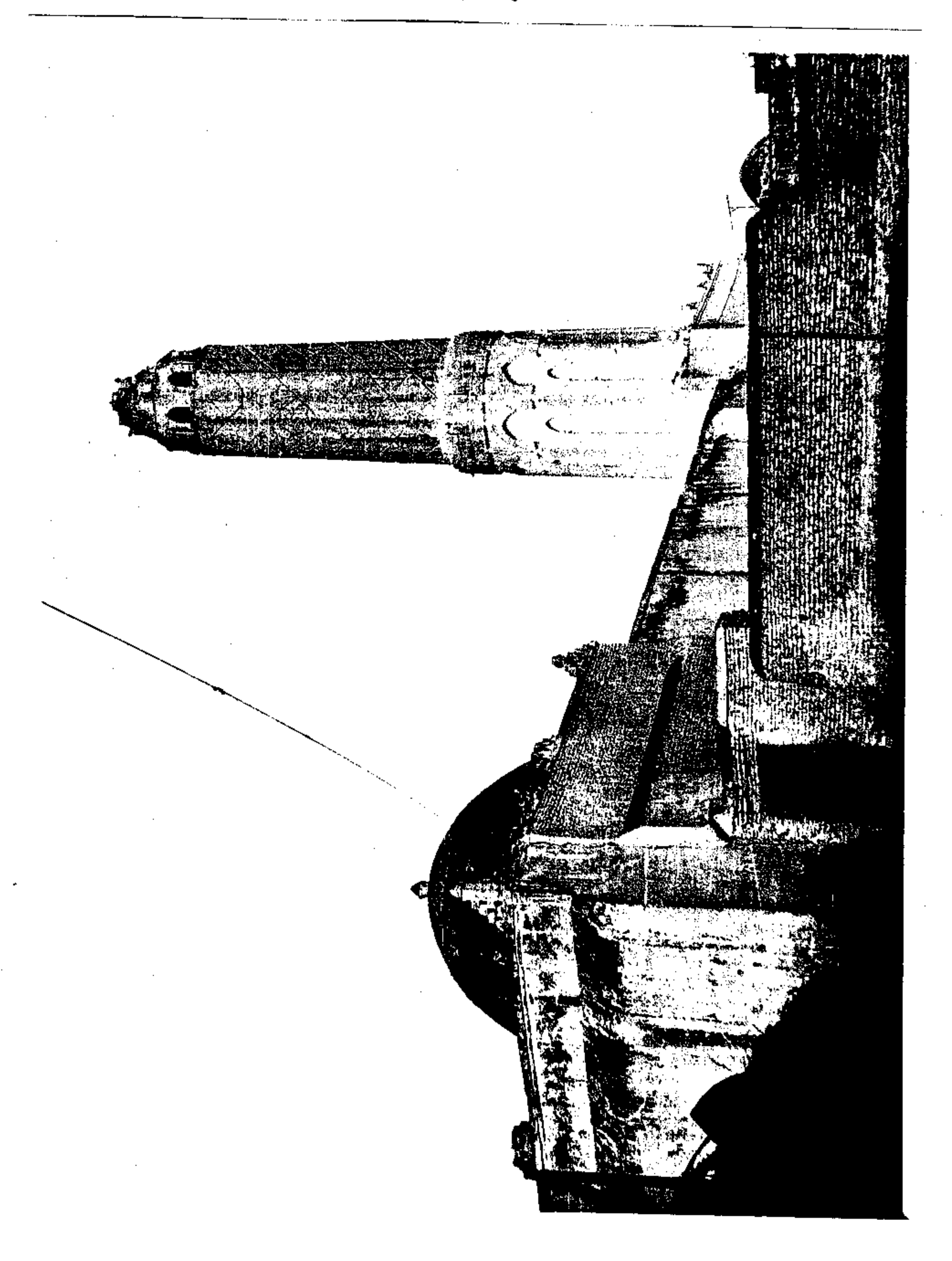








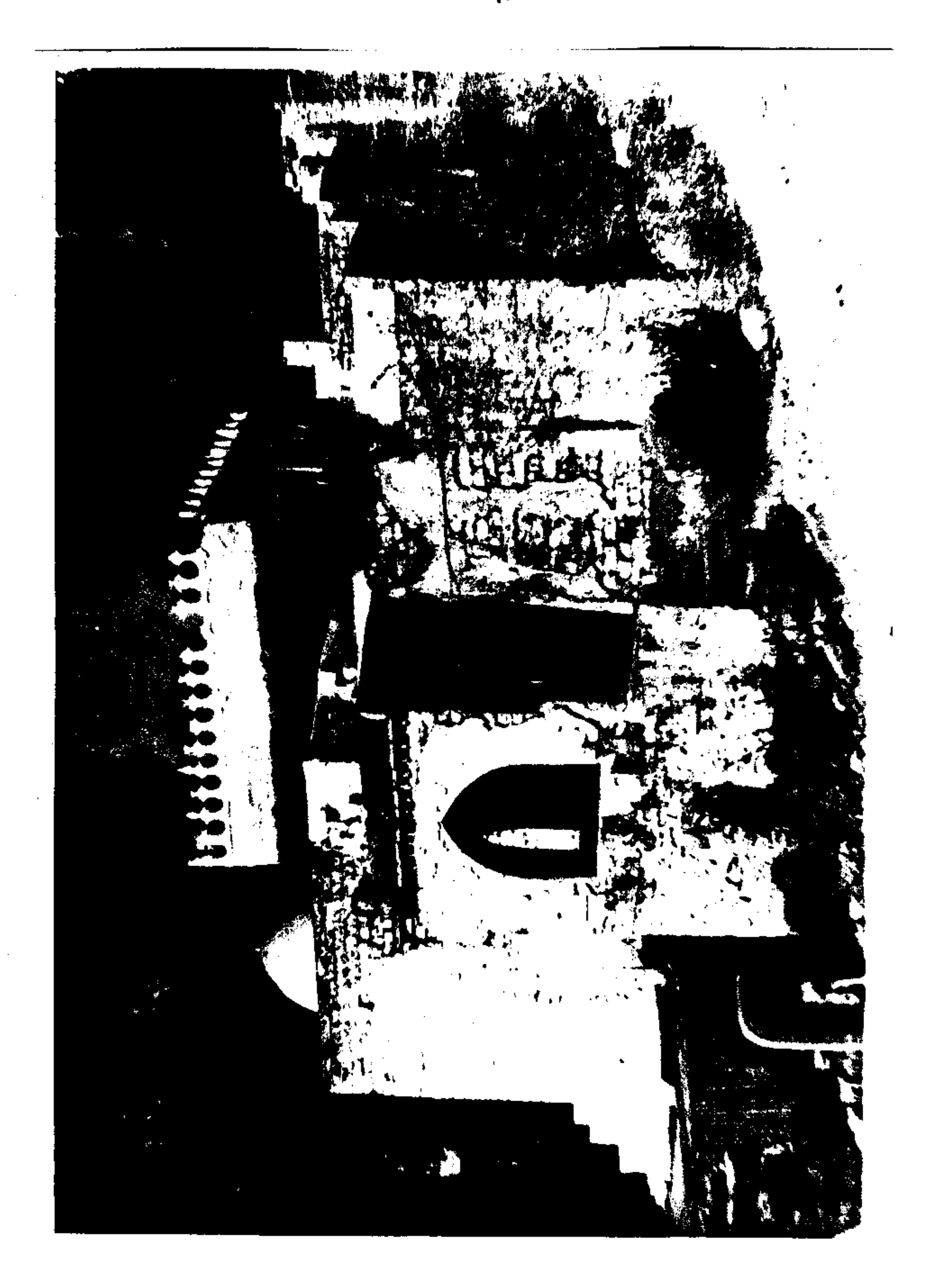






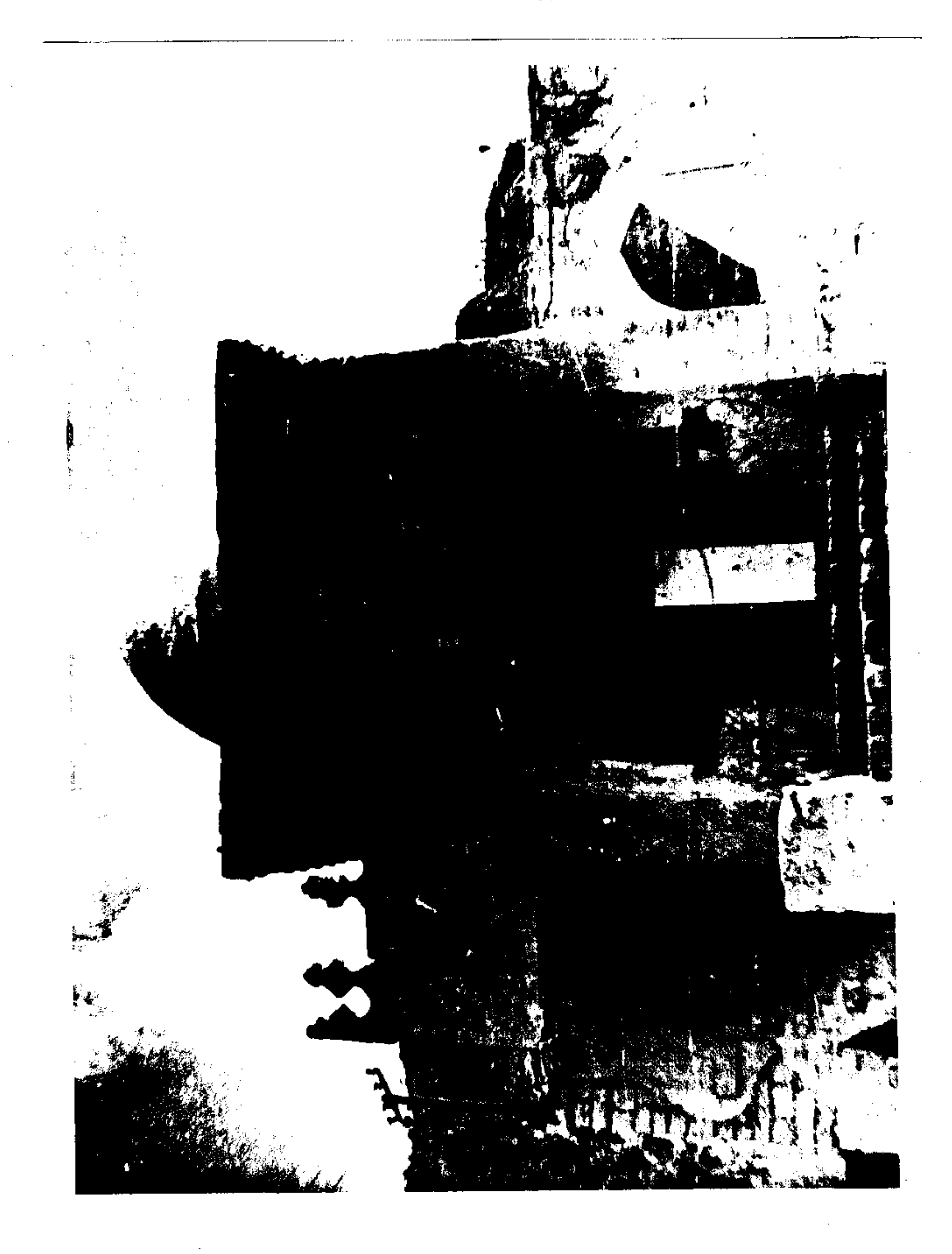


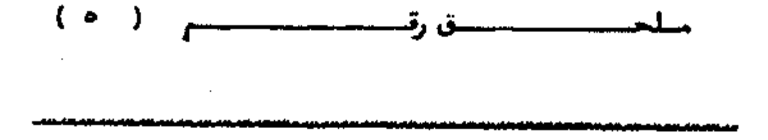


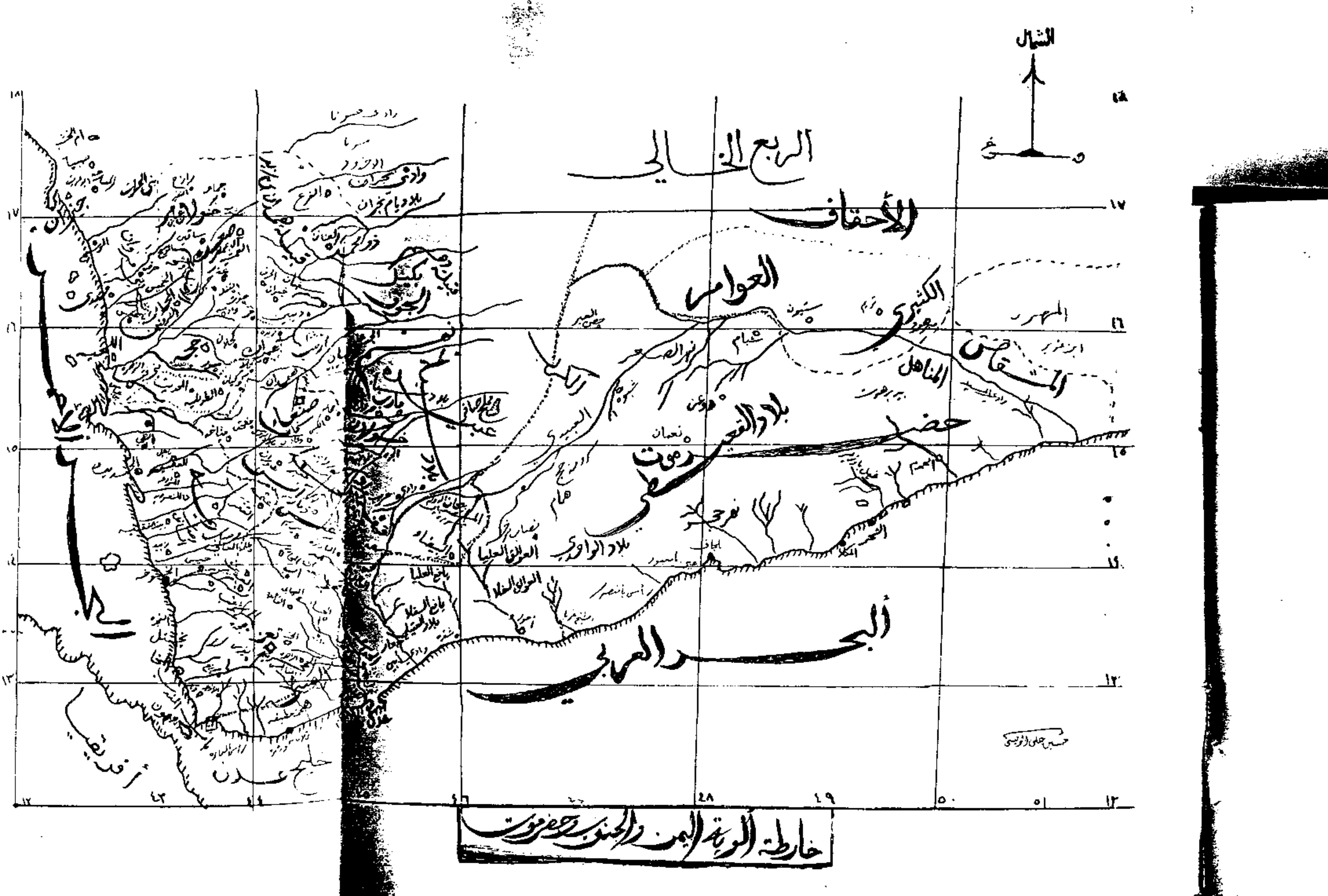


« ١٢ »






ملحق رقم (٥)



الشمال
الربع الخالي
الأحقاف
العوامر
الكثيري
المناهل
حضرموت
بلاد الواحدي
العوالق العليا
العوالق السفلى
البحر العربي
عدن
خارطة ألوية اليمن والجنوب وحضرموت

ثبت المصادر والمراجع

١ - مصادر ومراجع غير منشورة

- ابن حميد : سالم بن محمد بن سالم

* العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة

مخطوط مكتبة السيد علي بن حسين العطاس بجاكرتا ، ومصور على ميكروفيلم بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى رقم ٢٣٧٠

- ابن فهد : عبد العزيز بن عمر المكي (٩٢٢ هـ)

* بلوغ القرى في ذيل اتحاف الورى بأخبار أم القرى

مكتبة الحرم المكي الشريف رقم ١ - تاريخ عبد الوهاب

- ابن المطهر : عيسى بن لطف الله (ت ١٠٤٨ هـ)

* روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح

المكتبة العثمانية بحلب رقم ٨٠٨ ومصور على ميكروفيلم بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى رقم : ٢٨٦ تاريخ .

- ابن مظفر : بدر الدين محمد بن أحمد (ت ٩٢٦ هـ)

* الترجمان المفتح لثمرات كمائم البستان

المتحف البريطاني ، رقم Add , 18 , 513

- أبو مخرمه : الطيب بن عبد الله (ت ٩٤٧ هـ)

* قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ، جـ ٣

يني جامع بتركيا رقم ٨٨٣

ميكروفيلم بمركز البحث العلمي رقم ١١٥٠ تاريخ

* النسبة الى المواضع والبلدان

المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة رقم ٢٥٦٩

- أبو مخرمة : عبد الله بن أحمد (ت ٩٠٣ هـ)

* فتاوى أبو مخرمة

مكتبة الأحقاف بتريم مجموعة آل يحى ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالكويت رقم : ٢٥٤

- الآنسي : عبد الملك بن حسين (ت ١٣١٥ هـ)

اتحاف ذوى الفطن المختصر من أنباء الزمن

مكتبة كورسني بايطاليا رقم ٣٦٥ تاريخ

ميكروفيلم بمركز البحث العلمي رقم ٣٦١ تاريخ

- الأهدل : بدر الدين حسين بن أبي القاسم بن أبي بكر .

* كشاف القناع في معرفة أحكام الزراع

مكتبة الأحقاف بتريم مجموعة آل يحيى

ومصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالكويت برقم : ٢٨٨

- بافقيه : الطيب محمد بن عمر (ت ١٠١١ هـ)

* تاريخ الشحر

المكتبة الشعبية بالمكلا رقم : ٢٣٠

وميكروفلم لدى الدكتور عبد الله بن حامد الحميد .

- البيهقى : علاء بن الحسين (ت ٩٠٧ هـ)
* معدن النوادر فى معرفة الجواهر

مكتبة آيا صوفيا السليمانية رقم ٣٧٤٣

- الرمال : غسان محمد .
* صراع المسلمين مع البرتغاليين فى البحر الأحمر خلال القرن العاشر الهجرى ـ السادس عشر الميلادى

رسالة ماجستير ـ جامعة أم القرى ١٤٠٠ هـ

- الزحيف : بدر الدين محمد بن على (توفى بعد سنة ٩١٦ هـ)
* مآثر الأبرار فى تفصيل مجملات جواهر الأخبار

المكتبة المركز بجامعة أم القرى : ٨٣ تاريخ

- الشرفى : شمس الدين أحمد بن محمد بن صلاح (ت ١٠٥٥ هـ)
* اللالىء المضيئة الملتقطة من اللواحق الندية فى أخبار الأئمة الزيدية ، جـ٣

المكتبة الوطنية بباريس رقم : ٥٨٣١
ومصور على ميكروفيلم بمركز البحث العلمى رقم : ٤١٧ تاريخ

- الشلى : جمال الدين محمد بن أبى بكر الحسينى (ت ١٠٣٠ هـ)
* السناء الباهر بتكميل النور السافر فى أخبار القرن العاشر

دار الكتب المصرية رقم : ١٥٨٦ - ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة ، رقم ١١٧٠

- شنبل : أحمد بن عبد الله بن عبد الله باعلوى (توفى ٩٢٠هـ)

* التاريـخ الأكمـل

مخطوط لدى الدكتور عبد الله بن حامد الحميد .

- الضمدى : عبد الله بن على (ت ١٠٥٠ هـ)

* العقيق اليمانى فى أخبار المخلاف السليمانى

مخطوط لدى مكتبة السيد محمد القديمى بقرية الزيديه فى اليمن

* الوافى بوفيات الأعيان المكمل لغربال الزمان .

مكتبة الأحقاف بتريم مجموعة المكتبة الشعبية بالمكلا ، ومصـور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية ـ الكويت رقم ٢٨٦ .

- الكبسى : بدر الدين محمد بن اسماعيل بن محمد (ت ١٣٠٨هـ)

* اللطائف السنيه فى أخبار الممالك اليمنية

مكتبة كورسنى بايطاليا رقم ٣٦٢ ،

ومصور على ميكروفيلم بمركز البحث العلمى رقم ١١٧٠ تاريخ

- المزجد : أحمد بن عمر بن محمد (ت ٩٣٠ هـ)

* العباب المحيط بمعظم خصوص الشافعى والأصحاب

مكتبة الأحقاف بتريم مجموعة آل سهل

وميكروفيلم فى معهد المخطوطات العربية ـ الكويت رقم : ١٢٧

- المليبارى : زين الدين المعبرى
* تحفة المجاهدين فى أحوال البرتكاليين

مخطوط جامعة برنستن مجموعة يهودا رقم : ٣٩٢٠ تاريخ
وميكروفيلم بمركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى رقم : ٥٧٥

- الناشرى : حمزة بن عبد الله (٩٢٦ هـ)
* انتهاز الفرص فى الصيد والقنص

المكتبة الظاهرية رقم ٨٤٩١

- النمازى : صالح بن صديق (٩٧٥ هـ)
* سلسلة الابريــز

المتحف البريطانى رقم : Or. 3918

- الوزير : محمد بن ابراهيم بن المفضل (ت ١٠٨٥ هـ)
* السلوك الذهبية فى خلاصة السيرة المتوكلية

المتحف البريطانى رقم : Or. 3731

- الوزير : عبد الله بن على بن محمد (ت ١١٤٧ هـ)
* جامع المتون فى أخبار اليمن الميمون

مكتبة كورسنى بايطاليا رقم ٣٥٦ تاريخ - ميكروفيلم بمركز البحث العلمى
واحياء التراث الاسلامى رقم : ٢٢٧ تاريخ

- يحى بن الحسين بن المؤيد بالله (ت ١١٠٠ هـ)
* انباء أبناء الزمن فى تاريخ اليمن .

ميكروفيلم المكتبة العامة بجامعة الملك سعود بالرياض رقم ٩٥٣ / س

٢ - مصادر ومراجع منشورة

- ابن اياس : محمد بن أحمد
* بدائع الزهور فى وقائع الدهور
ج ٣ ، ج ٤ ، القاهرة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.

- ابن الديبع : عبد الرحمن بن على
* بغية المستفيد فى تاريخ مدينة زبيد
صنعاء ١٩٧٩م.
* بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد
بيروت ، ١٩٨٣م.
* الفضل المزيد على بغية المستفيد فى أخبار زبيد
الطبعة الأولى ، الكويت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م
* قرة العيون فى أخبار اليمن الميمون
القسم الثانى ، القاهرة ١٩٧٧م
* تيسير الوصول الى جامع الأصول من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.
ج ١ ، ج ٤ ، بيروت ١٩٧٧م.

* ابن رسول : الملك المظفر يوسف بن عمر
المعتمد فى الأدوية المفرده
بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.

- ابن سمرة الجعدى : عمر بن على

* طبقات فقهاء اليمن

بيروت ١٩٥٧م

- ابن العماد الحنبلى : أبو الفلاح عبد الحي

* شذرات الذهب في أخبار من ذهب

جـ ٢ ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.

- أبو مخرمه : الطيب بن عبد الله

* تاريخ ثغر عــدن

جـ ١ ، طبعة ليدن ١٩٣٦م.

- ابن قدامة المقدسى : أبو محمد عبد الله بن أحمد

* المغــنى

جـ ٢ ، بيروت ١٣٩٢ - ١٩٧٢م.

- أبو يوسف : يعقوب بن ابراهيم

كتاب الخــراج

القاهرة ، بدون تاريخ .

- أحمد يوسف أحمد

* الدور المصرى في اليمن

القاهرة ١٩٨١م.

- الأكوع : اسماعيل بن علي

* المدارس الاسلامية في اليمن

دمشق ١٤٠٠ هـ

- أنور عبد العليم

* الملاحة وعلوم البحار عند العرب

الكويت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م

- أيمن فؤاد السيد

مصادر تاريخ اليمن في العصر الاسلامي

القاهرة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م

- بامطرف : محمد بن عبد القادر

* الشهداء السبعة

بغداد ، ١٩٧٤ م

- بانيكار : ك . م

* آسيا والسيطرة الغربية

ترجمة عبد العزيز جاويد ، القاهرة بدون تاريخ .

- البحراوي : محمد بن عبد اللطيف

* فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر الى البحر

الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.

- البريهى : عبد الوهاب بن عبد الرحمن
* طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهى
صنعاء بدون تاريخ

- البغدادى : اسماعيل باشا
* ايضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون
جـ ١ ، جـ ٢ ، بيروت ، بدون تاريخ .
* هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين
جـ ٢ ، بيروت ، بدون تاريخ

- بيرين : جاكلين .
* اكتشاف جزيرة العرب
بيروت بدون تاريخ

- الثور : عبد الله بن أحمد
* هذه هى اليمن
الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٩م

- حاجى خليفه
* كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون
بيروت ، بدون تاريخ

- الحامد : صالح بن علي

* تاريخ حضرموت السياسي

جـ ٢ ، بيروت ، بدون تاريخ

- الحبشي : عبد الله بن محمد

* حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول

دمشق ، ١٩٨٠ م

* الصوفية والفقهاء في اليمن

صنعاء ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م

* فهرست المخطوطات اليمنية في حضرموت المحافظة الخامسة :

عدن ، ١٩٧٥م.

* مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن

صنعاء ، بدون تاريخ

- الحبيشي : عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن

* تاريخ وصاب المسمى الاعتبار في التواريخ والآثار

الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٧٩م.

- الحداد : علوي بن طاهر

* الشامل في تاريخ حضرموت ومخالفيها

سنغافوره ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠م

- حسن أحمد محمود
* " التهديد البرتغالي لسواحل جزيرة العرب "

مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثاني عشر ، بغداد ، ١٩٨١م

- الحموي : ياقوت بن عبد الله
* معجم البلدان

المجلد الثالث ، المجلد الخامس ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م

- الحبيبه : عبد الله بن حامد
* " المماليك الجراكسة في اليمن "

مجلة البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي ، العدد الأول ،
جامعة أم القرى بمكه ١٣٩٨ هـ

- الخوارزمي : محمد بن أحمد بن يوسف
* مفاتيح العلـــوم

الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.

- دحلان : أحمد زيني
* تاريخ الدول الاسلامية بالجداول المرضية

بدون مكان وتاريخ الطبع

- دراج : أحمد

* المماليك والفرنج فى القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادى

القاهرة ١٩٦١م.

- روز نشال : فرانز

* علم التاريخ عند المسلمين

ترجمة صالح أحمد العلى ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.

- الزاوى : الطاهر أحمد

* ترتيب القاموس

جـ ٣ ، بدون مكان وتاريخ الطبع

- زباره : محمد بن محمد

* نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف ، صنعاء بدون تاريخ

* أئمة اليمن

تعز ، ١٣٧٢ هـ

- الزبيدى : محمد مرتضى

* تاج العروس من جواهر القاموس

جـ ٨ ، بيروت بدون تاريخ

- السخاوى : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن
* الضوء اللامع لأهل القرن التاسع
جـ ١ ، جـ ٤ ، جـ ٥ ، جـ ٨ ، بيروت بدون تاريخ

- السقاف : السيد عبد الله بن محمد بن حامد
* تاريخ الشعراء الحضرميين
جـ١ ، الطائف بدون تاريخ

- السيوطى : جلال الدين
* تاريخ الخلفــاء
بيروت بدون تاريخ

- السيد مصطفى سالم
* الفتح العثمانى الأول لليمن
الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٤

- الشرجى : أحمد بن عبد اللطيف
* طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص
القاهرة ١٣٢١ هـ

- شرف الدين : أحمد حسين
* اليمن عبر التاريخ
الطبعة الثالثة ، الرياض ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م

- الشرباصي : أحمد

* المعجم الاقتصادي الاسلامي

بيروت ١٤٠١ هـ

- الشلي : محمد بن أبي بكر

* المشرع الروي في مناقب السادة الكرام بني علوي

جـ ٢ ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م

- شلبي : أحمد

* موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية

جـ ٧ ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٨٢م

- الشماحي : عبد الله بن عبد الوهاب

* اليمن الانسان والحضارة

القاهرة ١٩٧٢م

- الشناوي : عبد العزيز

* أوربا في مطلع العصور الحديثة

جـ ١ ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٧٧م.

- شهاب : حسن صالح

* فن الملاحة عند العرب

الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٢م.

- الشوكانى : محمد بن على
* <u>البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع</u>

جـ ١ ، بيروت ، طبعة مصورة عن الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨ هـ

- الشيزرى : عبد الرحمن بن نصر
* <u>كتاب نهاية الرتبه فى طلب الحسبه</u>

بيروت بدون تاريخ

- طرخان : ابراهيم
* <u>مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسه</u>

القاهرة ١٩٥٩م.

- عاشور ، سعيد الفتاح
* <u>العصر المماليكى فى مصر والشام</u>

الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٦م

- العبدلى : أحمد بن فضل
* <u>هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن</u>

الطبعة الثانية بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م

- عبد الكريم زيدان
* <u>المدخل لدراسة الشريعة</u>

الطبعة الخامسة ، بغداد ، ١٣٩٦ هـ

- عبد الرحمن فهمي
* النقود العربية ماضيها وحاضرها
القاهرة ١٩٦٤م.

- عبد المنعم ماجد
* نظم سلاطين المماليك ورسومهم مصر
الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٩م.

- العصامي : عبد الملك بن حسين
* سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي
جـ ٤ ، القاهرة ١٣٧٩ هـ

- العقيلي : محمد بن أحمد
* الشاعر الجراح بن شاجر الذروى شاعر المخلاف السليماني
الطبعة الأولى ، الرياض ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م
* تاريخ المخلاف السليماني
جـ ١ ، الطبعة الثانية ، الرياض ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م

- عمارة اليمني : نجم الدين عمارة بن علي
* تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد
الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م.

- العيدروس : أبو بكر بن عبد الله

* ديوان محجة السالك وحجة الناسك

الطبعة الثانية القاهرة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦م

- العيدروس : محي الدين عبد القادر شيخ

* النور السافر عن أخبار القرن العاشر

بغداد ١٣٥٣ هـ

- الغزى : نجم الدين

* الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة

جـ ٢ ، بيروت ١٩٧٩م.

- الفيروز آبادى : مجد الدين محمد بن يعقوب

* القاموس المحيط

جـ ٤ ، القاهرة ١٣٩٧ هـ مصوره عن الطبعة الثالثة ١٣٠١ هـ

- كحالة : عمر رضا

* معجم قبائل العرب القديمة والحديثة

جـ ٢ ، جـ ٣ ، جـ ٥ ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م

* معجم المؤلفين

جـ ١ ، جـ ٢ ، جـ ٤ ، جـ ٥ ، جـ ٦ ، جـ ١١ ، بيروت ، طبعة مصورة عن طبعة سنة ١٩٥٧م.

- الماوردى : علي بن محمد

* الأحكام السلطانية والولايات الدينيه

الطبعة الأولى ، بيروت ١٤٠٤ هـ

- المحامي : محمود كامل

* اليمن شماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية

بيروت ١٩٦٨م

- المقرىء : اسماعيل بن أبي بكر

* عنوان الشرف الوافي في علم الفقه والعروض والتاريخ والنحو والقوافي

الطبعة الرابعة ، مكان الطبع بدون سنة ١٤٠٠ هـ

- المقالح : عبد العزيز

* شعر العامية في اليمن

بيروت ١٩٧٨م

- المقحفي : ابراهيم بن أحمد

* معجم المدن والقبائل اليمنيــة

صنعاء ، ١٩٨٥م

- محمد مختار باشا

* التوفيقات الالهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الأفرنكية

المجلد الثاني ،الطبعة الأولى ،بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م

- محمد عبد العال أحمد

* البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه

الاسكندرية ١٩٨٠م

* بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما

الاسكندرية ١٩٨٠م

* " مجلة معهد المخطوطات العربية " ، المجلد السابع والعشرين ،

جـ ٢ ، الكويت ١٩٨٣

- الناشري : حمزة بن عبد الله

* انتهاز الفرص في الصيد والقنص

صنعاء ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م

- النهروالي : قطب الدين محمد بن أحمد

* البرق اليماني في الفتح العثماني

الطبعة الأولى ، الرياض ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م

- نعيم زكي

* طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى

القاهرة ، ١٩٧٣م .

- الهمداني : الحسن بن أحمد

* صفة جزيرة العرب

الطبعة الثالثة ،صنعاء ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

- الهمداني : حسين فيض الله

* الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن

الطبعة الثانية ، دمشق بدون تاريخ

- يحي بن الحسين : القاسم بن محمد

* غاية الأماني في أخبار القطر اليماني

القسم الثاني ، القاهرة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م

- يوسف فضل حسن

* " الصراع حول البحر الأحمر منذ أقدم العصور حتى القرن الثامن عشر"

مجلة الدارة ، العدد الثالث ، السنة الثامنة ، ربيع الثاني ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

- لاشين : محمود المرسي

* التنظيم المحاسبي للأموال العامة في الدولة الاسلامية

بيروت ١٩٧٧م

الفهرس

٣ - مراجع أجنبيـــــــــــة

- R. B. Serjeant. <u>The Portuguese off The South Arabian Coast</u>.
Berot. 1974.

الفهـــــــرس

الموضـــــــوع	الصفحـــــة

الموضـــــوع	الصفحـــــة

الموضـــــوع	الصفحـــة

. . . .
*